

فاطمة الشريف

مين أحمد



Des. Fatma ElShreef

أوراق
الليالي السنين



رواية

أوراق الياسمين

أوراق الياسمين

بقلم:

"حنين أحمد"، "فاطمة الشريفة"

تدقيق:

"حنين أحمد"، "فاطمة الشريفة"

مراجعة: حنين أحمد

تصميم غلاف: فاطمة الشريفة

تصميم داخلي: فاطمة الشريفة

تعبئة وتنسيق: حنين أحمد

رابط تحميل: ضحى حماد

أوراق الياسمين

خاطرة الرواية بقلم:

فاطمة الشريفة

ألوان متداخلة

أسود بلون حداد على الروح

أحمر بلون حب ذهب ولن يعود

أصفر لون ثقة أفقدوها إياها

حتى أصبحت جسدا يكاد يموت

أخضر هو لون الحياة ..

وفي عينيها هو لون أمنية

أن تستعيد تلك الحياة

أوراق الياسمين

ليأتي الأبيض بعبق الياسمين

لون البراءة،

الطهارة،

لون كل ما هو ثمين..

ورائحته العطرة

تخبرك قصته دون دلائل وبراهين

ألوان وورود

تساقطت أوراقها مع فصل الخريف

بأعاصير غضب

أو بريح خماسين

تناثرت بإهمال وكره

أوراق الياسمين

في الطرقات والبيادين
ضعف وذل واجهتهم
حتى وهن الجسد دون القدرة على المزيد
حتى استسلمت لمصير كتب عليها
كونها تاء تأنيث
هي أنثى.. فلتتحمل
وهو ذكر.. فليبدل
والحصيلة حطام أنثى
وذكر يأمر ويتفنن
سقطت الأنثى وانكسرت
وانسابت من عينيها دموع لظالما تحجرت

أوراق الياسمين

بكت حياتها،

شبابها،

وأوراقها التي تناثرت..

اشتكت زوال عطرها

وتمنت أن...

ولم التمني؟!

وهل تملك زمام أمرها؟!

هي شبح إن صحّ القول!

تتبع وتصفى لشبه رجلها

أوراق الياسمين

هي أنثى

والسبب دائما أنثى

العلّة أنثى

والغاوية أنثى

الجريمة أنثى

والمقصرة هي..

الأنثى!

أوراق الياسمين

المقدمة

زهرة كنت!

جميلة، رقيقة.. ظننت أنني أمتلك فرصة بالحياة

ولكن..

لم يمهلني القدر ولم يمنحني أحد الفرصة..

فتساقطت أوراقى الواحدة تلو الأخرى وأصبحت محض

حطام زهرة كانت تضم أوراقى شامخة..

فهل ستظل أوراقى تتساقط أم سيأتي الربيع لأعود مرة

أخرى زهرة نضرة، جميلة تنشر السعادة بكل مكان؟!!

(الفصل الأول)

فستان ضيق يبرز كل منحنياتها والتي بالكاد تتواجد
 نظرا لنحول جسدها، أحمر شفاة بلون داكن يحدد فمها
 الكبير نسبيا ويزيد من امتلاء شفثيها، كحل أسود
 يتلاءم مع لون عينيها ويضيف لهما بعض الاتساع، ولا
 بأس من قليل من البودرة لتجعل سمرة وجهها أخف قليلا..
 ثم قامت بضبط حجابها كي تظهر منه تلك الخصلة
 الشاردة باللون الذهبي والتي قامت بإعادة صبغها منذ
 يومين -

استدارت حول نفسها دورة كاملة تتأكد من تمام تأنقها،
 لينتقل نظرها في المرأة إلى حيثما يضيق الرداء وقالت
 محدثة نفسها بحسرة: "كان محتاج أضيّقه أكثر"

تنهدت بقوة على وعد لنفسها بأن تذهب لخياطة حارتهم
في أقرب وقت، بينما ارتفع نداء والدتها قائلة بحنق بالغ:
"هتقضي اليوم بطوله قدام المراية يا سوسن؟"

هنتأخر كده؟

تأففت وهي تعيد النظر في المرأة بغير رضا لكنها رضخت
في النهاية ولبت النداء:

"فيه إيه؟ إيه اللي هيحصل يعني لو اتأخرنا شوية؟"

تفحصتها والدتها بقرف من هذا التلوث البصري قائلة:

"إيه اللي انتي عاملاه ده يا بت؟ وعلى إيه ده كله ياختي؟"

ياريته نافع، مفيش عريس واحد حتى يببص ف وشك"

ادعت اللامبالاة واتجهت لباب المنزل قائلة بينما تتجه

للخارج: "طيب، يلا بدل ما نتأخر"

مصممت والدتها شفتيها ثم لحقتها على الدرج لتقابلا

جارتهم الحاجة أم رءوف تقوم بكنس بعض درجات السلم

أوراق الياسمين

"يا صباح الخير يا أم أسماء"

قالتها أم رعوف ثم التفتت بنظرة شاملة لسوسن قائلة

بنفاق باين للعيان:

"إزيك يا سوسن يا حبيبتي، إيه الحلاوة دي؟!"

تهللت أسارير سوسن وانفجرت شفيتها عن ابتسامتها ثم

تستطع كتمانها أو استبدالها بأخرى خجولة من هكذا

إطراء، ثم تمتمت: "شكرا يا خالتي، إسرائ عاملت إيه؟"

تنهدت أم رعوف بقوة لتقول بقلّة حيلة باطنها خبث:

"أهي قاعدة جوّه وقافلتة على نفسها من ساعة ما العريس

مشي امبارح، كل اللي جاي عليها مش عايزاه يا أمي.."

بس أبوها ماسكتهاش أبدا"

ثم نظرت لسوسن بطرف عينها وأكملت: "قالها معندناش

بنات تقول لأ، وبعدين هو حد لاقى عرسان اليومين دول"

أوراق الياسمين

تنهدت مرة أخرى ثم قررت أخيراً أن تعتقهما: "يلا ربنا
يهدي الجميع، ما عطلكوش بقى على شغلكوا، هروح
أفطر الراجل"

تبادلوا السلام لتغلق أم رعوف باب شقتها وتنطلق بعدها
سوسن ووالدتها إلى عملهما .

"أخذتني بالك أم رعوف بتلقح على إيه؟"،

قالتها أم أسماء بغیظ قابلته سوسن ببرود

وادعاء جهل: "لا مخدتش بالي"

زاد الغیظ بداخلها: "الست دي دايمًا قاصدة تفرسني، على

أد ما هي طيبة بس ليها حاجات كده بتخلي الواحد

يقرف منها.. لازم في كل جملة تحط كلمة عرسان،

يحصلا حاجة لو ما عملتش كده. وبعدين معاها حق؛

ما هي لو لقيت اللي يسد عينها ما كانتش قالت كده

كل شوية

نظرت سوسن للطريق أمامها ولا زال رصيدها من اللامبالاة
كافيا للتسلح به كرد فعل على مثل تلك الكلمات
والمشاهد اليومية .

وصلتا للشقة التي ستعملان بها لهذا اليوم، بدلت ملابسها
بجلباب مهترئ وقامت بربط حجابها للخلف كي لا يعيق
عملها، ثم تناولت أدوات النظافة من والدتها وبدأت العمل.
ممسكة بعصا تقوم بالهبوط بها على السجادة الموضوعت
بعرض الشرفة، تهبط وتضرب فتفرغ فيها كل شعور سلبي
بداخلها، كل ضيق، كل غل، كل نقمة وسأم على ما
حولها وعلى ما هي مضطرة الآن لفعله.. كل يوم هو
تجسيد حرفي لمعنى التعب؛ تذهب لهذه السيدة وتلك

فتنظف وتكنس وتغسل، وكل ما عليهن فعله ليس
سوى إعطاء الأوامر.. نظفي هذا جيدا، افعلي ذاك مرة
أخرى، وهي لا تستطيع فتح فمها كما حدث قبل قليل مع
السيدة أبرار.. تنفذ الأوامر دون جدال؛ وهل خلق
الجدال لأمثالها؟، هل يحق لها الاعتراض وهي الخادمة؟
هي تتعب فقط حتى تحصل في المقابل على بضع أوراق
مالية بالكاد تكفي قوت يومهم، هي تباع لسانها قبل
التفوه بما يمكن أن يغضب سيداتها فيطردنها من العمل
لتفقد بعدها مصدر الرزق الوحيد لهم.. هي تصمت
وتصمت فيخرج كل كبتها على سجادة مسكينة أو
طبق التصقت به بعض الأوساخ الوهمية .
توقفت يدها عن إفراغ شحناتها على صوت السيدة أبرار:
"سوسن، عيدي على الجزء اللي هناك ده على الشمال

عشان حاسته إن لسه فيه تراب"

لتتمته سوسن بـ (حاضر) من بين أسنانها وتتجه للجزء
المعني فتضربه بالعصا، وفي بالها كانت تضرب العديد
من الأفكار معه .

ارتفعت على أصابع قدمها الصغيرة كي تحضر ذاك
الضئجان المكسورة يده، معلقة من الشاي وأخرى من أوراق
النعناع مع.. أربع أم خمس ملاعق من السكر،
في المرة الماضية حين وضعت أربع ملاعق قام والدها
بسكب الشاي على الأرض أمام عينيها قائلاً بأنه (ناقص
سكر) وعندها اضطرت لإعادة مسح الأرض والتي
كانت لثوق قد انتهت من تنظيفها .

وضعت الخمس ملاعق متمنية من الله أن ينال إعجابه هذه

أوراق الياسمين

المرّة، ثم اتجهت للموقد فرفعت سخان المياه بكلتا يديها وقامت بسكب بعض منها على مكونات الشاي ثم قلبتها حتى امتزجت تماما ولم يعد لأى منها ملامح محددة.. حتى أنك إن تذوقته فلن تعرف مرارة الشاي من حلاوة السكر، تماما كما الحال معها .

أم متوفية، ووالد أقل ما يقال أنه (سكير وصاحب مزاج)، كل ساعة بحال وكل دقيقة بطلب دائما ما تخفق في فعله كما يجب من وجهة نظره-. أدمن المخدرات والخمر، وبينما هو يستمتع بكل ذلك إذا بصاحبة الثلاثة عشر عاما تتحمل أخطاء غيرها الفعلية بجانب أخطائها هي الوهمية، دوامة تدور وتدور بها ولا تجد منها مستقر ولا تعثر لها على نهاية .

اقتربت منه حتى وضعت الفنجان على طاولة مقابلة له

بينما هو ممدد على الأريكة يستند بإحدى ذراعيه كي يرفع جسده قليلا ويجعل شاشة التلفاز الصغيرة أكثر وضوحا لعينيه.. قريبا لم يحرك فيه شعرة واحدة إلا أن ابتعادها استرعى انتباهه وحفز خلاياه المتسلطة؛

فانطلقت كلماته: "استني عندك يا بت"

توقفت خطواتها لتلتفت إليه منتظرة اعتراضا ما، أو ربما توبيخ، ولا حرج من عقاب كالضرب إذا أخطأت من وجهة نظره!

ارتشف قليلا من الشاي ليصرخ بعدها بقرف: "إيه السكر ده كله اللي إنتي حاطاه؟، عاوزة تجيبيلي المرض يا بنت نعيمته؟"

فتحت فمها كي تبرر لكنه عاجلها بدفعة قوية من ظاهر يده لفنجان الشاي فسقط وتناثرت المياه المنكته

به على الأرض .

نظرت بحسرة لما حدث لكنها لم تجرؤ على التفوه
بكلمة، بل نكست رأسها في انتظار إصدار حكمه .
قال باشمئزاز: "مش عايز من وشك حاجة، سديتي نفسي
خلاص".

ثم أكمل بتمنٍّ:

"إمتي أخلص منك ومن همك بدل ما إنتي عاملت زي
العلقمة كده، لا منك نفع ولا الواحد يعرف يطلع منك
بمصاححة، ده حتى كوباية الشاي مش عارفت تعملها!"
ثم أتبع كلماته بصرخة مجنونة من لسان ثقيلة حروفه:
"غوري من وشي"

فانتفضت من مكانها وأسرعت باتجاه المطبخ متجنباً أي
كلام زائد لن يجني ثماره العظيمة سواها .

تمشي مع والدتها في الأزقة الضيقة لحارتهم بعدما عادتا
من العمل- فتتعرهنا في كرة يلعب بها بعض الأطفال،
وتتجنب هناك كومة من القمامة التي تنبعث رائحتها
على بعد أمتار منها؛ فيظهر الاشمزاز جلياً على ملامحها،
وكأنها لم تولد بهذه الحرارة وتعاصر ما هو أكثر من ذلك

منذ ما يقل عن العشرين عاما بأشهر قليلة!

جسدها منهك وعضلاتها تنن، بل إنها بالكاد تستطيع

الوقوف بعد هذا اليوم الشاق من العمل.. فيأتي ببالها ما

يأتيه كل يوم، لم لم يخلقوا أغنياء؟، لم تضطر كل

يوم للتعب حتى انقطاع الأنفاس لخدمة أناس لا تربطهم

بها أي رابطة؟! لم كتب عليهم الشقاء في الوقت الذي

يتنعم فيه الكثير من الناس ويأتيهم ما يريدونه على

طبق من ذهب؟!

أسئلتها وجودية بالنسبة لها لكنها كل مرة لا تعرف لها

إجابة؛ فتعود لتسألها كل يوم

عنها تجد إجابة تريح ذاك الذي يغلي في صدرها.

تنهدت بحسرة فالتفتت لها والدتها قائلة بعجب:

"مالك يا بنتي؟"

لتجيب بسخرية مريرة: "مالي؟"

وكان كل ما يحدث لا يساوي شيئاً، أكملت قائلة:

"أبداً يا أمه، يلا نمدا شوية عشان نوصل لإن رجلي خلاص

مش شايلاني.. مش عارفة الطريق طول ليه النهاردة!"

لتسرعاً في خطواتهما حتى وصلتا لباب البناية حيث تقبع

شقتهم.. بناية استحال لونها للون بني من كثرة الأتربة

التي تراكمت عليه والتصقت بسطحه، أما بداخلها

فدرجات السلم كانت متآكلة من عوامل الزمن حتى أن

الصاعد أو الهابط منها إذا لم يتخذ حذره فربما يتعثر

فيها.

فتحت والدتها باب الشقة فاندفعت بداخلها بتعب ثم

اتجهت لغرفتها كي تبديل ملابسها استعدادا لمعركة

أخرى، لكن هذا المرة ستكون الخدمة لمن تربطهم بها

أقرب رابطة: نفسها ووالدتها .

خرجت من الغرفة لتجد والدتها قد قامت بفرش قطعة من

القماش البالي على الأرضية الصلبة ووضعت طعام الغداء

عليها.. قالت بينما تقترب من والدتها بما يشبه الاشمئزاز:

"قول تاني؟، بتعب وبشقى عشان في الآخر أسد جوعي

بفول كل يوم يا امه"

تمتت أم أسماء بخفوت ودون أن تلتفت إليها كمن اعتادت

هذا الرد لنفس السؤال اليومي المتذمر: "احمدي ربك؛

غيرك مش لاقى النعمة دي اللي بتتبطري عليها"

أوراق الياسمين

ثم ثنت ركبتيها وجلست على الأرض مع تمتمة

ب(بسم الله) بصوت لا يكاد يسمع

زفرت بضيق ثم لم تجد بداً من الجلوس بجانب والدتها

وأكل هذا (القول) والا ستموت جوعاً.. لكن عقلها لم

يكف عن تذمره واحباطه، ولا عن تذكيرها بما من

الممكن أن تكون -على سبيل المثال- عائلته السيدة أبرد

تتناول على الغداء..

لقد رأت الدجاج الذي قامت سيدتها بإعداده مع شرائح

البطاطس والأرز الأبيض الذي تعشقه.. فقالت وأفكارها

مسيطرة عليها: "بس غيرنا بردو ممكن ياكل فراخ ولا

لحمة يوم في الأسبوع مش بيشوفوها في المناسبات

السعيدة زينا "

خرجت أم أسماء عن صبرها لتتهتف بسخط: "عايزة إيه يا

سوسن دلوقتي؟، أروح أسرق عشان الهانم تتبسط وتاكل

أوراق الياسمين

وتشرب زي ما هي عايزة؟! هو ده الموجود إذا كان

عاجبك!"

لترد بهجوم: "يا حاجة آمال إحنا بنشتغل وبنتعب قلبنا

ليه؟ ما هو عشان نريح نفسنا"

عددت الأم على أصابعها بينما ترد بانكسار: "والاقساط

اللي علينا من وقت جواز أختك عيشة أدفعها مين؟،

وفاتورة الكهرباء والمياه هعمل فيهم ايه؟، نسيتي كمان

إيجار الشقة اللي مآويانا دي واللي لولاها ولولا صاحب

البيت اللي بيراعي ظروفنا كان زماننا في الشارع؟، وعلاج

السكر والضغط اللي بجيبهم كل شهر هتصرف فيهم

إزاي؟"، ثم أضافت بسخرية: "والمفروض كمان مع ده كله

أشتريلك شوية حاجات من جهازك عشان لو كفا الله

الشر جالك عريس في أي وقت مانقعدش نندب حظنا إننا

ماجنبناش ولا حاجة ليكي.. إنتي مش حاسته بأي حاجة

أوراق الياسمين

من دول ولا إيه يا سوسن؟"

لم تجب، فقط اكتفت بالتحديق البارد في والدتها وذهنها

شارد يريد الهروب خارج حدود كل تلك المسئوليات

والمصاريف التي عدتها والدتها للتو.. تفكر؛ لو أنهم

فقط كانوا أغنياء، لم تكن ستضطر لحساب حساب كل

قرش تنفقه، بل كانت ستنفق الأموال دون رادع، كانت

ستمع نفسها وتشتري كل ما تشتتبه وما لا تشتتبه، بل

وأول ما كانت ستحاول فعله هو الخروج من تلك الحارة

وذلك البيت إلى بيت واسع في مكان راق كأحد بيوت

زيوناتها الكثر .

"ما بترديش ليه يا سوسن؟، القطة أكلت لسانك؟"

عادت من شرودها على هذه الكلمات، فجاء ردها متزامنا

مع إمساكها بقطعة خبز بهدف غمرها في طبق الفول؛

"حاجة زي كده"،

أوراق الياسمين

ثم وضعتها في فمها بينما والدتها تهز رأسها يمينا ويسارا

بقلة حيلة .

"نسرين حبيبتي اصحي ياللا هتأخري على الشغل"

تسلل الصوت إلى لاوعيتها لتفتح عينها ببطء فوجدت

والدتها تقف بجوار فراشها تنظر لها بابتسامتها الطيبة

لتنتقل لها الابتسامة تلقائيا وهي تنهض بنشاط وكأنها

لم تسهر طوال الليل على ماكينة الخياطة حتى تخفف

عن والدتها عبء العمل الذي يكاد يذهب بنظرها بل

وصحتها كلها..

"صباح الفل يا ست الكل، أحلى صباح على عيونك

يا جميل"

قالتها نسرين وهي تنهض مقبلتة وجنتي والدتها بحب

لتضحك الأخيرة وهي تقول:

"كلامك بقى عامل زي تباعين المكروبات يا بنت

من كتر احتكاكك بيهم"

ضحكت بقوة وهي تقول: "ومالهم التباعين؟ ده حتى

بيكسبوا ذهب، أنا لو راجل كان زمانى اشتغلت على

ميكروبات بدل الهم ال احنا فيه ده، بس هقول ايه

حظي انى بنت"

وأكملت بداخلها بحزن: "للأسف انى جيت بنت"

رغما عنها شعرت بها وكيف لا تفعل وهي قطعة منها..

وليس أى قطعة بل القطعة التى تعبت كثيرا حتى تأتي

بها للحياة..

أغمصت عينيها بألم وهي تعلم مدى الأذى التى تتعرض له

صغيرتها يوميا حتى تستطيع توفير بضعة قروش تعينهم

على الحياة وعلاج زوجها المريض ثم فتحتهما وهي ترسم

على شفتيها ابتسامة باهتة وهي تقول:

"ياللا جهزي نفسك على ما اعلمك لقمة تاكليها قبل

ماتنزلي الشغل"

أومات برأسها وبداخلها تفكر .. هي لم تخبر والدتها أنها

تركت العمل حسنا هي لم تتركه بل صرقت منه

ببساطة لأنها (عمالة زائدة) كما أخبرها مالك المحل

الذي تعمل به..

زفرت بحنق وهي تحاول إدخال بعض الأمل داخلها وهي

تفكر أنها ستبحث عن عمل وستجد ما يناسبها أكثر من

تلك الأعمال التي تتعب بها كثيرا ولا تجني منها غير

قروش لا تعينها على علاج والدها والذي ما فتأ يردد أنه

يريد الموت حتى لا يكون عبئا آخر على كاهلها..

توجهت إلى غرفة والدها والتي لا يخرج منها بسبب مرضه
الذي جعله طريح الفراش لا يستطيع مغادرته إلا نادرا..
وجدته مستيقظا وكأنه ينتظرها لترسو ابتسامته كبيرة
على وجهها وهي تقترب منه وتقبل وجنتيه بحب
قائلة: "صباح الخير يا أحلى أب في الدنيا، أخبار الجميل
ايه النهاردة؟"

ابتسم لها بوهن وهو يقول: "نحمده يا بنتي، انتي طمئيني
عليكي ماشوفتكيش امبارح لما جيتي من الشغل"
دارت ارتباكها بابتسامته فهي لم ترد أن تدلف إليه لأنه
يعلم دواخلها ببساطة ويكشف ما تستطيع إخفاءه عن
والدتها: "كنت تعبانة اوي فدخلت نمت على طول،
بس مقدرتش امشي من غير ماشوفك كمان، ياللا أنا
هروح بقى عشان ماتاخرش على الشغل"

قبلته مرة أخرى ثم خرجت لتجد والدتها قد جهزت لها

بعض الشطائر فتناولتها سريعا فهتفت والدتها:

"اقعدي كلي طيب قبل ماتنزلي"

لوحث لها بيدها قائلة وهي تتجه لباب الشقة:

"تأخرت اوي يا لالا اشوفك بالليل" .

تابعها بنظره وهي تخرج كعادتها كل يوم تبحث عن

عمل بعدما تركت عملها مؤخرا ، أجل يتابع أخبارها

ويعلم عنها ما لا يعمله أقرب الناس لها..

فهو على يقين أنها لم تخبر والديها أنها صُرفت من العمل،

لا يستسيغ عملها وما تلاقيه فيه ولكن ماذا يفعل فهو

لا يجروء على الاقتراب منها مسافة ميل واحد فكيف

يمنعها مما لا يستسيغه؟!

لا يعلم لمَ كلما نظر إليها شعر بالحنان يتدفق بداخله
دون إرادة .. يتمنى لو يستطيع أن يزيح عنها الحزن
الساكن بعينيها والذي يشعر به بقلبه وكأنه نار حارقة
تعصف بكيانه بأكمله ..

"يا حلو صبح يا حلو طل، يا حلو صبح نهارنا قل"
التفت بعنف عندما وصله تغزل عبده الميكانيكي بها
ليشعر بالاحتراق وهو يراه ينساب بنظراته عليها ويكمل
تغزله بها وهو الذي حذره أكثر من مرة أن يتعرض
لها ولو بكلمة واحدة.. يبدو أنه يريد أن يُلقن درسا لا
ينساه!

وجده يده تمتد لتقترب من جسدها فانتفض بقوة ولم
يشعر بنفسه إلا وهو يتجه إليه ويلكمه على وجهه بعنف
لتطاير دماؤه من فكه الذي تحطم بقبضته القوية والتي

حملت كل غيرته وغيظه مما فعله ذاك الوقح لها .

تشعر بيده تمر على جسدها تنتهتك حرمة بشكل يثير

التقرز داخلها وهي متجمدة مكانها دون أن تجرؤ على

التحرك رغم غثيانها المتصاعد داخلها، وكيف

ستتحرك أو ربما السؤال الصحيح هو أين؟!

فتلك المساحة الضيقة لا تترك لها أي خصوصية وهي

مجبرة على تحمل كل ذلك حتى تصل وجهتها والتي

تدعو كل ليلة أن يقصر الطريق إليها عل لحظات

الانتهاك التي تتعرض لها يوميا تقصر أيضا أو ربما إذا

كان لديها بعض من الحظ الجيد تختفي تماما..

ابتسمت داخلها بسخرية ومن أين سيأتي الحظ الجيد؟!

زفرت براحة والحافلة تتوقف أخيرا لتسرع بالترجل منها

وهي تكتف السباب الذي توقف على طرف لسانها لكل

من ينتهكها يوميا من أشباه الرجال..

لا تفهم لم يحدث لها ذلك من بين كل الناس؟!

لم يتعرض لها أشباه الرجال هؤلاء وهي تخفي كل معالم

أنوثتها تحت ملابس أقل ما يقال عنها أنها رجولية ولا تمت

للأنوثة بصلة!

ألا يكفي ما تلاقيه يوميا بالمواصلات العامة حتى

يتعرض لها شباب حينها أيضا؟!

ماذا يريد منها ذلك ال.. عبده أيضا؟!

ألم يكن رحمها من سماجته منذ فترة فلم عاد من جديد

يمطرها بغزله الفج والذي كاد يتحول للتحرش بها اليوم

لولا إسلام!

للحظة كادت تبتسم وهي تتذكر كيف انقضّ عليه

وضربه بقوة أطاحت به والدماء تتفجر من وجهه ولكن
 ابتسامتها اختفت حالما تذكرت صراخه بها أن تغادر..
 أرادت أن تراه وهو يلقن ذلك الوغد درسا لن ينساه فعبده
 بقامته القصيرة وبيدائه التي تجعله يشبه الكرة لن
 يستطيع الصمود أمام إسلام بجسده الذي يشبه
 المصارعين ولكن بطريقة أكثر.....

انتبهت لمسار أفكاره فوبّخت نفسها؛ "ما بالك نسرين هل
 جنت؟ ما الذي تفكرين فيه وأنت لا عمل لك وأنت
 تعلمين جيدا أن حياة والدك تعتمد عليك وحدك!"
 أغمضت عينيها للحظات تكبت كل ضعف داخلها
 وتستعيد صورة والدها الحبيب ونظرة الانكسار بداخل
 عينيه لتبرق عيناها بإصرار أن تجد عملا اليوم حتى
 ولو كان الخدمة بالمنازل.

تشعر بأحد يتتبع خطواتها فقفزت نبضات قلبها بخوف
وهي تدعو الله أن يحفظها وهي تسرع بخطواتها علها
تدلف إلى المبنى الذي تسكن فيه قبل أن يتعرض
لها أحدهم..

وما كادت تدلف من باب البناية حتى وجدت من يدلف
خلفها ويغلق الباب وهو يدفعها للجدار ويلصق جسده بها
بطريقة أدخلت الرعب داخلها..

"وحشتيني يابت يا نرجس، مش هتليّني دماغك بقى
وتسمعي الكلام؟"

شعرت بالغثيان فحاولت التماسك وهي تقول: "عايز ايه
مني يا حلمي؟! أبوس ايدك ابعده عني بقى وسيبني في
حالي وشوفلك واحدة من توبك"

مرّ يده على جسدها فارتجفت تقززاً وخوفاً وهي تحاول

التملص من بين يديه دون جدوى وأنفاسه العالية تلمح

وجهاً لتشعرها بمزيد من التقزز والغثيان

"أسيبك ده ايه يابتي؟ بقى حد يسيب الصاروخ ده؟"

"حرام عليك يا حلمي انت عندك اخوات بنات ابعد

عني وسيبني في حالي خاف عليهم"

قالتها نرجس بقهر ليضحك عالياً وهو يقول: "حرمت

عليكي عيشتك يابتي، انتي هتدخلي عليا بالشويتين

دول؟ وبعدين لو اخواتي زيك كده مكنتش عتقتهم

بقولك ايه اسمعي الكلام ووافقي تقضي معايا ليلت

ويمكن ماتعجبنيش ووقتها اعتقك بس أكون اخدت

مزاجي منك"

نظرت له بقهر دموعها تنساب على وجنتيها بألم، ماذا فعلت

بحياتها حتى يكون هذا مصيرها؟!

"موافقة.. بس بالحلال يا حلمي، هعملك ال انت عايزة

بس بالحلال"

برقت عيناه بنصروصمت للحظات قبل أن يقول: "ماشي يا

نرجس، بالحلال مش هقول لا وأهو نجرب برضه يمكن

يعجبني الحلال معاكي يا حلوة.. بكرة هجيب المأذون

واجي عشان نخلص من الموضوع ده"

وما إن حررها حتى ركضت إلى الشقة التي تسكنها مع

جدتها لتقف أمام باب الشقة تعدل من ملابسها وتمسح

دموعها وتكبت قهرها حتى لا تزيد من قلق جدتها عليها

لترسم ابتسامته باهتة هي كل ما استطاعت أن تفعله

قبل أن تدلف إلى الداخل وهي تدعو الله أن ينقذها من

تلك الزيجة التي ستجبر عليها.

(الفصل الثاني)

يقولون عندما نفقد الأم أننا نفقد من كان يدعو لنا
بالأرض، وعندما نفقد الأب أننا نفقد سندنا بالحياة،

فكيف بحال من فقدتهما كلاهما؟!

كيف سيكون حالها بمفردها أمام الحياة المليئة

بالوحوش البشرية وأشباه الرجال؟!

دلقت إلى الشقة أو الغرفة بمعنى أدق فقد كانت شقتها

هي غرفة فوق بناية متهاككة بحمام صغير ومطبخ

بدائي ولكنها لم تتذمر قط، يكفيها فقط سقفا وأويها

تحتهم جدتها والتي تبقت لها بعد وفاة والديها..

رسمت ابتسامتها على وجهها بدت باهتة لتبادرها جدتها:

"رجعتي يا نرجس؟ اتأخرتي كده ليه يابنتي؟!"

اقتربت منها مقبلت إياها على وجنتيها وهي تقول:

"معلش يا ستي كان فيه طلبية في المخبز وناخرنا

في التحضير ليها"

ربتت عليها جدتها بحنو وهي تقول: "طيب يا حبيبتي

ادخلي غيري هدومك على ما حضرلك لقمة تاكليها"

"ما تتعيش نفسك يا ستي انا مش جعانة"

قالتها وهي تحاول ابتلاع الفصّة التي استحكمت بحلقها

تريد مفاتحتها بالأمر ولا تعلم كيف، ربما جدتها لا تغادر

الشقة ولكنها تعلم جيدا من هو حلمي فماذا ستفعل

وكيف تبرر لها موافقتها؟!

"ازاي يابنتي انتي بتشقي وتتعبني لازم تتغذي كويس"

أغمضت عينيها للحظات قبل أن تفتحهما وتقول:

"ستي فيه ناس هيحولنا بكرة و...."

قاطعتها جدتها بفرحة وهي تقول: "ناس مين اوعي تقولي

عريس يا نرجس عريس بجد؟! حبيبتي صبرتي ونولتي

قوليلي بقى هو مين و....."

قاطعتها نرجس سريعا قبل أن تفقد شجاعتها:

"حلمي أبو عمو"

جحظت عينا جدتها وهي تضرب صدرها بصدمة وهي

تهتف: "بتقولي مين يا نرجس؟ انتي تتجوزي واحد زي ده!

ليه من قلة الرجال في البلد؟ أبدا على جثتي الجوازة دي

تتم"

"أبوس ايدك ياستي، أنا ما صدقت انه وافق على الجواز،

ابوس ايدك وافقي وخليني اخلص"

قالتها وهي تنفجر بالبكاء لتشعر جدتها بالرعب وهي

تقول: "ما صدقتي انه وافق؟! يا خراب بيتك يا نعمات،

بنت ابنك جابتلك العار وفرطت في شرفها"
 "لا ياستي والله العظيم ما فرطت في نفسي، ده انا
 ما وافقتش إلا عشان أحافظ على نفسي، اعمل ايه ياستي
 بيطاردني في كل حتة ويبهدني إنه... إنه....."
 لم تستطع أن تكمل لتجهش ببكاء حار وهي ترتمي
 بأحضان جدتها التي ربتت على كتفها بمواساة وهي
 تفكر بحالهما.. امرأتان دون سند بالتأكيد الذئاب
 ستنهش لحمهما دون أي رحمة.

"لا يانرجس انا مش هسيبك تتجوزي الواد ده أبدا، انا
 هكلم المعلم لظفي وهو هيمنعه وهيقف...."
 "محدث هيقدر يمنعه يا ستي، انتي عارفة انه لو منعه
 هي... هياخدني بالحرام زي ما كان عايز وانا ال اترجيته
 يبقى جواز، خلاص ياستي انا راضية بنصيبي مفيش

قدامي غير اني اقبل واسكت".

استيقظت في الصباح على خطبات موجهة في خاصرتها

وصوت غليظ بجانب أذنها: "بت يا زهرة قومي اعلمي

حاجة أكلها"

فتحت عينيها لتقابل وجهه الذي ينذر بشر..

"هتفضلي تبصلي كده كتير؟ فزي اعلمي طمخ في

يومك الاسود ده"

التزمت الصمت وأومات برأسها ليتأفف هو بعدها مغادراً

الغرفة بينما ينطق لسانه بالتهديد والوعيد..

أغمضت عينيها وتهدت بقوة، روتينها اليومي ولا تملك

الاعتراض عليه.. لم؟ لأنه والدها، لأنها لم تملك يوماً

حرية اختياره، لأن هذا البيت يؤويها وبدونه سترمي في

الشارع، لأن خدمتها والدها مرهونة بوجودها، لأنها صغيرة
ولا تملك من أمرها أي شيء، لأن ولأن.. هي مضطرة
لمسايرة حياتها حتى تستطيع الخلاص، والخلاص هنا
بمعنى واحد في عرفها: الزواج.

ألم تر كيف تعيش جارتها منى، تلك الفتاة التي تماثلها
عمرًا، منذ أن تزوجت بابن عمها وحالها انقلب رأسًا على
عقب؛ تخرج كل يوم وتتمتع وسعادتها تظهر على وجهها
بابتسامتها التي لا تفارقها.. هي سعيدة بعد الزواج،
فمتى تتزوج هي الأخرى؟ هل سيحقق الله دعوة والدها
بأن يخلصه من جملها؟!

أفاقت من شرودها فزعت على صراخ والدها فاستقامت
من السرير وذهبت باتجاه المطبخ.

أعدت بعضاً من الطعام الموجود بالمنزل ووضعتة أمامه..
نظر للطعام ثم لها بقرف ثم بدأ في الأكل مضطراً، وهي
واقفة بجانبه لا تستطيع حتى الجلوس خوفاً مما سينالها

من عقاب!

"النهاردة بالليل جايلنا ناس.. عاوزك تتزوقي وتحطي
أحمر وأخضر ف وشك، بلاش شكل العيال ال انتي فيه

ده؟"

أحمر وأخضر! وناس يزورونهم! من أين لهما هذا؟!

ومن سيزورهما ووالدها لا يطيقه أحد؟!

كل ذلك كان يدور داخل رأسها، أما في الظاهر كانت

الإجابة (حاضر) دون أي إضافات مما دار بداخلها.

كان متمدداً على سريرته، مغمض العينين، يستمع لأغنية

شعبية حزينت من تلك الأغاني التي -ولصدفة البحتة-

تصف حال كل من يستمع إليها!

اندمج مع الكلمات، ولم يفق من تأثيره إلا على صوت

مألوف لديه، صوت عصفير تغرد داخل أذنيه، صوتها

هي... سوسن.

انتفض من مكانه يفتح نافذة الغرفة ليعرف سبب ما جعل

صوتها يعلو في الحارة من جديد، ليجدها مجرد مشادة

كلامية بسيطة بينها وبين الأطفال..

ابتسم ولمعت عيناه، لن تكبر أبدا! ستظل دائما تختلق

المشاكل مع الذباب حولها -كما يقولون-

اتجه لمرآة الغرفة يتأكد من هيئته، ثم مشط شعره

المجعد للوراء وانطلق بعدها في طريقه لافتعال صدفة؛

كي يراها.

كانت لازالت ترغي وتزبد بينما تدفع باب البناية عندما

قابلها رعوف، جاره و ابن الحاجة أم إسرائ..

حدثت نفسها: "كان ناقصني إنت كمان!"

ابتسم رعوف: "إيه يا سوسن؟، مش هتكبري بقى وتبطلي

خناق مع خلق الله؟"

زفرت بحنق ثم اندفعت قائلة: "ما هما اللي مستفزين

ويستاهلوا اللي يحصلهم"

اتسعت ابتسامته بينما يتأمل قسمات وجهها المجهد من

أثر العمل: "خلاص يا ستي حقك عليا.. اطلعي استريحي

دلوقتي عشان شكلك جايت تعبانة"

تنهدت بتعب حقيقي، ثم ارتفعت يدها تلقائياً لأسفل

ظهرها؛ تمسده قليلاً كي يخفف بعضاً من ألمه، لتقول

بخضوت؛ "يحرق الشغل ع اللي عايزين يشتغلوه.. يلا

هطلع أنا، وابقى سأللي على خالتي واسراء"

تمته بشرود بينما يراقب صعودها درجات السلم؛

"الله يسلمك".

"الشاي يا زهرة"

صاح بها بصوت عال حتى كادت أن توقع إبريق الماء

المغلي على قدمها من الفرع، عجلت من حركاتها، صبت

من الماء على محتويات كل كوب ثم وضعتهم على

صينية وحملتها بأيدي ترتجف من ثقل الحمل.

كانت قد ارتدت فستاناً وردي اللون، ذاك الضستان الذي

تضعه جانباً كي تحضر به أي عرس أو مناسبة سعيدة..

لكن بما أن والدها قال لها (اتزوقي)، فلا مانع من خروج

الضستان للنور هذا اليوم، حتى لو لم يكن هناك مناسبة

سعيدة أو حزينة في نظرها!

اقتربت بخطوات بطيئة من الحضور، لتضع الصينية على

الطاولة في منتصف الغرفة ووجهها لم ترفعه من الأرض

خجلًا من ذاك الكرم من الرجال.. كادت أن تخرج لولا أن

ناداها والدها: "زهرة.. تعالي سلمي ع المعلم ربيع"

لم تعرف أيهم المقصود، فرفعت نظرها لوالدها الذي اتجه

بعينه ناحية الجالس بجانبه، فاقتربت منه بابتسامة

خجولة ومدت يدها الصغيرة التي ما هي إلا ثوان حتى

غاصت بداخل يد (المعلم ربيع) الضخمة والخشنة.. بينما

بيده الأخرى كان يعدل من وضع شاربه وهو يتفحص

زهرة من اليمين لليسار، ومن الأسفل للأعلى.

"إزيك يا حلوة؟"

حاولت انتزاع كفيها وهي تتمتم: "كويست، الله يسلمك"
ليضحك بخبث وهو يترك يدها تنساب ببطء من قبضته؛
فأسرعت زهرة تغادر الغرفة وقلبها يقرع بين ضلوعها
بشدة.. وقبل أن تخرج حانت منها نظرة للجالس بجانب
ربيع، كان حزيناً على عكس ربيع، ينظر لها بطريقة
غريبة لم تتفهم معناها، نظرتة تشبه نظرة والدتها حينما
كانت لا تستطيع الدفاع عنها من بطش أبيها.. حزن،
وأسف، أسف كبير، وقلت حيلت.. لتخرج بعدها متجهة
صوب غرفتها، ولا زال قلبها لا يهدأ أبداً .

دخلت المنزل لتجد كلاً من أختيها.. عائشة التي تصغرها
بعام، وأسماء التي تكبرها بعامين.. ارتسمت على وجهها
ابتسامة وهي ترحب بهما بينما تخلع حذاءها؛

"يا أهلاً بالأختين الحلوين، إيه اللي رماكوا علينا كده؟"

"ده كلام تقابلي بيه إخواتك يا سوسن؟!"

كانت تلك أسماء من هتفت بغیظ من برود أختها الوسطى

، لتقابله سوسن بابتسامته صفراء وهي تستمع في نفس

اللحظة لعائشة تتحدث بلؤم: "مش هتيجي تسلمي عليا يا

سوسن؟ معلىش مش قادرة أقوم؛ رجلى واجعاني

والدكتور مانعني من الحركة الزيادة"

زفرت بحنق حاولت إخفاءه، ثم اقتربت منها تقبلها من

وجنتيها، لتقول وهي تضع يدها على بطن أختها

المنتفخة: "الدكتورة قالتلك ولد ولا بنت؟"

أجابت عائشة وهي تنظر لبطنها كأنها تخاطب جنينها:

"بنت زي القمر شبهي إن شاء الله"

لتقوم سوسن من مكانها: "ربنا يملك على خير، هروح أنا

أغير هدومي عشان مش طايقَة نفسي"
 وفي طريقها إلى الغرفة، وجهت لها عائشة سؤالاً:
 "سوسن صحيح، مفيش جديد من بعد العريس اللي طار؟"
 أمي ما قالتليش حاجة من ساعتها"
 حركت سوسن عضلات خديها قليلاً حتى تمكنت أخيراً
 من رسم ابتسامتها، لتقول: "أيا عيشة مفيش"
 ودخلت بعدها إلى غرفتها مغلقة الباب خلفها.
 خلعت ملابسها وحجابها، ثم اتجهت لخزانة الملابس،
 وقبل أن تهمل بارتداء أخرى- وقفت أمام المرآة؛ تتأمل
 نفسها.. وجهها، جسدها، شعرها الذي حررتَه من رباطه..
 رفعت أصابع يدها تمررها على بشرتها، لقد ورثت عائشة
 من جدتها البشرة القمحية والعيون الخضراء، أما هي فقد
 ورثت من والدها -رحمه الله- بشرته السمراء وملامحه

الكبيرة.

نعم، تعلم أن حظها القليل من الجمال هو ما يؤخر زواجها

حتى هذا العمر، ولكن ما ذنبها؟!

ما الخطأ الذي ارتكبته حتى يستمر الجميع في

تذكيرها بنفس الموضوع دائماً وكأن بيدها شيئاً لتفعله

ولم تفعله؟!

ما العيب في شكلها الذي يجعل كل عريس يتقدم

لخطبتها- بمجرد أن يراها يذهب ولا يعود؟!

حتى صديقاتها، هذه متزوجة ومعها طفلان، وتلك

مخطوبة ويتغزل بها خطيبها ليل نهار، والأخرى تحدث

أحدهم دون علم أهلها بعد أن أعجب بها وأصرّ على

التعرف عليها.

وهي.. هي تشاهد من بعيد كل هؤلاء، ولا تستطيع أن

أوراق الياسمين

تنال من الحظ جانباً.

وما ترك أثراً أعمق بنفسها هو زواج أختها الصغرى قبلها!

وأختها لا تراعي أحداً، بل تتعمد أن تتباهى أمامها بما

استطاعت فعله ولم تستطعه هي!

هه، ونعم الأخوة!

ارتدت ملابسها أخيراً، ثم لم تجد القدرة على مجالسة

أختها فتمددت على السرير وتركت لأحلامها العنان؛

فربما تأخذها إلى حيث لا تستطيع الذهاب.

عادت كما ذهبت فارغة اليدين إلا من حزمتين من

الجرجير وعدة أرغفة من الخبز ربما تستطيع أن تسد رمق

أسرتها الصغيرة..

رسمت ابتسامته على شفيتها قبل أن تدلف إلى الشقة حتى

لا يشعر والديها بشيء وما إن دلفت حتى تجمدت مكانها
وهي تجده أمامها يصفح والدتها التي تشد على يديه
بامتنان وتقول: "منتحرمش منك يا إسلام يا بني، ربنا
بعتك لينا عشان تنجدنا و...."

قاطعها بلطف يشد على يديها قائلاً: "ما تقوليش كده يا
خالتي خيركم سابق، ربنا يشفيه ويخليهولكم"
"يارب يا بني ده احنا كن غيره ولا حاجة"

قالتها والدتها بصوت مليء بالعاطفة ثم لاحظت وجودها
ووقفها الجامدة لتتهف: "تعالى يا نسرين شوفي اللي
جرالنا، أبوكي كان هيروح في شربة مايه"

شحب وجهها بقوة وهي تركض إلى غرفته لتوقفها
ذراعين قويتين من المتابعة وهو يهتف: "اهدي يا نسرين
هو بقى كويس مافيهوش حاجة، هو نايم دلوقتي سيبه

يرتاح أحسن، الدكتور قال الراحة مهمة له
 نظرت له بضياح لينشط قلبه لنصفين وهو يفلتها من بين
 يديه كارها لتقول والدتها: "ما تعلقيش يا نسرين، خلاص
 يابنتي كتر خيره إسلام جاب الدكتور لحد هنا وطمنا
 على ابوكي وانا من لبختي معرفتش اتصل على المحل
 اقولك"

امتقع وقعها وهي تحمد الله أنها لم تتذكر الاتصال فلو
 فعلت لكانت علمت أنها سرحت من العمل..
 "استأذن انا يا خالتي شوية والدواء الجديد هيكون
 عندكم"

وقبل أن تجيبه والدتها كانت تمد له يدها قائلة:
 "لا ماتتعيش نفسك أنا هنزل اجيبه هات الروشته بس"
 رمقها بغضب مكتوم قبل أن يخرج دون أن يرد عليها

لتنظر بإثره بصدمة وهي تحدث نفسها: "ده ماردش عليا،

مجنون ده وال ايه؟"

ضربتها والدتها وهي تهتف: "كده تكسفي الراجل؟ يعني

جزاته انه ابن حلال وساعدنا ووقف جنبنا؟!"

"هو انا عملت حاجة؟! انا بس مش عايزة اتعبه اكر من

كده"

قالتها بدهشة لتجيبها والدتها: "نسرين انا خابزاكي

وعاجناكي يا بنت بطني، ياللا روعي غيري هدومك

على ما حضرلك حاجة تاكليها".

خرج من عندها قبل أن يفعل شيئا يندم عليه، هل تراه

صغيرا حتى تطلب منه أن تذهب هي لإحضار الدواء

وهو موجود؟!

ذهب للصيد لئلا يشتري الدواء قبل أن ينادي الصبي الذي

يعمل لديه ويأوله الدواء ويوصيه أن يذهب لمنزل

الحاج إسماعيل ليعطيه لهم.

عاد إلى الورشة التي تركها إثر سماعه والدتها تستنجد

بأحدهم ليذهب لمساعدتها على الفور فوجد (الأسطى)

حسين ينتظره ويسأله: "ها يا بني ايه الاخبار؟ الحاج

إسماعيل عامل ايه دلوقتي؟"

"نحمده يا أسطى بقى كويس"

"امال مالك بوزك شبرين ليه؟! وال فيه حد عكنن

عليك؟"

سأله غامزا ليضحك إسلام رغما عنه قائلاً: "ومين ال

هيعكنن عليا؟ انا مش متجوزيك"

ضحك حسين وهو يتلفت حوله قائلاً: "ماهو مش لازم

تكون متجوز عشان تكون فيه ست معكنته عليك

عيشتك ربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم"

ضحك عاليًا وهو يقول: "واضح ان الحكومة مسيطرة

جامد يا أسطى حسين"

غمزه حسين قائلاً: "امال ايه مسيطرة اوي، بكرة نشوفك

انت لما تتجوز ونقعد على الحيطه ونسمع الزيتة"

عدل ياقتة وهمية وهو يقول: "لا انا يا اسطى جمال انا

مسيطر من دلوقتي"

لوى شفتيه وهو يضحك ساخرا ويقول: "واضح اوي

السيطرة، عشان كده راجع قفاك يأمر عيش من كتر

السيطرة"

زه شفتيه بحنق ليضحك حسين وهو يقول: "انت اللي

مصر تتعب قلبك، ماقولنا نروح نتقدم ونريح بالنا واهو

تبقى في بيتنا متستتة متهنيتة بدل الشحططة ال هي

فيها دي وانت كمان متشحطط وراها"

شرد بعينيه ينظر إلى شرفتها مفكرا: (وانا فين وهي فين

بس؟ مش معقول هترضى بيا وانا مقدرش أجي على

كرامتي ابدأ)

"خلاص بقى يا اسطى الله يرضى عليك سوك على

الموضوع ده، ياللا انا همشي وانت ابقى قفل بقى الورشة

وماتعوقش (لا تتأخر) على الحكومة"

وأتابع كلامه بغمزة فتعالت ضحكة حسين وهو يهتف:

"عقبالك يارب يا إسلام يا بني يهدي سرک ويريح

قلبك".

انتهى كل شيء بلحظات وأصبحت زوجته شرعا وكان

وليها المعلم لظني الذي أرادت جدتها أن تستنجد به
ولكن لا مفر من القدر وهي راضية بقدرها وكل ما
تستطيعه هو الدعاء أن يحفظها الله ولا يفضحها..
انفضّ الجمع وظلت معه بمفردهما فقد تبرعت إحدى
الجارات باستضافة جدتها بشقتها عدة أيام من أجل
أن يأخذ العروسان راحتها على حد قولها ولم تستطع

الاعتراض وهل للجارية حق الاعتراض؟!

انتفضت عندما اقترب منها ليهتف ساخرا: "مالك يا حلوة،

مش خلاص كتبنا الكتاب والمولد انفض، والعروسة

للعريس والجري للمتاعيس، وأنا بقي عايز العروسة"

نظر لها بطريقة أثارت غثيانها ليجذبها إليه قائلا:

"ليلتنا فل ان شاء الله، والله وبقت الصاروخ بتاعتك

يا واد يا حلمي والسهرة صباحي"

أغمضت عينيها تفكر هل لو قاومت سيحدث فرق؟
 لتعود ساخرة من نفسها لن يحدث أي فرق نرجس فلا
 تخدعي نفسك، لو أردت المقاومة لقاومت قبل حدوث
 الكارثة وليس بعد وقوعها..

(ولكني أردت).. صرخت بأعماقها (أردت المقاومة،
 أردت الدفاع عن شرفي الذي سيطأه بكل الأحوال
 فلم أجد سوى الحلال حتى يكون وقع ما يحدث أخف،
 ويكون الضرر تحت ستار زواج ليس بزواج بل محض
 عقد امتلاك لأدمية لا يراها المجتمع كذلك فقط
 لأنها أنثى لا سند لها ولا معين!)

سالت دموعها أنهارا وهو يجردها من كل شيء..
 يجردها من روحها، من براءتها، من طهارتها التي دنست
 بيدي زوج ليس بزواج، بل هو شيطان ينتهك جسدها

وروحها ولا يترك لها شيئاً..

صرخت بقوة ولكن صرختها لم تعد أعماقها فقدت

صوتها كما فقدت كل شيء آخر..

لم تعد تشعر حتى بما يحدث فقدت الإحساس

بالمكان والزمان كما فقدت قبله شرفها بمسمى زواج

ليس بزواج وزوج ليس بزواج !

(الفصل الثالث)

ذهبت سوسن بمفردها ل الحاجة (أبرار) بعدما أصيبت والدتها بتوعك مفاجئ صباح هذا اليوم.. كانت تقوم بمسح الأرضية بقطعة مبللة من القماش البالي- عندما شعرت بمن يقف خلفها، ظنتها سيدتها كالعادة تراقب عملها كي تعلق عليه؛ فأكملت عملها غير عابئة بها. بعد دقائق، اتسعت عيناها بغرابة عندما سمعت الحاجة أبرار تتحدث لأحدهم..

"جمال! إيه اللي موقفك هنا؟!"

استقامت بسرعة تنظر للمشهد، أبرار تخاطب زوجها جمال - والذي كان هو من يقف خلف سوسن!

جمال الذي لم تره سوسن طيلة مدة عملها في هذا

المكان سوى مرة أو اثنتين، رجل يظهر عليه الاحترام
والأدب، بالإضافة لكبر سنه الذي يبلغ الخمسين، والذي
يضيف له بعضاً من الهيبة والوقار.

"مفيش يا حبيبتي، كنت خارج من الأوضة وجاي اشوف

روحتي فين - لقيت سوسن بتمسح ف استنيتها لحد ما

تخلص عشان ما أبهدش شغلها"

ابتسمت أبرار بحنان مربتة على كتفه: "كنت ف

المطبخ يا حاج بعمل الأكل وخلصته - الحمد لله -،

تحب أجيبلك تاكل؟"

وضع يده على بطنه علامة على جوعه وقال: "ياريت

لإني جعان جدا، من ساعة الصبح ما أكلتش حاجة"

بلهفة نطقت: "يقطعني ما فطرتكش الصبح"

ثم أمسكت يده وسحبته باتجاه المطبخ:

"تعالى يلا ده الأكل لسه سخن ويستاهل بوءك (فمك)"

ذهب مع أبرار، وفي طريقه، وقبل أن يختفي من أمام

ناظري سوسن- نظر لها مطوئا، نظرة شملتها، فصلتها،

أخجلتها وجعلتها تبعد ملابسها المبتلة والملتصقة قليلا

عن جسدها.. ثم اختفي واختفت نظراته، لكن قلب

سوسن لم تختفي سرعة نبضاته.

لا تتخيل أن أسبوعا كاملا قد مر على عقابها المسمى

زواجا!

هل اختلف وضعها عن قبل؟!

بالتأكيد لا، فهي مازالت ترعى جدتها وتخرج للعمل

كل ما تغير تغير للأسوأ..

فهي أصبحت متزوجة من رجل تخجل الرجولة منه،

أوراق الياسمين

أصبحت تذهب للعمل طوال اليوم وبالنهاية لا تجد الراحة
 لدى عودتها فبانتظارها الزوج الذي بليت به يريد إشباع
 رغباته والتي كانت السبب في زواجه منها بالأساس..
 أصبحت تتعب بالعمل وفي النهاية لا تحصل على ما يسد
 رمقها وجدتها لأن زوجها العزيز يأخذ كل ماتحضره من
 نقود ويخرج للسهر بها..

عادت إلى المنزل وهي تكاد تترنح من شدة التعب
 والغضب كلما تذكرت النظرات التي لاحقتها طوال
 اليوم منذ خرجت من باب البناية التي تقطن أعلاها
 وخلال العمل بل وحتى خلال عودتها وكأن زواجها من
 حلمي أبو عمو هو ما كان ينتظره الجميع من أجل طعنها
 بشرفها فلم تتزوج من هي مثلها بمن هي مثله لولا وجود
 شيء بينهما من البداية وظهور البشائر هو ما أجبرهما على

الزواج؟

ما إن وصلت إلى سطح البناية حتى تنهى إلى سمعها
 أصوات غريبة، سارت مترددة إلى الغرفة التي تقطن بها
 مع جدتها وحلمي لتتجمد وهي ترى حلمي مع عدة رجال
 يجلسون أمام الباب ملتفين حول مائدة منهمكين بلعب
 الورق وأصواتهم مرتفعة وأمامهم العديد من زجاجات
 الجعة (البيرة) الرديئة بعضها فارغا والبعض الآخر لازالوا
 يتجرعون.. لمحها أحد أصدقاء زوجها فنبهه قائلاً:

"المدام جت يا معلم حلمي"

حوّل أنظاره إليها وهي ترمقهم بصدمة.. حسنا هي ليست
 مصدومة من المشهد فهي تشاهده كثيرا بحارتها حتى
 زجاجات الجعة متوفرة بكثرة أيضا خاصة بالأفراح
 ولكن أن يكون المشهد أمام مسكنها الخاص والذي

طالما اعتبرته فسحة من العالم الخارجي المليء بالأشياء
السيئة هذا سبب صدمتها الرئيسي ولكنها لم تطل
بصدمتها كثيرا فقد دلفت إلى الغرفة دون أن تلقي عليهم
حتى السلام.

"أنا جيت يا ستي"

قالتها نرجس بصوت عالي لتنبه جدتها لعودتها فجاءها
صوت جدتها الضعيف من أحد أركان الغرفة:
"الحقيني يا نرجس"

انتفضت نرجس جزعا وهي تركض إليها: "مالك يا ستي
فيكي ايه؟"

"مفيش يا نرجس انا كويستة ساعديني اروح للكنبة
ارقد عليها مش قادرة اقوم"

ساعدتها حتى وصلت للركن الذي خصصه لها حلمي بعد

زواجهما وفصله عن باقي الغرفة بحجة الخصوصية..

تساءلت بسخرية داخلها.. (ومن مثله يفهم ما هي

الخصوصية!)

"مالك ياستي ايه ال حصلك؟"

"مفيش حبيبتي متقلقيش ده انا اترحلت بس وانا طالعة

من الحمام ووقعت ومعرفتش اقوم"

ضربت نرجس على صدرها بجزع وهي تهتف: "يا لهوي!

كل ده حصل وتقولي مفيش؟! قومي معايا نروح

المستشفى حالا"

"مش قادرة يا نرجس، اسمعي الكلام يا بنتي وبطلي

مناهدة.. انا هنا شوية وهبقى كويست"

لم تستطع تغيير رأيها فتركتها بعدما دثرتها جيدا

بالشرشف القديم ولكن النظيف والذي تهتك من كثرة

الاستخدام ثم انطلقت خارجة عازمة على إحضار دواء

من الصيدلية لجدتها.

أوقفها نداء حلمي المندهش: "رايحة فين يا نرجس؟"

أجابته دون أن تنظر إليه حتى: "راحة اجيب دوا لستي

من الصيدلية تعبانت"

"طيب ماتت أخريش"

هل صدمت؟!؟

كلا ، فما الذي تتوقعه من شبيه الرجال الذي تزوجته

غير ذلك؟!؟

بعد أسبوع، تقف على بعد خطوات من السرير الموضوع

عليه فستان زفاف أبيض - من المقترض أنه لها، أحضره

المعلم ربيع في الصباح الباكر... تنظر له برهبة،

بتعجب، بخوف، بمزيج من مشاعر متناقضة ومتداخلة؛
حتى دخل والدها قائلاً وهو ينظر لها بضحكة مستهزئة؛

"مالك يا بت يا زهرة واقضت كده ليه؟"

نظرت له بعيونها البريئة: "أنا خايضة يا أبا، المعلم ده

شكله يخوف أوي"

ضحك على كلامها وقال محاولاً إقناعها و (زغللت

عينها):

"يا بت ده هيعيشك أحلى عيشة، هيمتعك ويمتعني

وهناعب بالفلوس لعب.. اللي تطلبية هتلاقية؛ ده أكبر

جزارف الحجة كلها. إنتي مش شايضة الضستان والذهب

اللي بيعتهم عاملين إزاي؟، ولا عمرك كنتي تحلمي

تلبسي زيهم"

لا زالت تنظر له منتظرة المزيد من الكلام علّه يخفف من

رهبتها، لكن جعبته قد خلت من الكلمات؛ فقال مغيرا
الموضوع: "أنا هخلي أم محمد جارتنا تيجي تطل عليك
لأن شغل الستات ده أنا مافهمش فيه"
ثم ذهب من أمامها وهي تنظر في أثره وقد ضاع آخر
أمل في تعزيز أمانها وطرد ذلك الخوف الذي يسيطر
عليها لا إرادياً.

في المساء، كانت في طريقها للذهاب لخياطة حارتهم
عندما قابلت جارتها (آيت) تترجل من دراجة بخارية
يقودها شاب شكله غريب عليها.. اقتربت منهم قليلاً
لتفاجأ ببروز بطن آيت!
ودّعت آيت ذلك الشاب بحرارة، ثم التفتت لتجد سوسن
واقفة أمامها تنظر لبطنها مرة وتوجهها مرة أخرى.

ضحكت بصوت عال لتقول بسخرية: "مالك يا سوسن؟

أول مرة تشوفي واحدة حامل؟!"

لا زالت سوسن على تعجبها: "إنتي اتجوزتي امتي يا بت"

وضعت آيتا يدها على بطنها مجيبة: "ما تجوزتش يا ست

سوسن، ده ابن حماده اللي كان بيوصلني دلوقتي ده..

حبيبي"

فغرت شفيتها من هول ما سمعت!

"ابنه ازاي يا آيتا؟ انتي اتهبتي ولا شكك كده

يا بت؟!"

تأففت آيتا من ذلك الاستجواب، لتقول بنفاذ صبر: "أقول

طور يقولوا احلبوه! سوسن، خليكي ف حالك ياختي

وحياة الغاليين، بلاش فقعة مرارة.. أنا هطلع فوق عشان

تعبت من المناهدة خلاص"

أمسكت سوسن بذراعها هاتفة بذعر: "تطلي فييين؟"

أبوكي فوق ولو شاف إنك راجعاه بعد أكثر من

6 شهور غيبته ب عيل ف بطنك - هيدبحك"

ضحكت آية هذه المرة حتى سعلت بشدة: "يدبح مين

يا سوسن!، أبويا عارف إني حامل وكان عارف إني مع

حمادة! مش بقولك خليك ف حالك أحسن ياختي،

خليك ف قفلتك على نفسك دي اللي هتخليكي

تعنسي وتشيبني بدري"

ثم أبعدت يد سوسن المذهولتة عن ذراعها ورفعت طرف

العباءة لتدخل إلى البناية حيث يسكن والدها، بينما

سوسن تنتظر لها كأنها أحد كائنات الفضاء!

وأخيرا استطاعت أن تجد عملا بعد أسبوع كامل تدور

بالشوراع تتعرض لكل أنواع المضايقات حتى تجد عملا
يعينها على تحمل مسئولية والديها دون الاحتياج لأحد..
اشتعلت عيناها بغضب وهي تتذكر إسلام وإصراره على
عدم أخذ النقود التي دفعها لعلاج والدها..

"سلام عليك يا اسطى حسين، هو سي إسلام لسه

ما جاش؟"

قالتها نسرين وهي تدلف إلى ورشة النجارة الخاصة
بإسلام ليحبها حسين: "ايه النور ده؟ تعالي يا نسرين
ابوكي عامل ايه النهاردة؟ مارضيتش آجي انا والحاجة
نوره عشان ماتتعبوش اكثر، إسلام قالي انه أهم حاجة
الراحة"

ابتسمت له بمحبة فهو الوحيد الذي يسأل عنهم دوما،
صاح صوت بداخلها يهتف بها.. (ليس الوحيد نسرين،

فإسلام أيضا يسأل عنكم دوما بل وأكثر منه) ولكنها
تجاهلت الصوت بداخلها وهي تقول: "سألت عليك العافية،
الحمد لله ابويا بقي احسن انشالله تسلم يارب"
"كنتي عايزة إسلام؟"

توردت وجنتيها رغما عنها وهي تومئ برأسها ليرفع حسين
صوته مناديا إسلام من الداخل: "يا اسطى إسلام، فيه ناس
عايزينك"

خرج إسلام مرتديا قميصا داخليا دون أكمام وبنطال من
خامة الجينز باليا إلى حد ما ويبدو أنه كان منهكما
بعمل ما قبل أن يقاطعه نداء حسين ..

ازداد تورد وجنتيها ونظرها يصطدم بمظهره لتشيخ
بوجهها وهي تبتلع ريقها بصعوبة وتضرك يدها بقوة
كعاداتها عندما تشعر بالتوتر..

"نسرين! الحاج فيه حاجة؟!"

قالها إسلام بجزع تحول لصدمة وغضب وهي تمد يدها

بعده أوراق نقدية قائلته: "لا أبدا ابويا بخير نحمده،

أنا جيت أردلك الفلوس اللي انت غرمتها فالدواء

والدكتور كمان اللي جيبته البيت أكيد اخذ كثير"

اشتد ضغط قبضته وهو يحاول تمالك نفسه ولا يصفعها

للإهانة التي تعرضه لها وكما يبدو لم تلاحظ هي ذلك

أبدا: "روحي يا نسرين بيتكم ياللا وماتجيش هنا ثاني"

جحظت عيناها من الصدمة وهي تسمعه يقول ذلك

ويستدير عائدا من حيث أتى فحولت نظرها إلى حسين

الذي كان يكتف ضحكاته بقوة لتزم شفتيها بحلق قبل

أن تغادر الورشة بغضب.

أفاقت من ذكرياتها القريبة على يد تكتف نفسها

وتدفعها إلى جدار منزل متهدم نوعا هامسا بأذنها:

"وأخيرا يا حلوة، أنا وانتى وبس لوحيدنا"

أغمضت عينيها تفكر بتوتر عما يجب عليها فعله، يبدو

عبده مصرا على التعرض لها حتى بعد ضرب إسلام له

المرّة السابقة فماذا تفعل؟!؟

هي لا تستطيع أن تصرخ ليس فقط لأنه يكتم فمها بل

لأنها ستتحول لفضيحة تطالها وحدها وهو سيكون

البريء الذي استدرجته الفتاة سيئة السمعة حتى ولو

كانت سمعتها (فلت، شمعة، منورة) طوال حياتها..

شعرت بيده تمر على جسدها تسعى للدخول بين ملابسها

لملامسة أقرب للجسد فانتفضت بقوة وهي تتماص بين

ذراعيه بقوة أكبر وتقوم بعض يده التي تكتم فمها

فتركها صارخا: "يا بنت العضاضة"

ليضعها بقسوة وهو يمسك بشعرها الذي ظهر من تحت
 وشاحها الذي انزلق أثناء هجومه عليها ثم قربها منه بنيت
 تقبيلها وقبل أن يحصل على غايته وجد نفسه ينتزع
 بعيدا عنها بقوة ولم يفهم ماذا حدث بعدها!
 لا لم يضرب بل دهسته شاحنته عملاقة أو اجتاحه
 إعصار مدمر لا يعلم حقا فهذا ما شعر به قبل أن
 يغيب عن الوعي.

ارتجفت وهي تحاول تعديل ملابسها وتتحاشى النظر إلى
 إسلام الذي ظهر من العدم لينقذها مرة أخرى ولكن هذه
 المرة كانت أكثر إحراجا لها من أي مرة أخرى..
 هي لا تقول أنها اعتادت على التحرش رغم تعرضها له
 يوميا ولكن على الأقل تتعرض له بعيدا عن أي أحد
 يعرفها وليس أمامه هو خاصة.

شعرت بستره توضع على كتفها بغضب مكتوم تغطي ما
 ظهر منها عندما تمزقت ملابسها إثر هجوم عبده عليها..
 رفعت بصرها لتقابل عيناها عينا إسلام، ارتجفت من
 الغضب المشتعل بعينيه لينقبض قلبها ألما وهو يقول:
 "قدا مي على البيت وعلى الله أشوفك راجعة متأخر
 كده تاني"

فتحت فمها لتعرض بوهن ليهتف بها بغضب:
 "سمعتيني يا نسرين؟! خليني أشوفك بس راجعة في
 وقت زي ده تاني"

أومات برأسها بخوف وهي تتقدمه مغادرة وهو يتبعها
 والغضب يتآكله يتوق للعودة والإجهاز على عبده
 بالكامل حتى يزهق روحه .

كانت تقف أمام المرأة؛ تتأكد من تمام هيئتها قبل أن
تحمل حقيبتها على عجل متجهة لخارج الغرفة وقبل أن
تفتح باب المنزل وجدت والدتها تناديها بصوت عال:
"كاميليا..."

خرجت من المطبخ سيدة ذات قامته ممتلئة، قصيرة،
تمشي بصعوبة نظرا لكبر سنها، اقتربت من كاميليا
تسألها باهتمام: "فطرتي يا بنت ولا نازلت على لحم
بطنك زي كل يوم؟"

قبلتها كاميليا من وجنتها بقوة لتقول محاولة تغيير
موضوع الحديث: "أنا أتأخرت جدا يا ماما ولازم أنزل،
هباى افطرف الشغل"

تنهدت الحاجة وداد بقوة قائلة بتعب: "خليكي كده
أكلتك مسمومة لحد ما هتنشفي وتأددي وتبقي شبه

خلت الأسنان"

ضحكت كاميليا على تعليقها الشهير، ثم لوّحت لها
مودّعة؛ لتهمّ وداد بالكلام بسرعة قبل ذهابها؛
"ماتأخريش النهاردة يا كاميليا؛ فيه ضيوف جاين

بالليل"

توقفت كاميليا مكانها.. ضيوف؟

سألته محاولة سبر أغوارها: "ضيوف مين يا ماما؟"
تهربت وداد من لقاء عيني ابنتها، لتقول بتلعثم: "ضيوف
يا كاميليا، عادي يعني ناس وجاين يزورونا"
ألحّت بالكلام أكثر بعدما رأت تلعثم والدتها:
"أهلا وسهلا، بس إيه نوعية الزيارة؟ مش عارفت ليه مش
مرتجالك"

"أبدا يا بنتي مفيش حاجة، دي طنط رباب ما انتي

أوراق الياسمين

عارفاها، ومعهاها واحدة صاحبته.. انتي عارفه بأى

القاعدة ف البيت تزهدق ف حبوا ييجوا يعني يقعدوا معانا

شوية أهو نونس بعض"

ضيقت عينيها واقتربت خطوة من والدتها قائلة:

"طنط رباب الخاطبة؟!"

تأفقت والدتها قائلة بغضب: "يا كاميليا عيب اللي بتقوليه

ع الست ده، كلمة خاطبة دي انتهت من زمن أصلا.. هي

بس رباب بتحب توفق راسين ف الحلال"

"طيب حلو أوي، توفق كل الروس ف بعض بس بعيد عني

يا ماما، تمام؟"

"أووووف منك ومن نشطان دماغك... كاميليا، الساعة

7 تكوني ف البيت إن شاء الله، بلاش تكسفيني مع

الناس"

ابتسمت بتصنع لتقول بمهادنة: "إن شاء الله يا ماما،
 سيبيني امشي دلوقتي بدل ما نتخانق مع بعض زي كل
 مرة بتيجي فيها سيرة طنط رباب.. سلام"
 ثم فتحت الباب وخرجت، ووالدتها تنظر للباب المغلق
 بحسرة على بنتها التي دائما ما تصر على ألا تكمل
 فرحتها أبدا.

تراقبه بلهفة يغادر منزله وقلبها ينبض بقوة، يالوسامته
 الطاغية التي تجعله كأحد نجوم المسلسلات التركيبية
 التي تتابعها بشغف!
 وفجأة رفع بصره للأعلى فتقابلت عيناها ليغمزها بشقاوة
 فتخضبت وجنتاها بحمرة جعلته يعرض على شفثيه شوقا
 وهو يدلف إلى سيارته مغادرا.

"بت يا لبنى بتعملي ايه عند الشباك من صباحية ربنا؟"

انتفضت على صوت والدتها فالتفتت لها سريعا قائلة:

"بشه هوا يا ماما هو انا كفرت وال كفرت يعني؟"

لوت شفيتها وهي تقول: "طب يا لالا ياختي روعي

حضري الفطار لأخواتك وبعدها روقي البيت عمك

هيزرونا النهاردة مع مراته وانتي عارفة مراته لسانها طول

كده"

"حاضر يا ماما عنيا ليكي يا ست الكل، بس قوليل بقى

عمي ومراته جاينين ليه النهاردة؟"

قالتها لبنى بفضول لتنظر لها والدتها بغموض وهي تقول:

"هو لازم سبب عشان يزورونا؟ يالالا يابت امشي انجري

اعملي الفطار قبل ما ابوكي يزعمق"

"يوووو حاضر يا ماما هنجرا هو".

الفصل الرابع

ترجّلت من سيارتها لتدلف للبنائبة حيث يقع مكتب
المحاماة الذي تعمل به.. وجدت باب المصعد على وشك
الانغلاق فصرخت بأعلى صوتها وهي تجري باتجاهه:

"الباب، افتح الباب لو سمحت"

فُتح الباب ليظهر من ورائه شاب في أوائل الثلاثينات من
عمره، قوام يدل على انتظام صاحبه في الرياضة
البدنية، وهيئة منمقة.. والذي لم يكن سوى السيد
جلال - مديرها.

تنحنحت بحرج، لتقول بينما تدخل إلى المصعد:

"صباح الخير يا أستاذ جلال"

أوراق الياسمين

ضغط على زر الطابق الرابع وأغلق الباب وبدأ المصعد في

التحرك، ليضع يديه في جيبه بنطاله ويرد تحيتها

بصوته الرجولي: "صباح الخير يا كاميليا، متأخرة

النهاردة يعني مش عوايدك"

ببرود ردت: "متأخرة عن كل يوم بس مش متأخرة عن

مواعيد العمل يا أستاذ جلال، أظن مافيهاش مشكلت

كده!"

ابتسم لهجومها فظهرت غماسة خده الأيسر:

"مضبوط يا كاميليا، عندك حق"

أومأت برأسها لترسم ابتسامته صفراء على شفثيها زادت

من اتساع ابتسامته هو، حتى توقف المصعد..

فتح الباب قائلاً: "أفضلي"

خرجت، وخرج بعدها ينظر في أثرها وقد لمعت عيناه

بمكر، فتادها: "كاميليا..."

التفتت مستفهمة: "نعم؟"

بلهجة أمرة: "تعاليلي مكتبي"

ليمر من جانبها وهي تبتسم بسخرية: "حاضريا فندم"

دخلت غرفتها المشتركة مع زملائها (فهمي، علياء، مهاب)

ألقت التحية عليهم، ثم وضعت الحقيبة وأخذت بعض

الأوراق متجهة لمكتب السيد جلال.

طرقت الباب فأذن لها بالدخول؛ لتجده كالعادة قد خلع

جاكيت بدلته وربطة عنقه، حلّ أول زرين من قميصه

فظهر عنقه و(تفاحة آدم)، ويقوم بطي كمي القميص

كاشفاً عن ساعديه.. تنحنحت تنبهه لوجودها كي لا

يتمادى أكثر؛ فأجاب بمرح بينما ينتهي مما يفعل دون

النظر إليها: "لأ ما تقلقيش، ده أخري"

رفع عينينه البنيتين لها، ليشير للكرسي أمام مكتبه:

"اتفضلي، واقصّي ليه؟"

جلست حيث أشار، ثم وضعت الأوراق أمامه على المكتب:

"ده آخر اللي وصلتله ف القضية، الراجل فعلا مظلوم زي

ما بيقول"

ألقي نظرة سريعة على الأوراق، ليومئ برأسه برضا:

"طيب تمام أوي، مش محتاجة مساعدة من حد من

الزملاء؟"

بنفس الابتسامة الباردة: "ومن امتي يا فندم حد

بيساعدني ف قضايا؟"

مط شفتيه ليقول ببساطة: "أنا كنت عامل عليك انتي،

قلت حد يساعدك عشان ماتتعيش وعشان تنجزوا مع

بعض"

"أ مفيش تعب؛ ده شغلي اللي بحبه، ماتقلقش حضرتك..

وفي أقرب وقت القضية هتتقل ومش ههدى إلا لما

المتهم يطلع براءة"

ابتسم بفخر؛ "عظيم جدا، تقدري تتفضلي لو عايزة"

استقامت من مجلسها تلملم أوراقها؛ "عن إذنك"

أوما لها برأسه فخرجت من الغرفة، وبعد أن أغلقت الباب

أغمضت عينيها متأففة بملل؛ "بني آدم ثقيل"

وجدت همساً بجانب أذنها؛ "سمعتك على فكرة، بس

هعديها بمزاجي"

شهقت من المفاجأة لتنظر له وعُشب عينيها يتطاير منه

الشرر، ثم تركته يضحك لتدخل غرفتها وتغلق الباب

بقوة كأنها تصفحه في وجهه.

دخلت المنزل لتسمع أصواتا مرتفعة تصدر من غرفة

الضيوف.. لقد أتوا.

تأففت بضيق ودخلت مبتسمة تلقي التحية: "السلام

عليكم"

تفاجأت والدتها بها، فقامت تضحك بارتباك وهي تقول:

"وعليكم السلام يا حبيبتي، كاميليا بنتي يا مدام

سحر"

تفحصتها سحر من رأسها لإخمص قدميها لتقول:

"أهلا وسهلا يا حبيبتي"

"ادخلي سلمي يا كامي ماتتكسفيش"

احتضنتها سحر بقوة بينما رباب تضحك بجانبها على رد

فعلها المتفاجئ.

"عن إذنكو..."

قالتها واستدارت متنهدة بقوة، لتذهب وراءها والدتها

قائلة بضيق: "رايحت فين يا بنتي؟، تعالي اقعدني مع

الناس"

قالت بتعب: "تعبانة وعايضة ارتاح يا ماما، من الصبح

ف الشغل"

بغضب أجابت: "يا كاميليا حرام عليك هتجاطيني،

مش أنا قايلالك فيه ناس جاين؟"

"أيوه يا ماما، وأنا جيت أهو وسلمت، روعي بأى اقعدني

مع ضيوفك وأنا هغير هدومي وأنا م عشان بكرة نازلنا

من بدري"

ثم تركت والدتها وذهبت باتجاه غرفتها متثابرة، بينما

الحاجة وداد تغلي من الغضب.

طرقت على باب المنزل ليُفتح لها الباب..

"سوسن، إزيك يا حبيبتي، عاملت إيه؟"

أفسحت لها الطريق لتبتسم سوسن قائلة: "الله يسلمك يا

خالتي، صحتك عاملت إيه؟ وأبليت نسرين عاملت إيه؟

بقالي كثير مش بشوفها"

أغلقت الباب بينما تجيبها بتنهيدة: "الحمد لله يا حبيبتي

كلنا كويسين، نسرين يا عين أمها كانت دايرة على

كعوب رجلها كل يوم عشان تلاقى شغل والحمد لله

بطلوع الروح لقيت، وأهي هناك من صباحية ربنا"

ابتسمت سوسن بمواساة: "ربنا يعينها يا خالتي"

"قولي يا حبيبتي كنتي عايزة حاجة؟"

فتحت الحقيبة التي تحملها وأخرجت منها فساتين

وعبئات بحاجة لبعض شغل الخياطة: "عاوزة اضيق

الحاجات دي شوية؛ حساها واسعتا عليا"

عقدت الحاجة أم نسرين حاجبيها، بينما ترد: "مش احنا

كنا لسه مضيقينهم يا بنتي؟!"

"آه يا خالتي، بس شوفي كده لسه محتاجين يتضيقوا"

اقتربت تمسكهم منها: "طب ادخلي يلا قيسي واحد

فيه خلينا نشوف محتاج يتضيق اد ايه".

كثيرا ما تختلف حياتنا ومصائرنا.. منا من يُوفَّق في

تحقيق ما يريد، ومنا من يُساق لما يريد غير..

وها هي الآن تُساق لمصير لا تعلم عنه شيئاً، وحياة لا

تفقهها، بل وترهبها أشد الرهبة.

صغيرة، تجلس في كرسي ال(كوشة) بجانب من من

المفترض أنه عريسها، المعلم ربيع.. يبدو المنظر من بعيد

كأن أبا يجلس بجانب ابنته، لكن ما يحدث بالفعل هو أن
تلك الابنة سيغلق عليها باب واحد مع هذا الرجل بعد
قليل - كزوج وليس كأب.

زوج له حقوق عليها تعتبر انتهاكا لبراءتها وأدميتها!
يجلس وسعادته لا يستطيع أن يخفيها عن الأعين، مبتسماً
، منتشياً، وكأنه حقق النصر الأعظم.. أما هي فوجهها
متجهم، تنظر لمن ترقصن ومن يغنون بلا تعابير، ماذا
سيحدث معها؟ وكيف سيعاملها زوجها؟ لا تعلم،
فقط فلينتهي هذا الحفل ولتتصرف كما أخبرتها أم
محمد.

"ماتضحكي كده يا عروسة وأنا عاوزاهم يقولوا

خاصيينها ع الجواز؟"

قالها بسماجة، لتتنظر له زهرة بخواء ثم ابتسمت، لكن

ابتسامتها اكتفت بشفتيها دون عينيها.

وبعد نصف ساعة أشار المعلم ربيع لأحدهم؛ فانتهى

الحفل، وأصبحت زهرة بمفردها في مواجهة مصيرها.

فهل ستنجو الصغيرة من براثنه أم ستضيع كما ضاع

من قبلها؟!

المكان: أحد الأحياء الشعبية؟!

الزمان: أحد الأيام الأكثر بوسا في حياة فتيات ونساء

ذنبهن الوحيد أنهن ولدن إناث بمجتمع لا يمنح الأنثى

الحق بحياة سوية، عادلت؟!

الحدث: زفاف صغيرة لم يرحمها صغر سنها من بيعها لمن

يدفع أكثر؟!

ردود الفعل: ما بين حاسد ومشفق ولكن هل يتحرك

أوراق الياسمين

أحدهم لإنقاذ الصغيرة؟!

نظرت حولها وهي تتظاهر بالفرح رغم أن شعورها ليس كذلك، فقط محض حسد كان يتعالى بداخلها وهي ترى فتاة تصغرها بأعوام تزف إلى رجل حسدتها عليه كل فتاة بالزفاف، تكفي أمواله الطائلة حتى تحسدنها عليه بقوة، صرّت على أسنانها بغيظ وهي تركز نظرها عليها.. بالطبع هي أجمل منها تبدو كأحد العرائس التي تراهم بمحلات لعب الأطفال رغم محاولات المزيّنة أن تجعلها كبيرة بالزينة التي لطخت وجهها..

شردت بنظراتها وهي تفكر متى سيحين دورها للزواج أم ستظل هكذا طوال عمرها ترى فتيات حياها تتزوجن وهي ليس لها إلا مصمصات الشفاة والنظرات المشفقة أو

الساخرة!

مالت عليها والدتها تقول بحنق: "بت ياسوسن، قومي
ياختي اتمشي شوية ف الفرح يمكن حد يعبرك واخلص
منك، ايه الحظ ده ياختي الا ما فيه واحد عايز يبص

في خلقتك ويريحني منك"

كتمت الحنق الذي تصاعد بداخلها ونهضت تبتعد قبل أن
تسمع ما يجرحها أكثر.

دارت بنظرها على الوجوه لا تفهم هل اجتمعوا ليهنئوهم
أم ليغتابوهم! نظرت لهم بحنق.. فتاة من بعمرها تلعب
بالعرائس وهي تتزوج أحد أشباه الرجال الذي اشتراها
بالطبع لمزاجه من أب لا يمت للأبوة بصلته..
تتمنى لو تستطيع أن تنهض وتصرخ بهم وهي تجذبها

من بينهم تخبرهم أنها طفلة فليتركوها تنعم بطفولتها

قبل أن يقتلوا براءتها ويشوهونها..

أغمضت عينيها لتفتحها بغتة عندما شعرت أنها مراقبتة

لتجده أمامها.. إسلام أو حارسها الخاص كما أطلقت عليه

بينها وبين نفسها!

ابتسامت فلتت منها من أجله سرعان ما انمحت عندما

لمحت عبوسه بوجهها.. عقدت حاجبها وهي تفكر

"ماله ده عاملي ال ١١١ ليه كده؟! الحق عليا انا ال شيلتله

الجميل اللي عمله معايا"

أشاحت بوجهها لتشعر به يجاورها قائلاً: "مش كفايتة

بقي وتروحي وال هتفضلي قاعدة هنا كتير؟"

التفتت له رافعة حاجبها وكادت ترد ليقاطعها قائلاً:

"يا لالا يا نسرين مش هستناكي طوال الليل، ابوكي

موصيني أرجعك بدري"

زمت شفتيها بحنق وهي تفكر متى أوصاه والدها؟!

وهل هي طفلة حتى يوصيه عليها؟!

نهضت غاضبة تحاول ألا تعبس بوجهه حتى لا يلاحظ

أحد شيئاً قبل أن تعقد حاجبها مفكرة.. كيف ستسير

معه بالحارة أمام الناس؟!

جالسة بالزفاف بجوار جدتها لم تستطع إشاحة عينيها

عن العروس أو بمعنى أدق الطفلة بثوب العرس والذي رغم

محاولات المزيينة المضحية لا يناسبها على الإطلاق..

هل ستكون مبالغتها منها إذا قالت أنها تشعر بها؟!

ربما زهرة سيكون مصيرها أسوأ من مصيرها الخاص فهي

رغم كل شيء فتاة كبيرة ناضجة كانت تعلم ما هي

مقبلة عليه اما هذه الطفلة فماذا تعرف عما هو

منتظرها؟!

"مالك يا نرجس صافنة كده ليه يابنتي؟ هو المخفي

حلمي عمك حاجة؟!"

قالتها جدتها بتساؤل هامس لتتنظر لها مغتصبة ابتسامته

وهي تقول: "لا يا ستي معموليش حاجة اطمني، انا صعبان

عليا زهرة ال جوزوها بدري اوي"

"ياختي مانا اتجوزت ادها كده وال يمكن اصغر

ومحصليش حاجة اهو وجيبك ابوكي وربيتك الف رحمة

ونور تنزل عليه هو وامك"

ابتسمت نرجس بحزن وهي تقول: "ايوة يا ستي بس

ايامك غير الايام دي غير انك اتجوزتي جدي الله

يرحمه كان راجل بجد وسنه مناسب ليكي مش اد

جدك زي المخفي العريس ده غير الضراير العقارب اللي

مستنينها، يا ترى هيحصلها ايه منهم؟!"

"يا بنتي انتي هتشيلي همك وهو غيرك قومي بينا نسلم

ونمشي قبل ما المتعوس يجي ويخرج علينا الناس".

"أنا.. أنا مينفعلش النهاردة... عندي..."

خرجت تلك الكلمات بتلعثم وسرعة من بين شفثيها

بمجرد أن أغلق باب الغرفة واقترب منها ثلاث خطوات؛

ليتوقف يستوعب كلماتها المبهمة، حتى استوعب بالفعل

وظهر ذلك في انقباضة يده واشتعال نظرة عينيه

بغضب.. ليقول بصوت قوي أزعجها: "يعني ايه؟ عاوزه

تفهميني ان الليلة كده باظت يا بنت شعبان؟!"

نظرت للأرض لا تقوى على الكلام، داعية ربها أن تمر

كذبتها على خير.. لكن لم تنتظر كثيرا حتى وجدته

يقرب منها، يقبض على أعلی ذراعها بكفيه، يهزها:

"انطقي.. افهم ايه من كلامك يا عروسة؟"

نظرت له برعب تلبس كل خلية منها، لا تستطيع

الكلام ولا التحرك، لتجده يحملها بيد واحدة، ليسقطها

بعنف على السرير بينما يخلع عباءته ويحل أزرار جلبابه:

"مش عاوز اسمع نفسك خالص، خليني أتأكد بنفسي

يا أمورة"

زحفت على السرير تحاول الجلوس باعتدال لكنه لم

يُمهلها الفرصة، سرعان ما انضم إليها مقاوما كل محاولاتها

لإبعاده، غير مبال بصرخاتها التي كان يكتمها

بطريقته..

إلى أن دوت منها صرخة، ابتسم لسماعها زوجته

السابقتين اللتان كانتا تتلصقان على العروسين.. بينما كان وقع الصرخة مختلفاً على ذلك القابع في غرفة في الطابق الأرضي، غلى الدم في عروقه حتى أنها برزت في عنقه وجبينه، لكن مجدداً لم يقدر على فعل أي شيء لتلك المسكينة كي يحميها من بطش أخيه.. ليخفت الصوت بعدها تماماً إلا من زقزقة العصافير معلناً عن

شروق يوم جديد.

تتنصت على والدها وعمها من خلف الباب بعدما أمرتها والدتها ألا تخرج لهم إلا عندما تخبرها، لم تفهم لم كل تلك السريّة؟! أليس عمها من بالداخل؟!
رن جرس الباب ليعلو صوت والدها باسمها لتفتح الباب لابن عمها فهرعت لفتحه ليدخل وهو ينظر للداخل

بجدية ويسألها: "أزيك يا لبني عاملة ايه؟! هم قاعدين

فين؟!"

ردت عليه بخجل: "الحمد لله أزيك انت يا سعد؟!"

هم قاعدين جوه ف الصالون اتفضل"

لم تكذ تكمل جملتها إلا ووجدت نفسها ملتصقة

بالجدار يحاوطها أسعد بذراعيه وجسده يلتصق بها وهو

يهمس لها: "وحشتيني اوي يا لولو، امتي هتكوني ف بيتي

بقي وأشبع منك زي مانا عايز"

"ابعد يا مجنون حد يشوفنا انت جرائك ايه؟!"

قالتها لبني متلعثمة وهي تسمع صوت والدها يسألها من

الطارق وقبل أن تجيبه كان أسعد يجيبه: "ده أنا يا عمي،

هشرب شوية ماية بس واجيلكم"

"براحتك يا ابني"

حاولت الإفلات من حصاره إلا أنه لف أحد ذراعيه حول
 خصرها يقربه منه والآخر خلف رأسها وهو يقبلها بشغف
 قبل أن يتركها مترنحة من أثر قبلته وهو يغمزها بإيحاء

قائلاً: "هانت؟"

هرعت لغرفتها قلبها ينبض بقوة من أثر المشاعر التي
 غمرتها ولم تستطع التخلص منها فادعت النوم عندما
 دخلت لها والدتها تتحدث معها .

في اليوم التالي

"بت يا لبني، ايه ده كل ده نوم قومي يابت عايزاكي"

تسلل صوت والدتها إلى لاوعيتها لتنهض وهي تحارب
 لفتح عينيها فجلست والدتها على الفراش بجانبها ودون
 مقدمات كانت تضمها وهي تقول: "مبرووك يا حبيبتي،
 والله كبرتي يا لبني وبقيتي عروسة"

نظرت لها بعدم استيعاب قبل أن توضح والدتها: "عمك
 طلب ايدك لأسعد امبارح وابوكي وافق وقرا معاه
 الفاتحة امبارح وكتب الكتاب والضح بعد شهر،
 يا لالا قومي ورانا حاجات ياما.. ولو اني مكنتش حابرة
 تتجوزي أسعد عشان امه الحرياية بس مش مهم لأجل
 الورد يتسقي العليق"

لم تستطع أن تداري فرحتها بما سمعته.. رغم أن أي فتاة
 بمكانها ستتساءل لم لم يسألها أحد رأيها بالأمر؟!
 ولكن بهذه اللحظة وهي تسمع أنها ستكون حرم أسعد
 العطار والذي حلمت هي وبنات العائلة كلها بالزواج منه
 كادت تطير من الفرحة فنهضت مسرعة لا تعرف ماذا
 تفعل حتى جلبت ضحكات أمها العاليتة وهي تقول لاوية
 فمها: "شوفي يا اختي البت، طب مثلي انك مكسوفة"

قد امني حتى ده انتي ناقص تقومي تتنططي من الفرحة"
 ابتسامت ارتسمت على شفثيها قبل أن تضر والدتها بفرح
 وهي تتخيل نفسها بمنزل أسعد والحياة الوردية التي
 تنتظرها معه.

بعد شهر

منذ يومين لم يعد إلى المنزل ورغم فرحتها إلى أنها
 تتساءل عن مكانه بدهشة!
 طرقات عالية على باب الغرفة التي تسكنها مع جدتها
 جعلتها تنتفض وتهرع لفتح الباب وبداخلها تدعو
 (يا رب سلّم) ..
 فتحت الباب لتفاجأ بحماتها وشقيق زوجها أمامه ثم
 حدث كل شيء بسرعة لم تفهمها ..

صفعتان على وجهها وصراخ لم تفهم منه إلا أنه سافر على

إحدى البواخر غير الشرعية لخارج البلاد..

"ارتحتي يا قدم الشوم، عملتي ايه للواد اهو سابك وسافر

إلهي ماتوعي تكسبي يا نرجس يا بنت حسنا..

طفشتيلي الواد ببوزك النحس"

لم تشعر إلا وهي تتهاوى على الأرض وصراخ جدتها

باسمها يصل لمسامعها.

مرّ شهر على عملها الجديد وهي لا تشعر براحة أبدا تجاه

صاحب المحل الذي تعمل به ولكن (اكل العيش مر)

كما يقولون.. وأي مرارة ستكون كالعسل بالنسبة لها

و (كله يهون عشان خاطر امي وابويا)

كلمتها التي تقولها دوما بل وتقتنع بها تمام الاقتناع..

نظراته مسلطة عليها، فتاة من نوع جديد يتوق لتذوقه
وهي بالطبع لن ترفض فكيف ترفضه وهو يرى نظرات
الإعجاب بعيون من حوله من النساء فتزيده غرورا!
"نسرين، روعي وضبي البضاعة ال جت ف المخزن"
"حاضر"

كلمة من أربعة حروف وجدت صعوبة وهي تنطقها
خاصة مع نظراته الغريبة لها، التقطت حقيبتها معها
للدخل ولا تعلم لم فعلت ولكن غريزتها أنبأتها أن تفعل
وهي تتبع غريزتها دوما..

انهمكت بالترتيب وقد تناست حذرهما عندما وجدت
المخزن حقا بحاجة إلى ترتيب ومالبثت أن شعرت بأحد
يحاصرهما ويده تمر على جسدها بطريقة أثارت غثيانها
مع غضبها الشديد.. التفتت له وقبل أن تدرك كان

يقبلها برغبة تصاعدت داخله زادتها عدم مقاومتها له..
 لم يفهم أنها مصدومة مما يحدث، فباب المخزن مغلق ولا
 أمل أن ينجدها أحدهم منه.. هو أقوى منها وهي لا تعلم
 كيف تدافع عن نفسها حقا.. حاولت ضربه وخذشه
 ولكن هو يفوقها حجما وقوة وهي مصدومة من جرأته!
 تمأصت منه بقوة وهي تبحث بعينها عن أي شيء يساعدها
 أن تتخلص منه ومما يحدث ألقاها على الأرض بقوة أمت
 جسدها النحيل الضعيف وجثم فوقها يمنعها من النهوض..
 صرخت وصرخت ولا حياة لمن تنادي!
 "اصرخي زي مانتى عايزة ولا حد هيسمعك، مشيتهم
 كلهم عشان نكون براحتنا يا قمر"
 وقته أدركت حقا أنها بمفردها وأنها أمام خيارين لا ثالث
 لهما.. إما تقتله أو يقتلها بأكثر الطرق بشاعة.

فاختارت الأولى!

دفعته فجأة بقوة وهي تشعر بملابسها تتمزق تحت يديه
 الملوثتين وبلحظة واحدة كانت تتناول أحد الزجاجات
 الفارغة بأحد جوانب المخزن والتي يبدو قد تناساها
 أحدهم وتضربه على رأسه بقوة أفقدته توازنه وتركيزه
 للحظات ودمه يسيل بغزارة من رأسه يلوث المكان..
 تركته غارقا بدمه وهرعت للخارج ولحسن حظها كانت
 المفاتيح على المكتب بالخارج فالتقطتها وفتحت الباب
 وخرجت مغلقة الباب خلفها غير مهتمة حتى أن تتفقد
 هل مات أم لا!

نظر بساعته وهو يزفر بضيق.. بقيت ساعتان على موعد
 عودتها ولكنه يشعر بشيء غريب بداخله، شيء يجعله

يتلفت كل لحظة ينظر لأول الشارع ربما يراها وهي
عائدة من عملها ويلحظة كان يلمحها ليعقد حاجبيه
بدهشة..

لماذا جاءت مبكرا؟ هل هي مريضة؟!

خاطر مرضها جعله يهرع لها وقبل أن يصلها كانت تدلف
إلى بنايتها هروبا منه وهروبها كان واضحا لعينيه بكل
تأكيد كما كانت ملابسها الممزقة واضحة له وبقعة
الدماء تأخذه لخاطر واحد فقط جعله ينتفض رعبا!

دلفت إلى غرفتها مسرعة وهي تلقي السلام على والدتها
والتي كانت بالمطبخ كعادتها قبل أن تخرج وتلاحظ
هياتها وهي تدعو الله ألا يكون إسلام قد لاحظ شيئا
عليها .

بعد فترة

طرقا عاليا على الباب لتفتحه والدتها وصدمة أخرى

بطريقها لها..

شهقة عالية وكلمات خائفة: "خير يا حضرة الزابط

(الضابط) ؟!"

"ده بيت المدعوة نسرين عبد اللطيف؟!"

"أيوة يا اخويا هو، هو فيه ايه؟!"

"مطلوب القبض عليها"

"ايه؟!!!"

الفصل الخامس

شهر قد مرّ عليها وهي تشعر أنها انتقلت إلى الجنة

بزواجها من أسعد، ابن عمها وحبیبها منذ الصغر..

في البداية شعرت أنه لا يراها من الأساس فكل محاولاتها

للفت نظره باءت بالفشل حتى ذلك اليوم الذي تعرّض لها

أحد شباب الحي الذي تقطنه، لم يفعل لها شيئا سوى

إخبارها أنه يحبها ويريد الزواج منها لتجد أسعد يظهر من

حيث لا تدري ويضرب الآخر دون أي كلمة ثم يخبره أنها

خطيبته هو ويحذره من التعرض لها مرة أخرى .

يومها ورغم توبيخه لها إلا أنه كان اليوم الأسعد بحياتها

لأن حبيبها وأخيرا أعلن ملكيته لها، ابتسمت وهي

تتذكر جنونه طوال الشهر المنصرم..

كان يحاصرها بمشاعره بجنون تعشقه ويعلم ملكيته لها
بكل وقت حتى أنه أصر على أن يكون الشهر الأول عطلة
لها بعيدا عن الجميع وقد كان..

رغم أن حمايتها لا تنفك تهاتفه كل ساعة تبكي له
حالتها بغيابه وتطالبه بالعودة سريعا إلا أنه كان يهدئها
ببضع كلمات ثم يعود لها يخبرها كم اشتاق إليها بكل
طريقة ممكنة.

يوم زفافها كان مثاليا بطريقة لم تتخيلها بأكثر أحلامها
جموحا.. العرس الكبير والذي يليق بعائلتها، الشوق الذي
ظهر واضحا بنظراته لها والذي جعلها ترتجف من الرهبة
فمهما كان حبا به إلا أنها فتاة بريئة ليس لها أي تجارب
أو خبرات، حتى والدتها لم تخبرها بشيء فقط دعيه هو
يتولى الأمر وقد كان..

"رايحت فين يا عروستي، النهاردة مش هتفارقيني خالص

أنا ما صدقت بقيتي ليا"

قالها أسعد بشغف ما إن أغلق عليهما الباب وأصبحا

بمفردهما بعد أن كاد يخرج الجميع بالقوة ليتركوه مع

عروسه لتشيح بوجهها خجلا من كلماته ونظراته الجريئة

التي تمسّط جسدها بأكملها.. سمعت ضحكته التي طالما

أرقت مضجعا ليقترب منها وهو يخلع سترته وربطته

عنقه ويلقيهما بإهمال فوق أحد الكراسي بطريقة إليها

شعرت به قريبا فرفعت بصرها إليه لتصدما نظراته!

كانت على وشك الركض للاحتماء بالغرفة عندما

قبض على ذراعها يقربها منه لتطلق صرخة فزع ضحك

على إثرها وهو يقول: "مالك يا بت هو انا هاكلك؟!"

وبعدين بتصرخي على ايه لسه لسه اوان الصريخ ماجاش"

ضربته برقّة موبختة وهي تقول: "قليل الأدب"
ضحك عاليًا وهو يقبل وجنتها قائلاً: "هو انتي لسه
شوفتي قلّة أدب؟! ده احنا لسه بنقول يا هادي،
بتحبييني يا لبنى؟!"

أومات برأسها وهي تهمس: "اوي يا أسعد، بحبك اوي"
أطلق صيحة رضا وهو يقول: "عايزك على طول تقوليها لي،
عايزك تفضلي تحبييني كده على طول"
شعرت بسحاب الثوب يفتح فارتجفت وهي تحاول
التملص منه قائلة بخفوت: "أنا عايزة أغير هدومي
الأول يا أسعد"

لم يهتم بما تقول وهو يواصل ما يفعله هامسا:

"وأنا هموت وأغيرلك هدومك"

"لا لا أنا...."

ابتلع باقي كلماتها بشفتيه اللتين اكتسحتها حتى
 نسيت كل ما كانت تريد قوله ليذهب الخوف أدراج
 الرياح ولا يتبقى سوى العاطفة التي جرفتها سوية لفترة
 طويلة.

انتفضت على صوت حماتها الذي انتزعها من ذكرياتها
 بقسوة لتجد حماتها تقف على باب المطبخ وهي تنظر لها
 بسخرية لاوية شفتيها لتقول ما إن سمعتها تسمي الله
 "إلي واخذ عقلك ياختي، ايه مش هتخلصي الغدا ده
 في يومك؟! امال لو مكنش صنية بطاطس وحبّة رز بس
 كنتي قعدتي اليوم بطوله؟! بنات آخر زمن"
 نظرت لها بحنق ظهر جليا بعيونها قبل أن تقول مصطنعة
 ابتسامة: "الأكل خالص يا طنط وكنت مستنياكي
 تقولي عشان أغرفه"

وقبل أن تجيبها حماتها دلف أسعد قائلاً: "اللهم الله ايه

الريحة الحلوة دي؟ تسلم ايديك يا حبيبتى"

"تسلملي حبيبي"

قالتها بغنج قبل أن تقترب منه تقبل وجنته وهي

تقول: "حمد الله على السلامة وحشتني اوي"

لوت حماتها شفتيها وهي تقول بسخرية: "وهو لحق

يوحشك ياختي؟ ايه سهنته البنات دي؟!"

ثم نظرت لابنها وهي تقول موبخة: "انت جيت بدري ليه؟!"

ده انت ماكملتش كام ساعة في الشغل"

"اصلك وحشتيني يا ماما فجيتلك بسرعة، مكنتش

عارف اركز في الشغل وصورتك قدامي على طول"

قالها مازحا وهو ينظر ل لبني غامزا لتكتم ضحكاتها

وهي ترى وجه حماتها الذي استحال للسواد من الغيظ

لتخرج تاركة إياهما وهي تتمتم: "قلت حيا، قال مش قادر
يبعد عنها كام ساعة، البت كلت عقله ومش مخلياها على
بعضه حتى مش عامل قيمة لوجودي، بلا قلت ادب
ومسخرة".

فتحت عينيها لتجد نفسها ممددة على فراش غريب
ويطالعها وجه جدتها القلق وبجانبه شقيق زوجها المدعو
حمدي لتنتفض معتدلة على الفراش وهي تتساءل:
"ايه الي حصل يا ستي؟!"

وقبل أن تجيبها جدتها كان هو يجيبها: "مبروك يا مرات
أخويا، ولي العهد هيشرف بالسلامة بعد كام شهر"
نظرت له بصدمة قبل أن تنظر لجدتها تتأكد مما قاله
لترى نظرة التعاطف بمقلتيها لتأخذ نفسا عميقا قبل أن

تقول بخفوت: "الله يبارك فيك"

وبداخلها تريد أن تصرخ، تريد أن تسخر بقوة.. أي عهد

سيتولاه طفلي من أسرة مثلكم؟!

أهو عهد الفقر أم الفجور أم الخسة والندالة؟!

بعد فترة أنت الممرضة وطلبت منه الخروج استأذن

وتركها وهو يقول: "هروح اجيبلكم حاجة تاكلوها

ده انتوا على لحم بطنكم من امبارح"

تابعته جدتها بنظرها وبعد أن انتهت الممرضة من عملها

خرجت وتركتهما بمفردهما..

"مش كنتي اتجوزتي حمدي احسن من المدعوق الثاني

على الاقل كسيب وهيستتك بدل البهدلة اللي انتي فيها

دي، ده ماسابناش لحظة من امبارح"

قالت جدتها لتبتسم بسخرية وهي تقول: "حمدي متجوز

يا ستي انتي نسيتي وال ايه؟! شكلك نسيتي زي
مانسيتي انا اتجوزت حلمي عشان ايه! ده لو اللي حصل
ده اسمه جواز فعلا"

زفرت بعمق قبل أن تنتبه لما قالتة جدتها لتتهتف:

"امبارح؟! هو احنا هنا من امبارح؟!"

"ايوة يانرجس امال انا بقولك ايه، لما وقعتي من طولك

امبارخ المخضية رُوحت وقاتت وقال قال ايه كهن ستات

وحركات خايبة وربنا يكرمه حمدي جري بيكي

للمستشفى دي وعملوا تحاليل ولسه النتيجة جايت من

شوية قبل ماتفوقي على طول، ده حمدي الضرحة

مكنتش سايعاه كأنه ابنه بالزبط، يقطع من هنا ويوصل

من هنا يا بنتي"

لوت شفيتها بسخرية وهي تتساءل بداخلها: (ماذا يخفي لي

القدر أكثر من ذلك؟! أما زالت هناك مضاجات؟!).

تنتهي من غسل طبق ليأتي الآخر وغيره وغيره، تقف هنا

منذ ما يقرب الساعتين دون حراك.. ما بين انتباهها

لطعام الغداء الموضوع على الموقد، وبين غسل الأطباق.

هل كانت تعتقد أن الزواج مهرب؟ وأنها ستتعم فيه!

إذا كانت في بيت والدها مسئولة عن فردين، فهنا هي

مسئولة عن ثلاث أسر!

"نضفي بضمير يا بت بلاش مياصة بنات"

كانت تلك زوجة زوجها الثانية "لطيفة"، لترد زهرة

ب (حاضر) كما العادة دون اعتراض.

سمعت باب المنزل يُفتح وصوت زوجها يلقي التحية،

فتركت ما بيدها كي تستقبله؛ لكن نظرة لطيفة

جمدتها مكانها: "خليكي مكانك وإياك المحك
برا". ثم خرجت من المطبخ وابتسامتها تشمل وجهها كله
قائلة بصوت عال:

"يا أهلا يا حاج، نورت بيتك، حمدا لله ع السلامة"
سألها بينما يبحث عن زهرة بعينيه: "أمال فين زهرة؟ مش
شايفها يعني"

اقتربت منه مبتسمة بإغواء، تقول بصوت خافت:
"وأنا مش كفايت ولا إيه يا حاج؟ سيبك من زهرة ونجمت
دلوقتي وخليك معايا"

ضحك بخبث ثم أحاط كتفها بذراعه متجها لغرفتها:
"طب تعالي هاتيلي هدمت ألبسها وبعدين حضريلي الغدا
عشان أنا"

وقفت زهرة في الخفاء تنظر للمشهد أمامها حتى وجدت

من تخبطها على كتفها بقوة: "بت يا زهرة، متنحتة فإيه؟"

أفاقت من شرودها لتتنظر لنجمة (زوجة زوجها الأولى)

"مفيش يا أبلتة نجمة"

مصمست شفتيها وهي تقول: "ماتركزيش مع لطيفة يا

حبيبتي، لولا الشويتين اللي فالحتة فيهم دول ماكانش

الحاج وقع على شوشته واتجوزها وهي كانت متجوزة 2

قبله"

عادت بنظراتها إلى الباب المغلق وصوت لطيفة من خلفه

بضحكاتها الرنانة، لتفريق ثانياً على صوت نجمة:

"روحي شوفي شغلك يا زهرة بلاش مياعة، يلا"

لتذهب زهرة إلى الموقد، تقلب الطعام بذهن شارد بعيد

كل البعد عما تفعله... لقد قضت هنا شهر واحد، شهر

واحد فقط كان كفيلاً لترى وتعايش مالم تتوقعه من

زوج علمها الكثير والكثير مما يُرضيه غير مبال بها ولا بصغر سنها وقلّة خبرتها في الحياة، وزوجتيه الاثنتين وطباعهما الغريبة ومعاملتها المليئة بالكره، وأعمال المنزل التي تحملها على عاتقها ليل نهار بمفردها، وأولاد زوجها الذين يتجنبون التعامل معها كأنها مصابة بمرض معدٍ، وأخيه الذي يدافع عنها في أحيان كثيرة.. وهي لا تعترض على شيء، أي شيء مهما كان، سلبية

كطبيعة الحال!

هل ما يراه صحيحاً؟!

هل الشرطة حقاً تدلف إلى البناية التي تسكن بها

نسرين؟!

هرع خلفهم ليجدوهم يصطحبون نسرين التي نظرت له

نظرة ضربت قلبه بمقتل وهي تهتف: "إسلام، خلي بالك
من ابويا وامي.. اوعى تسيبهم عشان خاطري"
هل كان لابد أن تنطق اسمه مجردا بهذا الوقت تحديدا؟!
ألم يكن من الأفضل أن تنتظر وقتا مناسباً حتى تناديه
باسمه مجردا حتى يستطيع وقتها أن يفعل ما اشتهاه
منذ المرة الأولى التي وقع بصره عليها فيها!
"ما تخافيش يا نسرين، انا جاي وراكى على طول مش
هسيبك"

لا يعلم هل وصل كلامه إليها أم لا ولكنه ما إن همَّ
بالخروج خلفها حتى صدح صوت والدتها بصراخ أربكه
وجعله لا يعلم هل يصعد ليرى ماذا يحدث أم يذهب
خلف نسرين التي غادرت مع الشرطة؟!
وجد نفسه يصعد ليرى ماذا يحدث فلو أصاب والديها

شيئا لن تسامحه أبدا على إهماله..

وجد باب الشقة مفتوحا وبعض الجيران مع والدتها فدخل

للدخل دون حديث ليتجمد مكانه وبصره يقع على عم

عبد اللطيف ساكنا ووجهه يحاكي وجوه الموتى!

لحظات فقط كانت الفيصل بين جموده وانتفاضته وهو

يحمل الجسد المسجى على الفراش ويهرع للخارج وخلفه

يسمع: "مفيش فايدة يا بني الراجل مات"

ولكنه لم يستمع إليهم بل هرع لأقرب مشفى وهو يصرخ

بهم أن انقذوه فلو مات لماتت معه حبيبته.

فهل يستجيب القدر لدعائه أم له رأي آخر؟!

وصلت لمركز الشرطة لتقابله هناك!

علمت أنها لن تفلت دون عقاب ولكنها كانت على استعداد

أن تتعاقب على قتله لا على التهمة السخيفة التي اتهمها
بها..

"يا سعاة البية انا معملتش حاجة الراجل ده كذاب"
قالت نسرين مدعية قوة لا تملكها أبدا لتقابلها نظرات
الرجل الملئية بالشماتة والانتقام وهو يقول: "انا ايلي
كذاب يابنت الحرامية، بقى تسرقيني وتسيحي دمي
وكمان عايزة تطلعيني كذاب؟!"

"يا بيه انا لو بسرقت مكنش ده يبقى حالي، مكنتش ايلي
يسوى والي مايسواش يتعرضلي ويتهمني"

"راجع نفسك يا استاذ عليوه، البنت شكلها بنت ناس
وغلبانته.. حاولوا تحلوها ودي وبلاش تبهدلها"
قالها الضابط بهدوء فنبرة الصدق التي قالت بها كلماتها
نفذت لداخله وهو يؤمن بحدسه كثيرا..

"طب ياساعة البيه ممكن تسيننا شوية كده مع بعض

يمكن نتفق وبلاها بهدلت"

"أسيبك مع بعض ده ايه؟ انت فاكر نفسك في كازينو

على النيل ماجيبلكم اتنين لمون احسن! انجرف يومك

اللي مش معدي ده"

حمدت ربها أنه لم يوافق على الخروج وتركها مع ذلك

الحقير بمزردهما ليقترب منها عليوه وهو يهمس لها:

"ها يا حلوة، عملي اللي انا عايزه وتبقي زي الشاطرة كده

وال أسيبك تتحبسي وتتهدي في السجن؟"

أحنت رأسها للحظات فشعر أنها على وشك القبول لترفع

رأسها فجأة وهي تبصق بوجهه بقوة لينتفض مبتعدا عنها

ولكن ليس قبل أن تصيبه بوجهه مباشرة..

"يا بنت ال..."

"وبعدين معاك؟! انت نسيت انت فين وال ايه؟!"

هدر بها الضابط ليكبح غضبه وهو يقول:

" لا ياسعاة البيه مانسيتش، انا مش هتنازل يا بيه وعايذ

حقي منها تالت وملتت".

دخلت المكتب في الصباح ممسكة بجانبها رأسها بينما

تهتف بوهن: "عم خميس.. يا عم خميس"

جاءها رجل ستيني قد نال الزمن من شعر رأسه:

"صباح الخير يا ست كاميليا، أوامريني"

"كوبايتة قهوة سادة، كوبايتة مش فنجان يا عم خميس

الله يباركلك؛ دماغي هتنفجر من الصداع"

"ألف سلامة عليك يا ست كاميليا، دقائق وتكون

القهوة عندك"، تركته متجهة لغرفتها.

ألقت التحية ووضعت حقيبتها على المكتب لتجد مُهاب واقفا بجانبها يسألها: "مالك يا كاميليا؟ شكلك تعبان، أجيبك دوا ولا حاجة؟"

ابتسمت بامتنان: "شكرا يا مُهاب، شوية صداع بس من قلّة النوم، هشرب قهوة عم خميس وهبأى كويستة إن شاء الله"

لازال القلق ظاهرا على ملامحه، لكنه احترم رغبتها: "إن شاء الله، ألف سلامة عليكى"

"الله يسلمك..."

ثم عاد لمكانه وحاولت هي البدء فيما ستفعله. بعد دقائق ليست بالقليلة- دلف جلال إلي الغرفة ملقيا التحية بابتسامة جذابة استرعت انتباهه علياء: "صباح الخير يا أساتذة، الشغل عامل إيه معاكو؟ ماتنسوش عندنا

اجتماع النهاردة بعد ساعة"

ضحكت علياء بسذاجة: "طبعا يا أستاذ جلال، وهي دي

حاجة تتنسي بردو؟"

نظرت لها كاميليا رافعة حاجبها بتعجب، لتفاجأ بجلال

يسألها دون مقدمات: "كاميليا، انتي كويستة؟"

ابتسمت ببرود: "الحمد لله"

أوما برأسه ثم استأذن وذهب، لتمسك برأسها مرة ثانية

وتغمض عينيها وقد اشتد الألم لدرجة لا تُطاق.

فتحت عينيها على صوت عم خميس: "القهوة يا أستاذة،

والدوا ده باعته أستاذ جلال وموصيني مامشيش من هنا

إلا لما تاخديه"

تنهدت بعمق، كيف عرف ما بها؟ لكنها الآن لا تقدر

على شيء من الألم، حتى التفكير لا تقدر عليه؛ فأخذت

حبّة الدواء وابتلعها بهدوء، لتتبعها بعدة رشقات من
كوب القهوة متمنية أن يكون مفعولهما سريعا في
التخلص مما يفتك برأسها.

تجلس في غرفتها شاردة في الحائط أمامها، تلك النظرة
من عيني الحاج جمال- منذ شهر لم تنساها، أرقت ليالها
وسكنت أحلام منامها.. لم تذهب للسيدة أبرار منذ ذلك
اليوم، لا تعلم مم تهرب! لكنه بنظرته تلك أثار كثيرا
من الأشياء بداخلها.. خوفها، دقات قلبها، رغبتها في
المزيد منها، في نظرة ترغبها، تقدرها، تراها مميزة..
لطالما افتقدت نظرة كتلك، وعندما أتتها كانت من
رجل في عمر والدها! بل وزوج سيدتها!
تنهدت بعمق لتضيق على دخول والدتها: "بت يا سوسن،

سرحانة ف ايه؟

"أبدا يا أمي، مفيش"

لتقول بينما تعدل من وضع حجابها: "طب قومي يلا
عشان تروحي للحاجة أبرار، وأنا هروح لأبلة نرمين"
استقامت تقول بسرعة: "طب ما تروحي انتي للحاجة
وهروح أنا لأبلة نرمين"

"أ، احنا عارفين الحاجة أبرار وهتظمن لما اسيبك
هناك لوحدهك، إنما أبلة نرمين جديدة وجوزها شاب
بردو ما يصحش"

ليت الحقارة تقتصر على الشباب!
لم ترد أن تعترض أكثر حتى لا تشك والدتها في شيء؛
"طيب حاضر هالبس واروح لها".

أوراق الياسمين

في المساء، كانت ترتب ثيابها في خزانة الملابس عندما
دلف ربيع إلى الغرفة؛ تركت ما بيدها سريعا ووقفت أمامه
في انتظار ما سيطلبه منها.. ابتسم بخبث ليخلع جلبابه
ويجلس على السرير مشيرا لها بالاقتراب؛ ذهبت إليه تنظر
للأرض ووجنتيها تشتعلان خجلا، ضحك بملء شفثيه؛
"انتي لسه بتتكسفي مني يا بت؟!"

ابتلعت ريقها ولم ترد، فأشار لقدميه؛ "دللكي رجلي"
أسرعت تجلب طبقا كبيرا مليئا بالماء الدافئ، وضعت
قدميه فيه ثم جلست كرسيا صغيرا وجلست عند قدميه
تدلكهما في الماء كما علمها.

دقائق مرت، لتجده يضع يده على شعرها، ثم امتدت يده
لذقنها كي يرفع وجهها.. نظرت له ببراءتها؛ فأمرها؛
"تعال، كفاية كده"

استقامت ووقفت أمامه تنتظر طلبه التالي، أمسكها من
 شعرها وقرب وجهها منه منتهكا براءتها بقبلة باردة لم
 تثر فيها سوى الغثيان، فأبعدته عنها بسرعة مهرولة
 باتجاه الحمام وهي تضع يدها على فمها.. أفرغت ما في
 معدتها ثم عادت لتجده قد ارتدى جلبابه ويظهر عليه
 الغضب..

"بتقرفي مني يا بنت شعبان!"

حاولت الاعتراض، حاولت تبرئة نفسها، لكنه عاجلها
 بكفه الذي هبط على خدها: "لا عاشت ولا كانت اللي
 ترفض المعلم ربيع وتعمل اللي عملتیه ده! ده انا كنت
 دفنتها مكانها"

اقتربت منه كي تراضيه، تطلب سماحه، تحاول إقناعه
 بالفعل أن ما يقوله ليس صحيحا.. تخلت عن براءتها

وخجلها وقبّلت يده ووجنته، قبلا عديدة؛ ليحملها ويضعها
على السرير غير عابئ بها، ملتهيا فيما يفعله، غافلا عن
تعابير وجهها وما تتكبله من عناء كي تمنع نفسها من
الانجراف للشعور بالغثيان مرة ثانية.. لكن هذا غير مهم،
فلتتحمل تلك الدقائق في سبيل راحته هو.

بعد انتهاء نهار العمل، كانت تلملم حاجياتها استعدادا
للذهاب حين اقترب مهاب متنحنا بخرج؛
"كاميليا، كنت عاوز أتكلم معاك شوية"
"اتفضل..."

ابتسم بوسامة؛ "لأ، كلمتين على انفراد، وياريت لو بره
جو الشغل، كافي هادي مثلا"

عقدت حاجبيها بتعجب، لتقول: "كلام إيه اللي بره

الشغل يا مُهاب؟! قولهم هنا مفيهاش حاجة يعني"

رفع يده يتخلل بأصابعه خصلات شعره السوداء؛

"يعني...". تنحنح ليقول بسرعة قبل أن يتراجع؛

"بصراحة أنا معجب بيكي يا كاميليا واطمنى تدينا

فرصة نعرف بعض أكثر"

رفعت حاجبها الأيسر بتفاجئ من كلامه، ثم أكملت

ببرود؛ "للأسف اخترت الشخص الغلط يا أستاذ مُهاب، أنا مش

بضكر ف الموضوع ده أصلا.. ربنا يوفقك مع اللي

تستاهلك"

حاول إثباتها عن هذا القرار؛ "أنا عارف طموحك ومقدره

ومعجب بيه جدا، ومعنديش مشكلة نستنى الوقت اللي

تحبيه لحد ما تحسي انك جاهزة للجواز"

رسمت ابتسامتها الصفراء؛ "مُهاب، حقيقي أنا مقدره كل

اللي بتقوله بس للأسف هقولها لك تاني، انت اخترت
الشخص الغلط.. انت انسان كويس ورفضى مش
لشخصك خالص، ربنا يكرمك بواحدة أحسن مني
100 مرة"

ثم حملت حقيبتها؛ "عن إذناك"
وخرجت من الغرفة لتجد جلال يقف أمام الباب، وما أن
رآها حتى ابتسم بسخرية؛
"اللي يشوفك الصبح مايشوفكيش دلوقتي"
رفعت حاجبها تتساءل بهجوم: "قصدك إيه؟"
وضع يديه في جيبي بنطاله ليقول ببساطة: "الصبح
كنتي تعبانة ووشك اسود مايتبصلوش، ودلوقتي يعني
فوقتي شوية ووشك اتعدل"
"أعتبر ده مدح ولا ذم ولا تريقة؟"

رفع كتفيه ليقول: "اعتبريه وصف، ماجبتش حاجة من

عندي"

ظلت تبادله النظرات الحانقة إلى أن قالت: "ع العموم

شكرا ع الدوا اللي بعته مع عم خميس، وعن إذنك عشان

مستعجلة"

ثم تركته وذهبت، لتتحول سخرية نظراته لاشتعال

لا يعرف كيف سيظفئه.

لم تمض ساعة على وصولها حتى أخبرتها السيدة أبرار

أنها ستتركها بمزودها في المنزل وتذهب لشراء بعض

الحاجيات من السوق، ارتاحت لعدم وجود الحاج جمال

حيث ذهب منذ الصباح إلى عمله، فأخرجت كل الأفكار

من رأسها والتفتت تكمل العمل حتى مجيء سيدتها..

إلا أنها تسمرت بذعر عندما سمعت المفتاح يوضع في باب

المنزل وصوت الباب يُفتح ويُغلق دون أن تصدر المزيد

من الأصوات!

اعتدلت في وقفتها وفكّت عقدة جلبابها مخفية ساقها

عن الأعين ثم انتظرت دخول من وصل.

اتسعت عيناها عندما وجدت الحاج جمال أمام عينيها

مبتسما بظفر، حاولت النطق بأي شيء لكن الكلام فشل

في الخروج من شفيتها، وهو مع كل ثانية يزيد اقترابه

منها خطوات..

"مالك يا سوسن متخشبة كده ليه؟"

تكلمت أخيرا بخوف بينما تتراجع بخطواتها للخلف؛

"إيه اللي جابك دلوقتي يا حاج؟ ست أبرار خرجت"

ضحك وقال: "طب ما انا عارف انها مش موجودة، عشان

كده جيتلك"

جحظت عيناها وتوقفت خطواتها؛

"جيتلي أنا؟! ليه؟ عايز إيه مني؟"

اقترب منها وقيد يديها خلف ظهرها مانعا حركتها، بينما

يقول بهيام: "انتي حلوة أوي يا سوسن، حلوة ومش

دريانة بجمالك وبتخبية عن كل عين"

حاولت التملص منه لكن قوته كانت أكبر منها بكثير،

لتقول بغضب: "سيبني يا حاج، ايه اللي بتعمله ده، عيب

على سنك؟!"

قربها منه أكثر بينما بيده الحرة يحدد ملامح وجهها:

"طب ماتسبيلي نفسك يا سوسن وانا هوريكي سني ده

واللي يقدر يعمله"

استطاعت تحرير يديها منه، فأسرع يقيدهما خلف ظهرها

مرة أخرى خوفاً من هربها، ليقول بمهادنة وتهديد: "اهدي كده واسمعي الكلام وأنا مش هعملك حاجة، هندردش

بس مع بعض، لو عصلجتني هوريكي وش تاني

ماتتخيليهوش يا سوسن"

ثم أحكم قبضته حول وجهها ليقرب بضمه من وجنتها

يلثمها برقّة خادعة: "قوليلي بأى، إنتي عندك كام

سنتر؟"

حاولت إبعاد وجهها عن مرمى شفتيه بينما تقول بخفوت

وخوف: "مش عارفت، بس أمي قالتلي من يبجي سنتين

كده إن عندي 18 سنتر"

جحظت عيناها عندما عاجلها بقبلة لشفتيها، حاولت

الصراخ لكنه لم يترك المجال لها، فقامت بعضه ليبعد

عنها والشرر يتطاير من عينيه.. لم يتركها، بل أنه اقترب

منها ثانيةً يقبلها بعنف ورغبة وهو يردد:

"مش هسيبك يا سوسن؛ إنتي حلوة أوي..."

أحدهم يرغبها، يراها جميلة، بل ويأخذها عنوة كي

يأسر جمالها.. ماذا تتمنى أكثر من ذلك؟!)

صراع عميق بداخلها، بين عادات وتقاليد تربت عليها

طوال عمرها، وبين ما تشعر به الآن.. دار بعقلها، آيت

وحبيبها، رعوف وأخته إسراء، والدتها، أختيها عائشة

وأسماء، كل عريس جاءها وأعجبت به لكنه لم يُعجب

بها.. كل تلك الأفكار أثارتها قبلت، بل قبالات إن صح

القول لترجع كفتة القبل على كفتة كل الأفكار

والمعتقدات والتربية والأخلاق.. شعرت بلمس يده على

بشرة جسدها؛ فأغمضت عينيها تاركة له ولها العنان،

لتتمتع الآن بذاك الشعور للحظات، فقط لحظات، لحظات
مسروقة ربما لن تُعوّض ثانية، وبعدها ستفكر في كل
شيء..

وأي شيء..

أوراق الياسمين

الفصل السادس

كانت في دوامة لا تعي أي شيء حولها، مشاعر كثيرة
 طغت على جميع حواسها فأصبحت منفصلة عن كل
 العالم..

كلماته أسرتها، وأفعاله قضت على البقية الباقية من
 تعقلها، كأنه يعرف بالضبط وترها الحساس وقضى كل
 الوقت في اللعب عليه .. حتى أحست بمن يناديها من
 بعيد، وبمن يضرب على بشرة خدها بلطف:

"سوسن، اصحي، يا بت اصحي أبرار جات"

فتحت عينيها ليقابلها وجه الحاج جمال القلق بشدة،
 دقائق مرت حتى استوعبت ما يقوله بينما هو استقام
 يرتدي ملابسه على عجل .

اعتدلت في السرير ترفع الغطاء حتى كتفيها العاريين،
تتلصت حولها بحثًا عن ملابسها لتجده قد انتهى من ارتداء
ملابسه وجلب خاصتها، قائلاً بقلق: "البسي بسرعة وادخلي
الحمام اغسلي وشك واستخبي فيه عقبال ما افتحها

عشان شكلها نسيت المفتاح"

أخذت ملابسها منه وشرعت في ارتدائها، ثم استقامت
تجري باتجاه الحمام الخاص بالمنزل.

دقائق حتى سمعت صوت السيدة أبرار تقول بحزن:
"ياريتني أخذت المفتاح ولا إني أصحيك من عز نومك
كده يا جمال، أسفة والله ماكنت أعرف إنك جاي

بدري كده"

ليقول جمال بصوت ناعس كأنه بالفعل لتوه قد استيقظ
من النوم: "لا يا حبيبتي ولا يهكم"

"أمال فين سوسن؟ ماشوفتهاش لما جيت؟"

ليجيب بثبات يُحسد عليه: "شوفتها أول ما جيت كانت
بتنضف الصالمة، وبعدين دخلت نمت ومادريتش بحاجة.."

هتروح فين؟، أكيد ف الشقرة"

لتبدأ أبرار في مناداتها وهي كانت داخل الحمام تحاول
استعادة ثباتها، حتى أخذت نفسا عميقا وقررت الخروج

والمواجهة.

"نعم يا ست أبرار، أنا هنا"

عقدت أبرار حاجبها عندما رأتها، لتتهف بجزع:

"مالك يا بنتي وشك أصفر كده ليه؟"

أجابت بتلعثم: "لأ ولا حاجة، يمكن ه الشغل بس"

اقتربت منها تعالين وجهها عن قرب: "لأ يا سوسن نوع الشغل

كفاية كده عليك، ده وشك زي اللمونة يا بنتي،

وابقي روحي لدكتور أحسن يكون عندك أنيميا"
 أخفضت وجهها مجيبةً بخضوع: "حاضر يا ست أبار، عن
 إذنك همشي دلوقتي عشان مش هقدر أكمل"
 "امشي يا حبيبتي ربنا يطمنا عليك، اتغذي كويس
 يا سوسن"

تمتت بـ (حاضر) ثم انصرفت من أمامهما، ونظرات جمال
 جعلتها تبتلع ريقها وتسرع من خطواتها.

لم يصدق ما سمعه، نسرین تسرق؟! هذا افتراء بين!
 الفتاة التي رفضت أن يدفع هو ثمن دواء والدها وجاءته
 تمنحه ثمنه بكل إباء لا يمكن أن تسرق أبدا..
 يدور حول نفسه ولا يعلم كيف يتصرف، لقد وعد والدها
 أن يعيدها إليه بسلام ولكن كيف؟! هذا هو السؤال.

يعلم أن هناك سر بالأمر والسر كله يدور حول صاحب
العمل ولا بد أن يكتشفه وما إن هم بالخروج من غرفته
الخاصة بالورشة حتى أوقفه صوت الأسطى حسين؛
"فيه واحدة عايزاك يا اسطى إسلام"

عقد حاجبيه بدهشة، فهو وأنثى لا يجتمعان أبدا فمن
تلك التي تريده؟! ولم تريده؟!

خرج إليهما ليتجمد مكانه، يتذكرها.. أجل نفس الفتاة
التي أخبرته أن عليه ليس بالمحل رغم تأكده أنه
هناك عندما ذهب للاستفسار منه والاتفاق معه أن يدفع
أيًا كان ما سرقة نسرين - والذي هو على يقين أنها لم
تسرقه- ويتنازل هو عن اتهامها ويحررها، ولكنه لم يرد
افتعال مشكلة من أجلها فأثر الصمت والرحيل بهدوء
على أن يحاول مرة أخرى.

"شكلك افتكرتني يا أستاذ إسلام؟"

قالتها الفتاة بنبرة قلقة ليومئ برأسه قائلاً: "أيوة انتي اللي

بتشتغلي مع نسرين ف المحل، خير عايزة ايه؟"

نظرت ل حسين بقلق قبل أن تقول: "مممكن نتكلم

لوحدها"

أشار لحسين فأوما برأسه وتركهما بمفردهما فأشار لها أن

تجلس وقبل أن يسألها قالت: "أنا مش جايت أقعد ولا

أتضايف أنا جايت اقولك ان نسرين بريئة وماسرقتش

حاجت"

"مجيبتيش حاجت جديدة، عارف، السؤال هنا انتي

ايه ال مخليكي متأكدة انها مسرقتش وانتي

متعرفيهاش؟"

"أنا معرفهاش من زمان اه بس اعرف عليه كويس اوي

وعارفتة اللي حصل رغم اني مكنتش موجودة اليوم ده"
اشتعلت عيناه وهو يرى أن حدسه كان صحيحا وأن هناك
ماهو خطأ بالأمر ..

"وايه اللي حصل؟!"

سألها بترقب لتأخذ نفسا عميقا ثم قالت: "حاول معاها زي
ماحاول مع كل واحدة شغالتة ف المحل وبتعجبه"
قبض على كفيه بقوة وعروقه تكاد تنفجر بداخله من
الغضب، الحقيير! هل تجرأ واقترب منها؟!

فجأة استعاد عقله مشهدها والدم الذي يلوث ثيابها!

هل تمكن منها الوغد؟!!

لم يستطع النطق بكلمة واحدة ليسمعها تقول: "عندي

اللي يخليه يتنازل عن المحضر ورجله فوق رقبتة"

نظر لها ومازالت الحروف هاربة منه لتتابع غير منتبهة

لحالته: "عندي صور له مع بنات تانية في اوضاع مش اد
 كده، وكمان فيديو له مع واحدة هيتفضح بسببه لو
 اتنشر، هددته انه لو ماتنازلش عن المحضر وخرج نسرين
 انك هتبعث الصور لمراته"

رفع حاجبه باستهجان وهو يقول: "مراته؟! هو المحروس
 متجوز كمان؟!"

أومات برأسها تخبره: "ايوة متجوز وهي صاحبة المحل في
 الاصل وكل مدة بتيجي تمر عليه وهو بيخاف منها وبيقلب
 بطة بلدي قصادها، لو هددته بيها وبالصور وبالتسجيل
 كمان هينفذ كل اللي انت عايزه ورجله فوق رقابته"
 "وانتي هتستفادي ايه من كل ده؟!"

سألها بحيرة لتقول بهدوء يخفي بين طياته ألما لا حدود
 له: "هبراً ذمتي من كل البنات ال اذاهم وانا عارفت"

ومقدرتش اتكلم، هيخاف لما يعرف ان فيه حد يقدر
يوصل لمراته خاصة لما يقولها على الشقة اللي واخدها
من وراها وبيأخذ البنات فيهم ويهددهم لو معملوش اللي
عايزه هيوديهم في داهية زي ما عمل مع نسرين،
أكيد هددته انها تبلغ عنه البوليس عشان كده سبقها
هو"

لم يقتنع بأسبابها ولكنه لم يهتم فما يعنيه حقا هو
نسرين، سيحررها ويوفي بوعد لوالدها ولن يلتفت لأي
شيء آخر.

مشادة كلامية أخرى مع والدتها، والسبب كعادة الحال
(عريس).. زفرت بقوة وجلست على كرسي أمام طاولة
الزينة، ثم رفعت يدها تمردها داخل خصلات شعرها..

دائماً ما عانت -على عكس المتوقع- من جمالها، أيعقل أن
يتسبب جمال أحدهم في عقدة له؟! تلك هي!
منذ نعومة أظافرها ومن حولها جميعا يمتدحون جمالها..
بداية من شعرها البني الفاتح، نزولا لعينيها الخضراوين،
أنفها الدقيق، فمها الصغير بامتلاء جذاب، ووجنتيها
الحمراوين طيلة الوقت، وجسدها المتناسق...
في أي مكان توجد فيه لا يظهر غير جمالها، ومنذ صغر
سنها ووالديها يحاوطانها بزجاج غير مرئي خوفا من أن
تُكسر في أي وقت.. وبالطبع هذا ما يجلب انطبعا لأي
شخص أنها (ورديّة وناعمت) لأقصى حد.. حتى عندما
ازداد عمرها ظلت نفس الفكرة مترسختة، لا اعتبار
لتفوقها الدراسي، ولا لقوة شخصيتها، ولا رجاحة عقلها،
ولا بُعد تفكيرها ومنطقيته، ولا لسبقها تفكيرا من هو

في مثل سنها.. لا اعتبار لأي من هذا ،
 وعندما يأتيها الخطّاب يكون لجمال شكلها، فقط لا
 غير.. حاولت مرارا أن توضح وجهة نظرها، أن تفرض
 شخصيتها وتبرزها على نعومة شكلها، لكن أيضا لا
 فائدة.. فمع الوقت تحوّلت تدريجيا لتلك الجامدة،
 الصامتة، الجادة، تغلق جميع الأبواب في وجه أي ذكر
 يتقرب منها، حتى ثيابها تغيرت فأصبحت أقرب لملابس
 الرجال؛ كأنها تحاول إخفاء نفسها عن الأعين، طمس
 جمالها الذي وهبها الله إياه، ورفع شعار (ممنوع الاقتراب)
 لكل من تسول له نفسه.

فُتح الباب بقوة أفرعتها، بينما والدتها تهتف:

"بتعملي ايه عندك يا كاميليا؟"

أجابت بضيق من هذا الحصار: "ما بعملش حاجة يا ماما،

ببص على نفسي ف المراية"

ضربت والدتها على صدرها بجزع: "اتجننتي يا بنت

بطني؟!"

اقتربت منها تحاول تحريكها من أمام المرأة: "قومي من

عندك مش ناقصة مجانيين ف البيت، وتعالى يلا ورانا

شغل كثير"

تأففت وطاوعتها حيثما أرادت أن تذهب بها، لتجلس على

أقرب كرسي ولا زال عقلها يضكر ويضكر.

عادت للمنزل بأعجوبة وكل أعصابها متوترة، رجليها لا

تحملائها وبالكاد تجرّها كي تصل.. دخلت الحمام تنزع

عنها ملابسها ثم وقفت تحت الماء المتدفق فوق رأسها

لينساب على طول جسدها، تتذكر كل ما حصل كأنها

كانت مغيبة حينها والآن أفاقت واستعادت ذاكرتها..
 وضعت يديها على وجهها بخزي وهي تتذكر استسلامها
 لجمال، مجرد كلمات جعلت منها هلاماً، وبضع لمسات
 أنستها كل ما حولها، هل كانت مُحطمة لهذه الدرجة؟
 هل اشتياقها لشعور (كيف تكون أنثى) جرفها لتلك

الهوة؟!

لا تنكر أنها بين يديه شعرت بكمال أنوثتها وجمال
 كل شبر فيها، كانت تكتشف بها جمالا جديدا، من نوع
 خاص تتفرد به وحدها - كما أخبرها جمال-...

فأصبحت سمرتها كلون الشوكولاتة الفاتحة ذات المذاق
 الحلو، وخصالاتها المجعدة الشقراء كأساور ذهب متراصتة
 ومتشابكة في بعضها، وقوامها النحيف قوام مثالي
 كعارضات الأزياء المشهورات.. شفتيها بامتلائهما الزائد-

مثاليتين، وعينيها الضيقتين بنظرات قط نعان.. لقد
اكتشف الأنثى فيها، نبش عنها وأسقاها حتى نبتت أوراقها
وازدهرت.

أغلقت محبس المياه وخرجت تلف جسدها بالمنشفة
لتقابل والدتها..

"انتي جيتي امتي يا سوسن؟ ما حسيتش بيكي"
أجابتها وهي تهرب من لقاء عينيها: "من نص ساعة كده
يا أمه"

اقتربت منها مقطبة حاجبها، لتسألها بتعجب:
"إيه اللي ف رقبتهك ده يا بت؟ انتي اتخبطتي ف حاجة؟"
اتسعت عيناها وهي تضع يدها حيث تنظر والدتها، لتقول
بسرعة: "اه، اتخبطت يا اما ف باب الشقة عند الست أبارار"
أجابت بعصب: "مش تاخدي بالك يا بنتي.. يلا روجي"

اتغدي احسن شكلك تعبان"

أومات برأسها وذهبت من أمامها مسرعة متجهة إلى غرفتها،
ودقات قلبها تتقاذف رعبا.

كان متجها لسيارته التي صفها بالشارع الخلفي للمحل
عندما شعر بمن يسير خلفه، لم يلق بالا لذلك فريما
أحدهم ذاهب لسيارته أيضا.. توقف أمام سيارته وما إن هم
بفتحها حتى شعر بمن يقف خلفه التفت سريعا ظنا منه
أنه لص ليفاجأ بشاب بأوائل الثلاثينات بجسد عضلي
ضخم ونظرة مخيفة تحتل عينيه..

"انت مين وعايز ايه؟"

قالتها عليه بخوف ليرد عليه إسلام: "انا مين مالكش صالح
بيها، اما عايز ايه؟ فانا عايذك تشوف الصور دي قبل

مانتكلم"

التقط الصور من بين يديه بقلق ما لبث أن تحول لرعب وهو

ينقل بصره بين الصور وإسلام ليقول بقلق؛

"انت عايز ايه بالزيط؟!"

"تطلع نسرين من الحجز وتتنازل عن المحضر، وتبطل اللي

بتعمله في بنات الناس اللي بيجولك محتاجين شغل

فتستغل حاجتهم وفقدهم وتتعدى على عرضهم"

"وانت مالك ومال البت دي تكونش ماشي معاها؟!"

ثم يكده ينهي جملة حتى عاجلته لكمة قوية من

إسلام كادت تفصل رأسه عن جسده ليتأوه بقوة قبل أن

يلاحظ وجود آخر معه أكبر منه بالسن يمسك به

قائلاً: "اهدي شوية يا بني خرينا نخلص"

ثم التفت إلى عليه قائلاً: "بص يا جدع انت من الآخر

كده تطلع نسرين من الحجز وتحترم نفسك وتبطل
تتعدى على بنات الناس والصور هتفضل ف الحفظ والصون
عشان نضمن انك متعملش حركة كده وال كده

معانا"

قالها حسين بهدوء ليهتف عليه بتحدي؛ "ولو معملتش

كده؟"

كاد إسلام يقترب منه مرة أخرى ليمسك به حسين
ويهتف هو؛ "لو معملتش بقى يبقى قولت على نفسك
يارحمان يا رحيم، الصور هتتبع لمراتك وعيلتها وانت
ادري بقى هم هيعملوا فيك ايه، وماتتكرش انها صور
بس لا ده عندنا كمان فيديو ليك مع واحدة من اياهم،
شوف بقى عيلة مراتك لو شافت الحاجات دي هتعمل
فيك ايه"

اتسعت عيناه بخوف وهو يرفع يده قائلاً: "لا.. لا انا هطلعها

وهتنازل عن المحضر وفوقه بوستة كمان"

"مش عايزين حاجة من وشك، وحسك عينك اعرف

انك قرّبت لواحدة تاني.. الله ف سماه ماهرحمك"

قالها إسلام بتهديد ليومئ له سريعاً وهو يقول: "لا.. لا

خلاص توبت، انا كرهت الستات كلهم"

"يكون احسن برضه، ياللا قدامنا على القسم عشان

تتنازل عن المحضر"

قالها حسين ليقول عليه: "د لوقتي؟!"

"لا السنّة اللي جايت، انت هتستعبط؟!"

قالها إسلام وهو يقترب مهددا ليتراجع عليه للخلف قائلاً:

"حاضر حاضر هعمل اللي انتوا عايزينه".

جالسة فوق مقعد متهاك ب(الحجز) كما يطلقون عليه
تنتظر ما سيؤول له حالها، تريد أن تقتله بل ليتها قتلته
حقا وتأكدت من ذلك.. الحقيير يساومها على شرفها من
أجل إطلاق صراحها، يظنها لقمته سائغة لأنها فقيرة ولا
سند لها ولا يعلم أنها أكثر رجولة من ألف رجل من
شاكلته إذا كان ينتمي للرجولة من الأساس..
أغمضت عينيها والقلق يتآكلها على والديها، لقد سمعت
صراخ والدتها فهل حدث لوالدها شيء؟! أم ... قاطع
أفكارها نداء الشرطي باسمها لتنتفض واقفة تنظر إليه
بوجل ليهتف:

"امشي قدامي حضرة الزابط (الضابط) طالبك"

سارت معه تخشى أن يخبرونها بشيء سيء عن أهلها،

لا تفكر بمصيرها فلا يعينها سوى والديها وحالهما من

بعدها، بالتأكيد إسلام سيعتني بهما، هي على يقين من

ذلك..

دلفت للغرفة مع الشرطي لتجده أمامها لتهرع إليه قائلة:

"إسلام! أبويا وامي كويسين؟! طمني ابوس ايدك"

اسمه من بين شفيتها بهذه الطريقة جعل قلبه يهدر بعنف

داخل صدره ليجيبها بكل ما استطاعه من هدوء ورزاق:

"ما تلقيش يا نسرين، كلهم زي الفل ومستنيينك"

وقبل أن تساله كان الضابط يعلن إطلاق سراحها لأن

صاحب المحل عليه تنازل عن البلاغ المقدم ضدها وهو

يعلن عن خطئه وأنه كان مخطئا بحقها..

"المعلم عليه اتنازل عن المحضر وقال انه غلط وانه لقي

الحاجات ال افتكر كسرقتها ومطلعتش مسروقة وطلع

الغلط من عنده"

نظرت للضابط بذهول قبل أن تلاحظ أن عليه بنفس
المكان وهي التي لم تلاحظه في غمرة خوفها وقلقها على
والديها..

"مش واجب برضه يا حضرة الزابط المعلم عليه يعتذرلها،
كفاية الشوشرة التي حصلت على سمعتها بسببه في
الحتة ودي بنت ومالهاش غير سمعتها في وسط الناس"
كان يتحدث وهو ينظر لعلوه بتحدي أن يعترض على
كلامه ليسرع الآخر بالاعتذار قبل حتى أن يتحدث
الضابط..

"حقك عليا يا ن.. يا أنست، ولو عايزة تعويض كمان انا
مستعد و..."

"مش عايزة غير اني ماشوفش وشك ثاني"

قاطعته نسرين بجفاء ليومى برأسه موافقا دون حديث

والضابط يرمقهم بنظرة غامضة يكاد يشعر بما يدور
حواله ولكنه اختار تجاهل الأمر حتى لا يسيء لسمعة
الفتاة والتي تبدو رغم فقرها عفيفة وذو عزة نفس
وكبرياء..

خرجت مع إسلام من قسم الشرطة وهي تشعر بالحيرة..

ماذا فعل حتى يتنازل الآخر عن اتهامه لها؟!

تشعر بالامتنان عميقا بداخلها ولا تعلم كيف تعبر عنه!

هل تشكره؟! هل تسأله كيف فعل ذلك؟! هل....؟!!

قاطع سيل أفكارها صوته وهو يقول: "انتي رايحت فين؟

اطلعي ياللا اما اوصلك"

يشير إلى سيارته والتي تراها للمرة الأولى فدوما كان

يستقل الدراجة البخارية فمتى اشترى سيارة؟!!

نقلت نظرها بينه وبين السيارة بحيرة ففهم نظراتها وقبل

أن ينطق كان الأسطى حسين يطل من نافذة السيارة وهو
 يقول: "يا لالا اركبي يا نسرين ده انتي دماغك ناشفت
 اوي، كنت فاكرك الحكومة عندي بس ال دماغها ناشفت
 بس واضح ان النوع كله كده كبار وصغيرين"
 لو تتمالك نفسها وهي تضحك قائلتة بمزاح: "لا خلاص
 هركب اهو بس خلي بالك انا هبلغ الحكومة بالكلام
 ال قولتة عنها ده يا عم حسين"
 "اخش عليك يا نسرين كده يهون عليك عمك
 حسين يبات على السلم"

هذه المرة كان إسلام من انفجر ضاحكا لتتظر له
 بانشدها تلاحظ ربما للمرة الأولى وسامته الممتزجة
 برجولة تميزه عن غيره من الرجال، يبدو أن فتيات حيها
 على حق فهن يتحايان بكل الطرق حتى يلفتن نظره

إليه ولكنه لم يلتفت يوما لإحداهن وهي الآن تتوق

لمعرفة السبب !

رجل بوسامته الخشنة، بلحيته التي تزين وجهه وعيونه

التي تنبض بحنو يغمر من تنظر إليه على الفور، ورجولته

التي تشع بهالة قوية من حوله وعمره الذي تعدى الثلاثين

بسنة أو اثنتين لم لم يتزوج حتى الآن؟! ما السر حول

تمسكه بعزوبيته بهذه الطريقة؟! أم أن هناك امرأة

بالفعل وهي فقط لا تعلم؟!!

أفاقت من أفكارها الغريبة بشأنه على وصولهم إلى الحي

لترجل من السيارة شاكرة لهما معا وهي تشعر بالخجل من

تحديقها وتفكيرها الغريب بإسلام وكأنه قبض عليها

بالجرم المشهود .

وما إن دلفت للبنائية التي تقطنها حتى سمعت صوت صراخ

أوراق الياسمين

قادم من الشقة التي تسكنها مع والديها ليتوقف قلبها

قلقا.

طرقات عالية على باب شقتها ورنين جرس مستمر بإزعاج

جعلها تنتفض من نومها لتهرع للخارج وهي تلتقط مئزرها

سريعا تفتح الباب على عجل لتفاجأ بحماتها أمامها

لتهتف: "فيه ايه يا مرات عمي؟ بتخبطي كده ليه حاجة

حصلت؟!"

لوت حماتها شفتيها وهي تقول: "صحي النوم ياختي،

ناموسيتك كحلي ما بدري يا عروسة هتفضلي نايمت لحد

المغرب وال ايه؟! قومي انجري اعلمي الاكل وال انا

هخدمك كمان؟!"

زفرت بحنق قائلة: "وهو ده ال مخليكي تخبطي عليا جامد

كده، وقعتي قلبي انا قولت فيه مصيبة حصلت، طيب
 مانا كل يوم بعمل الاكل ايه الجديد يعني؟!"
 نظرت لها حماتها بغيظ لتقول: "مصيبة تشيلك وتخلصني
 منك، ايه يابت البجاجة دي؟ وبعدين ياختي خضي على
 الواد صحته مش هتستحمل دلح وقلته ادب كل يوم كده،
 وينزل متأخر على شغله وابوه يتضايق منه"
 شهقت بصدمته من كلام حماتها قبل أن تقول بدلال
 مستفز: "قوليله هو يخف عليا، أصله مبيقدرش يبعد
 عني خالص"

جحظت عيناها وهي تقول لاوية شفتيها: "على ايه حبة
 عيني؟ ده انتي عاملة زي الخلطة اللي فيها زتونايتة، بلا
 وكستة وده جسم ده؟ اشحال ابني ال بيعب الرمرمة"
 اتقدت عيناها بغضب لترفع صوتها قائلة: "رمرمة ايه يا

وليت يا خرفانة انتي؟ بطلي غيرة يا وليت وال عشان انا
احلى منك ومن بناتك الاتنين المعنسين اللي قاعدين
جنبك؟! "

همت حماتها بالرد عليها لتلمح ابنها وهو يصعد درجات
السلم ورغم غيظها لعودته المبكرة أيضا اليوم إلا أنها
قررت تستغل الفرصة لتشعل النيران بينهما: "بقي كده
يا لبنى يا بنتي، بقي عشان بنصحك وبوعيكى
تشتمينى وتهينينى كدهو؟ طب راعي انى اد امك، وال
راعى انى ام جوزك ال ساترك ومقدرك"

نظرت لها بدهشة من تغير نبرتها وقبل أن تستوعب هدر
صوته: "مين دي ال تشتمك وتهينك يا امه؟! لا عاش ولا
كان ال يعمل كده وانا على وش الدنيا"

اصطنعت الارتباك أمام أسعد وهو تقول: "لا يا أسعد مفيش

حاجت يا بني دي ابني دي زي البلسه"

وأكملت بداخلها..(تتخطع الجرح يورم)..

"هروح احطلك لقطمة تاكها يا حبيبي زمانك على

لحم بطنك من صباحية ربنا، معلى مراتك عروسة

بقي وبتدلع"

تركتهما وهي على يقين أنها أشعلت فتيل الحرب بينهما

وقد كان..

دلف الشقة واغلق الباب خلفه وهو يلاحظ أنها مازالت

بملايس النوم: "انتي كنتي لسه نايمة يا لبني؟"

"احنا لسه الساعة واحدة يا أسعد ومامتك صحتني

مضروعة من النوم خبطت كان البوليس كابس على

الشقة"

رمقها بغضب وهو يقول: "اتكلمي عن امي عدل يا لبني

مش عشان مبحبش ازعلك تسوقي فيها، كفايتا انها
بتداري عليكى وهي ال بتخدمك كل يوم"
اشتعل غضبها: "مين ال بتخدمني انت بتصدق الكلام ده؟!
ده كل يوم بتشغلني كاني خدامتة عندها من طببخ
لغسيل لمسيح وتنظيف وال عشان انا مبتكلمش يعني
يا أسعد؟!"

"ياسلام وانتى بقى ال طبختى النهاردة؟! ما كل يوم
بمشي من غير فطار وبسببك نايمتة ولما اجي مش بلاقي
الا امي تحت وانتى هنا قاعدة تتزوقي وبس الا ماشوافتك
مرة بتعملي حاجة تحت"

اتسعت عيناها بصدمتة: "انا ما بعملش حاجة يا أسعد؟! امال
مين اللي كل يوم تنصف وتطبخ؟! انت عشان جاي بدري
النهاردة وانا راحت عليا نومتة وبسببك وال انت ناسي مين

ال بيسهرني كل يوم؟!"

"وانتي مش ست زي باقي الستات؟! ماكلهم بيعلموا شغل بيتهم وبيريحوا اجوازهم، انتي اللي واخدة على الدلع والمرقعة، على الله تاني مرة اجي الاقيكي هنا وامي اللي بتشتغل في البيت، تصحي من النوم تنزلي تشوفي اللي عايزاه وتعمليه من سكات يا اما هيكون ليا كلام

تاني معاكي"

اشتعلت عيناها بغضب وصوتها يعلو قائلة: "لا بقى انا مش الخدامة اللي انتوا اشتريتها عندك اخواتك المعنسين مايشغلوا هم، انا هشتغل في شقتي وال في شقتي امك؟!"

و.."

قاطعتها صفعه قاسية جعلت رأسها يدور للجانب الآخر وهي تسمعه يقول: "صوتك مايعلاش عليا تاني، يا اما

قسما عظما ادفنك مكانك انتي لسه متعرفيش اسعد
 كويس فاتقي شري احسنالك، اما بقى حكاية اخواتي
 المعنسين دول ال كل شوية تقوليها فاحب اقولك ان
 لوليا انا كنت هتبقى معنسة برضه بس مش معنسة بس
 لا معنسة وفي سريري ومن غير جواز، تحبي افكرك وال
 انتي فاكرة لوحدك؟! والله أعلم كنت انا بس وال فيه
 حد غيري كمان"

تركها صافعا الباب خلفه بقوة جعلتها تنتفض وهي تنظر
 بإثره وقلبها محطما لأشلاء!

زوجها، حبيبها، وابن عمها صفعها وجرحها بكلماته،
 يذلها بأفعالها معه قبل الزواج.. هي فعليا لم تفعل شيئا
 سوى السماح له بتلك القبلة اليتيمة يوم تقدم بطلب
 يدها وكانت مغيبة وقتها من فرحتها فقط، أخطأت

وتعترف ولكن هذا كان دليل حبا لها لا أكثر ولكن
 أن يتهمها بتلك الأشياء الفظيعة ويصفعها أيضا!!
 رفعت رأسها تمسح دموعها بقوة وهي تتجه نحو الغرفة
 تبديل ملابسها وتلتقط حقيبتها وتذهب لمنزل والدها.. لن
 تظل معه مهما حدث، لن تظل مع من صفعها وذلها وأهانها
 بتلك الطريقة القاسية أبدا .

عادت من رحلة بحثها عن عمل مرهقة تكاد تموت جوعا،
 حملها يجعل وضعها أصعب.. تم طردها من المخبز بسبب
 الحمل فقد أثر على صحتها الضعيفة من الأساس فطردها
 صاحب المخبز ومن وقتها وهي تدور بالشوارع يوميا تبحث
 عن عمل تقنيات منه فلن تظل تقبل مساعدات حمدي
 كثيرا، هي تقبلها على مضض.. حسنا هي لم تقبلها حقا

ولكنه لا يترك لها الفرصة لترفض بل تعود كل يوم
لتجده قد أحضر مشتريات للمنزل ولم تستطع الاعتراض
ليس من أجلها ولكن من أجل جدتها التي وهن جسدها من
الفقر وقلّة الطعام إن لم يكن انعدامه .

رحلتها اليوم باءت بالفشل أيضا، زفرت بحنق وهي تصعد
الدرجات المتهاككة لتنتفض بأخر درجة مؤدية للغرفة
خاصتها وهي تجد من ينتظرها بالظلام..

"مين؟!"

قالتها بخوف ليصلها صوته مطمئنا: "انا يا ست نرجس

تعالى متخافيش، معلى اللبنة شكلها اتحرقت هبقى

اركبلك لمبة ثانية"

هدأت نبضات قلبها تدريجيا وهي تتواصل الصعود ليقف

أمامها قائلا: "مش كفاية مرطمة كل يوم؟ هو انا قصرت

معاكم في حاجة لا سمح الله؟!"

" لا أبدا يا سي حمدي، انت قايم بالواجب وزيادة بس انا

لازم اشتغل ماتعودتش اقعد من غير شغل كده"

"بس ده تعب عليكى شوفي وشك اصفر ازاي؟"

قالها حمدي وهو يلمس وجنتها بطريقة بدت عضوية

لتعود برأسها للخلف ليقترب منها ببطء حتى حاصرها بين

الجدار خلفها وجسده ليقول وهو يمر بيده على جسدها

بخفة: "وال جسمك خس ازاي، انتي حامل لازم ترتاحي

وتتغذي كويس عشان اللي في بطنك، انتي ارتاحي وانا

هجييلك كل حاجة لحد عندك"

ارتجفت بخوف تكبح صرخة كادت تفلت منها لتقول

بصوت مرتجف وهي تحاول التملص: "انا كويستة كده

ومرتاحة، كثر خيرك"

كل محاولاتها باءت بالفشل وهو يحاصرها قائلاً: "بس انا
عايز اريحك اكثر، اريحك ف كل حاجة، اكل وشرب
و.. كل ال تحببته، اللي زيك تقعد كده برنسيستة
والكل يخدمها، وانا مش طالب غير الرضا وهخليكي
برنسيستة يا... حلوة"

كادت تبكي حظها.. أتخلص من حلمي حتى ولو دون
طلاق حتى يظهر لها شقيقه! ماذا فعلت حتى يكون هذا
عقابها؟!

"انت ناسي اني مرات اخوك حتى لو هو مش موجود بس
هو جوزي وماينفعش ال بتقوله ده"

قالتها متظاهرة بالشجاعة ليهتف: "ماهو طلقك يا حلوة
انتي لسه مادريتيش؟ وورقة طلاقك معايا كمان"
أخرج ورقة من جيب السروال الذي يرتديه وأعطائها لها

تناولتها منه بأصابع مرتجفة لتمر عيناها على الكلمات
 وقبل أن تزفر براحة أنها أصبحت حرة منه سمعت حمدي
 يقول: "انا مش طالب جواز رسمي يعني مش مهم نستنى
 العدة تخلص، ورقته عرفي ولا من شاف ولا من دري، ها
 قولتي ايه؟!"

همت بالرد ليقاطعها شهقة ألم خرجت منه لتجحظ عيناها
 وهي ترى عنايات زوجته وهي تضربه بقوة ب(شومر)
 وتصيح: "بقى يا عرة الرجالة تسيبني انا وتجري ورا
 المخضية مرات اخوك؟ وكمان عايز تتجوز عليا؟! ده انا
 هخلي اللي ما يشتري يتفرج عليك انت والسنكوحه
 بتاعتك"

"ابوس ايدك انا ماليش دعوة جوزك عندك انا لا عايزة
 اتجوز ولا عايزة اي حاجه من حد سيبوني في حالي بس"

"ايوة ياختي اتمسكني، مش عليا انا الحركات دي

ياختي، صحيح ياما تحت السواهي دواهي وانا اللي

فاكراكي طيبة اتاريكي مايه من تحت تبين"

"بس يا عنايات بلاش فضايح تعالي بس نروح بيتنا وانا

هفهمك على كل حاجة"

"ماشي يا حمدي ها جي معاك"

ثم نظرت لئرجس قائلة بوعيد: "اما انتي بقى قدامك

يومين وتمشي من هنا خالص يا اما وديني لهخلي سيرتك

على كل لسان اكرماهي"

جرها خلفه وهو يحاول أن يجعلها تصمت حتى لا تفضحه

بالحي وهو يلعن اليوم الذي تزوجها به.

هرعت للغرفة تختبئ وهي تشعر بالتعب من كل شيء،

كلما شعرت أن الدنيا تبتسه لها تفاعاً بها تكشر عن

أنيابها مرة أخرى .

"مالك يانرجس فيكي ايه يابنتي؟!"

"مفيش حاجة ياستي اعلمي حسابك على بكرة هنمشي

من هنا"

"ايه هنمشي نروح فين؟!"

قالتها جدتها بدهشة لتقول: "في اي حتة، خلاص معدش

لينا عيش هنا، حلمي طلقني ياستي واهله مش سايبيني ف

حالي خلينا نمشي من هنا يمكن ينسوني واخلص منهم

بقي"

شعرت أنها على حافة الانهيار فضمتها وهي تقول: "ماشي

يابنتي اللي تشوفيه انا معاكي فيه المهم راحتك"

أغمضت عينيها بألم وهي تفكر أن راحتها الوحيدة ربما

بالموت، فوقتها لن تكون علكة بضم الناس ولن يتعرض

لها أحد.

شهور مضت وحملها بدأ يظهر للعيان، كبر حجم بطنها
وزاد حملها فأصبحت تتحرك بصعوبة بالغة، بالإضافة
لصغر سنها وضعف بنيتها فكان الحمل خطرا عليها كما
أخبرها الطبيب، إلا أنها لم تبال، ولم يبال زوجها بالطبع،
بل إن معاملته لم تختلف معها ولم تتقلص أوامرته ولو أمراً

واحدًا.

كانت في المطبخ تنظف الصحون كالعادة عندما دخل
هشام (أخو زوجها)؛ ظل يتلفت حوله كأنه يبحث عما
يساعدها فيه، ليقول بقلق: "محتاجت مساعدة يا مرات

أخويا؟"

ابتسمت بصعوبة من بين آلام ظهرها: "تسلم يا باشمهندس"

ليضيف بقلته حيلته: "طب أعمالك حاجة تشربها ولا
أجباك أكل؟ باين عليكى تعبانة.. ريحي شوية طيب
وبعدين كملي"

اتسعت ابتسامتها قليلا بينما تتصبب عرقا من الألم:

"ماتحرمش منك، ده حتى أبلت لطيفة كانت لسه

عاملاي حاجة سخنة قالتلي هتريحك خالص"

تنهد ورفع أصابع يده يتخلل بها شعره، ثم أضاف وهو يهم

بالذهاب: "ربنا يقومك بالسلامة ويقويكي، أنا موجود ل

احتاجتي حاجة لغاية ما اخويا يبجي من بره.. عن إذحك"

ثم ذهب والتفتت هي لما كانت تفعله، والألم تزداد وطأته

كل دقيقة.

في المساء، ارتدت منامة باللون الأحمر من اختيار ربيع،

ثم بصعوبة بالغت تمددت على السرير لتطلق آهة خافتة
عندما لامس ظهرها سطح السرير.. دقائق وشاركها ربيع
الغرفة، وعندما وجدها ترتدي المنامة التي اختارها
اتسعت ابتسامته حتى آخرها هاتفا بحماس: "ليلتنا زي
الفل يا عسل"

اقترب يقبلها بنهم وهي غير مستجيبة معه، لا بالسلب ولا
بالإيجاب؛ ظنه خجلا منها؛ فتمادى، وتمادى، وهي لازالت
كالجثة الهامدة بلا حراك، حتى عينيها لم تفتحهما
أبدا.

ذرات قليلة من القلق بدأت تتسرب إليه؛ فخط على وجنتها
وهو يناديها: "زهرة، فوقى يا بت بلاش استعباط"
لكن أيضا لا حياة لمن تنادي..

ناداها بصوت أعلى، وأصبحت خبطاته ضربات موجعة على

وجنتيها، حتى أحس بدفء تحته ليفاجأ بماء يتدفق منها

ببطء قاتل.

حاول أن يعيد ثيابها عليها إلى حد لم يستر إلا القليل، ثم

ارتدى ملابسه وخرج ينادي أحدا يساعده.

"يا نجمة، يا لطيفة..."

قالها بصوت عال فخرجت المرأتان تحاولان ارتداء

حجابهما، وخرج على أثر الصوت هشام أيضا.

اقتربت نجمة من حيث يقف ربيع أمام باب الغرفة، قائلة

بقلق: "خير يا حاج؟ حسك عالي كده ليه ف عز الليل؟"

لينطق ببردو بينما يضح لهما الطريق: "زهرة بايتها

بتولد"

خبطت نجمة على صدرها متسعة العينين: "تولد ازاي يا

حاج؟ دي لسه ف أول الشهر السابع! أنا لسه كنت معاها

عند الدكتور الأسبوع الي فات"

أضاف بغضب: "انتي لسه هتحكي يا ام عقل فاضي انتي؟! "

ادخلي شوفي صرفت ف البت"

"حاضر ياخويا داخلته اهو"

كان يقف بعيدا يستمع للحوار الدائر بين أخيه وزوجتيه،

حتى علم بالأمر فودّ لو ذهب وساعدها، ولحسن حظه

تفاجأ من طلب أخيه: "هشام، خليك مع الحرير عشان لو

عازوا حاجة، وأنا هنزل تحت"

بعد دقائق قضاها هشام في قلق خارج الغرفة، وجد نجمة

تهرع إليه قليقة: "ربيع فين؟"

أجاب وقلقه يزداد: "نزل وقالي استنى عشان لو عوزتوا

حاجته... خير يا مرات أخويا؟"

"إلحقنا يا هشام، البت هتموت مننا.. تعالى شيلها نوديتها

ع المستشفى"

دخل مسرعا إلى الغرفة ليجدها نائمة كالجثة الهامدة،
حملها مسرعا وقلبه ينبض بعنف، خوفا وقهرا وضعفا..
ثم خرج ووضعها في السيارة متجها للمشفى، آملا أن
يتمكن من إنقاذ حياتها هذه المرة.

الفصل السابع

دخل بها إلى المشفى يحملها باحثًا عن طبيب يُسعفها،
حتى اقترب منه طبيب شاب... أفسح له الطريق إلى
غرفة الكشف وطلب من هشام أن يخرج حتى يعاين
حالتها.

مرّ وقت كان له طويل جدا حتى خرج الطبيب متجهم
الوجه وهو يسأله بتقرير: "انت جوزها؟"
أجاب بينما يقترب منه: "لا، أنا أخو جوزها.."
خير يا دكتور، طمني"

زفر بضيق وهو يتخصر بيد، بينما بالأخرى يمسح على
وجهه بغضب: "انتوا بتعملوا ايه ف البنت؟! هي مش
بتتابع مع دكتور من أول الحمل؟"

أجاب هشام بحيرة: "اللي أعرفه انه بيروحوا لدكتور

كل فترة"

ليقول الطبيب: "إزاي بتروح وإزاي الدكتور ماخادش باله

من اللي هي فيه! حالتها متدهورة وربنا أعلم مصيرها إيه

هي واللي ف بطنها"

أضاف بغضب: "وبعدين هو أخوك ده غبي! هو مش عارف

إنها حامل، ده غير إن جسمها ضعيف، هو غشيم للدرجة؟

مش قادر يصبر عليها ف يقوم يعاملها بالهمجية دي!"

تنحج هشام وهو ينظر للأرض بحرج، فقال الطبيب

بعملية قاطعة: "ع العموم إحنا هنعمل أقصى ما عندنا

عشان نتقدها هي والطفل، هي هتفضل معنا النهاردة؛

فلو انت عايز تروح براحتك.. عن إذتك"

ثم ذهب من أمامه، وهشام ينظر لباب الغرفة وشعوره

بالذنب يتآكله من كل جانب.

فتحت الباب وهي تتعجب من سيأتي لهم بهذا الوقت
لتتسع عيناها دهشة وهي ترى ابنتها لبني أمامها وعلى ما
يبدو بكت طويلا وما إن رأتها لبني حتى اندفعت
بين أحضانها وهي تبكي من جديد..

"اسم الله عليك يا بنتي فيكي ايه؟ ايه ال حصل؟!"
اجلستها وأحضرت كوبا من المياه الباردة حتى تهدأ وهي
تقول: "اهدي كده وقوليلي ايه اللي حصل؟"

قصت لها ما حدث دون حديثه عما كان بينهما قبل
الزواج ثم قالت: "انا مش راجعاه تاني، انا عايزة اتطلق
و...."

قاطعتها والدتها بحدة وهي توبخها: "انتي اتجننتي؟!"

طلاق ايه وكلام فارغ ايه؟ الكلمة دي تنسيها خالص،
 ده ابن عمك ولو حصل حاجة زي دي هتحصل مشاكل
 في العيلة كلها وابوكي اصلا عمره ما هيرضى بكده"
 همت بالحديث لتشير لها بحدة وتتابع: "وبعدين انتي
 ال هبلت، مانت عارفت ان امه عقربت تقومي بدل
 ماتهادنيها وتتقي شرها تهبي فيها كده؟ وكمان تقولي
 الكلام العبيط ده لجوزك؟! دول اهله مهما كان وعمره
 ما هيجي في صفك عليهم خاصة لو شايفك بتشتمي
 في امه واخواته وبتعايريهم انهم لسه متجوزوش"
 "ماهو انا مقدرتش امسك نفسي قدام الوليت العقربت دي،
 شايلت كل حاجة ومش سايباني ف حالي برضه اعمل ايه
 بس؟ وقد امه بتبقى ملاك بجناحات"
 قالتها لبني بنزق لتحرك والدتها رأسها بعدم رضا وتقول:

"يا بت هو انا ال هقولك ان أسعد بيموت فيكي؟ ال زي
أسعد ده مايجيش الا بالحنية والدلع، دلعيه تاخدي
عنيه، وانتى بقى عايزة تطلقي منه؟ وهتستحملي تبعدى
عنه؟"

أنزلت رأسها بحزن وهي تحرك رأسها نافية لتضحك أمها
وهي تقول: "خالص يبقى تشيلي من دماغك الطلاق ده
خالص واحمدى ربك ان ابوكى مش هنا كان قطع
رقبتك، المهم تعالى اقولك تعملي ايه عشان تضمني
جوزك في ايدك مهما العقربة دي عملت".

كانت عائدة من السوق بعدما طلبت منها والدتها شراء
بعض الأشياء، شاردة في الطريق بينما تحمل العديد من
الأكياس عندما رن هاتفها.. بصعوبة أخرجته من حقيبة

يدها لتجد رقماً لا تعرفه، أجابت بتوجس: "سلام

عليكم"

أجاب المتصل بصوت متلاعب: "وعليكم السلام يا سوسو"

توقفت خطواتها واتسعت عيناها عندما تعرفت عليه..

جمال ليس غيره.

"روحتي فين؟"

أجابت بصوت خافت جداً: "أيوه معاك يا سي جمال"

ليرد بصوت غير بريء: "يا حلاوة (سي جمال) وهي

طالعة من بين شفايف الضراولمة، انتي فين دلوقتي

يا سوسن؟"

ابتلعت ريقها لتتلقت حولها قائلة: "جنب السوق، كنت

بشترى طلبات"

أضاف بإغواء: "وحشتيني.. سيبني اللي ف إيدك وتعالني

دلوقتي"

بردت أطرافها، تجمدت، وتلعثمت الحروف على طرف
لسانها: "الله يخليك يا سي جمال أنا بت غلبانة ومش
حمل اللي انت عايزه ده، إلهي يستر عرضك، سيبني
أشوف أكل عيشي حتى لو بعيد عنكو خالص"
بوادر غضب بدأت ف الظهور على نبرة صوته: "وانا كنت
غصبتك على حاجة يا بت؟! ما كله كان برضاكي
ساعتها! إيه اللي اتغير دلوقتي؟"

"فوقت واتعلمت، الله يباركك انساني"

"لا يا شاطرة، مش معنى إني سيبتك بمزاجي عشان أبرار
طبت علينا أكون غبي وهتاكلي عقلي بكلمتين!
قدامك لحد بكرة، فكري كويس وتعاليلي الشقة اللي
هبعثك عنوانها، والا هفضحك وابعت لأمك فيديو

هتفرح بيه أوي"

جحظت عيناها وقالت بصوت مخنوق بالبكاء: "انت كنت

بتصورني؟"

ضحك بسخرية: "عرفتي ان انتي اللي غبيت.. فكري

كده وشوفي مصلحتك فين، والمرة دي خرينا ف شقت

لوحدنا بعيد عن أي حد؛ عشان أعرف استفرد بيك يا

جميل وتاخدي راحتك ع الآخر"

ثم أنهى كلامه بضحكة عالية بينما سوسن تقف

مكانها جامدة بلا حراك، أمام خيارين.. إما ألا تذهب

وتحتفظ بالبقية الباقية من شرفها، وعندها سيفضحها

جمال عند والدتها وربما باقي جيرانها، وإما أن تذهب وترى

ماذا يريد -وبكامل إرادتها- تتخلي عن كل شرفها

وكرامتها!

خياران مميتان، لكن ليس العقل وحده من يشارك في اتخاذ القرار، بل هناك عوامل أخرى ستتحكم في القرار، وإذا رجحت كفتها على العقل فستضيع سوسن كلياً هذه المرة... بلا رجعة.

عاد إلى المنزل لتستلمه والدته بموشح طويل عن زوجته وما فعلته وما تفعله حتى فاض به الكيل: "مانا ضربتها قدامك اعملك ايه يعني اكثر من كده؟ اقتلها؟!"
 "وهو القلم ده ضرب؟ المفروض كنت تكسر عضمها عشان ماتت حش بقها قدامك تاني و...."

قاطعها صوت زوجها الغاضب: "نعم يا ختي؟ هي مين دي التي يكسر عضمها؟ انتي بتتكلمي عن بنت اخويا مش واحدة جايبها من الشارع، وانا اقول اخويا قاعد يوصيني

عليها ليه النهاردة اتاري شغل العقارب ابتدى"
ثم التفت إلى أسعد قائلاً: "مالكش دعوة بكلام امك يا
أسعد، الراجل اللي بجد مايمدش ايده على مراته، فيه
طرق كتير للعقاب لو غلطت فيك وافتكر دايم انها
بنت عمك يعني لحمك ودمك قبل ماتكون مراتك"
أوما موافقا وهو يصعد لثقتة وبداخله يتقاتل شعوران
متناقضان.. ندم على صفعه لها وغيظ لأنها اشتكته
لوالدها .

دلف إلى الشقة ليجدها هادئة على غير العادة فدوما
تكون لبني باستقباله، وجد طعامه على المائدة وهي لا
أثر لها!

بالتأكيد غاضبة منه، زفر بحنق هو ليس على استعداد
أن يسمع موشحا آخر عما حدث من أمه كما أنها أخطأت

وكان لابد لها من العقاب حتى لا تتمادى بأفعالها أكثر..

صاح صوت بداخله يسأله وانت لم تخطئ أسعد؟!

تجاهل الصوت ودلف إلى غرفة نومهما فوجدها مستلقية

على الفراش مغمضة عينيها يبدو أنها مستغرقة بالنوم،

ترتدي إحدى أثوابها التي تذهب بعقله، ازدرد ريقه ببطء

ثم جلس بجانبها وهو يربت على وجهها برقة..

فتحت عيناها ليظهر بهما اشتياقا فاق اشتياقه بجانب

اللوم على ما فعل وما قال فجذبها ل صدره وهو يستلقي

بجانبها يضمها قائلاً: "وحشتيني"

تمنعت بدلال وهي تقول: "ياسلام؟!"

ابتسم قائلاً: "اه والله واوي كمان، بس شكلي انا اللي

ماوحشتكيش؟!"

"انت بتوحشني وانت معايا، بس انت...."

قاطع كلامها بشفتيه اللتين اجتاحتها شفتيها وهو يشدد
ذراعيه حولها لتستسلم له متجاهلة صوت عقلها الذي
ينبها أنها لم تأخذ حقها منه كما عازمت وأن هذه
الطريقة لا تصلح لأخذ حقها.

صعدت درجات السلم ببطء حتى وصلت لشقة أم إسراء،
لتسمع صوت زغاريد تنبعث منه، ثم فتح الباب ليقابها
رعوف الذي ابتسم عندما رآها: "إزيك يا سوسن؟"
أجابت بصوت خافت بينما تلقي بنظرة خاطفة للشقة
خلفه: "الله يسلمك"

نظر لما تحمله ليسارع بحمله عنها، وهي لم تعارض نظرا
لثقله.. صعد أمامها على السلم كي يضعهم أمام باب شقتها
وهي خلفه تسأله متصنعة عدم الاهتمام:

"وانا طالعة سمعت زغاريط طالعة من عندكو"

اتسعت ابتسامة رعوف لينظر لها من فوق كتفه وهو يقول

بسعادة: "دي إسراء هتتخطب"

حاولت رسم ابتسامة: "والله! ألف مبروك، ربنا يتملها

على خير ويسعدنا"

وضع ما بيده أرضاً أمام شقتها، ثم التفت لها ينظر بداخل

عينها متمماً: "الله يبارك فيكي يا سوسن، عقبالك إن

شاء الله قريب، وتبأى الضرحة فرحتين"

قالت بتهكم: "إن شاء الله، خرينا نضرح بيها الأول عشان لو

استنتني مش هتتجوز خالص والعريس هيطفش منها"

لم يعلق، لكنه نظر لها بألم بينما تفتح الباب وتحمل

الأكياس للداخل قائلة: "اتفضل يا رعوف"

تنحج بخرج: "أهستأذن أنا بأى، ابقي سلميلي على

خالتي... سلام"

وقفت عند الباب: "يوصل إن شاء الله، مع السلامة"
ثم أغلقت الباب متنهدة بتعب، بينما تخلع حجابها
وملامحها رسمت تجاعيد حزن لم تحاول الآن إخفاءه.

موت وولادة.. ولادة وموت.. إنها الحياة تسير بنا بخيرها
وشرها، سنت حياة تكتب علينا لنعيشها مخيرين لا
مُسِيرين..

بعد سماعها الصراخ هرعت مسرعة تركض على درج
المنزل صعودا وصورة والدها لا تفارقها.. هل سيفارقها
والدها؟! هل ستصبح بلا سند، بلا عزوة، بلا حماية؟!
دلفت إلى شقتها المفتوح بابها وهي بالكاد تسمع كلمات

أوراق الياسمين

المواساة من الجيران..

"شدي حيلك يا نسرین یابنتی"

"اللي خالف مامتش"

"البركة فيكي انتي"

للتجهد تماما وهي ترى جسد والدتها مسجى على الفراش

ولا وجود لوالدها.

ركض خلفها لا يفهم ماذا يحدث!

لقد ترك والدها بالمشفى بعد أن وعده أنه سيحضرها له،

فهل توفى وهو بقسم الشرطة يُخرجها؟!

وقبل أن يسترسل بأفكاره لمح زوجته حسين وهي تجفف

دموعها وتسر إليه بشيء فاقترب منهما ليفهم ما الذي

يحدث حوله وما أصوات الصراخ تلك التي سمعها

ليسمعها تقول: "الست ماستحملتش يا حبة عيني ال حصل
 فيها طبت ساكتة، يا عيني عليكى يا نسرين يابنتي
 هتلاقيها منين وال منين"

حرّك رأسه بعدم فهمه ليعمع حسين يقول:

"الست أم نسرين هي ال ماتت؟! لا حول ولا قوة إلا بالله
 وأنا كل ده فاكر انه عبد اللطيف هو ال اتوفى"

والدتها من توفت وليس والدها!

صاح صوت داخله ساخرا بمرارة وهل هناك فرق إسلام؟!
 بكل الحالات أصبحت يتيمة وستضع المزيد من الأقنعة
 لتخفي ألمها والمزيد من الحواجز بينكما!

شعر بالحيرة هل يتركها ويذهب لوالدها أم يظل بالقرب
 علها تحتاجه بشيء ليكون الفيصل بحيرته هو حسين
 "تعال يابني نروح نخرج الراجل من المستشفى ونتفق مع

حد عشان ندفن الست ال اتوفت دي، نسرين دي جمل

مش عارف هتستحمل ايه وال ايه؟! وال عبد اللطيف

هقوله ايه؟ مراتك ال كنت بتتعكز عليها ماتت؟!

استغفر الله العظيم ربنا يعينه هو والبنت الغلبانة ال فوق

دي زمانها هتتجنن"

سار معه رغما عنه وترك قلبه وعقله مع من ملكتهما،

وبداخله يكاد يصرخ.. آااااه يا نسرين هل هناك شيء لم

يحدث لك بعد؟!

وهناك صرخة أخرى صدحت بغرفة صغيرة من امرأة

تمنت الموت ولم تجده، صرخة ولادة لطفل لا تعلم هل

سيكون مصيره كمصيرها أم هو أسوأ؟!

صرخت وصرخت وجدتها تجري بكل مكان تطلب العون

من الجيران حتى وصلت (الدّاية) أم محمد لتخرج الطفل
المتعجل للخروج لدنيا تريد والدته مغادرتها الأمس قبل
اليوم .

"مبروك يا نرجس، ولد زي القمر يتربي في عزك
يا ام نرجس"

قالتها الدّاية لجدتها المعروفة في الحي ب أم نرجس
لتحمل الجدة ابن حفيدتها وعيناها تفيضان بالدموع، على
الرغم أن والده وغد لثيم إلا أنها وقعت بحب الطفل حال
رؤيته فضمته لصدرها وهي تكبر وتؤذن بأذنه بخضوت،
تدعو له ولأمه أن تكون أيامهما صافية كصفاء قلبيهما.
صدحت الزغاريد وتلقت المباركات من الجميع وهي
تنظر لطفلها ودموعها تسيل على وجنتيها..

لقد رُبطت للأبد بتلك العائلة، كيف ستخبر طفلها عن

والده؟ بل ماذا ستقول له؟

هل ستخبره أي وغد هو؟ هل ستخبره أنه لم يكن سوى

شبيه رجل غصبها على الزواج به ليضربها ربا تاركاً إيها

لقمة سائغة لأشبه الرجال الآخرين أمثال شقيقه؟

أم ستكذب عليه وتحكي لها قصة والدها هي، الشاب

المهذب الذي لم ير من الدنيا إلا القليل؟

"مبروك ماجالك يا نرجس، هتسميه ايه؟"

"مصطفى، هسميه مصطفى على اسم ابويا الله يرحمه"

قالتها نرجس بوهن لتفاجأ بزغرودة عالية جعلتها تنتفض

رفعت بصرها لتجد زوجة حمدي فارتجفت لتقترب

الأخرى منها وتهمس لها: "مش قولتلك تغوري من هنا يا بت

انتي؟ وال انتي مش عايزة تمشي إلا بفضيحة"

"والله كنت ماشية بس ولدت زي مانتى شايضة،

ابوس ايدك انا ماليش دعوة بحاجة انا عايضة امشي
 النهاردة قبل بكرة بس مش عارفت اروح فين؟"
 رمقتها بنظرة جانبية وهي تتظاهر أنها تداعب الطفل
 وقالت: "ماشي هعمل بأصلي معاكي ماهو انتي برضه وليت
 ومنكسرة، هديكي عنوان تروحيله واختي هناك
 هتعمل معاكي الواجب وكده يبقى عداني العيب وازح،
 تصبحي الصبح تروحي طوالي يا اما وحياء ال خلقني
 وخالقك لأكون مطلعاكي من هنا بزفت ولا فرقت حسب
 الله"

" همشي والله ومش هتشوفي وشي ثاني ابدا"

قالتها بلهفة وهي تدعو الله أن يخلصها من ذلك الحي
 وسكانه والا تعود إليه مرة أخرى.

في منتصف نهار العمل، كان يجلس في غرفة مكتبه
 شاردًا يورجج القلم في يده يمينا ويسارا وعقله يذهب
 هنا وهناك في حجرات ذاكرته.. تذكر أول مرة رأى فيها
 كاميليا، في يوم خطبتها لصديقه (أحمد)، كانت
 سعيدة ولم تختفي ضحكتها طوال الحفل.. منذ ذلك
 اليوم وقد أحس بشيء غريب تجاهها، ليس حبًا، ولا
 إعجابًا من النظرة الأولى، بل هو شيء لا وصف له.. مرَّ
 اليوم ومرت الأيام بعده، ليجدها آتية إليه كي تعمل
 معه، شهد كل أيام خطبتها، بحلوها ومرّها، بمباهجها
 ومشاكلها، حتى انتهت بالانفصال.

لم ينسى كيف كان صديقه يحكي له عنها بطريقة
 تثير الاشمئزاز، بل والاستغراب!
 كيف لرجل أن يصف خطيبته لصديقه! شكها،

جسدها، طريقة كلامها، انفعالاتها، تعبيرات وجهها!

كان يجد الأمر غير مألوف أبداً! وإذا حاول إثناؤه عن

الحديث استمر غير مبال باعتراضه!

حتى مع كاميليا، كرجل كان يفهم أحمد ونظرات

عينيه الغير بريئة بالمرّة!

تذكر ذات مرة كان أحمد مارا كي يصطحب كاميليا

لتناول الغداء بعد انتهاء دوام العمل..

مرّ على مكتب جلال أولا يطرق الباب بنغمة معينة

يعرفها جلال، ليقف مرحبا: "ادخل يا عم، انت لسه

هتخبط؟"

دخل مبتسما: "الواحد لازم ياخذ احتياطة بردو،

احسن يكون معاك مرّة هنا ولا هنا"

ضحك جلال لدعابته: "لا ياخويا، لا هنا ولا هناك.."

إيه اللي جابك الساعادي؟

تنحج معدلا من ياقته قميصه: "خارج أنا وكامي هنتغدى

بره، هي خلصت شغل ولا لسه؟"

ابتسم برزانة: "أيوه هتلاقيها خلصت ومستنياك، روحها

يلا" غمز بعينه بينما يسأله بصوت مبحوح: "هي لابسة

إيه النهاردة؟"

قطب جلال حاجبيه وهو يرد بخشونة:

"وأنا مالي بلبسها؟، ماخذتش بالي أكيد؟"

عضّ على شفته السفلى وهو يقول: "آه لو لابسة القميص

الاسود، بيباى حكاية عليها"

وقف جلال بغضب حاول كتمانها: "ماتحترم نفسك يا

جدع، دي خطيبتك مش واحدة ماشي معاها ف الحرام؟"

أشاح بيده وهو يقول: "يا عم هو أنا قولت حاجة؟"

ماتكبرهاش"

تنهد جلال بنفاذ صبر مستغفرا الله بداخله، ليلوح له أحمد وهو يخرج من الغرفة متجها حيث تتواجد كاميليا، خرج وراءه جلال كي يودعهما ليجد أحمد يقف مع كاميليا ممسكا بيدها اليمنى يقبلها وهو يغمز لها بعينه بينما يتفحصها خفية بنظرات له تخفى على جلال: "إيه الحلاوة دي يا حبيبتي، كل يوم أحلى و اللي قبله"، خفي عليا شوية عشان أنا مستحمل بالعافية" ابتسمت بمجاملت، لتسأله: "مستنيني بقالك كثير؟" أجاب: "لأ مش أوي، دخلت لجلال الأول عقبال ما

تخلصي"

ردت باعتذار: "أسفتر والله، بس كنت عايزة أقفل القضية اللي حكيتلك عليها من فترة دي بتاع مصنع الحديد،

أخذت مني مجهود جامد وبردو حاسته..."

"شششششش، سيبك ه الشغل والقضايا دلوقتي

يا حبيبتي مش ناقصين وجع دماغ ف الخروجت كمان..

ركزي معايا دلوقتي وخلي الشغل لصاحب الشغل"

قالها مشيرا لجلال الواقف يراقب من بعيد بصمت

مكتفا يديه أمام صدره، ليقول أحمد وهو يمسك بيد

كاميليا هاما بالمغادرة: "عاوز حاجت يا كبير؟، هنمشي

احنا عشان نلحق"

رفع يده مودعا: "تسلم يا باشا، مع السلامة"

ابتسمت كاميليا ابتسامته صفراء قبل أن تخرج وهي

تومئ برأسها مودعا، ليرد جلال لها الإيماءة قبل أن

تختفي من أمام ناظره.

عاد للحاضر مع طرقات متتالية على باب الغرفة؛ أذن
 للطارق بالدخول فكان (عمر خميس) حاملاً فنجان
 قهوته.. وضعها أمامه ثم انصرف وأغلق الباب، ولا زال
 عقل جلال مسافراً في رحلة الماضي، يرفض العودة دون
 أن ينبش في كل رفوفه وذكرياته.

منذ أن أحضرها إلى هنا وهو جالس أمام باب غرفتها،
 كم مرّ من ساعات؟ لا يعلم، لكن ما يعلمه أن ما يحدث
 لها - بشكل أو بآخر - له يد فيه؛ صمته وضعفه أمام
 أخيه الأكبرهما ما أوصلاها لما هي عليه الآن.
 طلع النهار ودبّ النشاط في المشفى، ليجد الطبيب
 يقترب من غرفة زهرة؛ فنهض منتظراً قدومه.
 "صباح الخير"، قالها الطبيب بتعجب من تواجد هشام في

هذا الوقت المبكر، ليجيب هشام رادًا على التساؤلات التي تدور بذهنه: "صباح النور يا دكتور، معرفتش أسيب زهرة وأروح ف قولت أستنى هنا" أوما برأسه بتفهم، وقال: "أنا هدخل أبص عليها" فتح الباب ثم أغلقه، ليعود هشام حيث كان جالسًا، في انتظار خروج الطبيب.

بعد ما يقارب النصف ساعة، خرج الطبيب متجههم الوجه يقول بعملية: "الأم فايقة برغم كل المضاعفات اللي عندها، بس الطفل نبضه ضعيف جدا، يكاد يكون مش موجود أصلا، هنضطر نولدها قيصري دلوقتي، ف لو كده حضرتك اسأل ف الحسابات تحت ع الإجراءات اللازمة وخلال ساعات هندخلها العمليات"

ثم تركه وذهب، وهشام يُشفق على الطفلة الملقاة

بالداخل، والتي خلال ساعات سيفتحون بطنها ليخرجوا

جسداً ربما يكون بدون روح!

أي طفولة ستكون بعد كل ما حدث وسيحدث لها؟!

خلعت نظارتها الطبية واضعة أطراف أصابعها على

جانبي جبهتها تدلكهما بلطف علّ هذا الصداع يختفي

قليلاً، ثم أعادت النظر في أوراق القضية أمامها ثمعن

النظر فيها لتجد ظل أحدهم قد حجب الضوء عنها..

رفعت نظرها فوجدته جلال.

"خير يا أستاذ جلال؟"

استند بيديه على طرف مكتبها، ثم نظر للأوراق نظرة

خاطفة بينما يسألها: "مركزة فإيه أوي كده؟"

تنهدت بتعب: "قضية خلع"

أوراق الياسمين

ضحك بتهكم: "طب بالراحة ع الراجل الله يكرمك"
 نظراتها النارية جعلته يرفع يديه مدافعا: "ماتبصيليش
 كده، أنا أكثر واحد عارفك ف القضايا اللي زي دي،
 بتبقي ناقص تقلعي الراجل هدومه وتمدييه على رجليه"
 ببرود أجابت: "يستاهلوا، كله أشكال مالهش إلا كده"
 نظر من فوق كتفه لعلياء التي تحاول التنصت
 لحوارهما، بينما يقول بخفوت: "ماتحوّلي القضية لعلياء؛
 بت غلبانة وحنينة وهتحلها بالهداوة"
 وقضت علياء مبتسمة بانسراح: "بتناديني يا أستاذ جلال؟"
 تنحنج وهو يستقيم في وقفته: "أيوه يا علياء، عاوزك
 كمان شوية ف مكتبي"
 أومأت برأسها عدة مرات: "حالا يا أستاذ هكون عندك"
 ثم بدأت في لملمة أوراقها استعدادا للذهاب إليه.

دخل (عمر خميس) وفي يده ظرف يبدو أنه دعوة لحفل

زفاف: "اتفضلي يا أستاذة، واحد جه وساب الظرف ده

ليكى"

أمسكت الدعوة مقطبة حاجبها، فتحتها وقرأت ما بها

ليتحول نظرها تلقائيا لجلال؛ دعوة لفرح أحمد

(خطبها السابق)!

ضيق عينيه بتعجب، ليجدها تقدم له الدعوة قائلة

بصوت لا تعابير به: "قول لصاحبك العنوان غلط"

قرأ اسمه في الدعوة فاحتقن وجهه بغضب مما يقصده

أحمد من تلك الفعلة الغبية، ثم خرج من الغرفة لتعود

كاميليا لما كانت تفعله، ولكن هذه المرة بذهن شارد.

خرجت من غرفة العمليات ممددة على السرير المتحرك

فنهض من مكانه ينظر لمنظرها الأشبه بجثة هامدة..
 وجد الطبيب فسأله بقلق: "إيه الأخبار يا دكتور؟"
 "الحمد لله عدت على خير، فقدنا الطفل للأسف بس الأم
 حالتها مستقرة"

حمد الله بداخله، ليبتسم للطبيب بامتنان: "جميلك
 فوق راسنا يا دكتور، انت انقذت مرات اخويا من مصير
 الله اعلم كان هيكون عامل ازاي"
 ربت على كتفه: "ده واجبي يا أستاذ هشام"
 ثم أكمل وهو يهيم بالذهاب: "المريضة هتفوق بس
 وممكن تدخلها.. يا ريت لو تعرف تجلبها هدوم البيت،
 او لو والدتها او حد من اخواتها يكونوا معاها.. أنا مضطر
 امشي دلوقتي، عن إذنك"
 قرر العودة للمنزل كي يجلب لها بعض الملابس لحين

إفافتها، وكي يطمئن أخاه الذي لم يسأل عليها حتى الآن.

كانت تنظف غرفتها وعقلها في مكان بعيد.. لا جمال،
ولا زواج، ولا مال، ولا سعادة، ولا راحة بال، لم ترضى بما

هي فيه؟

لم لا تطمح للأفضل؟

لم لا تجمع بين المال، والشعور بالجمال، والسعادة؟

أمامها هذا الخيار لكن نحسها ما يجعلها لا تقدم عليه.

وضعت مرتبة سريرها على سور الشرفة وأخذت تهبط

عليها بعصا خشبية، تضرب وتضرب وذرات التراب تتطاير

مع كل ضربة فتحجب عنها الرؤية؛ فلم تر من يراقبها

بالأسفل، يتمنى فقط أن توافق على الزواج منه فيمتنعها

بالمال على قدر استطاعته، ويقدر جمالها في كل وقت

وحين، ويغدق عليها من السعادة أنهاراً..

أعماها كل ممنوع فأصبح هو فقط المرغوب، تركت ما
بيدها وأمسكت بهاتفها تتصل برقم ما، وضعتة على أذنها

فأتاها الرد من الطرف الآخر: "ها يا حلوة، فكرتي؟"

بجمود أجابته: "عاورني إمتي؟"

بصوت مبحوح مليء بالرغبة: "بكره الساعة 6 بالليل

تكوني ف المكان اللي قولتلك عليه"

بدأ صوتها يهتز؛ خوفا مما هي مقدمة عليه؛

"موافقتي، بس بشرط"

"لو طلبتي لبن العصفور هجب هولك"

"أخذ 500 جنيه"

ضحك بصوت عال، ليحبيب: "مش خسارة فيكي يا بت،

بنت البنوت بردو بيكون تمنها غالي ف سوق النسوان"

أغلقت الخط وهي تعلم جيدا أن الخطوة القادمة لا رجعة
بعدها.. خائفة؟ بالتأكيد، لكن أعماها كل شيء
فأصبحت كالمخدرة، كالشاه التي تساق للذبح، وهي
كانت مساقة لما هو أمر من الذبح.

الفصل الثامن

في الموعد كانت تقف أمام البناية التي أخبرها

بعنوانها..

تائهة، خائفة، ولا تدري ماذا أتى بها إلى هنا!

ليست الوحيدة الفقيرة في هذه الدنيا، وليست الوحيدة

ذات العشرين عاما ولم تتزوج حتى الآن!

لم في لحظة تسرع وافقت على عرض جمال؟ ولم من

قبلها استسلمت له؟

اشتياقها لمن يرغبها، لمن يتغنى بها، لمن يهتم ويشعرها

بأهميتها، بأن فقرها ليس مانعا كي تتنعم بملذات الحياة،

وأولهم تلك الملذة!

هي تعرف كيف يكون الزواج لمن مثلها من أبناء حارتها

أوراق الياسمين

والحارات المشابهة، وتعرف كيف هي العلاقة بين كل الأزواج والزوجات.. الرجل هو محور العلاقة، والمرأة لا حق لها في اعتراض أو مطالبة بأي فعل أو قول، مجرد أداة يشتريها كي تحقق له كل متطلباته الجسدية دون مناقشة، تأخذ فقط ما يرمى لها من فتات ولا يحق لها بطلب المزيد.. لكنها رأت عكس ذلك من جمال، رغم سنه الذي ناهز الخمسين بسنة أو اثنتين إلا أنه أعطاها أكثر مما حملت به يوما، وكتجربة أولى كانت تفوق خيالها..

لكن الآن، وهي تقف في انتظاره كي تصعد معه للشقة، أجهدها التفكير، لم تنم منذ البارحة من كثرة التفكير والترقب.. ماذا سيكون مصيرها بعد تلك الليلة؟

وإذا حاولت مجاراته والإفلات منه في آخر لحظة،

هل سيتركها لحال سبيلها؟ أم سيصبح لونها حياتها

كلون ملابس الحداد؟

أتهرب الآن وليحدث ما يحدث؟!

لكن جسدها الخائن لم يطاوعها في الهرب مهنياً نفسه

بعيش تلك المشاعر الجديدة التي اكتشفها المرة

السابقة، وجزء صغير من عقلها طمع في النقود التي

اتفقت عليها مع جمال، في حياتها كلها لم تمسك بهذا

المبلغ كاملاً بين يديها!

وشرفها؟ أتبيعه بهذه السهولة؟ كأنه قطعة قماش قديمة

في منزلهم توّد لو تتخلص منها في أي وقت!

ماذا ستفعل لو فقدت أعلى ما تملك؟ كيف ستعيش بين

الناس؟ كيف ستواجه والدتها؟ كيف ستتزوج بعدها؟!

للحظرة خافت، ارتعبت من تلك الفكرة وهي تتخيل ما
 سيحلّ بها من عذاب سينتهي بقتلها حتما!
 ضمت الكيس الذي بيدها لصدرها تحتمي به، ثم
 استدارت تنوي الذهاب بأقصى سرعة.
 مشت في الشارع تنظر للأرض شاردة عندما توقفت
 أمامها فجأة سيارة أغلقت الشارع الضيق.. رفعت نظرها
 لتقابل عيني جمال المتلاعبتين، غامت عينها بيأس وهي
 تتخيل مصيرها كشريط حياة يمر أمام عينيها.
 وجدته يشير لها بإصبعه أن تقترب؛ فأطاعته. اقتربت
 بجانب بابه تنظر له من النافذة..
 قال بينما يتفحص هيأتها بتقييم: "رايحة فين يا بت؟"
 تلعثت وهي تحاول اختلاق كذبة: "أصلي تهت...
 تهت ومش لاقية العمارة، وكمان انت اتأخرت ف قلت

انت نسيت بأى وكنت مروحة"

ضحك بصوت به بحة؛ "أنسى! ده انا بعد الساعات من

امبارح يا حلوه.. اركبي يلا ف العربية"

نظرت للسيارة ثم له، ترددت كثيرا، بل فكرت في الهرب

أيضا، لكنها وجدت أسلم الحلول أن تفعل ما يطلبه،

وبعدها ستفكر في طريقة للإفلات منه .

بعد عدة أيام عادت للمنزل بعد أن طمأنهم الطبيب

باستقرار حالتها وضرورة متابعتها معه كل أسبوع، دخلت

تستند بكفها على كف هشام القوية بينما كان يحمل

حقيبة ملابسها على كتفه الآخر.. لم يستقبلها أحد،

فصعد بها إلى غرفتها، وضع حقبتها أرضا، وقبل أن يغادر

كانت تقف مستندة على حافة السرير عندما يقول بقلق:

"عايزة حاجة مني يا مرات أخويا؟، أنا هروح الشغل
 عشان غبت عنهم كثير، بس مش هتاخر إن شاء الله..
 لو احتاجتي حاجة قولي لمحمد ابن أخويا وهو
 يجبهالك"

أومات برأسها ثم جلست على السرير متأوهة وهي تضع
 يدها على بطنها، تخاطبه بخجل: "شكرا يا باشمهندس،
 كفاية تعبك معايا اليومين اللي فاتوا.. روح شوف شغلك
 وماتشغلش بالك أنا هعرف أتصرف زي ما كنت بتصرف
 دائما"

تنهد بقوة ولازال غير مرتاح لفكرة أن يتركها وهي في
 تلك الحالة بدون وجود أحد يساعدها، لكن كونه أخو
 زوجها يمنعه من فعل المزيد.

على مضض تركها وخرج من المنزل، داعياً الله أن ينعم

أخوه بذرات ضئيلة من الرحمة كي يتحمل المسكينة
في حالتها التي يُشفق لها الحجر.

"ادخلي برجاك اليمين يا سوسن"

قالها بينما يفتح الباب مضحكا لها المجال كي تدخل
للشقة.. خطت بداخلها لتقف بعد برهة تنظر حولها
بتوتر ورهبة، الوضع مخيف أكثر مما توقعت.. عندما
كانت بمنزل السيدة أبرار كانت معتادة على المكان
وتألفه، لكن هذا المكان قبض قلبها برعب منذ
أن خطت بداخله.

اقترب يتأملها بينما تنظر حولها كطفل مذعور في أول
يوم مدرسي له، كانت شهية، ضعفها وخوفها أثاره، أعجبه
، أشعره أنه عريس يختلي مع عروسه ليلة زفافهما..

منذ أن رأها وقد استرعت انتباهه باختلافها، بملامحها
 وسُمرّة بشرتها التي تعجبه لأقصى حد.. براءتها تُعيد
 شبابه، وانعدام خبرتها يجعله يعيش دور المعلم لها،
 الأول في حياتها.

أما أبرار فقد أخذت وقتها وجار الزمن عليها، فليتفرغ
 الآن لهذا الجيل الجديد وليعلمه خطوة خطوة.

أمسك يدها بتملك وسار بها في الشقة حتى وصل
 لمبتغاه.. خطوة واحدة وتوقفت قدماها تنظر للغرفة
 بتوتر، لم تنتظر كثيرا، وجدته من خلفها يضع يديه
 على كتفيها، يسألها بصوت مبحوح: "ما قلعي الحجاب ده
 بدل ما هو خانقك"

استدار ووقف أمامها ينتظر فابتلعت ريقها وأطاعته في
 أول طلب، خلعت حجابها فأخذه منها ورماه أرضا وهو

يضك ربطت شعرها ليحرره؛ فظهرت تموجاته الكثيرة..

أخذ يتلاعب بخصلاته بينما ينظر لها، وهي تنظر له

مترقبة للخطوة التالية.

لفّ خصرها بذراع كي يقربها منه أكثر ببطء شديد،

بينما بالأخرى اعتقل مؤخرة رقبتها، ودون مقدمات قبّلتها..

في البداية حاولت المقاومة، لكن بعد ثوان تلاشت كل

مقاومتها أمام قبلاته الخبيرة.. يعلم أن مقاومتها ما هي

إلا محاولة بائسة من كبريائها كي تشعر أنها غير

مرهونة له فيما ستشعره، ويعلم أيضاً كيف يخضعها

كلها، كيف يقدم لها كل ما تحتاجه وتمتقده من

مشاعر كي تسلم كل دفاعاتها، وقد كان!

ابتعد عنها لاهثاً بينما يقول: "انتي عارفت انك حلوة أوي

يا سوسن؟"

نظراتها غائمة ومبهورة، هزت رأسها بالرفض، فعاد لتقبيلها
برقة أضعفتها: "فضل أقولها لك كل مرة لحد ما تحسي
بيها زي ما انا حاسس"

فتح أزرار عباءتها، الواحد تلو الآخر، وهي مغيبة في
قبلته لا تشعر بما يفعل، تتعلم منه وتبادلته، حتى سقطت
العباءة أرضاً، وسقط بعدها البقية المتبقية من ملابسها
بينما يهبط هو بشفتيه يُقدّر كل ما يظهر منها، ليسير بها
في اتجاه السرير، وسوسن بعالم آخر وقد نسيت كل ما
كانت تعج به أفكارها منذ قليل.

للحظة أفاقت من ذلك الخدر الذي سرى في كل جسدها،
ارتعبت من القادم..

نطقت بتوسّل: "أ، أنا عاوزة أمشي من هنا، سيبنى

والنبي"

برقة خادعة حاول تهدئتها: "يا سوسن مالك بس؟

ما انتي كنتي كويستة.. خايضة من إيه؟"

حاولت النهوض وقد أوشكت على البكاء: "مش عايضة،

كفاية كده، وحياة أغلى ما عندك خليني امشي"

بدأ ينفذ صبره، فقال متظاهرا بالهدوء بينما يقترب منها

مجدداً يغيرها ببعض قبل على وجهها وعنقها: "اهدي يا

سوسن، انتي خايضة مني ولا إيه؟"

حاولت الابتعاد عنه، لكنه كان يثبتها بإحكام فلم

تستطع أن تتحرك، وعندما سألها لم تعرف بم تجاوبه،

أتخاف شخصه أم تخاف على مصيرها فيما بعد؟

ظلت جامدة، فتابع ما يفعله، حتى استطاعت إزاحته عنها

قليلا والإفلات منه إلى آخر السرير، وقبل أن تنهض كي

تهرب كان قد أحكم قبضته حولها معيداً إياها حيث
 كانت بينما يثبت يديها فوق رأسها بقبضته القوية ويقول
 بغضب: "إنّتي شكلك اتهلّيتي يا بت! أمال بس فالحت
 تتصلي بيا وتتفقي معايا على فلوس! دخول الحمام مش
 زي خروجه يا شاطرة"

اقترب يقبل شفّتها بقسوة فابتعدت عنه بوجهها، ليُرجعه
 بكفه التي هبطت على وجنتها قائلاً يهددها بغضب
 أعمى: "اتعدلي واسمعي الكلام بدل ما هتشوفي وشي
 الثاني"

حاولت التشبث بأخر قشرة علّها تنجدها، أخذت تتلوى
 بجسدها يميناً ويساراً حتى فقد كل تعقله وقال بصوت
 مظلم علمت أن ما بعده لن يكون في مصلحتها أبداً:
 "انّتي ناوية تتربي النهاردة يا سوسن وأنا معنديش مانع"

لتشهد حينها أصول تربيته، وتتأكد بكل جوارحها أن
كلما عانتها في حياتها كان أرحم مما عايشته في تلك

اللحظات .

كانت ممتدة بتعب على السرير بينما تفكر في كل ما
حدث معها في الأيام القليلة الماضية.. هي لا تعترض
على قدر، ولا تخرج (لا) من بين شفيتها، دائما مطيعة ولا
تجلب لنفسها أو لغيرها المشاكل؛ فلم لا يطيقها أحد؟
حتى زوجها، من من المقترض أن يكون سندا في هذه
الدنيا- لا يعرف شيئا عنها حتى الآن!

حذرها الطبيب وأكد عليها ألا يقترب ربيع منها حتى
يأذن لها بذلك، لكنها أضعف من أن تمنعه.. هذا غير
كلامه عما حدث لها من مشاكل بسبب الحمل السابق

أوراق الياسمين

والأجهاض، وضرورة متابعة العلاج والا لن تستطيع أن

تحمل ثانية.

إذا أصبحت أرضاً بوراً، ليس هناك فائدة منها لا في متعة

ولا في إنجاب أطفال؛ فلم سيحتفظ بها ربيع كزوجة؟!!

لديه كل المقومات كي يرميها في الشارع فتعود لذل

والدها من جديد ولعملية بيع أسوأ لها.. على الأقل هي

هنا في كنف رجل غني قادر على أن يصرف عليها من

ماله، ولديها مكان تبين فيه ليلتها؛ فلتتحمل وتصبر

في سبيل أن تحافظ على تلك النعم.

أفاقت من شرودها على صوت نحنة قوية تعرفها جيداً،

دخل الغرفة دون أن ينظر إليها، جلس على طرف السرير

لبُرهة إلى أن صاح فيها: "إنتي لسه قاعدة عندك؟!!

ماتقومي تجيبيلي هدومي يا بت"

أوراق الياسمين

استندت بذراعيها تحاول رفع جذعها عن السرير وهي
 تتأوه ألما بداخلها وجرح بطنها كالنار المشتعلة.. مشت
 ببطء حتى وصلت إلى خزانة الملابس، أخرجت ملابسه
 واستدارت تعطيه إياها فوجدته يرفع قدمه في إشارة
 لأن تخلع عنه حذاءه، نظرت بضعف لقدمه ثم رفعت
 وجهها على وشك البكاء وهي تقول: "الدكتور قالي

ماميلش عشان الجرح يا حاج"

أخذ ينطق بألفاظ نابية لها ولطبيبها، ثم قال بحنق:
 "عشان انتي مامثكيش فايده.. الست من دول تولد من
 هنا وبعدها على طول تقوم تشوف شغل بيتها وطلبات
 جوزها، وانتي لا منك جبتيلي حتة عيل اتهنى بيه ولا
 عاد فيكي صحة حتى عشان تخدمي جوزك، بت فقر
 بصحيح"

ثم قام وأخذ ملابسه خارجاً من الغرفة، وزهرة تنظر في
أثره ودموعها تجري على خديها خوفاً من تحقق ما كانت

تخشاه.

كانت عائدة تجر أذيال الخيبة، جسدها يئن مع كل
خطوة ورأسها لا تستطيع أن ترفعها عن الأرض، تشعر أن
كل من يراها يعلم ما اقترفته، وأن الهواء يلوح بشرة
جسدها كأن العباءة لا تستر أي شيء منها.. دخلت
البنائية حيث تسكن فسمعت زغاريد كثيرة، تنهدت
بتعب ولم تلق بالآ لها، حتى وصلت لشقتها..

الباب مفتوح ووالدتها تقف في منتصف المنزل مبتسمة
كما لم تفعل من قبل في حياتها، حتى رأتها.. شهقت
بفرح وأطلقت الزغاريد مجدداً مقتريةً منها، تقبلها

بكثرة، تحتضنها وهي تهتف بسعادة حقيقية:

"هتتخطبي يا سوسن، هعيش واشوفك ف الكوشة مع

عريسك يا بنتي"

ذهول، فقط الذهول هو ما تشعر به بينما تستمع لهذيان

والدتها!

سألتها بحيرة وضياع: "مين خطب مين يا أمي؟!"

شدت من احتضانها: "رعوف ابن خالتك أم إسراء طلب

إيدك"

فغرت شفيتها بدهشة؛ رعوف! والآن بالتحديد! بعد أن

فقدت ما كان من المفترض أن تهديه له!

دققت والدتها النظر فيها قائلة بقلق: "سوسن، انتي مش

فرحانة ليه؟، ده رعوف راجل حنين وهيهنيكي"

نظرت لها بتشتت، ولم تلبث أن زاغت عيناها وسقطت

أرضا تزامنا مع صرخة والدتها.. هذا كثير على تحملها،

كثير جدا.

أسبوع مرّ منذ ولادتها وحديث زوجة حمدي لها عن

المكان الآخر ولا جديد.. انتظرتها تأتي إليها حتى تعلم

ماذا ستفعل ولكنها لم تأتي وهي لن تستطيع الانتظار

أكثر من ذلك فلا بد لها من النزول للبحث عن عمل حتى

تستطيع أن تعول طفلها وجدتها فمنذ ولادتها وهم

يعيشون على معونات الجيران .

حاولت العودة للمخبز ولكن مالكة لم يوافق وأخبرها أن

مكانها قد شغل بالفعل منذ فترة، ذهبت لعدة أماكن دون

جدوى الكل مكثفي بما لديه ولا يريد المزيد من

العاملين عادت إلى الغرفة لتسمع صوت طفلها يبكي بقوة

هرعت للداخل لتجد جدتها تهدهده تحاول تهدأته دون
جدوى وما إن رأتها حتى أعطته لها قائلة: "كويس انك
جيتي يانرجس ده الواد مضطور من العياط ومش مريح
خالص تعبني اوي"

تناولته منها وهي تضمها لصدرها وهي تقول بحزن:
"معلش يا ستي اتأخرت عليك وياريته بضايدة بس"
"مالقيتيش شغل برضه يا بنتي؟!"

حرّكت رأسها نافية بحزن فربتت على كتفها وهي تقول
محاولة بث الأمل داخلها: "إن شاء الله خير، مصطفى
جايله رزقه وزق حلو اوي كمان وبكره تقولي ستي قالت"
ابتسمت لها بوهن وهي تدعو داخلها أن تجد عملاً حتى
تستطيع أن تغادر الحارة قبل أن يتعرّض لها حمدي مرة
أخرى وهذه المرة لن ترحمها زوجته.

في اليوم التالي بينما كانت ترضع صغيرها قبل النزول
بالمهمة اليومية للبحث عن عمل جاءت إحدى الجارات
وهي تبشرها أنها وجدت لها عملاً..

"العوافي يا نرجس، العوافي يا أم نرجس، صباح الخير

يا درش"

"الله يعافيك يا أم حسن تعالي يا اختي اتفضلي،

صباحك فل"

قالتها جدتها فيما ابتسمت هي بلطف لتقول أم حسن:

"أنا مش جايت اتضايف يا أم نرجس انا جايت لنرجس

ببشرى حلوة"

نظرتا لها بتساؤل فقالت بحماس: "لقتلك شغل عند راجل

طيب وابن حلال، تروحيله يوم السبت اللي جاي على

الساعة ٨ ونص الصبح هتلاقيه مستنيكي في العنوان ده"

ومنتحها ورقة مكتوب بها العنوان المقصود واستأذنت

وخرجت وسط دعوات نرجس والجددة.

"مش قولتلك يا نرجس، مصطفى جاي برزقه"

أومات بسعادة وهي تقبل مصطفى بحب وهمت بالحديث

ليقاطعها طرق آخر ودخلت زوجة حمدي..

نظرتا بتوتر لبعضهما والجددة ترحب بها لتقول:

"أزيك دلوقتي يا نرجس؟! انا قولت اسيبك شوية تشدي"

حياك بعد الولادة قبل ماجيلك بعنوان الحتة ال

هتروحيها"

"إن شاء الله تسلمي يا اختي"

أعطتها الورقة بالعنوان وهي تقول: "العنوان أهو يا نرجس

خدتلك اوضة هناك هتلاقي الست عزيزة مستنياكي

وعندها علم قوليلها بس نرجس من طرف أم علوان"

"متحرمش منك يا أم علوان، مش هنسالك جميلك ابدا"
 قالتها نرجس بامتنان لتقول زوجة حمدي وهي تربت على
 كتفها بود: "متزعليش مني يانرجس، أنا بحافظ على
 بيتي"

"عارفة يا اختي ربنا يجازي اللي كان السبب"
 قالتها نرجس وهي تربت على يدها بود وبداخلها تمنحها
 كل العذر لما تفعله، هي تحافظ على زوجها وبيتها من
 الخراب ولو ما كانت هي ستكون أخرى غيرها، على
 الأقل هي تعلم أنها لم ترد زوجها ولم تقترب منه أبدا.

"يا قمر ماتوسعلنا سكتة، ولا احنا مش أد المقام؟"
 "لون شفايضك زي الضراولمة البلدي المعسلمة"
 "شيلي النضارة من على عينك وفرجيننا الجمال كله،

بلاش حرمان"

تأففت بضيق كاد يخنقها وكل ذلك وهي تقود سيارتها
في الطريق للعمل.. هذا جزاؤها لأنها قررت اليوم وضع
أحمر شفاة باللون النيدي! سترمييه من نافذة غرفتها
عندما تعود.

دخلت المكتب تضرب الأرض بغضب عاقدة حاجبها،
رمت حقيبتها لا تعلم أين وأخذت تقلب في الدفاتر
بعشوائية تفرغ فيها بعضاً من حنقها، حتى وجدت ما
تبحث عنه فانكبت عليه غافلة عن كل ما حولها.

بعد ساعات طرقت باب غرفة جلال فأذن لها..
دخلت وأغلقت الباب، لتستدير ذاهبةً باتجاه مكتبه.

بريق عينيه اشتعل عندما رآها، منذ متى لم تهتم بنفسها

وتضع أي من مساحيق التجميل؟!

لون شفيتها الشبيه بلون بلوزتها- خطف أنفاسه، جعله

يتأملها مُطلقاً لنفسه حرية الغوص بعينيه في جمالها..

بها شيء مختلف اليوم، كان قد نسي كيف يكون

شكلها في مثل تلك الألوان والتصاميم من الملابس

بعدما اعتادها بالقمصان داكنة اللون.

لكن، مهلاً لحظرة، هل كانت في الشارع بهذا المنظر

المُهَلِك؟ هل رآها كل رجل كما رآها هو؟ هل تأملها كل

من وقعت أعينهم عليها؟ هل ذهب خيالهم الوقح بعيداً

كما ذهب خياله الذي يحاول الآن تأديبه وإعادته

للصواب؟

تنحنج يسترجع ثباته ولا زال خياله يأبى طاعته، إلى أن

قال بجفاء: "إيه اللي انتي عاملاه ده؟ إنتي رايحتي فرح؟!"

رفعت حاجبها الأيسر ولم ترد، لتضع أمامه الملف قائلة

ببرود: "اتفضل حضرتك ابأى بص ع الورق بعد ما

خلصته"

نظر للورق أمامه نظرة خاطفة، ليعاود النظر إليها ثانية،

لعينيها، لمكمن سحرها، بثورتها وعنادها وقوتها وقسوتها

الظاهرية، بهما حزن، بأعمق أعماقهما، لا يراه أحد إلا

العاشق حتى نخاعه.

نهض من مجلسه أمام نظراتها، التفت حول المكتب يقترب

منها ببطء حتى وصل إليها، ظل ينظر إليها حتى رفع يده

وحط كفه الكبير على وجنتها فغطاها كلها، وبإبهامه

كان يتحسس بشرة وجنتها مبتسماً وعيناه تفضحان حبه

الذي طالما أخفاه خلف قناع البرود.

وتحت نظراتها المندهشة قبلها على وجنتها الأخرى، قبلت
 طويلاً أغمض لها عينيه متشهماً عبقها، ثم ابتعد عنها
 ينتظر أن يرى رد فعلها فوجدها تبتسم برقّة!
 بادلها بابتسامة أكبر ثم رفع كفه الآخر يضعه على
 وجنتها فأصبح وجهها محاصراً بين كفيه، وبأطف شديد
 لامس شفتيها بشفتيه وهو يقول بخفوت: "بحبك..."
 لم تبعده، فقبلها ثانية بذات اللطف، كوردة هشة يخشى
 أن تتساقط أوراقها.. لم يُبعده عنها سوى صوت مزعج آذى
 أذنه في تلك اللحظة الرومانسية للغاية.

"أستاذ جلال.. يا أستاذ جلال إنت نمت وانت قاعد

ولا إيه؟"

أفاق من شروده فوجد نفسه لازال على كرسيه، وكاميليا

أمامه وجهها متورد من الغضب وهي تهتف:

"بقالي ساعة بناديك يا أستاذ جلال"

هل كان يحلم؟

والقبلة! وتجاوبها! ونعومتها بين يديه!

مسح وجهه بكفه وهو يقول بصوت متعب:

"معلش يا كاميليا سرحت شويت"

تنحنج يحاول السيطرة على مشاعره:

"كنتي عايزة حاجت؟"

زفرت ما بداخلها من هواء لتقول: "كنت قتلتي امبارح فيه

قضية جديدة هستلمها"

قطب حاجبيه حتى تذكر، ففتح أحد أدراج مكتبه

ليخرج ملفاً قدمه لها: "اتفضلي يا ستي، قضية ه اللي

بتحبيهم"

أخذته منه ونظرت لعينيه المبتسمتين بخبث، حتى قالت

بتساؤل متردد: "خُلع؟"

ضحك وأوماً رأسه بـ(نعم)، لتقول بجديّة: "اعتبره اتخلع

يا فندم.. عن إذّك"

التفتت تنوي الذهاب، خطوة، اثنتان، ليستوقفها صوته.

"كاميليا..."

نظرت له منتظرة أن يُدلي بدلوّه، فقام من مجلسه حتى

وقف أمامها واضعاً يديه في جيبه بنطاله بينما يقول

ببساطة مقنعة: "بلاش تحطي الراج ده ثاني"

-لأنه يعذبني، يجلدني وأنا مُكثف الأيدي لا أقوى على

الاقتراب منك، وهذا أسوأ شعور!- قالها بداخله، بينما هي

تنظر له دون تعبير.

كانت تودّ أن تصرخ به "وما شأنك؟ لا تتدخل بي ثانية"،

لكن لدهشتها صمتت، جملته كانت كالضمّة القويّة،

لم تستشعر منها سوى خوفه عليها، لم تشعر للحظة أنه يأمرها، أو يحاصرها، أو يحاول تقييدها، بالرغم من أنه لا سُلطة له عليها، إلا أنها لم تنزعج من طلبه، بل كانت تفتقد لذلك الشعور من بعد وفاة والدها -رحمه الله- أومات برأسها بوداعة تعجب أن تخرج كرد فعل منها، ثم استدارت تهرب من المكان، وهي تتذكر أبعد من الحاضر ببضع سنوات..

كانت مع أحمد في سيارته في طريقهما لمنزلها، حتى توقف في منتصف الطريق.

عقدت حاجبها بتعجب وهي تتلفت حولها لتجده ظلام دامس، نطقت بقلق: "وقفت ليه يا أحمد؟" نظر لها فابتلعت ريقها تحاول تهدئة نفسها، حتى اقترب كفه وخطأ على وجنتها.

"انتي جبتي الروح ده امتى يا كامى؟"

تورّدت وجنتيها بخجل وهي تجيبه: "امبارح"

قبّل وجنتها قائلاً بصوت مبسوح: "حطيه دايمًا، كل ما

أكون خارج معاكى حطيه، لونه تحفّرة عليكى،

وريحته..."

اقترب بأنفه يتشممه متأوّها: "فراولت"

نظر لعينيها بخبث يسألها: "طعمه حلو؟"

قطبت حاجبيها تعجبًا من سؤاله، لتلحق شفّتها تتذوقه،

فأجابته بتقرّز: "إيه القرف ده، ملوش طعم يا أحمد، شبه

الشمع"

ابتلع ريقه بصعوبة وقرر الابتعاد كي لا يتمادى أكثر

فتخاف منه، قبّل وجنتها بخفّة، لتنزوي في كرسيها

خجلاً وهو يقول بينما يعيد تشغيل سيارته: "خلينى

أوصلك أحسن، يا إما همسح الروح المستفزده بطريقتي

ومش هنروح النهاردة"

عادت للواقع وهي تبتسم بسخرية.. كم كانت ساذجة،

بريئة، وغبية!

شهران مرًا منذ عادت إلى المنزل لتفاجأ أن والدتها قد

فارقت الحياة وأن والدها بالمشفى ولم يعلم بما حدث

بعد، خواء غريب يكتنفها حتى أن والدها ابتلع حزنه

وحاول أن يخرجها مرارا من حالتها تلك بلا جدوى..

حاولت كثيرا أن تخرج من تلك الحالة من أجل والدها

ولكنها لم تستطع، رغما عنها الصدمة كانت أقوى من

احتمالها، فوالدتها لم تكن أم فقط بالنسبة لها بل

كانت أم وأخت وصديقة، كانت سندها الذي يقويها

كلما تضعف، كانت الصدر الذي يحتويها على الرغم من
 عدم شكواها إلا أنها كانت تشعر بها وبما تمر به..
 زفرت بقوة وهي تنتبه لعقارب الساعة التي قاربت على
 السابعة صباحا.. لقد حان وقت الاستيقاظ وهي لم تنم
 من الأساس.

نهضت بنشاط يخالف شعورها وهي تحاول أن تصطنع
 المرح من أجل والدها فموت رفيقة حياته لم يكن سهلا
 عليه ولكنه تماسك من أجلها وعليها أيضا ألا تستسلم
 للحزن أكثر من ذلك حتى تستطيع أن تساند والدها فلم
 يعد لها سواه.

لا تفهم لمَ خطر على بالها إسلام؟
 رغم تهربها طوال الشهرين الماضيين من طيفه إلا أنه
 اقتحم تفكيرها هذا الصباح بقوة..

هل لأنها ستستلم العمل الذي أحضره لها قبل يومين؟!

"صحيّتي يا نسرين؟!"

سمعت صوت والدها من داخل الغرفة لتتزعج إليه وترسو

ابتسامتها على شفّتها قائلة: "ايوة يا بابا صباح الخير"

"صباح الورد حبيبتي، رايحة الشغل النهاردة؟!"

سألها لتقول بتوتر: "ايوة ان شاء الله نص ساعة وامشي"

"إسلام بيشكر في الراجل اوي وبيقول أنه عارفه كويس"

وانك هترتاحي معاه وتتبسطي في الشغل"

"إن شاء الله يا بابا"

ذهبت وأحضرت له الإفطار وجلست تظفر معه بعدما أصرّ

عليها ثم رتبت كل شيء لتعقد حاجبها بدهشة عندما

رَن جرس الباب.. فتحتة لتتجمد مكانها وهي تجد إسلام

على الباب يبتسم لها بلطف.

"صباح الخير، الحاج صاحي؟"

"ايوة اتفضل"

دلف للداخل فيما أحضرت هي حقيبتها ودلفت لتخبر

والدها أنها راحلة: "انا ماشية يا بابا"

"استني يا نسرين إسلام هيوصلك"

عقدت حاجبها بدهشة وهي تنظر له متسائلة لينهض

إسلام ويصافح والدها ويخرج معها..

ظلت طوال الطريق صامتة وتزم شفيتها بحنق وهو يكتب

ضحكاته حتى ما لبث أن انفجر ضاحكا لتنظر له

بصدمة ليرفع يده عاليا وهو يقول: "معلش بس بجد

شكلك مش

ممکن محسساني اني خاطفك مش واخذك من بيتك"

رمقته بذهول ليس فقط لسخريته منها بل للامحه التي

انفجرت وتحولت حتى شعرت أن قلبها ينبض بقوة..
 إنه وسيه كثيرا كيف لم تلاحظ ذلك من قبل؟!
 عضت على شفثيها وأشاحت بوجهها فظن أنها غضبت
 فارتبك وهو يقول: "أسف والله مش قصدي حاجة انا بهزر
 معاكى و..."

قاطعها انفجارها هي بالضحك ليتهاجم هو هذه المرة
 ليضيق على صرختها: "حاسب يا إسلام!"
 انحرف بالسيارة بعنف حتى يتحاشى حادثه كانت
 وشيكة لولا العناية الإلهية ليتوقف على جانب الطريق
 وهو يلهث بقوة..

هذه الفتاة تختار أوقاتا غريبة لتتلاعب بنبضه باسمه
 الذي يخرج من شفثيها الرقيقتين ونبرة صوتها التي
 يرتجف لها قلبه ويتخبط بعنف بين ضلوعه!

صرّ على أسنانه بقوة وهو يتابع القيادة متحاشيا الحديث
عه أي شيء فيبدو أنه وصل لأقصى درجات الصبر وإذا
تكلمت مرة أخرى ستكون القاضية لا محالة.

الدنيا زى المرجيحة يوم تحت وفوق

فيها خلق عايشه ومرتاحه وفيها ناس مش فوق

وانا ماشي بتمرّج فيها من تحت لفوق

الدنيا لما بتدينا بنضرح ونقول

السعد جانا وياريته يفضل على طول

ولو اخدت منا بنتأثر والضمكريطول

والله بتمرّج فيها من تحت لفوف

استمعت لكلمات الأغنية الشعبية تصدح من أحد

أوراق الياسمين

المحلات القريبة على المحل الذي تقصده لتبتسم
بسخرية وهي تفكر أنها كلمات صادقة كثيرا تصف
حالتها الغريب وحال معظم البشر خاصة الطبقة
الكادحة والتي تنتمي هي لها بالطبع.
تذكرت كلمات جدتها وهي تودعها قبل الذهاب للعمل
تخشى أن تتركهما بهذه المنطقة الجديدة عليهما
"ما تقلقيش علينا يا نرجس لينا رب كريم، ربنا
ما بينساش حد يابنتي ومهما تدق ع الراس طبول هو اللي
بينجيننا ويحفظنا"

تنهدت بعمق وهي تدلف إلى مشغل الحاج عبد التواب
تسمي الله وتدعو أن يكون (فاتحة خير) كما تدعو
جدتها على الدوام بأي مكان جديد لتتقابل مع أحد
الفتيات على باب المحل لتبتسما لبعضهما بود وكأنهما

شعرتا أنهما ستمتلكان مصيرا متشابها.

الدنيا سيما بطبيعتها كلها افلام

بنمثل فيها وبنخرج قبل ما بناام

لو عجبك دورك بتكمل وتقول ياسلام

ولو خانك حظك تتمنى لو روحك فوق

وانا لسه بتمرجح فيها من تحت لفوق

الدنيا مش عند وعافية ولا عز و مال

دي الدنيا عايزه قلوب صافية مش قولنا وقال

اللي عداها وقال جافية تحدفه من فوق

لو كنت عاوز تكسبها عيش فيها بالذوق

داانا لسه ماشي وبتمرجح من تحت لفوق ..

وصلت لمسامعها كلمات الأغنية الشعبية فابتسمت

وهي تشعر أنها مكتوبة لمن هي مثلها..

الطبقة الكادحة التي تبحث عن قوت يومها، يعاندها

الحظ يوما ويكون معها آخرها هي الدنيا (مرجيحة)

كما تقول الأغنية..

أدارت وجهها لإسلام وهي يصف السيارة ثم قالت:

"مالوش لزوم تنزل معايا"

"ليه يعني؟!"

قالها بجمود لتزفر قائلة: "مش لازم كل الناس تعرف اني

هشتغل بواسطه، انا مبحبش كده، سيبنى اروح أنا

لوحدي وكتر خيرك كفاية إنك عطلت نفسك

ووصلتني.. قلتي بس هو اسمه ايه؟!"

شعر أن لديها الحق فدخوله معها يعرضها أيضا للشائعات

فقال بهدوء: "الحاج عبد التواب"

أومات برأسها وترجّلت من السيارة وهي تشكره مرة
أخرى وسارت باتجاه المحل لتتقابل مع إحدى الفتيات
على بابه لتتبادلا الابتسام بود وكل منهما تشعر أنها
بداية مرحلة جديدة بحياتها..

فهل ستكون هذه المرحلة (فاتحة خير) عليهما أم

ستكون كسابقيها؟!

الفصل التاسع

زهرة رقيقة تساقطت أوراقها وفقدت رحيقها إثر خريف
عصف بها فهل سيأتي الربيع معيدا لها حياتها أم ستدهس
تحت الأقدام؟

شهران آخران قد مرّا على زوجها ولا جديد سوى أنها
تتعرف على جوانب أخرى لم تكن تعرف بوجودها
بزوجها أبدا، وتمنت أنها لم تعرفها قط .

وقفت أمام الغاز تتابع الطعام فاليوم سيأتي خاطب
لشقيقة أسعد هبة والتي أصبحت صديقة لها وعلمت كم
كانت مخطئة بحقها عندما عايرت حماتها بابنتيها من
قبل ولكنها لم تفعل ذلك إلا ردا على حماتها لا طعنا
بهما أبدا ولكنها اكتشفت كلما فكرت بالأمر أنها

أساءت للفتيات لا لحمايتها لذا لم تعد ترد على إساءات
 حمايتها لها مهما قالت وتلك كانت إحدى نصائح والدتها
 العزيزة ورغم كل ذلك لم تتركها حمايتها أبدا
 بل زادت إهاناتها حتى أمام أسعد والذي لم يكن يفعل
 شيئا حيال ما تفعله والدته،

وحده عمها الذي كانت يدفع عنها زوجته - عندما
 يتواجد فهو يسافر كثيرا وهذا دأبه منذ عدة سنوات-
 والتي أخذت احتياطاتها فكفت إهاناتها أمامه فقط
 ولكنها تستغل غيابيه وصمت أسعد على ما تفعله فزادت
 بتجبرها وهي... لا حيلة لها أمامها، فإذا كان زوجها لا
 يهتم بما يحدث فكيف تدافع هي عن نفسها دون أن
 يتهمها أحد بالخطأ؟!

شردت تتذكر ما حدث قبل فترة عندما أصرت والدته

على الذهاب إلى الطبيب حتى يعلموا سبب تأخر الحمل
 رغم أنها فقط بضعة أشهر هي مدة زواجها ولكنها تحت
 إلحاح أسعد وافقت وذهبت معه وقد قاما بالتحاليل ليعلما
 السبب ليعود أسعد ذات يوم حزينا ويخبرها أنها السبب وأن
 هناك أملا ضعيفا لها ولن يحل سوى بالدواء والذي كان
 يحرص على تناولها إياه يوميا وهي لم تفقد الأمل وظلت
 تأمل أن الله سيعوضها خيرا عن كل ما تمر به حتى
 سمعتهم منذ يومين ومن وقتها وهي تفكر جديا
 بالانفصال عن أسعد حتى لو تألمت لفراقه إلا أنها على
 الأقل ستحفظ كرامتها .

"بس ده ظلم يا أبو أسعد، ليه يفضل مع العاقردي بس
 عشان هي بنت عمه؟ من حقه انه يتجوز واحدة تانية
 ويتمتع بشبابه واحنا نشوف الحفيد اللي بنتماناه،

وبعدين ماتقلش مش لازم يطلقها خليها على ذمته أصلا
 مين هيرضى يتجوزها لو طلقها؟! خليها أهو تفيدينا في
 البيت بعد م البنات يتجوزوا"
 تجمدت مكانها وهي تسمع كلمات حماتها وهي توشك
 على الدخول عندما سمعت رد أسعد والذي شعرت به
 كخنجر يغرز بقلبها.. ألا يكفي أنه فضحها أمام أهله؟!
 ألا يكفي أنه لم يراع أنها ابنة عمه قبل أن تكون زوجته
 وأن كرامتها من كرامته؟!
 ألا يكفي از دراؤه منذ صرّح لها ذلك اليوم أنها عاقرة وأنه
 شعر بالندم لزواجه منها؟! فما فائدتها دون أطفال تنجبهم
 له ويتمتع بوجودهم حوله؟!
 وكأنها محض حيوان مهمته فقط التكاثر واحضار الذرية
 لهم!

"خلاص يا ماما مش وقته كلام في الموضوع ده، كده

كده مش هتجوز دلوقتي نفسي اتسدت عن الستات

كلهم.. قدام كده أشوف لو واحدة عجبتني ابقى

اتجوزها"

ثم نظر لوالده متابعاً: "وأرجوك يا بابا متقفش قدامي في

الموضوع ده، هي هتفضل مراتي وبنت عمي ومش هقصر

في حقها لكن أنا كمان من حقي أشوف حياتي وأجيب

عيال"

"أيوة طبعا من حقك يا حبيبي امال راجل ومقتدر

متجوزش ليه وتتمتع بحياتك"

قالتها حماتها بقوة ليصمت عمها وتستدير هي عائدة دون

أن يعلم أحد بسماعها أي شيء.. ثم تستطع الدخول

ومواجهتهم بعد كل ما سمعته، هي تعلم أن حماتها

لا تحبها ودوما تهينها وتخبرها أنها غير راضية على زوجها
من أسعد ولكن أن تسمع زوجها وحبيبها يتحدث عنها
بتلك الطريقة لهو صدمة كبيرة بالنسبة لها.

"حاسبي؟"

أفاقت من شرودها على صوت تحذير هبة لها بعد أن كان
وعاء الطبخ على وشك السقوط وتناثر محتوياته عليها
للتفادي ما كان سيحدث بمعجزة وهبة تمسك بها
تسألها: "مالك يا لبنى؟ ايه اللي بيحصل معاكى بقالك

فترة؟"

له تستطع حتى رسم ابتسامته وهي تشيح بوجهها عنها
حتى لا تنفجر باكيتة: "أنا كويستة يا هبة ماتقلقيش
عليا، خليكى انتي ف العريس ال جياك النهاردة
ربنا يتر عليكى بخير حبيبتي"

خرجت بعدما أغلقت الغاز على الطعام وصعدت إلى شقتها
لتستعد لاستقبال الزوار كما أمرت حماتها.

كانت تجلس عاقدة ذراعها أمام صدرها - في مكان هادئ
وبعيد عن الأعين في النادي، شاردة وملاحها متهدلة،
وكانها تعبت من تشكيها في كل وقت بتعبير
مناقض للآخر.. أخرجها من شرودها صوت صديقتها وهي
تضرب الطاولة أمامها بنغمة متسليّة: "اللي واخذ عقلك
يا جميل"

نظرت لها كاميليا، فتحول الشرود لسخرية: "ومين ياختي
اللي هياخده؟"

غمزت رحمة وهي تضيف: "يعني.. حد كده ولا كده"
ثم أكملت بحماس بعدما رأت صمت كاميليا: "شكل فيه
حد! ادي أمل للغبانة اللي قاعدة قدامك.. ياما نفسي يا

كامي، ده يوم المني، هعمل فيه عمال اكتر

العروسة نفسها، هرقص واغني و..."

انتفضت رحمة متوقفة عن الاسترسال في الحديث على

صرخة كاميليا بملل: "بس.. يالهوي، ورا بعضه كده

مازهقتيش؟"

تجدد جبين رحمة بقرف مصطنع وهي تقول بإقرار:

"بت كئيبة"

ابتسمت كاميليا بسماجة، لتنفجر الفتاتان بعدها في

نوبة ضحك دمعت لها أعينهما..

قطعتهما كاميليا ولازالت ابتسامتها تزين شفيتها

بحلاوة: "وحشتيني يا رحمة، حقيقي محدش بيضمني

ولا يستحملني أدك"

عدلت رحمة من ياقة قميصها بفرور كاذب: "عشان تعرفي

بس ان جمايلي مفرقاكي"

لا زالت كاميليا تنظر لها مبتسمة، إلى أن سألتها رحمة

بخبت: "أخبار شغلك إيه؟ احكي لي كده وش ل وش

عشان كلام الموبايلات ده ماينفعنيش"

تنهدت كاميليا رافعة كتفيها ببساطة: "عادي، مفيش

جديد"

ظلت رحمة محتفضة بخبت نظراتها وهي تكمل: "والمدير

عامل إيه؟ كان اسمه إيه، فكريني كده؟"

عبست كاميليا باستغراب لسؤالها: "أستاذ جلال! ماله؟"

ادّعت رحمة الالامبالاة بينما تنظر للطاولة بين الحين

والآخر: "لا يعني عادي، بسأل ع الراجل.. ماشفتوش من

آخر مرة شوفناه فيها هنا"

ثم تنهدت بحالمية: "آه ياني لو كان ده مديري، كان

زمان خاتمه ف صباغي من زمن.. راجل جنتل ونضيف

كده يخربيته"

لتكمل بينما ترسم بيديها شكل ابتسامة أمام

وجهها؛ "وعليه ابتسامة توديكي ف داهية وانتي مش

دريانة بحاجة"

شردت بنظراتها، وكانت على وشك أن تكمل وصلت

الغزل إلا أنها توقفت على هتاف كاميليا في وجهها.

كان حاجب كاميليا الأيسر يزداد مستوى ارتفاعه كلما

استفاضت رحمة في الكلام، أو الغزل إن صح القول، حتى

كاد يلتصق بشعر رأسها.. لم تستطع أن تتحمل أكثر

فهتفت بها بعينين غاضبتين؛ "ما خلاص ياختي، أروح

أخطبهولك أحسن؟!"

كتمت رحمة ضحكتها بصعوبة بينما تقول باستياء

وصوت مصمصة شفتيها كان مرافقا لقولها؛ "تخطبهولي؟

أما انتي عديمة دم واحساس صحيح!"

أوراق الياسمين

اتسعت عينا كاميليا، وقبل أن ترد أكملت رحمة بتأنيب
 و(تهزيق): "يا باردة، الراجل شوفته مرة واحدة وانتي معايا،
 مرة واحدة بس، والأعمى أخذ باله إنه معجب بيكي..
 معجب إيه! قولي بيموت فيكي يا عديمة الإحساس
 والمشاعر.. عينه كان يبعتها بالعافية عنك"
 أبعدت كاميليا نظراتها عن رحمة، تنظر لأي شيء آخر
 علّ ذاك القابع بصدرها يهدأ قليلا، ثم تكلمت بسخرية
 ومرارة: "وهيفرق إيه عن غيره يا رحمة؟ كله
 مايههمش غير حاجة واحدة ف الست، واردمي على أي
 حاجة تانية"
 خرج صوت رحمة هادئا وحازما: "مش كل الرجالة زي
 أحمد يا كاميليا، مش معقول بقالك بتاع خمس سنين
 فاسخة خطوبتك منه ومع ذلك بيتشكلك ف كل

راجل تشوفيه! قولتها لك وهقولها ثاني: إنسيه وعيشي
 يا كاميليا، طلعيه من دماغك وساعتها هتقدري تشوفي
 الحلو من الوحش، بلاش تجمعي صنف كامل بصفات
 واحد مقرف قدرك خلاكى ارتبطني بيه لفترة"
 زفرت الهواء بقوة من بين رثتها، وبينما هي تخبط
 بأصابعها برتابة على مقعدها- لمحت من بعيد أحدهم، إنه
 هو، أسوأ كوابيسها، أحمد، ومعه فتاة لم تتبين ملامحها،
 لكنها عرفت هويتها.

عندما دلفت إلى شقة حماتها كان الزوار قد حضروا
 بالفعل فذهبت للمطبخ وأحضرت الحلوى والعصير ودلفت
 بهما..

"ما شاء الله يا أم أسعد بنتك زي القمر"

لوت شفتيها بعدم رضا وهي تخبرها: "دي مرات أسعد"

ابتسمت المرأة بإحراج وهي تقول متداركة خطأها:

"محظوظة انتي يا أم أسعد، عندك مرات ابن زي القمر

وشاطرة كمان"

مصممت شفتيها بحزن مصطنع وهي تقول: "وايه الضايذة من

الجمال وهي مش عارفة تجيب لنا حتة عيل نزرح بيه؟!"

"مستعجلة على ايه يا أم أسعد لسه العمر قدامهم يملوك

البيت عيال"

قالتها المرأة بلطف وهي تبتسم للبنى لترد حماتها:

"ياريت يا أم محمد لكن نصيب ابني وقع في واحدة

مبتخلص، ياللا هقول ايه ربنا يسامحه الحاج هو اللي

صمه وحلف على أسعد إنه ياخذ بنت عمه قال لحمه ودمه

وأخرتها ايه؟! محرج من عمه ومش راضي يتجوز وقاعد

يصرف على العلاج شيء وشويات وكله من غير فائدة،
وهي الست تبقى ست إلا لو حملت وجابت كام عيل!"
شعرت المرأة بالإحراج والإشفاق على لبنى التي نظرت
لحماتها بصدمته قبل أن تعتذر بخضوت وتخرج ودموعها
تنهمر على وجنتيها وهي تركض لشقتها غير مصدقة
لما حدث.

"سلامو عليكم يا حاج عبدو"

قالتها نرجس بابتسامته تزين ثغرها وهي تدلف إلى
المشغل الذي تعمل به منذ فترة فبادلها الحاج عبد التواب
بابتسامته أبوية وهو يقول: "وعليكم السلام يا نرجس
عاملة ايه يابنتي؟! ومصطفى الشقي عامل ايه؟ مش
هتجيبه مرة نشوفه حبيب جدو ده؟ ده نسرين لما ورتني

صوره دخل قلبي على طول"

ضحكت نرجس ببشاشة وهي تقول: "حضرتك بقى

تشرفنا في البيت وتلعب معاه براحتك لكن هنا محل

أكل عيش يا حاج أجيبه يصدع الناس بعياطه"

"ده عسل والنبي يا حاج بس هي نرجس ال قارشته ملحة

الواد"

قالتها نسرين ضاحكة وهي تنظر لنرجس محرمة

حاجبيها بمشاكسة لينظر لهما الحاج عبد التواب بحنان

أبوي وهو يقول: "عقبالك يا نسرين لما أشيل ابنك انتي

كمان يابنتي"

شعرت بالخجل وهي ترى نرجس تنظر إليها وتغمزها خفية

عن الحاج فهي منذ رأت إسلام وهي تزور والدها عندما

تغيبت من العمل تلك المرة وهي تلمح لها أن اهتمامه بها

ليس أخويا ولا شهامة فقط بل هو يكن لها المشاعر ورغم ذلك هي لم تصدقها أبدا فماذا يوجد بها لينظر لها رجل مثل إسلام كل من تراه تقع صريعة هواه على الفور! "واضح اننا هنسمع خبر حلو قريب وال انتي شايضة ايه يا نرجس؟"

قالها عبد التواب بمزاح لتضحك نرجس وهي تقول غامزة لنسرين التي احمرّت وجنتيها بقوة عندما انتبهت لشرودها وعدم ردها على الحاج: "شكلنا كده يا حاج" قرصتها نسرين بغيظ عندما غادرهما عبد التواب للتأوه نرجس ضاحكة وهي تقول: "الله يكون في عونك يا إسلام يا بني هتاخذ واحدة مضربية"

وركضت من أمامها قبل أن تلحق بها وهما تعملان متبادلتان المزاح في جو مرح خاصة أن جميع الفتيات اللاتي يعملن

بالمشغل أحبوهما على الفور وشعرن بطيبتهما وكريه

أصلهما.

تجلس على السرير مستندة بظهرها إليه، بينما تثني

ركبتيها إلى صدرها وتلف حولهما كلتا ذراعيها..

جامدة، بملامح ضائعة، فاقدة لنفسها وللحياة.. من كان

يتخيل أن اليوم الذي تبيع فيه نفسها بأبخس ثمن

سيكون اليوم الذي يطلبها فيه شاب بأكثر الطرق

احتراما لذاتها، أي تناقض هذا؟!

أي يأس ذاك الذي جعلها ترتمي في أحضان أول رجل أبدى

لمحة إعجاب بها، في الوقت الذي كان غيره معجبا صامتا

محافظة عليها، يعد عدته كي يرتبط بها بميثاق

خليط !

أخذت تتأرجح بجذعها للأمام والخلف وهي تتذكر ذاك
اليوم، تحديدا بعدما سمعت من والدتها بتقدم رءوف
لخطبتها، سقطت فاقدة للوعي ولم تفق إلا بعد فترة
لتجد نفسها ممددة على الفراش وحولها والدتها، وإسراء
ووالدتها، لتعلم بعدها أنهم سارعوا بالصعود لهم بعدما
سمعوا صرخة والدتها، فحملها رءوف ووضعها على
السريр، ثم خرج ينتظرهم خارج الغرفة كي يحاولوا
إفادتها.

لن تنسى نظرة رءوف لها عندما طرق على باب الغرفة بعد
مدة كي يطمئن عليها،
كان مطرق الرأس بحرج يسأل والدتها بخضوت: "سوسن
عاملة إيه دلوقتي يا خالتي؟"
قالت متنهدة بتعب بينما تشير بيدها إلى سوسن: "الحمد

لله يا بني بقيت أحسن كثير
 رفع نظره في نظرة خاطفة لها، قلقة، مطمئنة، حنونته..
 لحظة فقط، ثم أخفض وجهه ثانية متنحنحنا بخرج؛
 "حمدا لله على سلامتها، أنا بره لو عوزتوا حاجة"
 ثم خرج، وهي تنظر في أثره بشروود حزين.
 دخلت والدتها لتقطع سيل الذكريات وهي تقول بجفاء
 ظاهري: "مش هتاكلي؟"
 دون أن تنظر إليها: "لا"
 تنهدت بعجز، ثم استدركت بغضب: "طب قومي البسي
 حاجة عدلته، معتقدتش إنك نسيتي كمان إن رءوف
 وأهله جايين يتفقوا النهاردة ع الخطوبة والفرح"
 ظلت تنظر أمامها بنفس الجمود، إلى أن نطقت: "وأنا قلت
 مش عايزة أتجوزه يا أمه"
 اقتربت والدتها تهتف بغضب خرج من عقاله: "مش كفاية
 إن الناس أجّلوا الزيارة دي بقالهم كثير عشان حضرتك

كنتي تعبانة وأغمى عليكى قدامهم زي الفرخة اللي
 بتصرفر! أنا لو مكانه أقول دي بت مضياش صحة وأشوف
 غيرك، لكن هما ولاد أصول وفضلوا يأجلوا لحد ما
 البرنسيستة الدم جري ف عروقها.. هتتجوزيه يا سوسن،
 غصب عنك أو برضاكي، لو لفييتي على كعوب
 رجليكي ليل نهار مش هتلاقي حد أحسن من رعوف، ولا
 حد شاريكي وهيموت عليكى زيه، بطلي خيابة
 بنات وقومي اعلمي اللي قتلتك عليه"

كادت أن تهتف: (أنا ما عدت أستحقه، ما عدت أستحق
 شهامته ولهفته، لم أعد كما يجب أن أكون، لا أستحق أن
 أكون عروسا من الأساس!)
 لم تجب، فخرجت والدتها تصفق الباب وراءها بينما تتمتمه
 ببضع كلمات حانقة من رفض ابنتها غير المبرر.

عادت من العمل منهكة وهي تفكر أن الله قد عوضها
 أخيرا بعمل جيد مع الحاج عبد التواب والذي كان كآب
 لها.. وقعت بحبه على الفور وكيف لا تفعل وهو
 يغمرها بحنانه ولطفه كأنه والدها وأكثر؟!
 ونسرين تلك الفتاة التي تساوي (مائة رجل) كما يقولون
 والتي علمت على يديها معنى الصداقة الحقيقية، المعنى
 الحقيقي ل (بنت البلد) والتي تقف بجانب الجميع
 ليتها فقط تشعر بذلك العاشق الصامت وتعييره انتباهها
 وليته هو يخرج عن صمته، اكتشافها أنها بنفس الحي
 جعلها تشعر بالسعادة فهما تذهبان معا للعمل وتعودان
 معا.. للمرة الأولى تشعر بالاطمئنان والسعادة ربما منذ من
 بعيد .

ماذا تريد أكثر من عمل جيد وهدوء بحياتها وصديقتة

مثل نسرين؟!

تنهيدة طويلة خرجت منها وهي تصعد الدرج حتى الغرفة

التي انتقلت إليها مع جدتها وطفلها مصطفى لتشهق بعنف

وهي ترى من ينتظرها أمام الغرفة في الظلام!

"حمدي؟!"

اقترب منها لتشعر أن عيناه تجردانها من ملابسها لتعود

خطوة للخلف كادت تتسبب بسقوطها من على الدرج

ليمسكها هو بقوة وهو يقول: "مش تحاسبي يا نرجس، ده

انا ما صدقت لقيتك هسيبك تروحي مني كده!"

تملصت منه وهي تهتف: ابعد عني انت عايز مني ايه؟

سيبني في حالي بقى الله يخليك.. أنا سيبتلك الحتة

كلها عايز مني ايه تاني؟"

"هو أنا كنت خدت أولاني لما هعوز ثاني؟! الواد حلمي
أخويا ده من يومه حظه ضارب في السما اتمتع بيكي ابن
الايه بس فقري سابك وجري على ولاد الخواجات بس أنا
بقي مستعد آخذ مكانه ومتخافيش مش هسيبك أبدا"
"حرام عليك أنا عملت فيك ايه بس؟ أبوس ايدك
سيبني في حالي كفاية اللي حصلي من تحت راسكم"
كاد يجيبها إلا أنه سمع صوت أحد يصعد الدرج فهربت
مسرعة إلى الغرفة وهي تغلق الباب خلفها بالمفتاح
وتستند على الباب من الداخل ودموعها تسيل وهي
تتمتم: "سيبوني في حالي بقي أبوس ايديك، سيبوني"
سمعت صوته من الخارج يقول: "ماشي يا حلوة هربتني
النهاردة لكن مش هتقدري تظلتي مني بكرة، واعرفي
انك مهما هربتني هجيبك".

شهران مرًا، وهي ما بين الذهاب للطبيب وملازمة غرفتها
 كما أمرها وأبلغ هشام الذي كان يذهب بها دوما ثم
 ينتظرها بالخارج كي يعيدها للمنزل.. كم خجلت
 عندما طلب منها الطبيب ألا يقربها ربيع حتى يأذن له
 بذلك، كانت تتقلب بين نارين: في بعده ستكون نفسيا
 وجسديا- مرتاحة، وفي قربه ستضمن الأمان والاستقرار
 في هذا البيت.. فأيهما تختار؟
 وربيع -بالتأكيد- لم يهون عليها الأمر، ولم يتركها
 بحالها، بل كان يلقي إليها بكلام كالسم من وقت
 لآخر، خاصة وأنه لم يقرب غرفتها أبدا طوال تلك المدة
 كأنها مصابة بوباء.

ابتلعت غصّة في حلقها ثم نهضت تتفقد هياتها في المرأة،
 اليوم سألت الطبيب كما أمرها ربيع؛ فأذن له، وها هي

تنتظر قدومه مرتدية ما يحب أن يراها فيه.. امتدت
 يدها لكحل أسود كانت أهدتها إياه جارتها، ظلت تقلبه
 في يدها ثم قررت المجازفة وتلطّخ عينيها به، مدت يدها
 بالقلع تضع منه على خط رموشها السفلي فأضى
 لبراءة عينيها عمقا وسحرا.. تنهدت ثم أبعدت نظراتها عن
 المرأة متجهة للسرير، لتجد باب الغرفة يُفتح وزوجها يطل
 منه مبتسما بانتصار.

جلس على السرير فاقتربت منه تخلع عنه حذاءه، ثم
 استقامت كي تجلب ملابسه إلا أنه أمسك بوجهها بين
 كفيه وهو يقول بعينين لامعتين: "انتي حاطة كحل؟
 أومات برأسها فاتسعت ابتسامته وهو يقرب وجهها من وجهه
 بينما يقول: "حطي منه دايمًا، حطي كل اللي عندك،
 خليني أشوفك ست بحق وحقيقي مش عيلة صغيرة

من دور ولادي؟

ثم هاجمها بقبلة قاسية كأنه يعاقبها على حرمان الشهور
الماضية، ظلت يداها بجانبها باستسلام إلى أن أبعدها
عنه يدخل يده في جيب عباءته مخرجا شريط دواء.. وضع
في كفه قرصاً منه، ثم أعاد نظره لزهرة ليبتسم واضعاً
قرصاً آخر وهو يقول بتوعد: "مش خسارة فيكي يابتي،
شكل ليلتنا زي الفل"

أمرها بإحضار كوب ماء فأطاعته، ليبتلع القرصين دفعة
واحدة ويعيد نظرات تفيض رغبة لها: "لولا إني لسه راجع
م المحل ماكانتش حاجة تبعدني عنك دلوقتي"
أمسكها من مرفقها يقربها منه فلفحت وجهها سخونة
أنفاسه: "هاتي الغدا هنا وبعدها جهزيلي الحمام يا زهرة"
أومات برأسها ثم ذهبت تفعل ما طلبه منها دون نقاش.

دخلت غرفة الضيوف تنظر للأرض ملقبة السلام بخضوت
بينما تحمل صينية عليها كؤوس عصير للعريس ووالدته
ووالده.. وضعتها على الطاولة ثم جلست بجانب والدتها
وزوج أختها ببرود وهي تبعد نظرها عن كل الحاضرين.
تطوّعت والدتها بالكلام عندما حلّ الصمت على الجميع:

"اتفضلوا يا جماعة، انتوا مكسوفين ولا إيه؟"

ابتسمت أم إسراء وهي ترد: "مكسوفين إيه يا أم أسماء؟"

عيب الكلام ده بينا؛ ده احنا عشرة عمر"

أكدت أم أسماء على كلامها: "طبعا يا أم إسراء، ربنا

العالم يا حبيبتي معزتك انتي وولادك عندي"

تنحج زوج أختها أسماء (فتحي) وهو يوجه كلامه لرعوف

الذي كان ينظر سرا لسوسن بين اللحظة والأخرى:

"قلّتي بتشتغل فين يا رعوف؟"

ودارت حوارات كثيرة بين كل الأطراف الموجودة بينما هي فقط مستمعة بذهن شارد.. تريد الهرب من هذه الغرفة وكل الموجودين فيها؛ هناك شيء خاطئ يحدث ولن يتحمل تبعاته إلا هي.. ماذا تقول لهم كي تقنعهم بعدم الموافقة؟ ماذا تقول؟!

أتقول أنها ليست بتلك البراءة التي يعتقدونها؟ وأنها لم تعد الفتاة العذراء الخجولة التي ينتظرها رءوف أو أي عريس؟

أتقول أنها لا تستحق تقديرهم لها؟ وأنها مجرد نكرة فرطت في أعز ما لديها في لحظة غياب وضعف؟ أتقول أنه إذا تمّ الزواج ستفضح هي وأهلها فضيحة ما بعدها فضيحة عندما يكتشف زوجها حقارة ما ارتكبهت قبله؟! ومن يشفع لها؟ وهل ما فعلته يحتمل الشفاعة من أي أحد

مهما بلغ مقدار حبه لها؟!!

هي لا تساوي شيئاً الآن.. لا تساوي حتى كل الطلبات

التي يعرضها زوج أختها على والد العريس كمهر وشبكة

تليق بها، لا تساوي أبداً.. ورعوف، ابن جيرانها،

الشهم الخلق، لم يبتليه الله بزوجةٍ مثلها؟ وكيف من

الأساس أقدم على خطوة خطبتها؟ أهو ضغط من أمه كي

يخطب ابنة الجيران التي تربت أمام أعينهم أم تراه...؟!!

رفعت عينيها فجأة فقابلتها نظراته المتأملّة فيها بابتسامته

لم تتعدى عينيها، عينيها تضحكان لها، تعدانها وتبثانها

الأمان بأنها لن تندم يوماً على موافقتها الارتباط به..

وكم آلمتها تلك الوعود! كم حضرت في قلبها فأدمته!

كم استدعت دموع لعينيها قاومتها بصعوبة وهي تردد

بداخلها، لم الآن يا رعوف؟ لم تأخرت كل هذا الوقت؟

لم أعد أصلح لك، صدقني أنت كثير على واحدة مثلي..

أوراق الياسمين

ابتعد عني، ابتعد، أو أنا من ستبعدك يا رءوف؛ فتلك
العينان لا يليق بهما الشعور بالخيانة والطعن يوماً.
ثم نهضت معذرة وخرجت من الغرفة باتجاه غرفتها، وأمها
تغطي على فعلتها بأنه (خجل بنات).
دخلت وأغلقت الباب خلفها لتجد هاتفها يرن.. اقتربت
كي تعرف هوية المتصل فوجدته الحاج جمال، مرة
ثانية، بل ثالثة أو ربما رابعة.
زفرت الهواء بقوة ووضعت كلتا يديها على وجهها وهي
تنوي عدم الرد عليه وتجاهل اتصاله كما فعلت طيلة
الشهرين الماضيين، حتى صمت الرنين، لكنه تعالى
من جديد بإصرار كأنه لا يترك لها فرصة لرفضه.
شيء ما بداخلها حثها على الرد؛ فاقتربت تمسك الهاتف
بأيدي مرتعشة ثم فتحت الخط دون أن تتكلم.

"ألو، سوسن؟"

لم يسمع سوى صوت تتابع أنفاسها فعلم أنها تسمعه وتعرف من هو؛ فتابع بحنان كاذب وعتاب؛ "كده يا سوسن! أهون

عليكي طول الفترة دي ماترديش عليا!"

أصبح تنفسها ككاهات دون أن ترد، فأكمل بصوت يعلم

تأثيره على الساذجات أمثالها؛

"أنا قلت أسيبك ترتاحي شوية يا جميل، بس كنت

مستنيكي على نااااا، انتي ماتعرفيش عملتي فيا إيه يا

سوسن! صغرتيني عشرين سنت"

أهذا الكلام لها؟

وضعت يدها على فمها كأنها تؤكد عليه ألا يرد ولو

بكلمة، فأكمل بنفس الهمس المغوي؛

"ماوحشتكيش يا سوسن؟"

نفس الصمت من جهتها، ليضيف؛ "بس انتي وحشتيني أوي"

ارتجفت من نبرته، لتهمس أخيرا بصوت منخفض جدا:

"جمال..."

اعتدل في جلسته مجيبا بلهفة: "يا عيون جمال، أيوه

كده سمعيني صوتك"

ثم طرق على الحديد وهو ساخن: "هشوفك تاني إمتي يا

سوسن؟ مش هقدر استنى أكثر من كده، أنا بقالي شهرين

مستنيكي ترقاحي براحتك ومش راضي أضغط

عليكي، حتى لما كنت أطلبك وماترديش كنت

بكبر دماغي وأقول معاش لسه صغيرة وبكره تفهم

وتعقل"

كانت على وشك البكاء، لكن فلتسلّم بمصيرها، هذا

هو طريقها الذي وضعت قدمها على بدايته ولن ينفع أن

تغيره بعد الآن، فلم التذمر بعد أن أقدمت بإرادتها على ما

أودى بها؟

أجابته ودمعاتها تسيل على وجنتها: "دلوقتي..."
اتسعت عيناه بعدم تصديق، ليهتف بسرعة: "حالا هكون

هناك، ماتت أخريش"

أومات برأسها وكأنه يرى موافقتها على كلامه، ولا زالت

دمعاتها تنزل تباعا على وجنتيها.. ألا يكفيها هوانا

وتحقيرا لنفسها كي تزيدهما بما وافقت عليه الآن؟!

أكانت تحتاج لتأكيد أكبر على مدى تناقضها مع رعوف

كتناقض اللون الأسود واللون الأبيض؟ أكانت تمني

نفسها بأنه سيوافق عليها بضعلتها تلك فوافقت على

عرض جمال كي تقطع كل السبل والأمال أمام كل من

قلبها وعقلها؟!

لكنها وافقت وقد حدث ما حدث، والآن عليها أن تكون

بقدر كلمتها والا هي تعلم جيدا ما يستطيع جمال فعله

إذا أخلفت بكلمتها معه.

"كاميليا"

هتفها أحمد بدهشة تحمل خبثا متأصلا في نبرة صوته،

فأجابته ببرود: "إزيك يا أحمد؟"

كعادته الوقحة تفحصها من رأسها لأخمص قدميها في

نظرة تقييمية سريعة، ثم ردّ عليها: "الحمد لله كويس،

فينك من زمان مش بتيجي هنا يعني؟"

ابتسمت بفتور وكانت على وشك الخروج عن هالة

التحضر المقيتة تلك ورشقه بأقذر الألفاظ التي تسمعها

فقط ولم تنطقها يوما، لكنها بسطت يديها قائلة:

"مشغولتة شويتة"

أوما برأسه متفهما، ثم ابتسم وهو يضرد ذراعه جاذبا الفتاة

التي ترافق لأحضانها وهو ينظر لكاميليا بقوة معرفا بها:

أوراق الياسمين

"دي شاهندا.. مراتي"

لا إرادياً نظرت كاميليا ليده التي استقرت على خصر
زوجته وهي ترتفع إلى تحت ذراعها وتنخفض في الخفاء إلى
ما تحت خصرها بقليل؛ فارتعشت بنفور وهي تفهم
حركته وتعلم أنه يقصد أن يفعلها أمامها، فأجابته وهي
تلملم حقيبتها وتهم بالذهاب: "مبروك.. عن إذنكو"
ثم ذهبت وصوت رحمة الحائق من خلفها يناديها بينما هي
لا تملك القدرة على الاستدارة إليها.
وكانت غافلة تماماً عن أعين تراقبها منذ بداية المشهد،
أعين تقف بعيداً في وجه اتّسمت تعابيره الآن بكل
معاني الشر.. ركبت سيارتها وانطلقت بها مسرعة تهرب
من المكان بأكمله وهي لا تعرف أين وجهتها بالتحديد.

انتهى من غدائه وحمامه ليخرج إليها مبتسما بشيطنته
وتوعد خبيث.. اعتلى السرير يمسك بكتفيها، يمرر
يديه على طول ذراعيها وقد بدأ جبينه يتصفد عرقا؛
فسألته بقلق وهي تلحظ حالته واضطراب أنفاسه:

"إنت تعبان يا حاج؟"

أجابها بخضوت بينما يقبل وجهها بجوع كأنها ستتركه
وتهرب بعد لحظات: "تعبان أوي يا زهرة، تعالي داويني"
عقدت حاجبها تعجبا من كلماته، ثم ما لبثت أن أحاطت
عنقه بذراعيها بتردد وهو لاه فيما يفعله.. وما هي إلا
لحظات حتى توقفت قبالاته عند كتفها هامسا بصعوبة:
"زهرة.."

انتظرتة أن يتكلّم فلم يفعل، أبعدت يديها عن عنقه ثم
حاولت رفع وجهه عن كتفها فلم تستطع نظرا لثقله..

هزته وهي تسأله بقلق: "يا حاج، كنت عايز حاجة؟"

بصعوبة استطاعت سماعه وهو يقول بهمس:

"هشام... نادي لهشام"

لا تعرف كيف أزاحتها من عليها، وكيف مددته على

السريير وارتدت قميص نومها الملقى على الأرض بتعجل

وخوف، ثم جرت لخارج الغرفة تصرخ بعلو صوتها:

"هشام، يا باشمهندس الحقنا الحاج تعبان"

خرج هشام من غرفته يجري لمصدر الصوت فوجدها

زوجة أخيه تصرخ مشعثة الشعر، ترتدي شيئاً.. يا إلهي!

كيف خرجت هكذا من غرفتها؟!

تنحج بحرج واحمرت وجنتاه بينما يسألها وهو لا يحيد

بعينيه عن نقطة ما أسفل قدمه: "خير يا مرات أخويا؟"

بدأت زهرة في البكاء خوفاً وهي تقول بتقطع:

"الحاج تعبان.. تعبان أوي يا باشمهندس... وقالي أناديلك"

لم ينتظر أي كلمة أخرى وصعد جريا إلى أخيه والقلق

ينهش صدره نهشاً .

دخل الغرفة فوجده ممددا على السرير، يضع يدا فوق

صدره والأخرى تقبض بقوة على ملاءة السرير يصرغ فيها

بعضاً مما يشعر به من ألم، بينما تعالي صوت تأوهه وهو لا

يستطيع كتمانها .

نظر هشام له بخوف بينما يقيس نبضه بأصابع يده، ثم

حوّل نظراته لزهرة التي ذهبت لأحد الأركان تبكي

بقوة: "إيه اللي حصل؟"

وضعت يديها على وجهها وهي لازالت تبكي بغزارة:

"معرفش... معرفش... كان كويس، وفجأة تعب وقال

اندهيلي هشام"

أرجع نظراته لأخيه ثم أمسك بهاتفه يضرب أحد

الأرقام، فاقتربت منه زهرة تنظر له وهي تستجدي أي
اطمئنان يريحها في خوفها هذا، لكن ما لاقته هو أمره
الحازم بينما يخرج من الغرفة بعد أن أنهى اتصاله مع
الطبيب: "الدكتور هيجي دلوقتي يا مرات أخويا، البسي
حاجة عقبال ما أنزل أجيبه وأجي"
ثم أغلق الباب وراءه بعنف وهي تنظر له بدهشة وترفض
حتى مجرد النظر لما ترتديه، إلى أن هبطت بعينيها
لقميص نومها الفاضح هاتفتة برعب حقيقي وهي تضرب
وجنتها بيدها: "يا لهوي؟"

الفصل العاشر

تجلس في غرفة مكتبها شاردة، تخطب المكتب بقلمها
من الحين للأخر برتابة وبطء.. ذكرى ذلك اليوم لازالت
ببالها رغم مرور شهر عليه، كل كلمة تتذكرها جيدا..
بعدها غادرت النادي متجهة بسيارتها إلى اللامكان،
توقفت في منتصف الطريق عند منطقة مرتفعة بكثير
عن الأرض المحيطة بها، هادئة، ومنظر غروب الشمس
ظاهر فيها بوضوح.. ترجلت من السيارة ووقفت أمامها
مستندة عليها بينما تراقب الشمس والأرض تبتلعها مخلفة
لونا أحمرًا يقارب لون ورود الجوري والبنفسج مندمجين.
أحمد.. كه كرهت الاسم وكرهت كل حامله وكل
من يماثلوه في الجنس.. حتى لو نسيت كل ذكرياتها
معه، فلن تنسى أبدا جملة التي لاتزال ترن في أذنيها منذ

خمس سنوات.. "أنا خطبتك عشان كده وبس، عشان
 انتي حلوة، عشان اتمتع بحلاوتك دي، لكن انتي غير
 كده ماتسويش حاجة وماتهنيش ف حاجة، لا أنا ولا
 غيري، كفايتة كآبتك وثقلك اللي شلوا أهلي.. محدش
 هيقربك إلا عشان عايزك، وأكيد فاهمة يعني إيه
 عايزك يا بنت الناس"

وقد نجح اليوم في نبش ذكرياتها وإخراج أسوأها من
 سباتها الطويل، عندما لامس زوجته بتلك الطريقة ال...
 المثيرة للغثيان، لا تعبير أدق من ذلك، كأنه يذكرها
 بما كان يفعله، بما كان من الممكن أن تتنعم به الآن
 لكن لسوء حظها حرمت منه.. وكه تريد أن تقبل سوء
 حظها ذلك على أنه أبعد عن طريقها للأبد.. لكن رغم
 ذلك، وفي ركن قصي من جدران قلبها وتلابيبه، يقبع

خافق صغير لازال يعاتبه، كحب أول وأخير في حياتها،
 كأول من تفتحت أوراق أنوثتها على يده، لينتزعها بعدها
 بقسوة غير مبال بها، فيبقى هو ذكرى حب وحيد تنعمت
 به لفترة لم تطل كثيرا لتكتشف بعدها زيف ذلك
 الحب كليا.

امتلات عيناها بالدموع دون أن تتساقط، دموع حزن خفي
 تنجح في مداراته عن الناس، فقط جمعت الدمعات وأبت
 الطاعة بملامسة بشرة وجنتيها وإراحتها.. سمعت صوت
 عال لمكابح سيارة فالتفتت تراقبها بحذر وقلق، لتجد
 بعد دقائق جلال يترجل منها ووجهه مليء بالتعبيرات
 الغامضة.

اقترب منها حتى وقف بجانبها مستندا على حافة سيارتها،
 ينظر للبعيد بينما هي تنظر له عاقدة حاجبها بانتظار

تبرير أو شرح لسبب تواجد هـنا ووقوفه بجانبها.. لحظات
مرّت ليلتفت لكاميليا ويجدها تحديق فيه بعقدة حاجبها
التي تغيظه، بينما عيناها.. باكيتان نديتان، آآآ..
فلتكتوي في الجحيم يا أحمد على ما فعلته بتلك
الثائرة.

قال بلامبالاة ظاهريّة: "نعم! هتفضلي مبحلقة فيا
كثير؟"

احمرّت وجنتاها وهي تهتف به: "وأنا هبحلق فيك أعمل
بيك إيه؟ إيه اللي جابك هنا يا بني آدم؟"
تنهد بقوة ساحبا قدرًا لا بأس به من الهواء المحيط بينما
يجيب بهدوء: "المضروض اسألك أنا السؤال ده؟"
ثم أكمل بحنق: "إيه اللي يجيب واحدة زيك ف المكان
المقطوع ده يا أستاذة؟"

تلعثمت وكادت تبرر، إلا أنها هتفت به: "وانت مالك؟
بتحشر نفسك ليه ف اللي ملكش فيه؟ ماكانش ناقص
إلا إنك تراقبني فعلا!"

تخصرت بكالتا يديها بينما تتنفس بسرعة طلبا للهواء،
بينما هو يتفرس في ملامحها بدقة قائلا بهدوء وثباته
قدر استطاعته: "اللي كانت معاه دي مراته؟"

توقف صدرها عن الصعود والهبوط وتجمدت عيناها دون
حراك، إلى أن ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تتجه بنظراتها
إلى مكان أبعد: "أيوه"

زفر بضيق، يحاول كبح السؤال وابتلاعه، لكن لسانه
فلت من عقاله وانطلق به بصوت كئيب خائف من
الإجابة: "إنتي لسه بتحببيه يا كاميليا؟"

ضحكت بسخرية وهزت رأسها يمينا ويسارا بعدم تصديق:

"بحبه؟! الكلمة دي اتلغت من قاموسي يا أستاذ من خمس

سنين"

ليضيف بصوت محايد وهو يستغل لحظة الصراحة التي لا

تأتيها إلا لمامًا: "أمال ليه جريتي من قدامه وسيبتي

المكان كله وجيتي هنا؟"

ظلت تتلاعب ببعض الحصى بقدمها لتجيبه بخفوت:

"معرفش، أنا نفسي مش عارفت.. يمكن إحساس الإهانة

رجعلي تاني لما شوفته، إحساس إن اللي قدامك مش

مقدرك، مش بيحافظ عليك، بينهش فيك مع إن هو

أكثر حد المفروض يحميك، مسترخصك"

ثم رفعت وجهها إليه مبتسمة بسخرية: "وانت أكيد عارف

يعني إيه وإزاي مسترخصني"

هتف بصرامة أمام وقاحتها التي تداري بها وجعها:

"أخوسي، إنتي أشرف 100 مرة من واحد حقير زييه

مايسواش ضفرك حتى"

أبعدت عينيها عنه بينما هو تخلل خصلات شعره بيده

هاتفا بخشونة وهو يتجنب جرحها بأي كلمة: "كاميليا،

أنا عارف إن أحمد عمل معاك كتيير صدمك فيه،

يمكن أكثر م اللي أعرفه وسمعتة وشوفته..."

ثم رفع نظرة حنان خالص لعينيها، نظرة مؤازرة، تخبرها

أنه هنا بجانبها مهما حدث، ليضيف: "بس أنا عارف كمان

أد إيه انتي قويتة.. يمكن اللي ساعدك قبل كده على

تجاوز ده كله كان سفر أحمد وبعده عن البلد وعنك،

بس دلوقتي وهو هنا مينفعش تضيعي كل اللي عملتيه..

خليكي قويتة زي ما كنتي طول عمرك"

ازداد عمق نظراته، وكادت يده أن ترتفع لتحط على

كفها بمؤازرة، لكنه منع نفسه في آخر لحظة هاتفا
 بصدق: "وأنا هفضل جنبك يا كاميليا، حتى لو مش
 محتاجاني أتدخل ف حياتك، وحتى لو بتبعديني عنك
 زي ما بتعملي دايمًا، هفضل جنبك بردو، وكفايتة إني
 أشوفك من بعيد مرتاحة ومبسوطة"
 تنهد بقوة ثم قال متجنبًا النظر لعينيها: "يلا نمشي من
 هنا الوقت آخر، بلاش مامتك تقلق عليك"
 أومأت برأسها دون أن تشعر، ولا زالت مندهشة مما قاله، ثم
 التفتت تدخل سيارتها، وهو جلس بداخل سيارته مراقبا
 إياها تبتعد أمام ناظريه، والغضب والعجز كانا رفيقاه في
 تلك اللحظة.
 أفاقت من شرودها على نسمة هواء بارد اصطدمت بوجهها
 فأنعشته؛ لتبتسم متنعمًا بتلك اللحظة.. وفي ظل

ابتسامتها تذكره، لا تعلم من أين ظهر فجأة لعقلها، لكن
ظهوره تزامن مع تتابع النسيمات الباردة، لتكتف ذراعيها
أمام صدرها علها تدفئ نفسها قليلا.

ذلك اليوم كانت كأنها تراه لأول مرة، ليس هذا جلال
الذي تعرفه، الساخر، الوديع أحيانا، الحازم في عمله،
المرح.. لو تكن تعلم ذلك الجانب ال... يا إلهي! حسنا،
ستعترف لنفسها، كان هناك فيض حنان يتدفق من
عينيه، وشعور تملكها للحظة بأنها لو أرجعت ظهرها
للوراء بهدف السقوط فستجد صدره في انتظارها كي
يحميها، حتى من نفسها، فتتمنى لو تفعلها وتتعمد
السقوط مغلقة عينيه كي تتمتع بشعور الثقة والحماية..
لكنها بالتأكيد لو ولن تفعل.

تنهدت بعمق تخرج كل الأفكار من رأسها، ثم اتجهت لما

أمامها من أوراق وذهنها شارد في مكان بعيد عن كل تلك

الأوراق.

وفي نفس الوقت كان هو بغرفة مكتبه شاردًا فيها، لقد

استنزفته تلك الثائرة، لسنوات وهو يتظاهر بالبرود

واللامبالاة كي لا تتسرب من بين يديه كحبات الرمل،

لكن ما شاهده ذلك اليوم ورد فعلها كانا أقصى ما

يمكن أن يتحملة.. كيف يتحمل المزيد؟ كيف يراها

تذبل بداخلها وهو مكبل الأيدي لا يقوى حتى على

مواساتها بربتها خفيضة على يدها تخبرها أنه هنا، معها،

دوما وأبدا، وليس أحمد أو غيره من يستطيعون زعزعت

قوتها ولو بشعرة.

زفر بقوة وهو يتخلل شعره بأصابع يده، يكاد يجن وليس

أوراق الياسمين

بعقله سوى فكرة واحدة، أجلها لسنوات وحاول التمهيد
لها في قلب وعقل كاميليا، لكن الثائرة لن ترضخ له،
وكان يعلم ذلك علم اليقين.. أما الآن هي لم تترك له
سوى ذلك الخيار، فهو لن يظل للمزيد من الوقت وهو
يشاهدها من بعيد؛ إذا كان اللعب بنزاهة لم ولن يفلح
معها، فلياجأ إذاً للعب بخداع، ولا بأس من المواجهة
والصدمة، فهي لن تأتي إلا بتلك الطريقة ولو انتظرها
العمر كله.

وزهرة أخرى نسيت أنوثتها بل كبحتها داخلها بقسوة لما
تلاقية من هوان وانتهاك لأنوثتها يومياً في سبيل إيجاد
(لقمة العيش) كما أجبرتها الظروف فهل ستشعر يوماً
بقلب نبض من أجلها أم ستظل ترفض أي شيء يثير

مشاعرها الأنثوية؟!!

عادت إلى المنزل وهي تشعر بالسعادة فمئذ حصلت على ذلك العمل لدى الحاج عبد التواب والذي كان بمثابة أب ثان لها وقابلت نرجس والتي شعرت أنها أختها التي كان يدخرها لها القدر وحياتها تتحول من حياة عادية إلى حياة مليئة بالسعادة رغم الغصة التي مازالت تشعر بها لوفاة أمها منذ عدة أشهر إلا أنها شعرت أن الحياة ابتسمت لها أخيرا وكل ذلك بسبب إسلام! ذلك الرجل الشهيم الذي لم تر له مثيلا أبدا، ابتسمت بحنو وصوته يتناهى إلى سمعها وهي تدلف إلى الشقة فهي تقابله يوميا لدى عودتها من العمل فكان طوال الفترة السابقة يقطع من وقته ويحضر للجلوس مع والدها ويغادر فور عودتها.. وكأنه موعد يومي بينهما فما إن تعود حتى يسرع بالمغادرة وهو يلقي إليها

بتحيّة مختصرة خجولت؟

ابتسمت وهي تسمع صوته يستأذن والدها ويخبره بعودتها
 ووالدها يدعو للغداء ككل يوم وهو يرفض متعللاً
 بالعمل ويغادر فوراً.. كيف يعلم أنها عادت؟! هل سمعها؟!
 حرّكت كتفها بلا معنى وهي تستدير لتتجمّد أمامها
 وهي تراه واقفاً يرمقها بطريقة غامضة فازدردت ريقها
 ببطء وهي تبتسم له قائلة: "مش هتتغدى معانا برضه

النهاردة يا إسلام؟!"

نظرة دهشة فلتت منه ونبضت خائفة هربت من قلبه قبل
 أن يجلي صوته ويقول: "تسلمي يا نسرين مالوش لزوم التعب
 أنا هاكل مع الاسطى حسين في الورشة"

"بس ده زمانه اتغدى من بدري؟"

ابتسم لها بخفة قائلاً: "مش مهم هبقى آكل في البيت لما

أوراق الياسمين

أرواح

"هو أنت متجوز؟!"

صدمة أصابت كليهما لتثير الارتباك بينهما فهي
صدّمت للسؤال الذي تسأل من بين شفقتها رغما عنها وهو
صدّم لاكتشاف فضولها تجاهه فوجد نفسه يقاطع
اعتذارها بابتسامة سعيدة قائلاً: "لا مش متجوز أنا عايش

لوحدي مع عمّي"

يبدو أنه بإجابته وبابتسامته شجّع الفضول الذي يتآكل
داخلها نحوه والذي لم تدر بوجوده قبلاً لتواصل استجوابه:

"ووالدك ووالدتك فين؟!"

"متوقّيين من سنين ماليش غير عمّي وابنه بس هو مسافر

برّه في شغل"

أومات برأسها وهي تكبح زمام فضولها ثم عادت لتصر

أوراق الياسمين

عليه: "خلاص هتتغدى معانا النهاردة"

همّ بالاعتراض فقاطعته بنبرة مازحة: "متخافش أنا بعرف

أطبخ حلو مش هتروح المستشفى ولا حاجة جرب

وأوعدك مش هتندم"

أوما لها بخفة وهو يهتف داخله: (لن أندم على أي شيء

يقربني منك أبدا)

فتركته ودلفت حتى تعد الغداء سريعا وكانت قد

جهزت معظمه الليلة السابقة كعادتها ولم يتبق سوى

إعادة التسخين واللمسات الأخيرة ولحسن حظها كان

الغداء (طاجن بامية باللحم) فهي منذ عملت لدى الحاج

عبد التواب وهي توفّر حتى تستطيع أن تطعم والدها

اللحم أو الدجاج مرتين مرتين بالشهر.

بعد فترة كانت تجلس معه إلى طاولة صغيرة أدخلتها

لغرفة والدها حتى يتناولوا الطعام بالداخل معه.. هل ستبالغ لو قالت أنها أفضل وجبة تناولتها منذ زمن طويل؟ لا تعلم هل لأنه يشاركهما الوجبة أم للراحة التي تظهر على والدها والتي لم ترها منذ زمن طويل؟ غادر إسلام بعد أن شرب الشاي ووالدها يخبره أن يبدأ فيما اتفقا عليه.

"نسرين تعالي يابنتي عايز اتكلم معاكي كلمتين" ناداها والدها فذهبت له وهي تشعر بالحيرة فما هو الأمر المهم حتى يتخلى والدها عن قبيلته من أجل التحدث به؟

"خير يا بابا؟"

قالتها بتوجس لبيتسه والدها وهو يقول: "كل خير إن شاء الله، فيه عريس متقدمك والحقيقة أنا موافق عليه"

انتفضت واقفت وهي تنظر له بصدمة وهي تقول:

"مش موافقة"

"وهو انتي لسه عرفتي مين هو؟!"

قالها بهدوء لتجيبه: "من غير ما أعرف أنا مش عايزة اتجوز"

"بس أنا موافق وهتتجوزيه"

"يعني هتغصب عليا يا بابا؟!"

قال بنبرة هادئة: "لما يجيلي واحد زي إسلام الشرييني

لازم أوافق طبعاً، راجل وشهم ومفيش منه وأي أب يتمنى

أنه يطلب بنته لأنه هيكون مطمئن عليها معاه ايه بقى

اللي يخليني أرفض؟"

"إسلام!!!"

همست خافتة خرجت من بين شفيتها سمعها والدها

ليبتسم قائلاً: "أيوة إسلام، وهو اللي صمم إنني آخذ رايك

رغم اني بلغته موافقتي وقولتله يبدأ ف معاملات الجواز
 عشان تتجوزوا على آخر الشهر، الراجل شقته جاهزة من
 كله حتى العفش هو كان بادئ بيع من فترة وقرب يخلص
 فمالوش لازمة العطلة أكثر"

لم تستطع أن تنبس ببنت شفة وهي تسمع والدها يخبرها
 أنه إسلام ذاته الذي تتهافت عليه فتيات الحي، بالتأكيد
 سيحسدونها جميعا عندما يعلمون.. عقدت حاجبها
 بدهشة وهي تهتف داخلها: (ومتى وافقت عليه حتى
 يحسدوني؟!)-

"مالك يا نرجس وشك أضر كده ليه يابنتي؟!"
 قالتها جدتها بقلق لتشير إليها بلاشياء وهي تقول:
 "مصطفى فين؟!"

"نايم جوّه اديتله الرضعة وغيرتله ونام"

"طيب انا هنزل شوية واجي"

"رايحة فين يا بنتي؟ ده انتي لسه راجعة من بره طب"

"استني اما تاكلي لقمة حتى"

قالتها جدتها بلهفة لتشير إليها بالرفض وهي تخرج مرة

أخرى.. ذهبت للمقهى القريب على منزلها واستأذنت

(صبي القهوجي) أن تستخدم الهاتف فأذن لها..

"أيوة يا حاج عبدو، انا نرجس.. انا عايزة حضرتك

ضروري ممكن أقابلك ماينفضش ف التليفون"

استمعت قليلا ثم قالت: "طيب انا جايت على المشغل اهو

مسافة السكت"

"مين يا حاج؟!"

قالها حميدة بتساؤل فضولي ليرمقه عبد التواب بنظرة

صارمة وهو يقول: "وانت ايش حشرك يا حميدة؟"

يكونش كام تليفونك وانا معرفش؟ ماتخليك ف

شغلك وكل عيش وياللا مش كنت عايز تروح ياللا

وريني عرض كتافك"

"واسيبك لوحدك يا حاج؟ مش هقفل معاك المشغل؟!"

"اكونش عيل صغير انا؟ روح يا حميدة انا ورايا شويت

شغل هخلصه وامشي"

"حاضر يا حاج فوئك بعافيت"

قالها حميدة بابتسامته سمجة وهو يغادر المكان مضكرا

(شغل ايه ده اللي معرفش عنه حاجة؟! لا الموضوع فيه

إنّ ولازم اعرفه).

"يا حاج عبدو!"

"تعالى يا نرجس انا مستنيكي اهو"

دلقت نرجس بتردد لتجده جالسا على مكتبه ويبدو أنه

كان يقرأ بكتاب ما قبل حضورها..

"انا اسفتر يا حاج انى عطلتك وخليتك تستناني"

قالتها نرجس بخجل ليبتسه لها عبد التواب بحنو وهو

يقول: "وانا اطول استنى القمر ده تعالى يابنتى

ماتتكسفيش وقوليلى فيه ايه صوتك مكنش عاجبنى

فى التليضون"

جلست على المقعد أمامه وهي تقول بخضوت: "انا واقعة ف

عرضك يا حاج تشوفلى اى حتر اقعد فيها انا وستى

وابنى"

عقد حاجبيه بقلق وهو يقول: "فيه ايه يا نرجس يابنتى؟"

انتى لسه كنتى بتقولى انك مرتاحة ف المكان اللى

انتى فيه حد اتعرضلك؟!"

أومات برأسها وهي تقص عليه كل ما حدث معها منذ

زواجها من ذاك المدعو حلمي حتى مطاردة أخيه لها

ووصوله لعنوانها الجديد وتهديده له..

"ابوس ايدك يا حاج شوقلي اى حته اتاوى فيها أنا خايضة

يفضحني وانت عارف الناس ما بيصدقوا ينهشوا ف لحم اى

حد ومحدث بيدور إذا كان الكلام حقيقي وال لا"

شرد للحظات قبل أن يربت على يدها بحنو أبوي وهو

يقول: "قومي معايا يا نرجس أنا عندي المكان اللى

تحتاجيه، تعالى نروح ناخذ ستك وابنك قبل ما الندل

ده يجيلك تاني".

تابعهما بعينيه وهو يحرك رأسه قائلاً: "بقي يا بنت
الفرطوس ترفضيني انا وتعملي نفسك شريفة وانتي
لايصة على الراجل الكبير تضحكي عليه عشان تلهفي
اللي حيلته، آه بقي كده بانتي هو يقولي شوية شغل
وامشي انت وانتي تجيله بعد الشغل وتركبي معاه كمان،
انا قولت من الاول الموضوع فيه إن محدش صدقني..
بس على مين انا بقي هوريكي هعمل ايه"
أخرج هاتفه المحمول ثم طلب رقم محدد وأغلق دقائق
وتعالى رنين الهاتف ليرد بلهفة: "ايوة يا عاصم بيه، فيه
حاجات بتحصل مايتسكتش عليها أبدا وقولت لازم
ابغك بالموضوع".

لم يغمض لها جفن حتى موعد العمل فنهضت وهي تفكر

هل حقا ستتزوج وبإسلام زينته الرجال؟! ضحكت بحماقة
وهي تجهز الإفطار لوالدها تتحاشى النظر إليه بخجل
غريب عليها، فهي لم تتعامل يوما مع مشاعرها الأنثوية
بأي شكل فكيف تتعامل بشعور الفرحة داخلها والتي لا
تعلم لها سببا أو ربما تعلم ولكنها تتجاهل الأمر.
ذهبت إلى العمل تحاول أن تداري فرحتها بداخلها.. للمرة
الأولى تشعر أنها مثل باقي الفتيات يحق لها أن تفرح
وتحلم وتتمنى.. عقدت حاجبها وهي ترى مكان مقابلتها
مع نرجس فارغا! ألن تذهب اليوم أم سبقتها أم ماذا؟!
أسرعت للغرفة التي تقطن بها مع جدتها وابنها لتقابل
جارة لها قبل أن تصعد الدرج..
"رايحة فين يا نسرين؟!"
سألته المرأة لتتنظر لها بدهشة قائلة: "طالعة لنرجس

اتأخرنا على الشغل"

"ايه ده هي ماقلتلكيش إنها هتعزل وال ايه؟"

"تعزل؟"

قالتها بصدمة لتومئ لها المرأة فشكرتها وغادرت مسرعة

للعمل.. وصلت لتجدها تتكلم مع الحاج عبد التواب

فحيتهما سريعا قبل أن تنفرد بنرجس تسألها على ما حدث

وما جعلها تنتقل إلى مكان آخر فأخبرتها بما حدث ليلة

أمس وكانت قد علمت ظروفها من قبل..

"وما جيتيش عندي ليه يا نرجس اخص عليكى احنا مش

اخوات وال ايه؟"

قالتها نسرين بتأنيب لتربت على كتفها قائلة: "أكثر من

أخوات والله يا نسرين، بس ماينفخش اجي انا وستي

ومصطفى ونطب عليكم مرة واحدة كده والله يستره

الحاج عبدو قعدني في شقة قريبة منه وزي الضل"
 "الله يستره ويجازيه خير يارب.. بس ابن ال بتاع ده مش
 عايز يحل عن سماكي بقى؟! ياريتني كنت معاكي
 كنت فتحت دماغه وخلصنا منه"

قالتها نسرين بغضب لتضحك نرجس وهي تقول
 بمشاكسة: "ايوة وانتي تدخل السجن واسلام يدوخ
 وراكى وقلبه يتكسر"

وبدلا من أن تزجرها كعادتها وجدت وجنتيها تتوردان
 لتضحك قائلة: "لا لا واضح ان فيه جديد، يكونش
 العاشق الصامت خرج عن صمته وقالك؟!"

"لا وانتى صادقاً قال لابيوا"

"نعم!!"

قالتها نرجس بصدمته لتضحك نسرين وهي تقص عليها

ما حدث بالأمس فيبدو أن الليلة السابقة كانت مليئة
بالإثارة لكليهما وإن تباينت بين فرحة وحزن.

"انتي ازاي تخرجي أمي قدام ضيوفها ووتمشي وتسيبها

وهي تنده عليك وتطنشها؟"

قالها أسعد بغضب وهو ينظر لها جالسة على الفراش

تبكي كعادتها في الأيام الأخيرة..

"انا ال أخرجت مامتك؟ وهي لما تعيرني قدام الناس اني

مابخلفش وتقول اني زي قلتي يبقى عادي؟"

"وهي غاطت يعني؟ مانتى مابتخلفيش واحمدى ربنا اني

عامل باصلي وماروحتكيش عند ابوكي"

قالها بغلظة لتتسع عيناها بصدمة، من هذا؟! هل هذا

أسعد الذي آمنه على نفسها وقلبها؟! أهذه أمانة والدها

ووصيته له؟! انهمرت دموع من عينيها ليتأفف قائلاً:
 "اوووف انتي بقيتي كئيبة وانا مبحبش الكآبة شكلي
 كده هسمع كلام امي واوح ادور على واحدة تصرفشني
 وتسافر معايا دبي بدل الغم اللي بقيت عايش فيه ده"
 "دبي! انت هتسافر؟! وانا ايه آخر من يعلم؟! وال خلاص
 مبقاش ليا قيمة خالص؟!"

هتفت بها بغضب ليمسك ذراعها بقسوة وهو يقول:
 "صوتك مايعلاش قدامي وانتي مكنش ليكي قيمة قبل
 كده عشان يكوناك دلوقتي، مشي أمورك وبلاش دلع
 يا لبنى بدل ماوريكي وش عمرك ماشوقتيه"
 أغمضت عينيها وهي تقول: "ليه يا أسعد؟ ليه بتعاملني
 كده؟ ازاي بتحبني وبتعاملني كده؟!"
 "وايه دخل الحب بالموضوع؟! بنقضي وقت حلو سوا

وبدل لك وتدعيني.. لكن بقى هتقلبي خلقتك
وتغميني كل شوية هتاخدي بالجزمة وتعملي اللي انا
عايزه برضه وهتجوز عليكى كمان وانتى عارفة انا
راجل مايعيبنيش حاجة وألف واحدة تتماناني"
انتفضت ثائرة وهي تصيح: "تديني بالجزمة؟! انتى بتقول
ايه يا اسعد ليه جايبني من الشارع؟! انا ليا اهل واهلي
هياخدولي حقي منك تالت ومثلت، ولو عايزة تتجوز الف
سلامة لكن تطلقني قبلها او انا بقى هفضحك واقولهم
الراجل اللي انتوا مخمومين فيه ده بيمد ايده على مراته
وابقى شوف مين ال هترضى تتجوزك ساعتها و....."
قاطعتها صفعة قاسية كادت تفصل عنقها عن جسدها
لتتبعها صفعات أخرى وهي ترفع يدها أمام وجهها تحميه
من ضرباته العنيفة التي طالت جسدها كله وصرخت

بعنف ولكنه كتم نفسها حتى شعرت بروحها تزهق.

"سوسن..."

وضعت آخر دبوس في حجابها ثم التفتت تنظر إليه..

تقدم منها حاملا بيد ورقته وبالأخرى عبوة صبغ للختم،

هل سيحقق لها ما طلبته؟ ابتسم بخبث وهو يقدم لها

الورقة: "ابصمي هنا يا عروسة"

نقلت نظرها بينه وبين ما بيده، ثم تساءلت بتعجب

مصطنع: "إيه ده؟"

اتسعت ابتسامته أكثر: "مش انتي كنتي عاوزانا نتجوز؟"

أدي يا ستي عقد الجواز، عشان تعرفي بس ان نيتي طيبة

ومش بأخرلك طلب"

ببرود أضافت وهي تركز نظراتها لعينييه: "من غير شهود

ولا مأذون؟"

بدأ يفقد صبره، فعلا صوته قليلا: "وانتي فاكرة لما نتجوز هنتجوز رسمي؟! ده عقد عرفي عشان الشوشرة والفضايح، ليكي قبل ما يكون ليا، واهو اسمه جواز

بردو"

ظلت معلقة بصرها بورقة الزواج تلك التي لا تستطيع قراءة ما بها.. زواج عرفي أفضل من لا شيء على كل حال، وهل كانت تمنى نفسها بزواج رسمي واشهار وزفاف وغيره، كم هي حالمة! من في مثل حالها يكفيها ورقة زواج عرفي مقيتة كتلك، ذلك أقصى طموحها.

وضعت إصبعها الإبهام في عبوة الصبغ ثم طبعته على الورقة، فقلبها لتطبع على ورقة ثانية، وثالثة، معلنة بذلك أمام نفسها أنها زوجته حتى ولو لم يعرف بذلك

أوراق الياسمين

غيرها.

دخلت المنزل بتعب فقابلتها والدتها قائلة بقلق وغضب:

"كنتي فين لحد دلوقتي يا سوسن؟"

تأففت بملل وهي تجيب بينما تتجه لغرفتها: "ف الشغل يا

امه، هكون فين؟"

"الساعة 8 بالليل يا سوسن! بقيتي بتتأخري أوي ف الشغل

لو مش ملاحظة يعني! وخطيبك بيسأل عليكى دايما

وأنا وشي منه بأى ف الأرض"

استدارت لها هاتضة بغضب: "يعني أعماله إيه يا امه؟ بشتغل

واشقى عشان نجيب القرشين اللي معيشينا، لو مش عاجبه

يبأى اقعد ف البيت ويصرف هو عليا أنا وانتى"

تنهدت والدتها بقلّة حيلة: "يا بنتى أنا عاملة عليكى

انتى، رعوف ابن حلال ومش هتلاقي زيه أبدا، راجل من

ضهر راجل، بلاش تطنشيه كده، لو كان حبيبك عسل
 ماتلحسوش كله يا ضنايا، الراجل بردو بيشقى وبيتعب
 مش انتي لوحدك اللي مشغولت، بس هو مع كده مش
 بيتأخرف السؤال عنك"

رفعت يدها تمسح بها وجهها بتعب ثم أنزلتها وهي تقول:
 "حاضر يا امه"

انفجرت أساريرها وهي تقول بسعادة: "يحضرك الخير
 يا حبيبتي، أيوه كده جدعت"
 لتتركها سوسن متجهة لغرفتها ورأسها تعصف بالأفكار.

"ألو.. هجبها لك بس كنت مستنيها تستوي ع الآخر..
 لأهتعاقد أكيد بس أنا عارف هلوي دراعها بإيه..
 النهاردة أو بكرة بالكثير... سلام"

ما أن أغلق الخط حتى وجد أبرار تتمدد بجانبه على
 السرير بينما تدلك يديها ببعضهما بمرطب للبشرة،
 تسأله باهتمام: "كنت بتكلم مين؟"
 نام على جنبه واستند لمرفقه بينما يجيب وهو يتحسس
 بشرة ذراعها العاري صعودا ونزولا بإصبع السبابة:
 "أبدا يا حبيبتى، مكالمته شغل"
 أومات رأسها بتفهم، ثم انزلت في السرير وقد أغلقت
 مصباح الإضاءة المجاور لها استعدادا للنوم: "تصبح على
 خير، ماتنساش تظفي الأباچورة اللي جنبك قبل ما تنام"
 قبض على ذراعها وهو يقرب وجهه من وجهها، يتلمسه
 بشفتيه: "كده بردو تنامي وتسيبيني لوحدي؟"
 ضحكت بخفة: "تعبانته يا جمال وطبيعي أكون نعسانته،
 وانت ف العادي مش بتنام بدري"

أخذ يوزع قبلاته على وجهها وكتفها وطول ذراعها وهو
يقول من بينها: "تعالني ونسيني وأنا هنسيكي النعس
خالص"

ضحكت بنعومتها وهي تحاول مقاومته: "انت ما بتشبعش
أبدا يا جمال؟!"

لكن جمال كان في عالم آخر.. وصورة سوسن لا تبرح
خياله أبداً.

كان ممددا على فراشه، يثني ذراعيه تحت رأسه في
تفكير عميق.. والآن ماذا؟ مات أخوه الأكبر، وخلف
وراءه ثلاث نساء وعدد لا بأس به من الأولاد، وكلهم
معلقون برقبته .

وزهرة، تلك الفتاة الصغيرة التي أوقعها حظها العاشر في

يد أخيه، كم حاول إثناء أخيه بالحسنى عن زواجها لكنه أصر بشدة عليه، وهشام كان بوقتها غير قادر على رفض كلمة لأخيه نظرا لأنه هو من ساعده وسانده حتى أصبح ما هو عليه والتحق بكلية الهندسة، جميله كان كالشوكية في خاصرته تمنعه من التفوه بأي معارضة، ليس خوفا من ربيع، بل احتراما و عرفانا بما صنعه له، وهو أبدا لم يكن ناكرا للجميل في يوم من الأيام.. كان كما يقولون (عينه مكسورة) من ناحية أخيه، حتى بعد أن عمل وأصبح لديه مرتب ينفق منه كما يشاء وقتما يشاء، لكن تبقى تلك الأيام عندما كان طالبا يتلقى العناية من أخيه كأحد أبنائه- شيئا يمنعه من الوقوف بوجه أخيه في أي من قراراته.

والآن وبعد أن مات ربيع، ماذا سيفعل مع زوجة أخيه؟

أتركها لأبيها كي يبيعها لأقرب مشتر كما فعل من
 قبل؟ وهو لن يتوان عن ذلك لحظة، بل إنه بالفعل
 يفكر في الأمر، ووصله كلام مؤكد بأن الخطاب
 يتقدمون لها سرًا حتى قبل انتهاء عدتها، لكنه يعرف
 والدها.. فهو ينتظر من يدفع أكثر كي لا يخرج من
 تلك الزيجته خاسرًا كما لم يفعل قبلاً.

تلك المسكينة، كم يشفق عليها! وكم تمنى لو
 يستطيع إنقاذها أو تقديم أي مساعدة لها، لكن شعور
 العجز كان يكبله حينها.. أما الآن فليس هناك ما
 يكبله، وليس هناك ما يجعله يفض الطرف عما سيحدث
 لها إذا تزوجت مرة أخرى كزواجها بأخيه، وربما يضعها
 القدر في يد من هو أسوأ من أخيه.

"لا حول ولا قوة إلا بالله"،

أوراق الياسمين

همسها بخضوت وهو لا يدري ماذا يفعل، حائر بشدة ولا
يجد قرارا سليما يرتاح له باله.. يهتم بها كأنها ابنته
التي لا يدري متى أنجبها؛ فنام من شدة تعبها، وهو لا يعلم
ما يخبئه له الغد.

ها هي قد عادت لغرفتها في بيت والدها، ذلك البيت
الذي لطالما حلمت بالهرب منه، وعندما تحقق الحلم
وتمكنت من الهرب لم تلبث أن عادت إليه مرة أخرى،
لكن هذه المرة وهي أرملت المعلم ربيع، وليست تلك
الفتاة التي لا تفقه شيئا في الحياة.

مرّت أيام عدتها كاملة وقد انتهت اليوم، وكل يوم
كان يمر أسرع مما قبله، ربما خوفها من أن تباع لرجل
ثان هو ما كان يسرع من مرور الوقت ويعجل من انقضاء

العدة! لا تتذكر من يوم وفاته سوى تلك الكلمات
 البسيطة التي قالها الطبيب بعدما نقلوه للمشفى..
 "المرحوم أخذ جرعة منشط كبيرة، جسمه
 ماستحملهاش للأسف بسبب سنه.. ادعوله بالرحمة"
 ثم ما بعدها حتى الآن مليء بالسواد والنواح.. من يومها
 وزوجاته الاثنتين نبذاها من بيتها مكيين لها التهم
 والشتائم بأنها هي السبب في موته وأنها سبب كل
 المصائب منذ أن خطت بقدميها ذاك البيت؛ فما كان من
 هشام إلا أن أعادها لبيت والدها كي لا تتلقى المزيد
 منهن-

دخل والدها في تلك اللحظة وهو يأمرها: "قومي من
 عندك يا بت والبسي حاجة غير الاسود ده، فيه ضيوف
 جايين النهاردة وعايذك على سنجة عشرة"

اتسعت عيناها وهي تنظر له محاولت معرفة هويت هؤلاء
 الضيوف؛ فمنذ آخر مرة سمعت فيها تلك الكلمة
 وعينيها لم تريا النور من بعدها.. أيكون ظنها صحيحا؟
 "يا رب"، همستها بداخلها بتضرع صادق لله وهي تتمنى
 حدوث معجزة ثثني والدها عن نواياه التي هي متأكدة
 منها.

"تعالى يا زهرة" دخلت الغرفة حاملة صينية في يدها
 فرفعت نظرها خلست لتجد رجلاً في عمر جدها على أقل
 تقدير، يجلس مبتسما بسماجة وهو ينظر لها.
 يا إلهى! وهل كانت تظن أن الحاج ربيع كبير في العمر؟!
 من يجلس أمامها الآن يمكنه أن يكون في عمر والد
 ربيع! يا الله، انجدني!

وضعت الصينية على الطاولة ثم اتجهت جريا لغرفتها،
تحتمي بها وتلجأ إليها لتفرغ بعضا من خوفها وقهرها في
دموع عاها تريحها وتخفف من وطأة الزمان الذي دوما ما
يجور عليها.

"كاميليا..."

دخلت والدتها غرفتها لتجدها لازالت ممددة على السرير
تتأمل زخارف السقف كالمجانين، فهتفت بحنق:
"يا بنتي انتي ناوية تجاطيني؟ قومي البسي حرام
عليكي، الناس نص ساعة وجايين"

لم تتحرك من مكانها ولم ترمش عينها حتى، فقالت
والدتها بتعب وقد نفذت كل محاولاتها مع صاحبة الرأس
اليابس: "يا بنتي ارحميني، مش كفاية ان الناس لما جم

يحددوا معاد من 3 شهور سعادتك قلتي مش فاضيت،
وبعدھا بكام يوم أبو العريس مات، أكيد زمان مامته
بتقول علينا نحس ووشنا وحش عليهم"
ثم جلست على السرير وغطت عيناها بطرف الطرحة
التي دائما ما ترتديها وتعقصها من الخلف- ثم انخرطت
في البكاء.

انتبھت كاميليا على صوت نهنة والدتها، فاقتربت منها
واضعت يدها على كتفها، تقول بقلق:
"ماما، انتي بتعيطي؟"

علا صوت بكاء والدتها فاقتربت تحتضنها من الخلف وهي
تقول بحزن: "ماعاش ولا كان اللي يخليكي تعيطي
يا ماما، كل اللي عايزاه هيحصل واللّه بس استهدي باللّه"
هتفت من بين بكائها: "اقبلي بالعريس ده يا كاميليا،

عايزة افرح بيكي يا بنتي قبل ما اموت، عايزة اشيل
ولادك واشوفك فرحانة ف بيت جوزك.. يعني كتير
عليا تخليني افرح؟"

قالت الجملة الأخيرة بقهر فزادت كاميليا من احتضانها
وهي تقول بخفوت صادق: "ربنا يخليكي ليا يا حبيبتي.."

حاضر يا ماما هقابه واللي ربنا كاتبه هيكون"
تنهدت بعمق ثم أغمضت عينيها وهي تقنع نفسها أنه
عريس كغيره، ستراه وبعدها ترفض لأي سبب..
بالرغم من أن والدتها هذه المرة من الواضح أنها لن
تتهاون معها أبدا.

الفصل الحادي عشر

أغلق الهاتف بحدة وملامحه كلها تنطق بالغضب.. أنثى
 حقيرة أخرى وهذه المرة تتلاعب بوالده، أنثى وصولية
 تريد الزواج من رجل طاعن بالسن من أجل ثروته..
 اشتعلت عيناه وهو يفكر لا بد أن يعود لمصر ولو محض
 زيارة تعلم منها أنه لن يسمح لها بالاقتراب من والده .

"إيش مالك يا زلمة؟ باين أنو مشنعة معك"

قالها كاسب بمشاكسة فنظر له عاصم بحدة ثم قال

باختصار: "لازم انزل مصر"

عقد كاسب حاجبيه وهو يقول: "مش قلتلي بدكش

تاخذ عطلة هالسنة؟! ليش شوشرت معك ونويت ترجع

مصر؟!"

"واحدة حقيرة لايفتة على أبويا ولازم انزل اوقفها عند

أوراق الياسمين

حدها"

فاجأته ضحكات كاسب العاليتة ليرمقه بنظرة غاضبتة
 جعلته يرفع يده مهدئا وهو يحاول تمالك نفسه قبل أن
 يقول: "الحين باين تجربتك أثرت عليك وختك ملخوم،
 الشغلنة بسيطيتة أبوك مش ولد صغير علشان تخاف عليه
 من النسوان، ومن كلامك عنه أنا فهمت أنه زلمت حريف

بوقع واقض"

تجاهل إشاراته لتجربته وهو يقول: "ايوة هو راجل وحكيم
 وعارف ربنا كمان بس ده كيد نسا يا كاسب وكيد
 النسا مذكور بالقرآن، والمستات دول محدش يقدر يفهمهم
 والواد حميدة أكدي انها شمال"

ضحك مرة أخرى قائلاً: "بعرفش ليش بحبش حميدة
 هداك اللي حطيته يراقب أبوك، بس فهمني إيش معنى
 كلمتة "شمال" عندكو؟ هي بتقرب إشي لكلمتة "لايصة"

أوراق الياسمين

اللي ذكرتها قبل؟! خيا عاصم، إحنا صرلنا الحين ثلاث

سنوات منعرف بعض، بس لسا في كلمات بفهمهاش

بلهجتك"

ضحك عاصم وهو يرتب الأمور بعقله قائلا: "على اساس

انا ال بفهم لهجتك الفلسطينية دي؟! كل شوي هسه

وبستا يا عم روح بقى"

ضحكا معا قبل أن يقاطعهما رنين هاتف عاصم فالتقطه

وهو يعقد حاجبيه قبل أن يبتسم وهو يرى رقم إسلام ابن

عمه ففتح الخط قائلا: "ابن حلال والله كنت لسه

هكلمك، ازيك يا أس أس عامل ايه؟"

استمع قليلا قبل أن يضحك قائلا: "يا راجل بدئك الحق

عليا، ايه أنت بتتكلم جد؟! هتتجوز فعلا؟ وبعد

أسبوعين كمان؟! انت بتهزري إسلام وجاي تقولي

دلوقتي؟"

إسلام قرر يعقد؟ عملها من ورانا هالأزعر؟"

قالها كاسب ضاحكا ليشير إليه عاصم بالإيجاب وهو

يتابع حديثه: "تمام يا أس أس ولا يهملك أكيد هحضر ده

فرح اخويا يابني واهو فرصة أشوف بابا أصله واحشني

اوي، أه طبعا هجيب كاسب معايا دع نفسه يشوفك انت

وال حاج اوي .. تمام يا أس أس مع السلامة"

أغلق الهاتف وهو يقول: "الفرصة جاتلي لحد عندي، هنزل

مصر بحجة فرح إسلام"

"مين البنت اللي قدرت تخلي إسلام مصهل هيك؟"

قالها كاسب بمكر ليجيبه ضاحكا: "مش عارف ولو إني

متأكد أنه مش هيتجوز الا واحدة بيعبها فعلا.. النذل

ماقليش عنها قبل كده.. ياللا ادينا نازلين نعرف كل

حاجة براحتنا"

ثم التفت له متسائلاً: "طبعاً نازل معاً!"
 رفع يديه باستسلام زائف: "امبلاً جايي معك، بقدرش
 أكسر كلمتك يا دكتور عاصم!"

"جلال!"

همسة متفاجئة خرجت من بين شفثيها ولم يفهما سواه،
 مع اتساع عينيها وتدلي فكها للأسفل قليلاً بدهشة..
 كانت لتوها قد دخلت حجرة الضيوف مع إلحاح والدتها
 كي تقابل العريس، وأول ما وقعت عليه عيناها هو

مديرها، جلال!

جالساً، مرتاحاً، مبتسماً كما لم تراه من قبل.. وعندما
 رآها تدخل لم يقطع وصال أعينهما بينما ينهض من
 مجلسه كي يسلم عليها، وكأنه لم يكن معها منذ قليل

في العمل!

سلمت على والدته التي قابلتها بحرارة، ثم نظرت له
 بوعيد مع ارتفاع حاجبها الأيسر؛ فقابله بابتسامة واسعة
 أظهرت غمازة خده، مع سؤال خافت: "إزيك يا عروسة؟"
 ابتسمت بسماجة دون أن تظهر أسنانها، ثم انتزعت يدها
 من قبضته متجهة للجلوس بجانب والدتها.. ضحك بحرج

من معاملتها له، ثم جلس ينقل بصره بينها وبين
 السجادة أسفل قدميه من حين لآخر، ليجدها في كل
 المرات تتأمل السجادة وهي تهز ساقها اليسرى بعصبية.
 "منورينا يا مدام ثرية والله"

ابتسمت والدة جلال بمحبة بينما تجيب: "بنوركوا يا
 مدام و داد، ربنا يعزك"

ثم وجهت حديثها لكاميليا: "عاملة إيه يا كاميليا ف
 الشغل؟ أنا عارفة إن ابني صعب ويغلب بلد"

ابتسمت وأجابت ببراءة وعملية: "الحمد لله يا طنط،
 الشغل بأى هنعمل إيه، لازم نستحمل"
 كان ينظر للأرض مستنداً بمرفقيه على فخذه، يشبك
 أصابع يده في بعضها، وما إن أجابت بتلك الوداعة حتى
 ابتسم يهز رأسه يمينا ويسارا دون أن يرفع وجهه عن
 الأرض.. لتضحك ثرية وهي تجيب: "مش بقولك ابني
 وانا عارفاه.. ربنا يعينك يا حبيبتي"
 "ميرسي يا طنط"
 تنحنحت قبل أن تقول: "ما تيجي يا مدام وداد نقعد
 هناك ف الصالون ونسيب الولاد يتكلموا شوية
 براحتهم.. ولو إنهم عارفين بعض كويس بس بردو
 الظروف دلوقتي تختلف"
 تهللت أسارير وداد وهي ترد: "أوي أوي يا حبيبتي، اتفضلي"

لتنهض الوالدتان تاركين جلال وكاميليا بمفردهما،
 وقبل أن تباعد وداد نظرت لكاميليا بتحذير أن تفتعل
 المشاكل معه، ثم ابتعدت تاركة لهما مساحة من
 الحرية.

ما إن خرجوا حتى زفرت بقوة كأن حملا قد انزاح عن
 قلبها، لتنظر له باستجواب منتظرة أن يدلي بدوافعه
 وأسبابه لخطوة كهذه.

ظل يتأملها، حتى في غضبها وحنقها تكون جميلة،
 جمالها هادئ دون أصباغ أو ملوثات له، كما هي الآن..
 لا يزينها سوى لون العشب الأخضر في عينيها، ولون
 الرمال من حوله في شعرها وحاجبيها، وبالأخص الأيسر
 الذي ترفعه لإرادياً عندما لا يعجبها أمر ما، مع شفاة
 ووجنتان شهيتان مغريتان للقلب..

الصبر، الصبر يا جلال وكل شيء ستناؤه في وقته

أوراق الياسمين

المناسب.

تنهد بعمق وهو مستمتع بالتلاعب بأعصابها، ثم تكلم

بهدوء وهو يشير لمقعد بجانبه: "ماتيجي تقعدى هنا

عشان نعرف نسمع بعض"

نظرت له ببرود: "أستاذ جلال، أعتقد احنا اكبر من لعب

العيال ده!

رفع كتفيه ببساطة وهو يجيب: "فين لعب العيال ف

الموضوع، كل اللي قلته قربي مني عشان أعرف اسمك

كويس"

بحدة واجهته: "أستاذ جلال!، انت فاهم أنا اقصد ايه"

نهض من مقعده واتجه يجلس بجانبها على الأريكة،

تاركا مسافة بعرض حوالي عشر سنتيمترات بينهما،

ليقول بحكمة بينما ينحني للأمام قليلا مستندا

بمرفقيه على ركبتيه ويميل بجذعه نحوها: "اللي انتي

قاصداه واللي انا بعمله هنا اني بتقدم للجواز على سنت

الله ورسوله من بنت ارتاحتها.. مش شايف فيها مشكلة

دي يا كاميليا؟

التفتت له بحدة: "يا سلام! ارتاحتها! من امتي ده يا

أستاذ؟ ايش حال أما احنا أغلب وقت الشغل بنقضيه

خناق؟

رفع كتفيه ببساطة ثانية وهو يركز النظر لعينيها:

"بردو مش مبرر، ده حاجة واني ارتاحك حاجة ثانية..

وحناقنا -زي ما بتسميه- بيكون للمصلحة، مش بنلعب"

تأففت وأبعدت نظرها عنه، ليضيف هو بمشاغبة:

"كاميليا.."

هممت ب(نعم)؛ فأكمل: "هتتجوزيني"

نظرت له بتشكك مستنكر: "ده اللي هو من ايه يعني؟

ده سؤال؟"

لم يجبها، فقط ابتسم بثقةً أفاضتها؛ فتأففت وهي تهمس

لنفسها: "مستفز.."

ليقول بخضوت بينما يقترب منها قليلاً: "سمعتك على

فكرة"

نهضت بجدّة من مكانها، تلقي عليه نظرة حانقةً أخيرة

قبل أن تختفي أمام عينيه المبتسمتين.

"تعالى يا سوسن، ادخلي"

دخلت الشقّة التي وصفها لها جمال وهي تتلفت حولها

تستكشفها، ألوان نارية في كل مكان، وإضاءة مريبة

"اقعدي يا سوسن، واقضت ليه؟"

ما إن جلست حتى ظهرت من خلف ستارة مزركشة سيّدة

تبدو في الأربعينات من عمرها -وربما أكثر-، تضع

أكواماً من مساحيق التجميل، وملابسها من الممكن أن

أوراق الياسمين

نصفها بفاضحة مقارنة بعمرها!

ابتلعت ريقها وهي تستشعر عدم الراحة لا من المكان ولا

من تلك السيدة، ثم تابعتها بعينيها حتى جلست في

مقعد أمامها واضعة ساقا فوق ساق .

"انتي بأى سوسن؟"

بغرور سألتها، فأومات سوسن برأسها لتضيف وهي تخاطب

جمال دون النظر إليه: "هتحتاج مجهود كبير بس عموما

مش بطالته، والسمر ليهم زباين كتير أصحاب مزاج"

نظرت لجمال بتعجب وبلاهة، زباين!

من هذه السيدة وبم تهذي؟!

لكنه كان ينظر للسيدة وهو يقول بلهفة ولهجة ذات

معنى: "قلتلك يا سونيا البت تستاهل، اسأليني أنا"

أومات برأسها دون أن تضيف المزيد، ثم قالت بعد فترة:

"من النهاردة ملكش دعوة بيها، دي بقيت واحدة من

بناتي، وأي حركة غلط محسوبة عليها.. مفهوم؟"

نقلت نظرها بين جمال وبين المدعوة سونيا بارتيااب، ثم

قالت: "أنا مش فاهمة حاجة!"

ضحكت سونيا بسخرية وهي تخاطب جمال: "إيه يا

جمال! انت مش مديها الدرس قبل ما تيجي هنا؟"

"سيبيهالي يا سونيا، ماتقلقيش منها"

"لما اشوف اخرتها معاك"

ثم نهضت وتركت جلال وسوسن في مقابلة بعضهما، هي

بنظرات تساؤل وحيرة، وهو بتصميمه وإصرار .

"مممكن تفهمني ع الأقل إيه اللي بيحصل حواليا؟"

هتفت بها بغضب مذبذب متخوف؛ فأجاب بهدوء:

"زي ما انتي شايضة، احنا ف بيت -لامؤاخذة- دعارة،

وسونيا دي الكبيرة بتاع البنات هنا، بس للأسف البنات

مش موجودين...".

ثم أكمل بلهجة ذات معنى واضح وصريح: "عندهم شغل"

اتسعت عيناها بذعر منذ بدأ بالكلام.. يا إلهي!
 هل عاشت لتدخل تلك الأماكن؟!
 ببرود ظاهري أضافت: "وانت جايبني هنا ليه؟"
 ابتسم بسخرية وهو يمرر نظراته الجائعة على جسدها:
 "مش عشان تتوبي على ايديها أكيد! خليكى ناصحة
 كده وبتلقطها وهي طائرة.. بكرة تبقي ف الشغل زيك
 زي زمايلك والفلوس هتلعب معاكى"
 انتفضت واقفة وهي تهتف: "شغل إيه يا جمال؟ احنا
 ماتفقناش على كده"
 جذبها من ذراعها بقسوة فجلست بعنف على المقعد، بينما
 هو يضيف ببساطة: "شغل زي ما كنتي شغالتة معايا،
 مالك يا سوسن ماتصححي كده! وبدل ما يكون زيون
 واحد هيبأى بالطلب عليكى من الزباين"
 صدمت من كلامه فتلعثمت وهي تقول بغضب:

"انت.. انت بتقول إيه؟!"

لم تع إلا وهو يجذبها من حجابها بقسوة فاقتلعه من فوق
شعرها بينما يهتف بصوت أرفعها: "بقولك إيه يا بت،
بلاش دلع.. الشغل هتبدئييه من بكره، وماسمعش لأ أبدا،

فاهمة؟"

ثم أضاف وهو يقرب فمه من أذنها هامسا كضحك الثعبان
بينما هي تتألم من قبضة يده على شعرها: "وإذا فكرتي
تعترضني، أو تهربي، أو تعلمي أي بلوة زرقت؛ هجيبك..
ومش بس كده، لأ ده أنا همرمطك يا سوسن، هخليكي
تتمني الراحة وماتطولليهاش.. وعشان يكون عندك
فكرة، الورق اللي بصمتي عليه من قريب ده يا شاطرة
ماكانش ورق جواز، ده كان كمبيالات على بياض
ممکن ادبسك فيها بمبلغ عمر ما أهلك حلموا بيه..
وابقي وريني ساعتها ازاي هتخرجي منها لو سلمتهم

أوراق الياسمين

وطالبتك بدفعهم"

كان تتألم دون أن تقدر على إصدار أي صوت خوفاً من
المزيد من جنونه.. إلى أن تركها بعدما أنهى كلامه،
ليمسك بوجهها بين كفيه يقبلها بوحشية لم تختبرها
من قبل معه، أنت وحاولت الابتعاد لكنه أحكم قبضته
حول وجهها.. إلى أن انتهى فابتعد يقول أمام وجهها بصوت
خافت به لهجة تهديد قوية: "دي عشان تفتكريني
بعدين.. من بكرة الاقيكي هنا الساعة 6 بالليل،
هتروحي مع سونيا للكوافير وحاجات كتير كده هي
هتعرفك بيها.. والشغل هيبكون بعد ما تحس سونيا إنك
جاهزة ولايقت بمستوى زباينها"
تركها أخيراً، تركها لكن قلبها لم يهدأ حتى الآن مهما
حاولت أن تهدئه.. أسرعت بلف حجابها وخرجت جريا من
الشقة وهي تتلفت حولها خوفاً من لقاء جمال.

أوراق الياسمين

أغلقت باب غرفتها بقوة وهي تنهت كأنها قد خرجت
لتوها من سباق ثم وقفت تلتقط أنفاسها..

جلال!!

ذاك الكائن الذي يتسرب تحت جلدها ببطء مخيف
جداً، فلا تعرف كيف ولا متى لفت انتباهها كأنثى،
ككيان جاهدت في طمسه كي لا يشعر من جديد..
فما أن بدأ يشعر به ويتلقى ذبذبات إيجابية منه حتى
انتفض معترضاً على تلك الحرب غير العادلة، وبدلاً من
المبادلة قرر كيائها الأنثوي المعطوب أنه لا مجال للمزيد
من الألم، ولا حاجة له برجل نذل كسابقه.. فاعترض،
وثار، وهاجم، وسخر، لكن ما خفي بداخله كان أعظم
وأعظم، وجلال لم يساعدها أبداً مهما حاول، بل كل ما
يفعله معها كان يهدم جزءاً من ذلك الحصن الذي

أوراق الياسمين

جاهدت في تشييده.

تنهدت بتعب وهي تجلس على السرير محنية الظهر وقد
تركت كل عضلات جسدها دون تحكّم كأنها قد ملّت
من فرط ما تتحكّم وتعطيها الأوامر، ثم ارتفعت
بظهرها على السرير مغمضة العينين، وراحت في سبات
عميق.

هل سيتحقق حلمه أخيراً؟! سيرتبط بمن ملكت قلبه
وعقله وبعثرت كيانه كله؟!
ابتسامته حالمة ارتسمت على شفّته ليقاطعه جلوس عمه
بجانبه بعدما أنهى مكالمته مع نرجس، المرأة التي
بسببها أشرقت حياة حبيبته وعمه أيضاً..
لو لم يعرف عمه جيداً لقال أنه وقع بحبها ولكنه يعلم

أنه فقط يفتقد الأنثى بحياته ولكن بشكل مغاير له
نفسه.. فعمه يحتاج لأنثى كابنته وهو يحتاج زوجته،
لا بل حبيبته.. حبيبته هو (نسرين) لا يحتاج سواها.
"وهي لسه متعرفش اني عمك؟! لازم يابني تقولها كتب
كتابك بكرة والبنت متعرفش عنك حاجة؟"
قالها عبد التواب بلوم مقاطعا شرود ابن شقيقه ليجيبه
إسلام بحرج: "انا ماتكلمتش معاها خالص من وقت ما
وافقت يا حاج، اخدت الموافقة من ابوها وماورتهاش
وشي من ساعتها"
ضحك عاليا وهو يقول بمكر: "تكونش مكسوف يا
إسلام؟! يا ابني ده أنا حاسس إن الحارة هناك كلها عارفت
إنك بتحبها وهي بس ال مكنتش عارفت، أو عارفت
وعاملت نفسها مش عارفت"
ضحك بخجل قائلاً: "لا يا عمي انا ماروحتش عشانها هي،

خايف ترجع ف كلامها"

شرد ينظراته وهو يتمتم: "خايف يكون ده حلم وأصحي

منه"

ربت على كتفه بحنو أبوي قائلًا: "متخفش يا ابني إن شاء

الله كل حاجة هتبقى تمام وتكون جوازة العمر

وتملو لنا البيت قطاقيط صغيرين"

ثم تنهد قائلًا: "ربنا يهدي عاصم كمان ويلاقي بنت

الحلال ال تظمن قلبي عليه"

كان دوره ليربت على كتفه قائلًا: "إن شاء الله هيجصل

يا عمي ماتقلقش عليه، عاصم راجل مفيش منه والذ

واحدة تتمناه، بس عارف ان التجربة ال مربيه أثرت عليه

كثير ومحتاج وقت عشان يرجع عاصم بتاع زمان"

"يا بني ده بقاله سنتين على الحال ده رافض الجواز وكاره

الستات دي مكنتش ست ال عملت فيه كده؟ وغلبت

اقوله صوابك مش زي بعضها ومفيش فايدة"
 قالها عبد التواب بنزق وقبل أن يجيبه ابن شقيقه كان
 رنين جرس الباب يصدح فنهض إسلام ليفتح ليتجمد
 مكانه بمفاجأة قائلا: "عاصم!"

تشعر بالسعادة تكتنفها، سعادة لم تشعر بها منذ وقت
 طويل تحديدا منذ توفي والدها منذ سنوات.. نظرت
 لنسرين بثوبها الأبيض الذي أحضره لها إسلام وهي تشعر
 بالسعادة من أجلها فأخيرا سيكون هناك أحد يدلها
 ويتحمل مسئوليتها ويجعلها تشعر بأنوثتها بعد أن دفنتها
 طويلا حتى تستطيع أن تعيش بهذا العالم المليء بالذناب
 البشرية التي هي على استعداد كامل لنهش لحمها لدى
 أي بادرة للضعف من ناحيتها .

استمتعت كثيرا بالتسوق معها من أجل الزفاف.. الشيء

الذي لم تفعله هي بالطبع فأين هو الزفاف الذي قد

تتسوق من أجله؟!

لقد كان كابوسا وتحمد الله أنه قد أزيح عن كاهلها ولا

تتمنى سوى أن يتركوها تربي طفلها دون أن يعكّر صفو

حياتهم شيء.

تنهيدة طويلة خرجت منها قبل أن يقاطعها عبد التواب

قائلا: "عقبالك يا نرجس يابنتي"

نظرت له بحزن وهي تقول: "لا يا حاج أنا أخذت نصيبي من

الدنيا ومش عايزة غير إن ربنا يباركلي ف مصطفى

واربيه كويس"

شرد بنظراته وهو يقول: "ماتعرفيش ربنا كاتبلك ايه،

إن شاء الله كل خير".

وقف يراقب أجواء الحفل بمتعة.. المرة الأولى التي يزور
بها مصر سيتذكرها طويلا فمنذ وطأت قدماه أرض مصر
وهو يشعر بشيء غريب يجتاحه وكأنه عاد لوطنه الذي
لم يره قط .

شرد قليلا وهو يفكر هل سيعود يوما لوطنه الحبيب
فلسطين؟! أم أنه كتبَ عليه أن يظل مغتربا طوال حياته
كمان كان أهله من قبل!
ربما دبي ليست غربة بالنسبة إليه فهو قد وُلِدَ فيها كما
وُلِدَ والده قبله وعاش بها طوال حياته..

ولكنه يشعر بالحنين لوطنه الذي لم تطأه قدماه أبدا،
لا يفهم ذلك التوق بداخله لوطنه فلسطين والذي يسري
بداخله مسرى الدم! هل هي الحاجة للإنتماء فقط أم أنه
شيء طبيعي يحدث للجميع؟! ولكنه لم يرَ عاصم يتوق

أوراق الياسمين

لوطنه مثله.. ربما لأنه سافر لدبي هاربا من ذكرى
 مزعجة أو ربما لأنه يعلم جيدا أنه مسموح له أن يعود
 لوطنه بالوقت الذي يريده بخلافه هو.. فهو فلن يستطيع
 العودة إلا لو حدثت معجزة .

قاطع شروده صديقه عاصم وهو يربت على كفه
 قائلاً: "مالك يا عم سرحان في ايه؟! اوعى تكون
 بتعاكس حد من حريمنا؟! هم اه عايزين الحرق بس
 بنات بلدي برضه"

ضحك عاليًا وهو يقول: "لاء.. تقلقش خيآ.. عيني ما
 زحلقنت لبعيد.. بس حاسس.. مدري إيش....."
 صمت للحظات وكأنه يبحث عن كلمة مناسبة قبل أن
 يقول: "حاسس اني مصهل ومرتاح كتير هون"
 مشيرا للمكان حوله متابعا: "حاسس اني بين أهلي وناسي
 وداري زي كاني رجعت لأرضي، شكراً خيآ عاصم لأنك

سحبتني لهون"

ربت عاصم على كتفه بحب وهو يقول غامزا بمشاكسة:

"اي خدمت يا كوكو افتكّر جمائل دي"

رفع حاجبه قائلاً باستنكار: "كوكو؟!! شايضني قدامك

ديك ولا صوص لتناديني هيكاً!!"

ضحك عاصم بقوة ليحرّك كاسب حاجبيه متلاعباً وهو

يقول: "إذا أنا كوكو لكان أنت صوصو يا حدق"

عاد بخطوة للخلف وهو يحاول أن يعقد حاجبيه بغضب

أمام مزاح كاسب ليتعثر بأحدهم التفت وهو يرفع بصره

للاعتذار ليتجمد مكانه وهو يرى أن الذي تعثر به

لم يكن رجلاً بل كانت أنثى وليست أي أنثى..

إنها (نرجس) تلك المرأة التي تحاول خداع والده بل

اكتشف أنه جعلها تجلس بشقته هو!

"سوسن"

ناداها رعوف بينما هي كانت بالكاد قد تجاوزت باب
شقتهم صعودا إلى شقتها.. التفتت له بصعوبة وهي تجاهد
لترسم ابتسامته مهزوزة: "إزيك يا رعوف؟"
اتسعت ابتسامته وهو يرد بينما يقترب من مكان وقوفها:
"الحمد لله كويس.. عاملت إيه انتي وخالتي؟"
"الله يسلمك، كويسين والله"
عقد حاجبيه باهتمام وهو يسألها: "مالك يا سوسن؟"
بهتت من سؤاله؛ هل يبدو عليها شيء ما؟
رفعت يدها تعدل حجابها فوق رأسها، وما أن لامستها حتى
تأوهت متألمة وهي تدلك مكان إمساك جمال بها من
شعرها مغمضة عينيها بتعب.. اقترب منها ينظر بقلق لما
تفعله؛ فسألها: "سوسن، انتي تعبانة؟ أوديكي لدكتور؟"

هزّت رأسها بـ(لا) متممة بخفوت: "أنا كويست، شويّة

صداع بس وهيروحووا لحالهم"

لم يصدقها، من تعابير الألم البادية على وجهها كان

يعلم أنها تكابر .

لكنه هادنها: "طب اطعي ارتاحي يا سوسن دلوقتي،

وياريت بكرة بلاش شغل خالص.. انتي بقالك فترة

صحتك مش عاجباني ولازم ترتاحي"

آه، (صحتك مش عاجباني ولازم ترتاحي)،

هل تبالغ إذا قالت أن تلك هي أكثر جملة رومانسية

سمعتها في حياتها!

"ماتشغلش بالك يا رعوف، هاخذ مسكن وأنام وهبأى

كويست بكرة الصبح... عن إذنك هطلع"

ثم تركته وصعدت الدرج وهو ينظر في أثرها بقلق.

وقف بجانب صديقه الذي يكاد يحرق المشفى ذهابا
وايابا بقلق يريد الاطمئنان على والده الذي سقط مريضا
فجأة بعد انتهاء الزفاف، ومنذ حضروا إلى المشفى لم
يخرج أحد لطمأنتهم عليه ..
"روء يا عاصم.. هسا بيصح.. تقلقش"
قالتها كاسب محاولا بث الطمأنينة بقلب صديقه وقبل أن
يرد عليه وجد من تدلف مسرعة إلى المشفى تتلفت يمينا
ويسارا حتى وصلت إليهما تهرول تجاههما قائلة بلهفة:
"الحاج عامل ايه طمني عليه يا دكتور عاصم وحياتة أغلى
حاجة عندك"
رمقها عاصم بغضب وهمّ بالحديث ليسرع كاسب الإجابة:
"تقلقيش.. هسا هو بخير"
"انتى ايه ال جابك هنا في وقت زي ده؟! وعرفتي منين

أصلا اللي حصل؟!"

ابتلعت ريقها بتوتر وهي تجيبه: "كنت بظمن عليه زي كل يوم ماردش عليا فالبواب قالي انه تعب وخذتوه على

المستشفى، ودي أقرب مستشفى للبيت"

لم يستمع سوى ل (كنت بظمن عليه كل يوم) ..

يومية تظمن على والده ليلا بهذا الوقت؟!

لماذا؟! ما الذي يدور بينهما حتى تهتم به بتلك

الدرجة؟!

قاطع تفكيره خروج الطبيب المناوب وهو يقول: "اطمن خالص يا دكتور، كل الحكايات ان الضغط بتاعه كان

عالي وعاقته محلول وعملته اللازم"

أغمض عينيه وهو يحمد الله، كلما تذكر مشهد والده

المسجى أرضا كلما غاص قلبه داخل صدره بقوة..

لا يستطيع تخيل حياته لو فقدته!

"تلاقيه مخدش دوا الضغط عادته وال هيشترها!"
قالت نرجس بأسف ثم تابعت دون أن تلاحظ العينين
اللتين اشتعلتا بغضب حارق؛ "يعني بقى كويس بجد

يا دكتور؟! طمني عليه والنبي"

ابتسم لها الطبيب وهو يرمقها بإعجاب فمازالت بالملابس
والزينة خاصة الزفاف ثم قال: "اه والله الحمد لله بقى

كويس اطمني، انتي بنته؟"

سألها بفضول لترد بعفوية: "ايوة بنته"

فوجئ بنفسه يندفع ليقف بينهما قائلاً:

"شكرا يا دكتور، ممكن ندخل نشوف بابا"

ارتبك الطبيب لوهلة قبل أن يتنحج بخرج قائلاً:

"اه طبعا اتفضلوا، عن اذنكم"

غادرهم ليرمقها عاصم بحدة وهو يقول: "اتفضلي عشان

تشوفي الحاج، مش ده ال جايه عشانه في نص الليل؟"

أوراق الياسمين

دلفا للداخل وتبعهما كاسب وهو يبتسم بمكر هاتفا
 داخله: "صار وقتك يا عاصم علشان تبطل تجاكر
 حالك و تهد الحيط اللي بنيته حوالين قلبك من
 سنتين".

تسللت ما إن خرج من المنزل كعادته كل ليلة ولم تأخذ
 معها شيئاً فهي تتحرك بصعوبة من ضربه لها أمس
 وحبسه لها طوال اليوم بالغرفة دون طعام.. لم ينجدها
 أحد رغم صراخها الذي وصل إليهم بكل تأكيد..
 بالطبع فعمها مسافر بعمل كالعادة فمن سينجدها سواه؟!
 حماتها العقربة التي تتمنى لو دفنها وليس فقط ضربها؟!
 أم ابنتيها اللتين يسمعون ما تقوله لهما؟!
 تأوّهت بخفوت وهي تصعد الدرج بمنزل والديها وهي تدعو

أوراق الياسمين

عليه بداخلها وتلعن اليوم الذي عرفته فيه ولو كان ابن

عمها .

طرقت الباب وبعد لحظات وصلها صوت والدتها ثم فتح

الباب وإلى هنا وكان طاقتها قد نضبت أو أن كل ما حدث

بالأيام الماضية قد اجتمع عليها لتسقط فاقدة

الوعي وسط صراخ والدتها الملتاع .

خرج من الغرفة بعدما اطمأن على والد صديقه وتبعته

نرجس، تلك المرأة تبدو بريئة كثيرا رغم علمه أنها

كانت متزوجة ولديها طفل أيضا.. اقترب منها بتعاطف

قائلا: "روئي أختي نرجس.. الوالد عساه يكون بخير..

القصة بسيطة.. وعاصم كان عاجه بالبيت.. بس

اتلبك ونسي أنو ممكن يكون السبب الضغط..

وهيكا جينا عالمشفي"

ابتسمت له بامتنان وهي تقول: "ربنا يخليك يا استاذ،

معلش أنا دخلت عليك على طول كده بس من خوفي

على الحاج ده انا ماليش غيره ف الدنيا بعد ربنا"

أوما برأسه مضكرا.. (هذه ليست امرأة مخادعة ابدا، تبدو

فقط سيئة الحظ وتحب الحاج كثيرا كوالد لها لا أكثر

حتى انها تراه بمثابة عائلتها)

فتح فمه ليتحدث ليقاطعه صوت جلبة بالقرب منهما

فنظر كلاهما للمكان ليشعر بشيء غريب يجتاحه وهو

يرى فتاة فاقدة الوعي ممددة على السرير المتحرك

للمشفي ووجهها مليء بكدمات بمختلف الألوان تدل على

تفاوت أوقات إصابتها بها.. تكاد ملامحها لا تظهر من

الكدمات ألمه قلبه عليها وهو يشعر بالغضب بسري

بعروقه..

أوراق الياسمين

ما الذي يجعل أحدهم يؤذي هذا الملاك النائم؟
 "يا عيني عليها، اكيد وقعت في ايد واحد مقتري، حسبي

الله فيه وفي كل واحد يمد ايده على واحدة"
 قالتها نرجس ودموعها تنهمر على وجنتيها فالتفت إليها

قائلاً: "البنت معرفتك؟"

"لا معرفهاش بس بتوقع كده، ماهو ال عامل فيها كده

مش ممكن يكون وقعت زي ما قالت امها للممرضة، ده

اكيد المقتري اللي هي متجوازه وهم بيداروا عليه عشان

الفضيحة"

"فضيحة؟ بلا منقودية.. قصدك أن الفضيحة أهون من

موت البنية؟!"

قالها كاسب بغضب عارم فلوت شفتيها قائلة: "ده عند

الناس ال زيك يا استاذ كاسب إنما الناس الجاهلة اللي

زيهم مش مهم حياتها قدام الفضيحة، والجهل هنا مش

التعليم لأ، الجهل هو ضعف النفوس وخوفهم من كلام

الناس أكثر من خوفهم على بنتهم، الضنا غالي وهم

مايستحقهوش"

شرد بنظراته للحجرة التي دخلت بها قائلاً:

"إذا هيك.. حقي علي (لديك الحق) لكان يا نرجس".

انتفض غاضبا يقطع الغرفة ذهابا وإيابا وهو يشعر بنفس

العجز الذي تملكه عند زواج أخيه من زهرة.. لكن هذه

المرّة لأن خصمه أخيه وعدوه تقدّم للزواج بها! ليس هذا

فحسب، بل هو يكاد يكون في عمر جدها!

ذلك الحقير والدها، ماذا يظن نفسه فاعلا بها؟!

جلس على طرف السرير واضعا رأسه بين كفيه، يحاول

الوصول لحل يرضي جميع الأطراف؛ فهو يعلم جشع

والدها، ويعلم أيضا كيف من الممكن أن يغذيه المعلم

أوراق الياسمين

علي بسخاءٍ شديد .

زهرة البريئة الصغيرة، كم عانيت وعاشت ما لم تعشه

الأكبر منك عمراً، وكم تحملت ما لا يتحملة بشر!

سيقدم علي خطوة كبيرة الآن، لكنه لا يملك رفاهية

التفكير في العواقب، فليتركها تسير كما يشاء الله..

وكما كان لزهرة أخو زوج وأخ، سيكون بصيغته أخرى

أقرب قليلاً، قليلاً جداً.

"اسم النبي حارسها وصاينها، ايه اللي حصلها يا حاجت؟"

قالتها الممرضة بجزع حينما رأت لبني ممددة على السرير

المتحرك الخاص بالمشفى لتجيبها والدتها بتوتر:

"وقعت من على السلم ومانطقتش من ساعتها"

أومات الممرضة بعدم اقتناع وهي تقول: "آه وقعت، الف

سلامة عليها إن شاء الله تقوم بالسلامة"

وتركتها ودلفت خاف الطبيب الذي شعر بالغضب حينما
 رآها فقد علم أنها لم تسقط على الدرج كما قالت والدتها
 وأبلغته الممرضة بل ضربها أحدهم وضرب وحشيا أيضا
 وكالعادة سيدارون ما حدث بحجة درء الفضيحة بل
 وسيجبرونها أن تعود لزوجها والذي بكل تأكيد هو من
 فعل بها كل ذلك.

"عاجبك الفضايح دي؟ مش قولت نشوقلها حد في البيت

احسن من فرجة الناس علينا؟"

قالها والد لبنى بغيظ لتقول زوجته مهدئة: "هنجيب مين

بس الساعادي يا أبو لبنى، ادعي بس البت تكون بخير

لأحسن أنا قلقانة عليها اوي"

تأفف بنزق قائلاً: "أهو دلحك ده اللي جابنا ورا، عموما أنا
اتصلت بأسعد يجيلنا أما نشوف ايه ال حصل معاها
وخلاها عاملة كده، ويكون في علمك لو الغلط على
بنتك هكون مكمّل عليها ضرب ومرجعها مع جوزها..
اه معنديش انا الدلع ده".

الفصل الثاني عشر

الغواية أنثى..

والخطيئة أنثى..

والأنثى عار يجب التخلص منه

فالمجتمع لا يرحم

ولا سبيل أمامهن للخلاص سوى

بالاستسلام أو.... الموت!

ظلت متوترة تنظر لباب الغرفة التي دخلت إليها الفتاة
منتظرة أي ممرضة أن تخرج من الغرفة حتى تستطيع أن
تعلم حال الفتاة بعد أن سمعت الأصوات تعلو منذ قليل

أوراق الياسمين

من الغرفة.. فجأة فُتِحَ باب الغرفة وخرج منه شاب يرافقه

والدي الفتاة وما إن ابتعدوا عن الغرفة حتى هرعت

لتدلف إليها يتآكلها القلق على حالها..

ومن سيشعر بها إلا من عانت مثلها وإن كانت هي بلا سند

فحال الفتاة لا يختلف عنها كثيرا رغم وجود السند

ولكنه سند ضعيف لا يحميها بل هو أول من يظلمها..

دلفت للغرفة بهدوء لتجد الممرضة تحاول أن تهدئ من

روح الفتاة المنهارة ببكاء حار، اقتربت منها وبدون كلمة

واحدة ضمّتها لصدرها تمنحها دعما معنويا هي في

أشد الحاجة إليه وبتدخلها غصّة لم تستطع منعها فها هي

تري وجه آخر من وجوه الظلم الواقع على الأنثى ولكن

الظلم هنا من أقرب الأقربين!

"شششش، اهدي يا حبيبتي.. إن شاء الله كل حاجة

هتبقى كويستة اهدي إنتي بس"

قالتها نرجس بهدوء وهي تربت على رأسها بحنو أموي بينما

استكانت لبني بحضنها واستسلمت للنوم..

"هو إنتي تعرفيها يامدام؟"

سألت الممرضة بفضول لتومئ نرجس برأسها قائلة:

"أيوة عارفها"

وأكملت بداخلها..(لازم أعرفها ما كلنا في الهه سوا، ربنا

ينتقم منهم اللي كانوا السبب)

"هي انهارت ليه كده؟ مش كانت بقت كويستة الصبح؟!"

قالتها نرجس بتساؤل وهي تسند رأس لبني إلى الفراش

وتنهض مواجهة الممرضة لتجيبها الأخيرة: "أيوة بقت

كويست ورضيت تاكل كمان بس منه لله جوزها جه

وجاب الهه والغه معاه.. معرفش قال ايه لأبوها خلاه يدخل

متعصب عليها ولما قالت له مش هترجع معاه وهتطلق قام
ضربها ألم جامد اوي وقالها مالكيش غير بيت جوزك
وماشوفش وشك في بيتي تاني إلا لو جوزك معاك
وراضي"

نظرت للمستلقيّة على الفراش بحزن وهي تفكر:
(أي أب هذا الذي يترك ابنته فريسة لأشباه الرجال حتى
ولو كان زوجها؟! لماذا لا يقف جانبها ويدعمها حتى
يعلم زوجها أن هناك من سيتصدى له لو حاول التعدي
عليها مرة أخرى؟!)

طرقته على باب الغرفة جعلتها تنتفض وهي تنهض وتستعد
للمغادرة قبل أن يراها أهل الفتاة والتي لم تعلم حتى
اسمها لتجد كاسب يدلف إلى الغرفة بتردد
وهو يقول: "ياللا نرجس الحين لازم نضهر (نمشي)"

أومات برأسها وغادرت معه لتجد الحاج عبد التواب وعاصم

قد سبقاهما إلى السيارة..

"ايش أحوالها؟"

قالت كاسب بتردد لتنظر له بتساؤل ثم ما لبثت أن فهمت

من يقصد فقالت بحزن: "حالتها يصعب على الكافر والله

يا أستاذ، قلبي بيتقطع عشانها.. ياريتني عندي مكان

أخدها فيه أبعدا عن كل الناس ال بيأذوها بس حتى

الحتة اللي قاعدة فيها مش ملكي وبقيت مكسوفة من

الحاج عبدو بس هعمل أي مفيش مكان ثاني أروحه"

شعر بغصّة بداخله على حالهما.. إذا كانت نرجس أو

تلك الفتاة الذي علم أن اسمها لبنى من الممرضة

ولكن ماذا بيده أن يقدم لهما؟!

"عندك علم إيش صابها؟"

سألها بحزن رغم أنه بداخله لا يريد أن يعلم ولكن يبدو

أن بداخله نزعته مازوشية بتعذيب نفسه بأشياء لا

يستطيع أن يحلها!

أجابته رغم أنها لا تفهم سرفضوله تجاهها:

"اه الممرضة قالتلي كل حاجة بعد ما جرجرتها في

الكلام، جوزها الله يحرقه هو اللي ضربها لما عدما

العافية وقال حبسها كمان من غير أكل ولا شرب ولما

أبوها اللي هو عمه سأله عن اللي عمله ما أنكرش وقاله

أنه بيأدبها عشان غلطت في أمه وقال يحمد ربنا أنه راضي

بيها مع إنها مبتخلصش ولما هي حاولت تعترض وتحكي

وتدافع عن نفسها وطلبت تطلق أبوها الله ياخده ضربها

وقالها هترجع على بيت جوزها ومش عايز يشوفها تاني

ومتعملش مشاكل وقال تسمع كلام جوزها"

وأكملت بداخلها: (قال جوزها قال ده جوز... وال بلاش!
حسبي الله ونعم الوكيل فيهم، يارب خلص الغلبانة دي
من بين أيديهم)

تساقطت دموعها بهدوء ليغمض عينيه وهو يشيح بوجهه
عنها مغمما: "الله يكون بعونها وتخلص منهم"

"ربنا يا خدهم، دي شكلها غلبانة ولا لها في أي حاجة،
ياريتني أقدر أعملها حاجة"

قالتها بحرقة ليقول كاسب وهو يربت على كتفها:
"روئي يا نرجس وادعيها عسى دعائك يفرج علينا
وعليها"

رفعت رأسها تمسح دموعها بحزن لتقابلها عينان مشتعلتان
تنظران إليها بقسوة فارتجفت وهي تعدل وشاحها بارتباك
وتعتذر قائلة: "حمد الله على سلامتكم يا حاج عبدو،

الحمد لله إني اطمئنت عليك.. آسفة إني أخرجتكم

مكنش له لازمة تستنوني أنا هاخذ مواصلة من أول

الشارع هنا و...."

"ايش؟ لوين رايحة يا نرجس؟"

ضاقت عينا عاصم وهو يسمع صديقه يتحدث معها بتلك

الأريحية ودون ألقاب ليسمعها ترد بهدوء: "هروح يا أستاذ

كاسب كفاية عطلتكم و...."

"اركبي"

كلمة مقتضبة صارمة مع نظرة أشد صرامة جعلتها

تطيعه دون كلمة واحدة لتصعد إلى السيارة تحت نظرات

كاسب المتسلية والحاج الغامضة.

دلفت إلى الشقة وقلبها يقرع داخلها تشعر بالارتباك

كثيرا ولا تعلم كيف تتصرف!

لقد عاشت حياتها كرجل، تفكر كرجل وتتصرف مثله

أيضا.. كبرت كل إحساس بالأنوثة داخلها فقط من

أجل إعالة والديها حتى جامعتها أكملتها بصعوبة.. لاقت

الكثير من العذاب والإهانة فكونها أنثى استباح

الكثير حرمتها وظنوا أن لهم الحق بها!

إلا هو! الوحيد الذي شعرت معه بالاحترام والأمان..

كلمتان لم تعرفهما قط سوى مع إسلام، النجار مالك

الورشة المقابلة للمبنى الذي تقطن به..

هو فقط الذي حرّك الأنوثة القابعة بأعماقها دون حتى

أن يعلم وما يثير الدهشة أنه لم يحرك مشاعرها

بكلمات غزلية بل برجولته وشهامته اللتين جعلتاها

تريد أن تنتمي إليه، وإليه وحده.

"نورتي الشقة يا نسرين"

كلماته المرتبكة قاطعت تفكيرها لترفع بصرها إليه

بابتسامته مرتبكة وما زالت لا تعلم كيفية التصرف!

شعر بارتباكها الذي يماثل ارتباكها لبيتسه بسخرية

داخلة وهو ينهر نفسه:

(هي يحق لها الارتباك إسلام فهي الفتاة أما أنت فلم

ترتبكة؟)

"منورة بوجودك"

همسة خافتة منها جعلته يبتسم كالأبله ثم ما لبث أن

تدارك نفسه قائلاً وهو يشير إلى الغرفة: "الأوضة من

هنا، لو هتغيري هدومك وتتوضي عشان نصلي"

ابتسمت بخجل وهي تومئ برأسها وتذهب إلى حيث أشار.

زفر براحة وهو يتجه إلى الغرفة الأخرى ويبدل ملابسه

ويجدد وضوءه وخرج ليتجمد مكانه وهو يراها واقفت
 أمامه بإسدال الصلاة وقلبه يطرق بعنف جعله يسخر من
 نفسه وهو يهتف داخله: "هذا وقد رأيتها فقد بإسدال
 الصلاة ماذا لو رأيتها بثوب النوم؟ سيتوقف قلبك عن
 النبض أم ماذا إسلام؟!"

أجلى صوته وبسط سجادة الصلاة ووقف فوقفت خلفه وما
 إن انتهى حتى وقفا لتشعر أن قلبها سيتوقف فعليا من
 التوتر ليمسك بيدها ويقودها ناحية المائدة والتي
 كان عليها العشاء الذي أعدته نرجس لهما..

جلس بجانبها وهو يقول بهدوء لا يعبر عن حالة قلبه أبدا:
 "ست نرجس قالتلي لازم تاكلي عشان ماكلتيش حاجت
 من الصبح والصرحة أنا زيك واقع من الجوع"

ابتسمت له بامتنان وهي تعلم أنه يريد لها أن تنحى الخجل

جانبا ولكنها لم تنس أن تتوعد نرجس بداخلها على ما
 أخبرته به ثم فعلت كما قال وأوليا اهتمامهما للطعام
 وتحدثا بعدة أمور ورغم عدم اتفاقهما ببعض الأمور إلا أنه
 كان متفهما لأرائها لأقصى حد وكل هذا ساعد في
 زيادة إعجابها به.

انتهيا من الطعام ليعود لها توترها خاصة أنها لا بد وأن
 تتخلص من ثوب الصلاة سبقتة إلى الغرفة ثم تخلصت من
 ثوب الصلاة واندست بين طبقات الشرشف على الفراش
 وهي تشعر أن نبضات قلبها مسموعة له لترتجف فعليا ما
 إن دخل خلفها واستلقى على الفراش جانبا بعدما أطفأ
 الأنوار وترك فقط إضاءة خافتة بجانبها..

لم تشعر سوى بذراعيه تمتدان لتضمها إليه بحنو وهو
 يهمس لها: "أهدي يا نسرين أنا حاسس إن السرير بيتهمز من

رجفتك دي، أنا مش عايز غير أنك تنامي في

حضني بس.. ماتخافيش يا حبيبتي"

هل قال الكلمة السحرية أم أنها نامت أم ماذا؟!

فكر إسلام وهو يجدها تستكين بين ذراعيه ورأسها على

صدره ليشعر براحة غريبة تتسلل لقلبه وهو يضمها إليه

ليبتسه بهدوء ويغرق في النوم بدوره.

ترجّلت من السيارة وهي تشعر بعينيه مسطّتان عليها،

لا تعلم لم تشعر ببغضه لها رغم أنها لم تحتك به أبدا..

حيّتهم بهدوء وصعدت الدرج إلى الطابق التي تقطن

به مع جدتها وطفلها ودلفت إلى الشقة التي اكتشفت أنها

ملكها لعاصم ابن الحاج عبد التواب والذي يعيش بالخارج،

في البداية عندما أحضرها الحاج عبد التواب لتلك

الشقة ظننتها لأحد من معارفه فقد كان بها القليل من
 الأثاث وبعدها اكتشفت أن المنزل كله له.. الطابق
 الأول فارغ والثاني كان للحاج عبد التواب والثالث
 كان لإسلام والذي اكتشفت أنه ابن شقيقه المتوفي ثم
 الرابع والذي سكنت به هي..

زفرت بحنق وهي تدلف إلى غرفة النوم الرئيسية وهي
 تحمد الله أن الحاج أصبح بخير فقد أصابها الجزع عندما
 علمت ما أصابه لتهرع إلى المشفى غير مهتمة بمظهرها ولا
 الوقت الذي خرجت فيه بمزودها حتى نبهها ذلك الغليظ
 للوقت..

أبدلت ملابسها وهي تتمتم: "كويس إن ستي نايمت مش
 قادرة أخذ وأدي في الكلام وهي هتبقى عايزة تعرف
 كل حاجة"

أبدلت ملابسها ونامت لتدور أحلامها كلها حول عيني

غامضتين تنظران لها بقسوة.

خرجت من المشفى مع أسعد وهي تشعر بشيء غريب يستقر

داخلها، هل هو كره له لما فعله بها؟ أم لوالديها اللذين

تخليا عنها؟ أم أنه ليس بكره أكثر منه انكسار؟ أجل

لقد شعرت بالانكسار حينما لم يساندها والدها..

شعرت أن ليس لها أحد وأن أسعد من اليوم فصاعدا سيفعل

ما يريدونه ولن يوقفه أحد!

شعرت بكلام والديها يعاد برأسها مرة أخرى لتشعر بغصت

عميقة بقلبها..

"أزاي عايزيني أرجعله بعد ال عمله فيا؟! هو أنا رخيصة

عندكم أوي كده؟"

قالتها لبني بقلب مضطرب لتربت أمها على كتفها وهي تقول
 ناصحة: "مين قال كده؟ يعني عشان مش عايزين نخرب
 عليكى بقيتي رخيصة؟! يابنتي الواحدة مالهاش غير
 بيت جوزها ومهما عمل معاكى لازم تعرفى تسايسيه، مانا
 عرفتك تعملي ايه بس إنتي اللي خايبة ومش عارفة
 تباضيه مع إنه هيموت عليكى وحكاية عدم خلقتك
 دي كمان هتصعب الموضوع خاصة إن أمه العقربة ما
 هتصدق وهتفضل تعايرك وتقرفك واحتمال تخليه
 يتجوز عليكى كمان"

سخرت بداخلها من منطق أمها فكل شيء لديها يحل داخل
 غرفة النوم وكان الأنثى لم تخلق سوى للرجبة أو
 الإنجاب!

"وضربه ليا واهانتة وحبسه ده كله عادي عندكم؟"

عادت تجادل أمها على قلبها يحنو عليها ولكن لم تؤثر بها
 فقد التفتت إليها وقالت بجدية: "بصي يا لبنى لازم تفهمي
 الكلام ال هقوله ده كويس اوي، ده ابن عمك
 يعني عمر ما ابوكي هيوافق تسببيه عشان مايخسرش
 أخوه ده غير إن وضعك دلوقتي هيخليكي لبانتة في بق
 اللي يسوى واللي مایسواش، لسه مكملتیش 24 سنتة
 ومتطلقة وکمان مابتخلفیش یعنی من الآخر حتى لو
 ابوكي وافقك وده مستحيل يحصل محدش هيبصاك
 خالص وهتفضلي كدهو وشك في وشنا واحنا مش
 دایمیناک یابنتي وعلى رأي المثل ضل راجل ولا ضل
 حیطة، حتى عقلك في راسك ونقطة ضعف جوزك
 إنتي عارفاه كويس ائكي عليها وهيبقى زي الخاتم في
 صباعك وبكده هتحافظي على جوازك وکمان

هتكدي العقربت أمه، اسمعي كلامي أنا عايزة

مصلحتك يا بنتي"

كادت تسخر من تلك الكلمة التي لم تشعر بها منذ

تزوجت وربما من قبل ذلك أيضا لتغلق فمها وتكبح

دموعها وتخفي ألم قلبها وهي تنهض في اليوم التالي

وتذهب مع زوجها الذي ناظرها منتصرا رافعا حاجبيه

بنظرة.. (ألم أخبرك؟!)

عادت إلى واقعها وهو يدفعها لداخل شقتها دون أن يعرجا

على شقة والديه فدلقت

وهي تشعر بمزيج من الكره والضعف والانكسار.. تتمنى

لو كان لها أي شخص لتذهب إليه هاربة من كل ذلك

ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

"اعلمي حسابك على آخر الأسبوع هنسافر دبي عندي

شغل هناك وهنطول فجهزي حاجاتنا ولو احتاجتي حاجة
قوليلي أجيبها، ورجلك ماتخطيش عتبتة الشقة دي حتى
لو لتحت عندي أمي.. كبيرك من الأوضة للمطبخ
للحمام وبس"

أومات برأسها بطاعة دون أن تتفوه بكلمة، فماذا ستقول؟
لقد أصدر القرار واستلم صك عبوديتها ولم يعد هناك
ما يُقال.

استيقظ وشعور غريب بالراحة والتخمة يكتنفه، فتح
عينيه ليبتمس بسعادة وهو يراها مستكينتة بين ذراعيه
بهدهوء وتتشبث به، يبدو أنها في غمرة ارتباكها وخجلها
ليلة أمس لم تلاحظ أنه اكتفى بالسروال كما هو معتاد
أن ينام.. ولكنه على يقين أنها ستلاحظ اليوم وسيتحول

وجهها إلى ثمرة طماطم طازجة يتوق لالتهاهما.
تمطت براحة وهي تشعر بالدفء وطمانينة غريبة
تكتنفها لتفتح عينيها مبتسمة لتتقابل مع عينيه
الحنونتين لتتسع ابتسامتها قبل أن تتحول لشهقة عندما
لاحظت ما يرتديه أو بالأحرى ما لا يرتديه!
ضحك باستمتاع وهو يستمع لشهقتها الناعمة ثم تصلب
جسده وهي تدفن رأسها بصدرة مرة أخرى من الخجل
ليعض على شفثيه بقوة وهو يهمس لها بمرح:
"كده هفهمك غلط على فكرة وأنا نفسي مووت
أفهمك غلط"

شعر بابتسامتها على بشرته ليأخذ نضاً عميقاً ثم يرفع
وجهها إليه ليتقابل عيناها وضربات قلبيهما كما
المطارق داخل صدريهما ليميل عليها لاثماً وجنتها برقاً

أذابتها وهو يهمس لها: "لسه مش قادر أصدق انك معايا
يانسرين، مش مصدق اني كل ليلة هاخدك في حضني
وانام.. آاه بحبك.. بعشقتك ياقلبي"

ارتعشت من نبرته العاشقة وفتحت فمها لتخبره شعورها
ولكنه لم يمهلها الفرصة وهو يخطف أنفاسها بقبلة
محملة بشوق عصف بها وجعلها تنسى كل شيء سواه.

رنين الباب أزعج نومه ففتح عينيه ولكنه لم يجد
كاسب في فراشه فتساءل بدهشة أين ذهب هذا؟!
اضطر للنهوض حتى لا يزعج نوم والده هذا إذا لم يكن
قد استيقظ بالفعل من ذلك الرنين المزعج.. لم يبال
بوضع شيء عليه يغطي جذعه العار فقد خمن أنه البواب
محضرا الأشياء التي أمره بإحضارها ليلة أمس ليفتح الباب

ويتجمد مكانه وهو يرى أسوأ كوابيسه أمامه ليضيق على

شهقتها الخجولة ليدرك أنه فتح لها الباب نصف عار

فنظر لها بسخرية وهو يقول بغلظة: "خير؟!"

عضت على شفتيها بقوة وهي تشيح بوجهها الذي تورّد وهي

تقول بخضوت: "جايبالكم الفطار"

انتبه لما تحمله فاقترّب منها لتبتعد خطوة إلى الخلف

حتى كادت تتعثر وقبل أن يمد يده إليها كان هناك من

يسندها من الخلف قائلاً: "انتبهي لدعستك نرجس!"

ثم التقط الصينية التي تحملها برفق منها وهو يقول:

"يممم، إحمررق، الأكل باين عال العال من ريحته،

فوتي الدار وتعي ناكل سوا"

تجاهل المحترق الذي وقف يراقبهما بعيون مشتعلت وهو

يجذبها للداخل قائلاً مقاطعاً اعتراضها الخجول:

"الحاج عبد التواب راح يضرح قلبه إذا شافك معنا
عاطولت، وكمان تعي شاركينا بلكي بيضتج نفسنا
للأكل وبتخلينا نحش الأكل حش"
لم تستطع إلا أن تلبّي طلبه خاصة أنها سمعت صوت الحاج
عبد التواب يناديها فهرعت إليه هاربة من صاحب
العيون القاسية.

"يا ماما كفاية عشان خاطري"
قالتها بتعب، لكن والدتها لم تتوقف لحظة عن البكاء
ونذب حظها .

لتقول من بين بكائها: "طاوعيني وريحني قلبي يا بنتي..
أنا كبرت ومليش غيرك يا كاميليا، نفسي أفرح ببنتي
الوحيدة"

أغمضت عينيها مستغفرة الله، ثم فتحتها لتجيب:

"يا ماما يعني عشان تفرحي بيا أتجوز أي حد يتقدملي

وخلص؟"

انتفضت والدتها قائلة بغضب بعدما نفذت محاولاتها في

استمالتها بالحسنى: "فين أي حد ده؟ ده مدير ك ف الشغل

وبقالكو مع بعض خمس سنين، وعمرك ما اشتكيتي

منه ولا اتصرف معاكى تصرف مش كويس، هو انا

قلتلك روجى اتجوزي واحد م الشارع؟"

لم تنظر لها وهي ترد: "بردو يا ماما"

رفعت إصبعها أمام وجه كاميليا بتهديد: "بقولك إيه، أنا

تعبت منك.. اتخطبو حتى لفترة ولو ما عجبكيش الحال

انفصلوا، لكن ما تقضيش الباب خالص كده حرام

عليكى"

مسحت على وجهها بقلته حيلته، لتقول بعدها في محاولة

أخيرة: "يا ماما والله أنا ما عايزة جواز"

ارتفع صوت بكاء والدتها من جديد وهي تخبط كفيها
على فخذيها: "يا رب الصبر من عندك ع البت دي، عيني
عليا وعلى خيلتي اللي تشرح القلب"
تنهدت كاميليا بتعب لتحتضن والدتها وهي تربت على
ظهرها برتابة وشروء .

"عرفت اللي حصل يا حاج؟"
قالها حمادة (القهوجي) بينما يضع حجراً جديداً
للأرجيلة الخاصة بوالد زهرة.. سحب نفساً عميقاً ثم
أخرجه ملوثاً الهواء وهو يجيبه: "لا ياخويا ماعرفتش..
إشجيني"
مال على أذنه ليقول بخفوت: "المعلم ربيع -الله يرحمه-
طلع كان كاتب ورثه كله لآخوه هشام.. ومراتاته كده

طالعين من المولد بلا حمص"
أخذ نفساً آخر من الأرجيلة وهو يفكر ويقلب الكلام في
رأسه جيداً، ليُخرج لسانه ما يفكر به بشروء:
"يعني كده البت زهرة طلعت من الليلة إيد ورا وإيد
قدام! وأنا اللي عشت نفسي! ابن اللذينة كتبهم للغيل
هشام وساب النسوان يشربوا من البحر!"
أضاف حمادة بصوت منخفض: "هو كان طول عمره ملاوع
يا حاج ومش سالك.. الله يرحمه بأى ويفضله.. مش
عارف إيه اللي خلاك تناسبه!"
رمى عصا الأرجيلة من يده وهو يهتف فيه بغضب:
"جري إيه ياد، انت هتتصاحب عليا ولا إيه؟ ماتروح تشوف
شغلك بدل ما انت واكل دماغى من الصبح!"
قال بصوت هامس وهو ينسحب لداخل المقهى: "الحق عليا
إني بقولك بدل ما انت عامل زي الأطرش ف الزفت"

"بتبرطه تقول إيه يا واد انت؟"

"أبدا يا حاج ولا حاجة، هروح أشوف المعلم كان بينده

علياً"

ثم تركه وذهب، ووالد زهرة قام من مجلسه وهو يخبر

صاحب المقهى أن يكتب حساب ما طلب في خانة ديونه.

"اتفضل اقعد يا هشام"

قالها والد زهرة مترامنة مع ضحكة سخيضة، فجلس

هشام متأففاً بداخله على أمل أن ينتهي هذا اللقاء دون أن

يضطر لضرب المدعو أبو زهرة .

دخلت زهرة وقدمت له فنجان قهوة كما طلب منها منذ

قليل عندما فتحت له الباب، ثم أمرها والدها بغلظته:

"ادخلي جوا يا زهرة"

"مش محتاجة تدخل، أنا مش غريب يا حاج"
 ضحك بنفس السخافة وهو يرد عليه: "ما غريب إلا
 الشيطان يا هشام.. بس يعني انت عارف أخوك مات
 دلوقتي واللي بيربطها بيكوا خلص"
 تنحج هشام ثم أضاف: "ماهو ده اللي جاي فيه النهاردة"
 جلست زهرة بعدما أشار لها والدها، ليضيف:
 "خير إن شاء الله؟"

"أنا عايز أتجوز زهرة يا عمي"
 رفعت نظرها إليه بصدمته.. سهام عينيها أردته قتيلا،
 نظرتها البريئة أوجعته، وخزت صدره، مست ضميره
 وقلبه!

ليقول والدها بتفكه: "والله خليني أفكر يا بني؛ انت
 فاجئتني، وبعدين انت أكيد وصلت إن المعلم علي كان
 لسه متقدمها بس تعب ودخلوه المستشفى وقالوا مش

هيقوم منها سليم.. مش يمكن يجيها حد أحسن!"
 قام من مجلسه هاتفا بغضب وقد بدا خوف من فقدانها مرة
 أخرى يتسرب إليه: "مرات أخويا أنا أولى بيها يا حاج، دي
 أمانته اللي سابها ف رقبتي، مش هسيبها لك تباع وتشتري
 فيها"

نقل نظره بين زهرة وهشام بخبث، ثم قال: "وايه الضايذة

اللي هطلع بيها من الجواز دي؟"

نظر له بازدراء حاول إخفاءه: "اللي تؤمر بيه هتاخده، بس

نخلص الموضوع ف أقرب وقت"

هتف بعد فترة وهو ينظر لعيني هشام: "الشربات يا زهرة"

نقلت نظرها بضياح بينهما، ثم انتفضت على هتاف والدها

مرة ثانية، لتلقي نظرة خاطفة على هشام فتجده ينظر

لها يطمئنها بأنها قريبا سترتاح من ظلم والدها، وكم

تمنت أن يدوم الوعد للأبد!

ها هو هاتفا يرن للمرة التي لا تعرف عددها، ونفس

الرقم.. جمال .

نظرت للحائط أمامها بشرود بينما تجلس على السرير في

غرفتها، لقد أخبرها البارحة وهددها بأن تستعد للعمل

اليوم، وكأنها ستخرج في نزهة نيلية مع أصدقائها!

كيف تترك نفسها تنساق لهذا العالم؟ وما هذا الذي

اندفعت نحوه بيدها قبل أي شيء؟

لا تتقبل الفكرة إطلاقاً، حتى لو كانت قد ارتكبت مع

جمال ما لم تستطع رده أو مقاومته، فإن الانجراف وراء

المزيد ليس بالشيء الصحيح أبداً!

ستصبح عاهرة! يا إلهي! وقع الكلمة..!

لا، لا وصف له..!

لكن ماذا كان ما فعلته مع جمال؟! ألم تكن في نظره

عاهرة أيضاً؟! وإلا لم يكن ليدفعها دفعا لتلك المسماة

سونيا كي تحترف المجال.

وضعت كلتا يديها على رأسها وكأنها على شفا حضرة من الجنون.. متخبطة ومشتتة وأفكارها غير مترابطة، تفعل

الشيء وعكسه في نفس الوقت، أليس هذا جنونا؟!

لقد جنت بالفعل، جنت والسبب من؟

هي، أم من حولها؟

أين كان عقلها وهي تنحدر في تلك الهوة؟

لقد وصلت لمرحلة لا رجوع بعدها.. وصلت لأعمق نقطة

في الحضرة التي صنعتها بيديها وجشعها وتطلعاتها

الساذجة، ولا يوجد من ينقذها أو يأخذ بيدها كي

يخرجها... لا مجال أمامها لأي بقعة ضوء تتمسك بها.

رن هاتفها ثانية لكن هذه المرة بصوت وصول رسالت لها،

أمسكت الهاتف وفتحتها لتجدها من جمال..

اتسعت عيناها برعب وهي تقرأ:

(أنا على أول شارعكو، انزيلي بدل ما آجياك واعملك

فضيحت)

انتفضت من مكانها ترتدي عباءة على عجل ثم اتجهت

للباب مسرعة قبل أن يفعلها ويأتي، وعندها بدلا من أن

تكون خطيئتها بعيدة عن الأعين ستصبح سيرتها على

كل لسان.

تلمت حولها تتأكد من عدم وجود أحد يراها ثم فتحت

باب السيارة وجلست بجانبه.

نظر لها بعيون تطلق شرراً، ثم هبطت كفه على وجنتها

بقوة جعلت رأسها تدور للجهة الأخرى.

وضعت يدها على خدها بخوف، ليضيف بهتاف غاضب:

"بأى يا بت انتي عملي معايا انا كده؟ مش اتفتت معاكي

امبارح تكوني جاهزة النهاردة الساعة 6 عند سونيا؟،
 الساعة دلوقتي 10 بالليل والست هانم نايمت ف العسل،
 وعمال اتصل بيكي وانتي منفضت كالعادة"
 أوشكت على الرد لكنه هتف بها بينما يده تقبض على
 عنقها: "أخوسي ماسمعش نفسك.. ماتبريش عشان
 عارف انه بمزاجك يا قدرة"
 زاد من ضغط يده على عنقها وهو يقرب وجهها منه:
 "بكرة يا سوسن، بكرة ف نفس المعاد، لو سونيا قالتلي
 انك ماجيتيش قسما بالله هتشوفي وش تاني مش
 هيعجبك أبدا.. اتعدلي بدل ما هعدلك بطريقتي"
 ثم تركها وهو ينظر لها بقرف، ليقول بصراخ:
 "غوري يلا من وشي"
 ترجلت من السيارة مسرعة وهي تشهق بقوة طلبا للهواء، ثم
 أطلقت ساقها للريح باتجاه المنزل.

بينما تصعد درجات السلم جريا خوفا من أن يراها أحد
اصطدمت برعوف، ومن الواضح أنه كان لتوه في بيتها.

قال بتعجب وهو يراها أمامه: "سوسن؟"

نظرت في الأرض تحاول أن تبتعد بنظراتها عن عينيه،

فقال وهو يقترب منها: "كنتي فين لحد دلوقتي؟"

وخرجتني من غير ما تقولي لحد.. حتى أمك ماتعرفش"

تنحنحت وأجابت بخضوت: "كنت بشتري حاجات من

الصيدلية جمبنا"

قطب حاجبيه باستغراب: "حاجات إيه اللي بتجيبها من

الصيدلية يا سوسن؟ انتي تعبانة؟"

لم تشعر بالحرارة الآن ترتفع في وجنتيها مع أنها على

وشك الكذب في هذا الأمر؟!

قالت بخضوت خجول: "حاجات يا رعوف، مالكش دعوة

ابتسم بحنان وهو يراها خجلة منه لا تستطيع الكلام،
 ففهم أنها أشياء نسائية وأثر عدم إزعاجها بالمزيد؛
 "ماشي يا ستي مليش دعوة.. لما تعوزي حاجة تاني متأخر
 كده قوليلي وأنا اجبها لك"

ثم اقترب قليلاً يقول بجانب أذنها همساً: "حتى لوزي
 الحاجات اللي انتي لسه جايهاها، ماتت كسفيش مني"
 ثم ابتعد يضحك بخفة وهو يراقبها تصعد السلم
 بتخبّط، ثم دخلت المنزل واختفت من أمام ناظريه.

بعد أسبوع

فتح باب المنزل وأشار لها أن تدخل فضلعت، ليدخل ورائها
 مغلقاً الباب بقوة خرجت لا إرادياً منه.
 التفتت تنظر له كأنها تسأله (ماذا سأفعل الآن؟)

فتنحج وهو يقول بينما يبتسم بشفقة لتلك النظرة في

عينها: "نورتي بيتك يا زهرة"

تألقت ابتسامتها.. بيتها! كلمة بسيطة لكن معناها

كبير جداً بالنسبة لأي فتاة، فبيتها هو مملكتها،

وعندما تزوجت من ربيع لم يكن لكلمة (بيتها) مكان

بينما تشاركها امرأتان نفس البيت.. أما الآن هي

مرتاحة، تشعر بالقلق؟ بالتأكيد، لكنه لا يقارن بما

عاشته من قبل، ربما لأن هشام ليس غريباً عليها،

فمواقف شهامته معها لا تعد ولا تحصى.. كان يعاملها

كأخت صغيرة له، وهي كذلك كانت تعتبره أختها

الذي لم يرزقها الله إياه.. لكن الآن اختلف الوضع،

فأصبح ذاك الأخ زوجها، فكيف يجب أن تتصرف؟

أفاقت على حديثه: "تعالى أوريكي أوضتك يا زهرة

وأفرجك على باقي الشقة"

أوراق الياسمين

تركته يتقدمها وتبعته هي بكل طاعة بينما يجول بها
في الشقة يعرفها على كل ركن فيها، حتى وصل إلى
غرفتها.

دخل بها إلى الغرفة فخطت بضع خطوات وهو خلفها
تنحج يجلي حنجرتة وهو يقول: "غيري هدومك
براحتك وأنا هستناكي برا عشان نتعشى؛ أكيد من

الصبح ما أكلتيش حاجة"

التمتت تقرب منه، تنظر بتعجب بريء إليه؛

"هتخرج ليه؟"

أغمض عينيه يستدعي الصبر، ثم ابتلع ريقه وهو يخرج

بالفعل من الغرفة؛ "لو احتاجتي حاجة اندهيلي"

ثم أغلق الباب أمام عينيها اللتين انحدرتا للأسفل بحزن

وقلق، لتلتفت بعدها محاولاً انتزاع نفسها من ذاك

الضستان الذي يخنق على أنفاسها .

دقائق ورأى باب الغرفة يُفتح وزهرة تقترب منه وقد نجحت

في خلع طرحتها فقط والتي أصرّ هو أن ترتديها هي

وفستان الزفاف كي لا يحرمها من فرحته ..

يا إلهي!

هشام، تذكر، زهرة زوجة أخيك، ليس لأنها أصبحت

زوجتك فستبيع لنفسك كل شيء.. تحمل وتعقل،

وهديّ من ضربات قلبك قليلاً قبل أن تسمعها تلك

المسكينة فترتعب منك.. هل تلك الضربات تأثراً

بقرب أنثى منه لأول مرة في حياته، وليست أي أنثى..

استغفر ربه بصوت خافت وهو يبعد نظره عنها، لم اختلفت

نظرتك لها اليوم يا هشام؟ ما بك؟! اثبت على موقفك

والأخوة الوهمية بينكما!

دخلت غرفة الجلوس ووقفت أمامه حانقة؛

"مش عارفتة أفتح سوستة الضستان"

استقام يقترب منها، ثم التفّ يقف خلفها يأمرها بخشونة:

"لمي شعرك"

جمعته على كتفها حتى ظهر سحاب الضستان أمامه..

استدعى في تلك اللحظة كل تعقله وشهامته وبدأ في

فتحه حتى انتهى ممسكا إياها من كتفها، يخاطبها

بخفوت مقل: "ادخلي أوضتك يا زهرة"

ثم دفعها بخفوة، وابتعد يخرج من الغرفة بأكملها، وهي

التفتت تنظر لظهره بحيرة قلقة.

تقف في شرفة المنزل وهي مستندة برأسها على الحائط

بجانبا، شردت في القادم والمستقبل، وكذلك الماضي

بكل ما فيه.. بعدما وافقت مكرهتا على جلال نتيجة

إلحاح والدتها، وكذلك إلحاح نقطة خفية في قلبها

تجاهلتها مراراً ورفضت الاعتراف بها.. ماذا بعد؟
 هي لا تريد خيبات جديدة، تعبت وملت وأصبحت لا تقدر
 على التحمل كالسابق.. تريد فقط الهدوء والراحة وأن
 يفهمها من حولها ويتركها وشأنها، لا تريد من يتدخل
 في شئونها وكل كبيرة وصغيرة في حياتها، لا من يعلق
 على تصرفاتها ولا من يلزمها بأي شيء.. هي مكتملة،
 حقاً مكتملة بنفسها، لا تريد عودة منغصات الماضي
 من جديد.

تنهدت بقوة وهي تبتلع بداخلها دموعات تجمعت داخل
 عينيها، اعترفي لنفسك يا كاميليا، أنت تخافين!
 تخافين من خوض تجربة جديدة ربما تكون كسابقتها!
 وسابقتها تلك لم تكن بهينة عليك أبداً، بل علمتك
 الكثير والكثير.. خائفة من أن تتفاجئي بكون جلال

لا يختلف عن أحمد ولا يختلف عن أغلب رجال هذا

الكوكب!

واعترفي لنفسك أيضاً أن جلال يحتلّ جزءاً صغيراً من

قلبك.. جزء كنت تخفينه تحت أكوام من تراب

وتخافين دوما الاعتراف به، لكن بماذا يزيد؟

أفاقت من شرودها على صوت والدتها تنادىها فأجابتها

وأغلقت الشرفة متجهة للداخل .

"شمس"

ابتلعت ريقها وهي تسمع حسام يناديها بينما هي بداخل

الحمام..

من يتخيل أن بعد أسبوعين من مقابلتها لجمال وتهديده لها

ستقف الآن في غرفة فندق لم تكن تحلم يوماً بالمرور

أمامه، مع شاب لم ترفي جماله ورقية، ليكون هو أول

زبائننا في هذا المجال!

لقد تعلمت الدرس جيدا من سونيا، بالطبع بجانب

تهديدات جمال التي لم تنتهي أبدا.. حتى أطلقا عليها

اسم شهرة ناري مثلها.. شمس!

ناداها مرة ثانية ففتحت الباب بتردد لتجده أمامها مبتسما

بجاذبية مهلكة ولم يبدل ملابسه، فقط تخلص من

قميصه فظهرت عضلات صدره وذراعيه بوضوح أمامها.

تقدمت منه ببطء فأمسك كفها يجذبها نحوه بقوة حتى

اصطدمت به.

تحدث بخبث وهو يمرر يده بخفضة على طول ذراعها صعودا

لكتفها ورقبتها: "إيه يا باشا، ثقلان علينا ليه؟"

ابتسمت باهتزاز وحركة يده تحرك بداخلها أحاسيس

غريبة، لتجده يتلاعب بحمالة ثوبها بينما شفتاه تقبلان

وجهها وهو يقول بهمس: "وريني شطارتك يا شمس يلا"

أوراق الياسمين

ترددت، لكن ما هي إلا لحظات حتى حاوطت عنقه
 بذراعيها، تبادر قارة وتتجاوب معه قارة أخرى، حتى نسيت
 جمال وسونيا ورعوف ووالدتها وركزت كل حواسها فيمن
 بين يديها.. لتتأكد مما قالتها لها سونيا يوما
 "انتي منحرفة بالفطرة يا سوسن، كنتي محتاجة بس اللي
 يشجعك وجمال جه وطلع مواهبك كلها، وانا هزود ع
 المواهب دي مواهب تانيّة لزوم الشغل"
 لم تع لنفسها إلا وقد سقط الرداء عنها، وهي لم تكن
 معترضة أبدا.. أبداً .

الفصل الثالث عشر

وورقة أخرى أهداها القدر حلما جميلا تمننت أن يدوم
طويلا فهل يدوم لها أم ستستيقظ منه قريبا؟!
جالسة بمنزل والدها الذي لم يوافق على الانتقال لشقتها
رغم إلحاح إسلام عليه بل والحاج عبد التواب أيضا
ولكن دون جدوى.. تعلم أن والدها إذا أصر على شيء لن
يغير رأيه ولكنها تشعر بالقلق عليه رغم أن إسلام قد
عين له ممرضاً مقيماً وزوجته عم حسين الذي يعمل معه
أيضا تهتم بوجباته إلا أنها ورغم مرور أسبوعين على
زواجها مازالت لم تعتاد على السكن بعيدا عن والدها
شردت رغما عنها بإسلام، كم هو رائع كحلهم ليلت

صيفيتا!

رقتة وحنانه معها بل وثقافته التي تفاجأت بها عندما
اجتمعا مع ابن عمه عاصم وصديقه الفلسطيني..
كم شعرت بالفخر حينما تفوق عليهما بثقافته ومعرفته

الواسعة بأغلب المجالات فيما هما كانت كل معرفتهما
محصورة بنطاق عملهما وبعض السياسة..
حسنا هي تشعر بالفخر من البداية فهي بأكثر أحلامها
جموحا لم تتخيل أن تتزوج به، ابتسمت بخجل عندما
تذكرت تعليق عاصم عندما قاما بزيارتهم ثالث يوم
الزفاف..

" أهلا ازيك يا عريس؟ ايه يا عم ده احنا قولنا مش
هنشوف وشك لمدة اسبوع على الاقل، وال بتهرب؟"
قالها عاصم ضاحكا لتحمّر أذنا إسلام بقوة وهو يرمقه
بغضب قبل أن يقول بخفوت: "لو مكنش عمي بس
مكنتش شوفت وشي شهر بحاله مش اسبوع بس"
ضحك عاليا لترتبك تلك التي ظهرت خلفهما فهي
المرّة الأولى التي تسمع ضحكته منذ رأته وما إن رآها
حتى تجهم وجهه وعقد حاجبيه ودلف للداخل متجاهلا
وجودها وهو يقول: "اتفضلي يانسرين البيت نور"

"منور بأصحابه يا دكتور"

قالتها بابتسامته خفيفة ليقول مازحا: "لا دكتور ايه بقى

احنا اهل، انا عاصم وبس وال ايه يا إسلام؟"

لاحظ إسلام وجود نرجس فأسرع ليحمل عنها الصينية

التي تحملها وهو يلاحظ نظراتها المكسورة فقال بحنو:

"ادخلي يا ست نرجس منورانا"

ابتسمت له بخجل وهي تقول: "الله يخليك، انا جيت

اجيب الأكل بس الف هنا ليكم"

هم بالحديث ليقاطعه صوت عمه وهو يقول: "ادخلي يا

نرجس من غير كلام كثير هتاكلي معانا ياللا يعني

تتعبي ف الأكل ده كله ومتاكليش معانا؟! وانت يا

إسلام اطلع نادي الحاجة وهاتلي مصطفى حبيبي وحشني"

"ان شاء الله يخليك يا حاج، ستي ومصطفى اتغدوا

وناموا وانا لازم آآآ.."

قاطعها بحزم: "خلاص يبقى تدخلي انتي وتاكلي معانا

ومش هقبل بأي رفض"

دلقت بخجل لتقابلها نسرین وتضمها بحب وتساعدھا

برص الطعام على المائدة.

أفاقت من شرودھا على صوت والدها وهو يقول: "لا انتي

شكلك مش معايا خالص، ايه إسلام لحق يوحشك؟"

ابتسمت بخجل وهي تشيخ بوجهها عنه ليسألها:

"مبسوطه معاه يا نسرین؟"

أومات برأسها بسعادة وهي تقول: "اوي يا بابا، إسلام

مضيش منه محترم اوي وحنين عليا"

تنهد براحة وهو يضمها له بحنو قائلا:

"ربنا يسعدكم يا حبيبتي".

جالسة بالمحل تتذكر ذلك الغداء الكارثي بصحبة

الحاج عبد التواب ونسرین وإسلام وذلك المتعجرف

عاصم..

لا تعلم لماذا ينظر لها بازدراء واحتقار على الدوام؟
 هل لأنه طبيب وثري وهي لا حول لها ولا قوة؟
 هي ليست جاهلة هي أكملت تعليمها حتى انتهت من
 الدبلوم ولكنها لم تستطع الالتحاق بالجامعة بسبب
 ظروفها، ابتسمت بسخرية وهي تتمتم: "وهو ايه الدبلوم
 بتاعك ده قدام انه دكتور كبير يا نرجس؟! فوقي من
 اللي انتي فيه ده واعرفي مقامك ال هو كل مرة
 بيشوفك فيها بيعرفهو لك اوي وغصب عنك"
 شردت تتذكر كيف أخرجها امامهم جميعا..
 "تسلم ايدك يا نرجس يا بنتي الأكل طعمه جميل والله
 اتعودت على أكلك ومش عارف لما تتجوزي هعمل ايه؟"
 قالها عبد التواب وهو يمسح على معدته وهو يشعر
 بالامتلاء لتؤمن نسرین على كلامه قائلة: "فعلا يا حاج
 نرجس عليها نفس في الأكل فظييع وبتعلمني ومضيش

فايدة نفسها مالوش زي"

ابتسمت بخجل ولم تعلم كيف ترد عليهما لتسمع صوت
صرير المقعد المقابل لها في الأرض بقوة، رفعت رأسها
لتجده ينظر لها باحتقار ليبادره إسلام بدهشة:

"رايح فين يا عاصم؟ انت لحتت تاكل؟"

"شبعنا الحمد لله أصلي مش متعود على الأكل ده"
قالها ببرود ثم نظر لها بازدراء لتشعر بالدموع تسرع

عينيها فكبحتهن بقوة وهي تقول بخفوت:

"شوف حضرتك عايز تاكل ايه وأنا اعملهول..."

قاطعها بغلظة: "مش عايز"

ثم غادر بهدوء تاركاً إياها غارقة بحرجها تقاوم تساقط
دموعها والكل ينظر لها بتعاطف عدا عبد التواب الذي
كانت نظراته غامضة.

عادت من شرودها على صوت كرية بجانب أذنها ولمست

لجسدها جعلتها تنتفض مسمتزة وهي تسمعه يقول:

"ايه تايبك طلع على شونته مع الرجل الكبير؟!"

أوراق الياسمين

طب ما قولت انا في الخدمة وتحت النظر وال هو الطمع"
 همت بالخروج ليقف أمامها وهو يستغل عدم وجود
 سواهما بفترة الغداء وهو يقول: "ما كفاية دلال بقى يا
 حلوة، ما قولنا لو عايزة فلوس هديكي ال عايزاه بس
 بالعقل برضه ما هو انا مش أد الحاج ولا فلوس الحاج
 اللي مغرّكك فيها، دلّعيني أدلّعك وكله بتمنه"
 "اخرس قطع لسانك، ما هو ال زيّك ما يعرفوش ربنا ولا
 يعرفوا يعني ايه ناس محترمة وشريفة فاكرين كل

الناس زيّهم"

رمقته بغضب وهي تقول بقوة: "ابعد عن طريقي أحسنك
 يا حميدة أحسن هقول للحاج على كل اللي انت بتعمله
 معايا انا مش عايزة أقطع عيشك ومراعية ان عند بيت
 عايز تفتحاه"

"بقى انتي بتهدديني انا؟! وديني لاوريكي ومابقاش

حميدة ان ما خليتك تحت طوعي وأمري"

تهجّر عليها يحاول ضمها وتقبيلها ويده تمر على جسدها

وهي تتمصص منه بقوة شامتة إياه وهي تصرخ تريد لأحد أن ينجدها من بين يديه وما هي إلا لحظات حتى كان يبتعد عنها بقوة صوت ضربات قوية جعلها تنتبه إلى إسلام الذي يضربه والحاج عبد التواب الذي خلع سترته وغطاها بها يداري ما قطع من ملابسها لتجهش بالبكاء وهي تشعر بالعار..

ماذا فعلت حتى يحدث لها كل هذا؟!

الأنها مطلقته وليس لها سند يستبيحون عرضها ويظنونها ملكا لهم؟!

أجلسها الحاج على مقعد قريب وهو يحمد الله أنه عاد بالوقت المناسب فما إن أخبرته أحد الفتيات اللاتي يعملن لديه أن حميدة عاد إلى المشغل وهي تريد العودة لأن نرجس بمزردا هناك حتى نهض ومعه إسلام الذي كان يتناول معه الغداء حتى يذهب إليها فلا تكون بمزردا معه فهو يعلم بكرها له ولم يكن يعلم أن ذلك الكره له سبب قوي كما رأى قبل قليل فيبدو أنه

ليست المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك ويتعرض

لها هذا الجبان..

أوقف إسلام عن ضربه وهو يصرفه من العمل وهو يخبره

أن مستحقاته ستصله حتى منزله وألا يريه وجهه مرة

أخرى .

"هتندم يا حاج، بقى تستغنى عني انا ال خدمتك سنين

عشان حتة بت زي دي لا أصل ولا فصل وأد بنتك كمان

لا ده كده بقى الحكايتة فيه إن وإن كبيرة كمان زي

مانا قولت، مش حكايتة بقى بنتي ومش بنتي"

قالها حميدة بغضب وسخرية ليلكمه إسلام مرة أخرى

وهو يهتف: "والله لو ما خضيت عن وشي السعادي بدل

مبيتك في القبر النهاردة"

انصرف بعدما رمقها بنظرة جعلتها ترتعد وهي تفكر أن

الأمر لن ينتهي عند هذا الحد .

منذ سافر وهي لا تفارق تفكيره.. يشعر بالغضب من والده

أوراق الياسمين

لمعاملة والده لها، لماذا يوليها كمل ذلك الاهتمام؟
هل حقا يريد الزواج بها؟ لقد لمّح لزواجها ولكن هل
منه هو؟ هل كلام حميدة صحيح أم أنه يببالغ في الأمر

كما أخبره كاسب؟

أخبره أنها ليست كغيرها ولكنها... صمت للحظات وصوت
يصدح بداخله يسأله: (ولكنك ماذا عاصم؟ هي تهتم
بطفلها كثيرا، بل هي تهتم بالجميع إذا أردت الصدق..
حتى أنت رغم فظاظتك معها اهتمت بك هل تنكر؟"
أغمض عينيه بقوة يحاول إزاحتها من تفكيره وإزاحة
مصطفى الذي تعلق قلبه به ليقاطع تفكيره رنين هاتفه
فرحب بالإنهاء ليجده حميدة، عقد حاجبيه وهو يفكر
ماذا يريد منه؟ هل لديه المزيد من الأخبار التي تشبه
وجهه؟

اتصل عليه ليجيبه الآخر لتتسع عيناه من الصدمة مما
سمعه وينتفض واقفا وهو يهتف: "انت متأكد من اللي
بتقوله ده يا حميدة؟"

صمت قليلا ليستمع ثم هتف بحدة: "بقى هو طردك
 عشانها؟! طب اقل انت دلوقتي.. اقل بس وانا
 هشوف الموضوع ده ماتقلقش"
 أغلق الهاتف وعينيه تشتعلان بغضب إذا رآته نرجس
 لارتعدت فرائصها من الخوف .

"الفرح كمان أسبوعين يا سوسن، وحسك عينك
 تعترضني.. مش كفاية الراجل مستحمل برودك معاه
 ومقدر ظروف شغلك اللي بتتغير كل يوم دي"
 يا إلهي! إنها الآن في موقف لا تحسد عليه أبداً!
 هي تعلم والدتها جيداً، عندما تُصرّ على أمر ما فلن
 يزعزعها أي شيء عن تحقيقه! تماماً كما فعلت وخطبتها
 من رءوف .

حاولت الاعتراض بيأس: "يا أمه مش هينفع؛ أسبوعين
 قليل أوي وأنا فيه حاجات كتير ناقصاني ف الجهاز"
 بإصرار أجابت دون أن تكترث لاعتراض ابنتها:

"لأ هناعق إن شاء الله ملكيش دعوة، سيبيني دلوقتي

هروح أبلاغ أم إسراء إننا موافقين على معاد الضرح"

أمسكت يدها تحاول تأخيرها أو إثنائها عن الذهاب؛

"يا أمه الكلام أخذ وعطا.. وبعدين هتتصرفي ف فلوس

الجهاز منين دلوقتي؟ احنا اللي جاي على اد اللي رايح"

تنهدت بهم؛ "هنلاقي صرفتة يا سوسن، زي ما جوزت

اخواتك هجوزك وهتروحي لبیت جوزك مش ناقصك

قشاية"

ثم سحبت يدها من قبضة سوسن واتجهت لباب المنزل

كي تنشر الخبر السعيد، تاركت سوسن تفكر في هذا

المأزق الذي لو تركت نفسها له فستخرج منه بفضيحة

كبيرة، ليس لها فقط، بل لأهلها جميعاً.

رعوف لا يستحق كل هذا، لا يستحقها من الأساس، لو

جعلتني من نصيبه يا رب؟! هو لا يستحق تلك الصدمة

في بداية حياته .

لكن.. لم لا تحاول استغلال الوضع؟، رءوف طيب وابن جارتهم وتعرف أوله وآخره جيدا، لم لا تتزوجه كي لا تخسر فرصة كهذه؟! هي لا تضمن جمال ولا سونيا على أي حال، لكن ماذا ستفعل في مصيبتها الأكبر من كل هذا؟!

رءوف يظن أنه سيتزوج سوسن البريئة الشريفة

ال عذراء!

شردت وهي تفكر في حل جذري لتلك المصيبة حتى رنّ رقم هاتفها.. جمال

أجابت بصوت ميت: "أيوه يا جمال"

أتاها صوته الخبيث: "إيه يا جميل، الزهر لعب معاك وركنتنا ع الرفّ خلاص؟"

صمتت ولم تجاربه، وصمت هو الآخر في انتظار ردها، فأتاه بارداً قاطعا: "أنا هتجوز بعد أسبوعين"

"نعم يا روح خالتك؟"

"اللي سمعته.. ويا اما تشوفلي حل ف المصيبة اللي انا

فيها دي يا إما هتفضح وافضحك معايا، وعليها وعلى

أعدائي .

استيقظت في الصباح بمفردها في السرير، جالت بعينيها في الغرفة فتذكرت أين هي وماذا حدث بالأمس.. بعد أن انتهيا من تناول العشاء ساعدها هشام في تنظيف المكان ثم تركها متمماً بـ(تصبحين على خير) وذهب إلى غرفة أخرى غير تلك التي كانت بها منذ قليل، وبذلك ظلت تفكر: هل أزعجته في شيء؟ هل فعلت ما جعله ينظر منها

في أول ليلة لهما كزوجين؟!

ثم باتت ليلتها بمفردها وهو في غرفة مجاورة لها، والآن

هي لا تعلم حتى إن كان بالمنزل أم لا!

فتحت باب الغرفة وخرجت تتطلع حولها بحثاً عنه، حتى

وجدته في المطبخ يقف أمام الموقد يعد شيئاً ما

"صباح الخير"

التفت مبتسماً لها وهو يطفئ النار حاملاً بيده (مقلاة)

صغيرة ويتجه نحوها متجنباً النظر إليها بعدما تنبه لما

ترتديه: "صباح الخير يا زهرة، نمتي كويس؟"

تمتت وهي تراقبه: "الحمد لله"

وضع ما بيده على الطاولة ثم جلس على كرسي وهو

يتنحج مشيراً للأخر المجاور له: "طب يلا تعالي افطري،

الأكل لسه سخن"

اقتربت بتردد إلى حيث أشار وهي تقول بشعور من قصرت

في واجباتها: "ليه التعب ده كله يا باشمهندش، كنت

صحييتني اعمله أنا"

ابتسم بحنان وهو يعيد قوله يزيح لها الكرسي كي

تستطيع الجلوس: "اقعدي يا زهرة الأكل هيبرد"

أطاعته وجلست؛ فشرع هو في الأكل بأريحية كإشارة لها أن تشاركه وتأخذ راحتها مثله، لتمسك هي بقطعة خبز صغيرة تتلاعب بها بحرج من معاملته الغريبة لها حتى وضعتها في فمها وابتلعها، وهو لم يكن غافلا عنها لكنه تركها تتصرف كما تشاء كي لا يزيد من حرجها.

أنهت طعامها سريعا، وهو كذلك، ثم نهضت ترفع الطعام بإصرار خجول ألا يساعدها فهي تستطيع تدبر أمرها، فتركها وذهب كي يشاهد التلفاز كما أخبرها. دقائق ولحقت به حاملة كوبا من الشاي له كما يحبه، ثقيل جدا بلون الحبر الأسود مع بضع وريقات من النعناع الأخضر تطفو على سطحه.

"أفضل"

أخذه منها ولم يشكرها حتى بينما يفكر، هل يخبرها
أم لا؟ لكن إذا لم يخبرها واستمرت على هذا المنوال
كل يوم ستكون نهايته على يديها.. هو رجل قبل كل

شيء، بشر، وهذا كثير على تحمله!

تنحج قبل أن يناديها: "زهرة"

وجّهت نظرها نحوه ببراءة تنتظر ما سيقول: "نعم.."

فرقع بعضا من أصابع يده بتوتر قبل أن يضيف وهو

يتجنب النظر إليها محاولًا ألا يخرجها بكلامه:

"ياريت وانتى قاعدة ف البيت تلبسي حاجة مقفلة شوية"

أخفضت وجهها تنظر لما ترتديه، قميص نوم بحمالات

رفيعة على كتفها، يحدد جسدها قليلا ويصل طوله لما

فوق ركبتها.. ماذا به؟ أليس هو زوجها؟"

نطقت بحزن أول ما خطر ببالها: "شكلي وحش؟ مش

أوراق الياسمين

عاجبك؟"

تنهد وهو يمسح على وجهه، ستتعبه كثيرا هذه الصغيرة!
نطق يطمئنها: "لا يا زهرة مش وحش، بس أنا مبحبش

كده"

لا يحب هذا!

رحمة الله على ربيع، كان يحبها أن ترتدي ما هو أكثر

انفتاحاً من هذا بكثير!

تمت بخضوت وهي تنظر للأرض: "بس انت جوزي

يا باشمهندس!"

يا زهرة، فقط أطيعيني في هذا الأمر.. أرجوك .

أصر وهو يحاول أن يوضح لها: "زهرة، مش كل الناس زي

بعضها، أنا جوزك زي ما بتقولي وأنا اللي بطلب منك

تعملي كده... ممكن؟"

نظرت للأرض بحزن وهي تفرك يديها ببعضهما ولا تعلم

سبب هذا الطلب الغريب منه: "حاضر"

ثم نهضت كي تُبدل ملابسها أمام نظراته التي لاحقتها
حتى اختفت من أمامه .

"يا صباح السكر"

قالها بنبرة عابثة عندما رآها تدلف لغرفة مكتبه؛
فاقتربت منه متجاهلة عبثه وهي ترد: "صباح الخير

يا أستاذ جلال"

وضعت ملاماً على مكتبه وهي تتحدث بعملية:

"راجع الملف ده بعد إذنك"

كان ينظر لها منذ أن تفوهت بكلمة (أستاذ) التي

أغاظته بشدة، حتى انتهت.. رفعت وجهها فوجدته يحدق

فيها؛ هزّت رأسها بتساؤل، ليقول هو بمرح يداري به حنقه:

"ميمي.. مش عايز أفاجئك وأقولك إني خطيبك ودبليتي

ف إيدك يادوب من امبارح.. فها، حسيني بأي اختلاف

أوراق الياسمين

يعني، مش معقول أقولك أنا ميمي وانتي تقوليلى أستاذ

جلال؟"

رفعت حاجبها الأيسر وهي تهتف بتعجب: "ميمي؟"

ابتسم فظهرت غماسة خده الأيسر وهو يتأمل وجهها:

"اه ميمي، مش عاجبك ولا إيه؟"

رفعت كتفيها بلامبالاة: "أأأأأأ ميمي، ماشي حاله، أهو

أحسن من كامى حتى"

قام من مجلسه ودار حول المكتب حتى اقترب من مكان

وقوفها، جلس على طرف المكتب أمامها ولم يخفى عليه

تباعدها وارتباكها.

تحدث يحاول سبر أغوارها: "عاملت إيه النهاردة؟ امبارح

كنتى تعبانة أو متضايقنة، مش عارف كان مالك"

تلاعبت بقلمه موضوع على سطح المكتب: "أأأأأأ ميمى

حاجنة، كنتى تعبانة شوية بس، الحمد لله بقيت

كويست"

أوما برأسه بعدم اقتناع، ثم أضاف بإقرار دون انتظار ردها:

"هنروح نتغدى برا النهاردة مع بعض، استأذنت والدتك

ووافقت"

همت بالاعتراض لكنه قال بصرامتة: "مش هخطفك

يا كاميليا!، هنتغدى ونروح بعدها"

وضعت يديها على خصرها وتأففت بضيق، لتفاجأ به يقف

مقتربا منها.

هتفت به وهي تتراجع ناظرة له بتوجس: "إيه؟"

ببساطة وهدوء أجابها: "إيه إيه! عديني يا بنتي، سادة

الطريق بدراعاك"

أخفضت ذراعها بجانبها بخرج وتنحّت تفسح له الطريق

حتى مرّ، لكن مروره لم يكن بسلام تام، بل مال على

أذنها قليلا وهو يهمس لها بينما يحاول التقاط رائحة

شعرها بأنفه خفية وهي غافلة عنه؛ "ما تضرديش شعرك

تاني يا كاميليا برا البيت"

ها هي وجنتها تزدادان حمرة لا إراديا منها.. لم كل أمر

منه لا تعتبره أمراً؟ هل هي إعاقة في مشاعرها

ومستقبلاتها؟ أم ربما تكمن المشكلة في نوع الأمر

نفسه، جلال لا يطلب منها إلا ما يسترها، ما يجعلها تشعر

أنه بالفعل خائف عليها، يقدرها، لا يطلب منها مثلاً أن

تبرز جمالها أكثر، بل على العكس، دائماً ما تكون

أوامره تخص أن تخفي جمالها، لذا هي لا تعترض عليها،

ولا تعترض على هذا الشعور الذي يملكها كلما

علق عليها .

"كاميليا"

خرجت من شرودها على ندائه، فالتفتت له بتساؤل،

ليبتسه هو بينما يضيف؛ "هستناكي الساعة 4"

أومات برأسها، ثم التفتت تخرج: "عن إذناك"

بعد أسبوعين

انتهى الفرح وصعدت مع رءوف لشقتها التي تقع في بناية

مجاورة لبيت والدتها.. دخلت ودخل بعدها رءوف مغلقا

الباب ثم اقترب منها وهي تبتلع ريقها بتوتر .

وقف أمامها مبتسما ببهاء وهو لا يصدق أن حلمه تحقق

وسوسن أصبحت في بيته، زوجته وحبيبته.

قبل جبينها وهو يقول بخفوت ولهفة:

"أخيرا يا سوسن بقيتي مراتي"

تصنعت الخجل وابتسمت مخفضة وجهها، فأمسك ذقنها

يرفع وجهها مقابل وجهه، يجري بعينيه على ملامحها التي

زادها الحجاب الأبيض وطرحته العروس جمالا، ثم اقترب

ببطء كي يقبل وجنتها وهو يتجنب إحاققتها منه.
 حطت قبلته البريئة على وجنتها فأغمضت عينيها وهي
 تستشعر اختلافها ورقتها، ولا زال التوتر متمكناً منها حتى
 بعد أن طمأننتها الطيبة التي أخذها جمال لها؛ إذا فشل
 الموضوع فستفصح وربما يصل الأمر لما هو أكبر من
 مجرد فضيحة!

وضع ذراعيه حول خصرها يقربها من قلبه الخافق بقوة،
 وقبالاته لم تتوقف على وجهها، حتى استشعر عدم خوفها
 أو تشنجها فتجراً وقطف شفيتها في قبلة خفيفة، ثم
 ابتعد يتأمل وجهها فوجدها مغمضة العينين ثم فتحتها
 بعدما ابتعد عنها لتجده ينظر لها مدققاً..

ابتسمت بخجل استدعى ابتسامته وهو يتأمل خجلها منه
 اقترب من أذنها يهمس بعث: "مش قولتلك قبل كده
 ماتت كسفيش مني يا سوسن؟"

أومات برأسها فضحك وهو يحتضنها مشددا ذراعيه
حولها، ثم قال وهو يبتعد عنها ممسكا يدها، ينظر لها
بحب كي يبعث الطمانينة بداخلها: "تعالى نتفرج على
أوضتنا"

ثم سحبها متجها لغرفتهما، وتوترها الآن قد زاد وفاض
ووصل لأعلاه، حتى أنه استشعر ارتجافة يدها في يده
فشدد عليها ثم انتزعها ولف ذراعه حول خصرها
محتضنا إياها وقلبيهما في تلك اللحظة يدقان بعنف،
لكن لكل منهما سببه .

وهناك ورقة قد سقطت ودُهِست تحت أقدام الأعراف
والتقاليد والخوف من (كلام الناس) والذي له عظيم
الأثر بحياة والديها خاصة وبالمجتمع عامة، فصمتت

مجبرة واستسلمت لما يحدث معها فألى أين سيؤول بها

الحال؟!

جلست تتناول طعامها بمفردها للمرة الـ.. بالواقع لم تعد
تحصي فهي منذ جاء إلى دبي وكل منهما وكأنه يعيش
حياة منفصلة عن الآخر عدا الليل فهذا هو الوقت الوحيد
الذي يقضيه معها أسعد.. حركت رأسها بسخرية وهي
تفكر لقد تخيلت بسذاجة أن هذا عشقا لتكتشف أنه
لا يمت للعشق بصلة بل هو محض رغبة يقضيها بمسمى
شرعي دون أي مراعاة لها فقد أزيل القناع وظهر الوجه
الحقيقي لزوجها العزيز .
زفرت بقوة وهي تتذكر آخر لقاء لها مع والديها والذي
كان صادما ومؤلما لها كثيرا .

"خلى في علمك يا لبنى لو جوزك طلقك بيتي مش
هتعتبيه تاني وهعتبر بنتي ماتت، أنا معنديش بنات

يطلقوا ويخلوا الناس تجيب في سيرتنا، عقلك في

راسك تعرفي خلاصك"

ثم التفت إلى أمها التي تابعت الحوار في صمت قائلاً:

"عقلي بنتك وخليها تعرف مصلحتها فين"

غادر وترك والدتها تحاول أن (تعقلها) كما قال..

"لبنى يابنتي خليك عاقلة وبطلتي الجنان بتاعك ده،

انتى سمعتى ابوكى اهو وانا مش هقدر اغير رأيه انتى

عارفت ابوكى دماغه ناشفت وانتى طالعاله فلاينيها شوية

وشوفى حالك مع جوزك، جوزك طيب هو بس امه

العقربت دي اللي مش سايبته ودنه وانتوا هتبعدوا اهو

ريحيه بقى ودلعيه كده وهو هيديكى عنيه"

ابتسمت بسخرية عائدة للوقت الحالي وهي تسمع رنين

هاتفها وبالطبع هو المتصل فمن لها سواه بعد أن قطعت

أمامها كل السبل وهي عليها الصمت والطاعة والاحتمال.

"ألو"

أجابته ليصلها صوته قائلاً: "حضري نفسك فيه حفلة تبع
الشغل بالليل عايزك تكوني احلى واحدة في الحفلة،
بعتلك فستان هيوصلك كمان شوية، هعدي عليك
على الساعة ٨ تكوني جاهزة"

"حاضر"

كلمة واحدة فقط أغلق بعدها الخط دون حتى أن
يودعها!

ابتسمت بسخرية وهي تقول: "ما تصحي بقى يا بنى من
الحلم اللي كنتي عايشاه ده، يودعك ايه وبتاع ايه ماهو
خلاص وشه بقى مكشوف ومعدش له لازمة التمثيل"
نهضت ورتبت الشقة سريعاً ولحظات وكان الثوب قد
وصلها مع السائق فذهبت لتجهز نفسها .

استيقظت قرب الضجر فلم تجده بجانبها.. إلى أين ذهب؟!
 هل هو بالحمام أم ذهب لشرب الماء أم لم ينم من الأساس؟
 نهضت تبحت عنه وهي تشعر بالدهشة من غيابه فقد
 نامت مباشرة بعد عودتهما من الحفل والذي كان ممتعا
 رغم كل شيء ولم تعلم هل نام أم لا!
 تجمدت مكانها وهي تراه يتحدث على الهاتف!
 هاتف وبتلك الساعة؟!
 اقتربت منه بهدوء تريد أن تعرف إلى من يتحدث بهذا
 الوقت؟! لتتجمد مكانها وهي تسمعه يهتف بحدة:
 "بقولك ايه يا فيضي مش عليا انا الكلام ده يا حلوة؟"
 روعي شوفي العيل ده من أنهي نطع مستغفلاه مش انا ال
 يتعمل عليا الملعوب ده عشان تدبسيه يا حلوة، انا اصلا
 ما بخلأش يعني مستحيل العيل ده يكون مني فروحي
 شوفي بقى هو من مين يا حلوة"

أغلق الهاتف وألقاه جانبا واستدار ليجدها متجمدة مكانها
وهي تنظر له بصدمة فلوى شفتيه بسخرية وهو يقول:
"ايه مالك؟! عشان بخونك يعني؟! عادي وع فكرة انا
مراتي برضه بس عرفي ومن قبلك كمان عندك مانع؟"
"انت مابتخلفش فعلا يا أسعد؟! أمال كنت بتضحك عليا
كل الوقت ده؟!"

والعلاج ال باخده ده ايه وليه؟!

ليه عملت كده فيا وقولت اني انا ال مبخلفش؟!"

قالتها بصدمة ليرد عليها ساخرا:

"بس بس لاحسن يطلقك عرق وال حاجة يا بنت عمي"
قالتها بسخرية ليتابع وهو يقترب منها قائلا: "آه مبخلفش،
يلزمك في حاجة؟! العلاج دي فيتامينات ليكي شوفتي
قلبي الرهيف عشان تعرفي بس اني بحبك وبقدرك"
"ليه كدبت عليا وعيشتني طوال الفترة دي وانا ببكي

أوراق الياسمين

على حالي لاني مش بخلف؟! ليه سببت امك تشمت فيا

وتهيني؟! مانا كنت هفضل معاك عمري ماكنت

هسيبك، انت ابن عمي قبل ماتكون جوزي وانا ستر

وغطا عليك، ليه...؟"

قاطعها بحدة وهو يقول: "نعم ياختي؟! ستر وغطا؟! ماهو

ده ال خالني اقول ان العيب منك انتي، عشان متتفضليش

وتقعدني معايا إحسان منك، مش أسعد اللي تتفضل عليه

واحدة ست وخاصة لو واحدة زيك بايرة وسيرتها على

كل لسان"

"أخرس، اوعي تقول حاجة عن أخلاقي اللي انت عارف

كويس انها مش زي ما بتقول، انا ندمت ندم عمري لما

سكت على بوستك ليا وهي مرة.. مرة يا أسعد وشوفت

الويل والمرار بسببها يا ابن عمي، يا ستري وغطايا..

انت حقير حقير"

أجهشت بالبكاء ليضعها بقوة وهو يهتف بغضب:

"اتلمي يابت انتي نسييتي نفسك وال ايه؟ لا ياختي لا انتي

ولا عشرة زيك يهزوا شعرة مني.. وهتفضلي كده خدامت

تحت رجلي يا لبني لحد مانا ال اقرر اسيبك او لا"

نظرت له بقسوة وهي تنتفض قائلة: "وانا مش هستناك

تسمحلي او لا انا هنزل مصر وافضحك قدامهم كلهم

واقولهم سيد الرجالة اللي كان عايز يتجوز عليا عشان

مايخلص هو اللي مش بيخلف وهطلق منك يا اسعد

وهتجوز راجل بجد مش..."

قاطعتها صغرة أخرى تلتها أخرى تلاها الكثير حتى

رحمها الله وفقدت الوعي ولم تستيقظ إلا بعد فترة ومن

هدوء الشقة علمت أنه تركها كما يفعل دوما بعدما

يشبع حقه منه..

أوراق الياسمين

شعرت بسائل نزع يسيل على ساقها
ولكنها لم تهتم وتحاملت على نفسها حتى وصلت إلى
هاتفها ثم اتصلت بالوحيدة التي تعرفها بهذه البلد وما إن
أجابت الأخرى حتى هتفت: "الحقيني يا نادين، بمووت!"

الفصل الرابع عشر

قبل عدة ساعات

جهزت نفسها ليصل في الموعد المحدد، خرجت له لتجده
متأنقا كعادته ابتسمت بسخرية وهي تفكر أن ما لفت
نظرها له بالبداية هو تأنقه واهتمامه بنفسه مع
وسامته فكانت مزيجا ساحرا.. لم تعلم أن كل ذلك
محض قناع يخفي خلفه الكثير من الخصال السيئة التي
ظهرت لها بعد ذلك .

ما يؤلمها حقا أنها أدركت متأخرة أنها لم تحبه قط،
لم تحب سوى صورة رسمتها بخيالها ولم يكن لها محل من
الواقع أبدا.. فأسعد بالواقع لم يكن يشبه ذلك الذي

أحبته وانتظرته أن يشعر بها سنوات!

لاحظ نظراتها فابتسم بغرور وهو يقول:

"ايه حلو؟ عجبتك؟!"

لم ترد عليه فغمز لها بسماجة وهو يتابع:

"لو مكنتش الحفلة مهمة كنت طنشتها

وقعدنا ف البيت نستعيد ليالي الملاح، فاكرة يا لولو؟"

أشاحت بوجهها بتقزز ولم ترد عليه وهي تشعر بالاشمئزاز

منه ومن نفسها وقد رضيت بهذه المهانة والمذلة طوال

شهور زواجهما فلم يأبه لتجاهلها له وفادها معه للسيارة .

دلفت معه إلى الحفل ليجلسها لمائدة وهو يقول لها:

"خليكي هنا هروح اشوف النظام واجيالك"

جلست بتوتر ترى الكثير من الناس عرب وأجانب..

تشعر أنها غريبة بينهم.. ابتسمت بحزن وهي تفكر إذا
 كانت غريبة مع زوجها لن تكون غريبة مع الغرباء!
 لحظات وشعرت بمن يقترب منها فرفعت رأسها بارتباك
 لتجدها فتاة لطيفة يبدو عليها الرقي والاحترام وجدتها
 تبتسم لها فبادلتها الابتسام بقلق وهي تنظر حولها
 "على مين بتدوري خيتا؟!"

بادراتها الفتاة فالتفتت لها لتجدها تقف جوارها فنهضت
 بارتباك من لهجتها وقد علمت أنها ليست مصرية أو حتى
 من دبي ثم قالت: "بدور على جوزي"

"متجوزة! شكك صغيرة عالجواز، معلىش نسيت أعرفك
 بحالي.. أنا نادين، فلسطينية الأصل بس مقيمة مع عيلتي
 هون من زمان كثير، فيكي تقولي من قبل ما أخلق"
 "وأنا لبني مصرية، جيت مع جوزي من فترة لشغل هنا تبعه"

قالت لها لبنى وقد بدأت تشعر بالارتياح لها فابتسمت نادين

وقالت لها: "قلبي حاسسني راح نصير أصحاب، وهيكا

خمنت من لمن شوفتك أول مرة، علشان هالاحساس قررت

ما استحي واجي اتحركش فيكي"

بادلتها الابتسام وهي تقول: "ياريت أنا ماليش أي أصحاب

هنا أو حتى ف مصر، ومن وقت ما جيت وانا حتى

ماخرجتش لوحدني خالص"

"جد بتحككي! لكان رح نشغل بعضنا (معانقة الذراع

باليد) للأيام الجاية ورح أعرفك على كل شبر بدبي"

قالت لها نادين بابتسامته وقبل أن ترد عليها لبنى كان

كاسب يتدخل بالحديث وهو يقول: "وااو لبنى اتعرفتي

على أهم واحدة ف الحفلة.. أهلا بيكي آنسة نادين،

شايف إنك اتعرفتي على مراتي"

نظرت له نادين باحتقار.. أهذا زوج هذه البريئة؟! إذا
 الحزن الذي التقطته بأعماق عينيها شيء طبيعي فهذا
 الحقير لم يتورع عن مغازلتها بمنتهى الجرأة حتى بعد أن
 علم أنها أحد مديري الشركة التي جاء للتعامل معها .
 تجاهلته تماما وهي تنظر للبنى بلطف وتعاطف ظهر رغما
 عنها بحدقتيها ثم قالت: "مبسوطة فيكي يا لبنى واني
 اتعرفت عليك، إسا بشوفك قريب إن الله أراد"
 تركتهما بمزردهما وما إن ابتعدت حتى جلست لبنى مرة
 أخرى دون أن تمنحه أي اهتمام أما هو فلم يخجل أن يلتهم
 نادين ولعابه يسيل لجمالها .

شعرها البني الطويل وعيونها العسلية وجسدها الذي
 اشتهاه منذ رآها ثم حوّل بصره ل لبنى وهو يقارنها به..
 رغم أن جمال لبنى يسلب اللب إلا أنها أهملت نفسها منذ

فترة ولم تعد تجذبه كالسابق خاصة مع نحولها وتلك
الكدمات المنتشرة على جسدها نتيجة ضربه لها كلما
كان غاضبا أو كلما أخطأت بحقه.

صاح صوت من داخله يقول: "وهل أخطأت بحقك أسعد؟!"

متى؟ وكيف؟ أنت من أخطأت وأنت من جنيت عليها

وحولتها لهذا المسخ الذي لم يعد يجذبك الآن"

خفق صوت ضميره هذا إن كان يملك واحدا ثم ابتعد

عنها وذهب محاولا أن يتقرب لفتاة أخرى قد أثارت إعجابه

وشهوته على حد سواء وهذه المرة وجد صدى لحقارته

بتلك الفتاة فاندمج معها لنهاية الحفل تاركا لبنى وقد

عادت لها نادين وجلستا معا حتى نهاية الحفل وقد بدا

أنهما تعمقا بصداقتهما الوليدة وقد فكّر أن كل ذلك

يصب لمصلحته بالنهاية فإذا لم يتمكن للوصول لتلك

ال نادين إذا فليجعل زوجته المرسال بينهما.

لم يفهم ما قالتة شقيقته ولكنه لم يسأل يكفي صوتها

المرتعب حتى يركض للمشفى ليري ماذا حدث لها .

الم تكن بالمنزل منذ عادا من الحفل؟ كيف خرجت

ولماذا؟!

هرع للمشفى ليصطدم بعاصم بالرواق ليبادره كاسب:

"لمحت نادين شي! حاكتني من شوية وخبرتني أنه..."

قاطعاه عاصم وهو يسير إليه ليهدأ: "اهدا يا كاسب نادين

بخير ماتقلقش هي مافيهاش حاجة دي جابت مريضة هنا

للطوارئ وأنا لسه خارج من عندهم ورايح ابغ الشرطه"

جحظت عينا كاسب وهو يقول: "إيش؟! إيش جرالهم؟!

ومين هي البنية اللي جت مع نادين بهاد الوقت المآخر؟"

"الحقيقة مش عارف من دي بس ال فهمته انها صاحبها
وللاسف حالتها وحشة اوي وغالبا هتخسر الجنين لانها
مضروبة بوحشية وكان ال ضربها كان قاصد

ينزل الطفل"

قالها عاصم بغضب وهو يفكر بمظهر الفتاة التي تبدو
ناعمة وقليلتة الحيلتة لتشتعل عينا كاسب بغضب وهو لا
يفهم ما دخل شقيقته بكل ذلك!

"وين غرفة البنت؟"

أخبره عاصم بالغرفة وهو يقول: "هتلاقي نادين هناك

والست نايمتة دلوقت"

ذهب كاسب للغرفة وهو يرغي ويزبد من تهور شقيقته
الذي يوقعها بالمشاكل دوما.. ألم تستطع أن تنتظره حتى
يحضر معها؟! ماذا إن تعرضت لأذى؟!

أوراق الياسمين

لم يكد يصل إلى الغرفة حتى وجد شقيقته تخرج منها
 وقبل أن يتحدث وجدها تندس بين ذراعيه وهي تبكي
 بألم مرق شغاف قلبه وهي تقول: "ليش المصايب توقع
 عراس النسوان؟! ليش مكتوب عليهم يعانوا بهاد
 الشكل؟"

رَبَّتْ على كتفها بحنو وقد نسي غضبه قليلا وهو
 يقول: "إيش صار خيتا؟! ومين هي رفيقتك اللي صابها
 حادث وانضربت؟ كيف أصلاً إتعرفت عليها؟"
 "اسمها لبنى، التقيت فيها بالسهرة وزوجها رجال خسيس،
 ولما عرفت أن لبنى بتكون زوجته حسيته بيعذبها موت،
 وهيكا خفت عليها وقتلتها تتصل فيني لما تحتاجني،
 وانلخمت لما لقيتها عم تتصل فيني واحنا لسا راجعين من
 السهرة يدوب من كم ساعة، وصوتها كان باهت يا أخوي،

وأنا اتصلت فيك بس مرديتش عليّ، قلقت عليها وبديش
 أتأخر وتوقع بين أيدين ها لأجرب ويصرلها شيء فروّحت
 عندها بسرعة، والحمد لله أني لحقتها"
 صمتت قليلا وهي تشهق تحاول تمالك نفسها حتى تكمل
 الحديث: "استحالة تتخيل حالتها يا كاسب، قطعت قلبي
 عليها هالبنية"

"طيب اهدي خيتا وخبريني إيش صار معاها؟ جوزها اللي
 ضربها؟!"

قالت كاسب وهو يحاول أن يتحكم بأعصابه فأكثر ما
 يكرهه هو انتهاك المرأة بكل أنواعه خاصة أن حوادث
 العنف المنزلي تمر مرور الكرام ما إن تتنازل الزوجة عن
 حقها بكل غياب أو تحت ضغط الأهل كالمعتاد .
 "آه هوي اللي عملها، هاد صار مفجمها (ضربها عدة مرات)

ومش أول مرة بتصير، عملها مضتة (فريسة) وكان يعنّفها
ليخلص غضبه وزهقه.. وفحص الدكاترة كشف اللي
كان عم يصير ولسه يا خيا في أشياء أكيد أفضع كانت
بتصير"

قبض كفيه بقوة وهو يتمنى لو يرى شبيه الرجال هذا
حتى يوصعه ضربا ولم يعلم أن أمنيته ستتحقق قريبا.

دلف إلى الغرفة مع شقيقته بهدوء وما إن وقع نظره عليها
مستلقية بضعف على سرير المشفى بكدماتها الشبيهة
لما رآها من قبل حتى شعر بالصدمة!

لا يتخيل أنها هنا أمامه حقا بعد تلك الفترة.. هل هي

نفس الفتاة حقا؟!

هل هي لبنى التي داعبت خيالاته وكأنه مراهق لم يعرف

امراة من قبل!

حسنا هو ليس له علاقات ولكنه رأى الكثير من النساء

واللاتي يفوقنها جمالها فلم هي خاصة من تعلق بها

خياله؟!

ما المميز بها؟! أم أنه محض إشقاق على حالها؟!

عندما رآها أول مرة شعر أن هناك رابط بينهما، ما هو لا

يعلم ولكنه استسخر شعوره وقتها..

رفعت بصرها له بخوف وقلق فلتسارع نادين بطمأنتها

قائلة: "خيتا تعلقيش هاد أخوي كاسب، اضطريت

احكيه لي جي أحسن هداك المبعوج (الحقير) زوجك

يجي لهون وما نقدر نحميكي منه"

أومات برأسها وهي تشيح بوجهها عنهما ليكتشف كاسب

أنه قد توقف عن التنفس منتظرا ردة فعلها!

"لو سمحتي، إيش صار؟ البوليس جاي بالطريق وأنا رح
 أتعامل معهم عشان ما تتعبي أكثر"
 قالها كاسب بهدوء لا ينهم عما بداخله من مشاعر
 مضطربة فنظرت له لتتقابل عيناها ليتوقفا كلاهما عن
 التنفس للحظات قبل أن تخفض بصرها قائلة بخفوت
 متجاهلة ما شعرت به عندما تقابلت عيناها مع عينا هذا
 ال كاسب الذي تمننت لو كان لها أخ مثله ربما لم تكن
 لتصل لهذه الحالة؟

"سمعته بيكلم واحدة على التليفون وكان بيقولها أنه
 مش بيخلف وان ال ف بطنها مش ابنه ومش منه.. وهو
 كان مفهمني.. لا ده كان مفهم كل الناس إني أنا اللي
 مش بيخلف وجايبلي حبوب أخدها لفترة محددة عشان
 يسبك الدور عليا بس أنا ماوظبتش عليها لأنني مكنتش

عايزة اخلف منه"

صمتت للحظات قبل أن تتابع قائلة: "وقتها اتجننت بقالي

شهور بتذل واتهان والاسم عاقر.. قولتله انت ازاي تعمل

كده فيا؟ تكذب عليا وتخوني وتذلني بقالك شهر

انت وعيلتك بتذلونني وكل ده وانت السبب وانت اللي

مبتخلفش! وقولتلهأني هنزل مصر وافضحه قدامهم

كلهم وأعرفهم حقيقته فاتجنن وقعد يضرب فيا زي

العادة بس المرة دي كنت حاسنة انه عايز يموتني بعد

ما سره انكشف.. وقعت ما حسيتش بحاجة لفترة وأول ما

فوقت اتصلت بنادين لأنها الوحيدة ال اعرفها هنا..

أنا أسفة إنني دخلتكم بمشاكلي انتوا روحووا وأنا

هتصرف"

قالتها بيأس وهي تتمنى لو يقضا بجانبها ولا يتركها فهي

ليس لها أحد .

كان يكبح زمام غضبه بقوة جبارة وقبل أن ينطق بشيء

يوضح لها أنهما لن يتركاها إلا بمنزل عائلتها رغم أنه

يشعر بداخله أنهم لا يستحقونها فهم من وضعوها بكل

ذلك من قبل.. كان الباب يفتح بقوة ويدلف النذل زوجها

للدخل برعونة كشفت عن شخصيته ليصرخ بها دون أن

يلاحظ وجودهما معها: "ايه الكلام ال سمعته من

الدكتورة برّه ده؟! انتي حامل ازاي؟! بقى انتي كنتي

بتستغفليني كل المدة دي وعاملالي فيها خضرة

الشريفة؟! اللي في بطنك ده ابن مين انطقي لاخلص

عليكي يا..."

أوقفت صفعته يد قوية ضغطت على يد بقوة ألمته حتى

شعر بها تتحطم بين أصابع الآخر فرجع بصره لنتقابله

عينا كاسب المشتعلتان بغضب مستعر جعله

يشعر أن نهايته وشيكة لا ريب!

دلفت إلى شقة والدها بهدوء وهي تشعر بالخجل فكلما
 رآها والدها يشاكسها ويجعلها تخجل بتعليقاته حول إسلام
 وبعد عدة أيام كانت تراه سريعا بسبب انشغالها بالعمل
 قررت أن تفاجئه اليوم هي وإسلام ومن الواضح أن إسلام
 قد سبقها بالمجيء اقتربت من الغرفة وهي تسمعهما
 يتحدثان وقبل أن تتحدث أعلنت عن وجودها كانت
 تتجمد عندما سمعت الحوار الدائر بينهما !
 "أنا مش عارفة أشكرك ازاي يا إسلام إنك مخيبتش
 ظني فيك وبتعامل نسرين أفضل معاملة"
 ابتسم إسلام قائلا: "نسرين ف عينا يا عمي وربنا يقدرني

واسعدها"

"ابن أصول يابني، مهما قولت مش هعرف أوفيك حقك،

دلوقتي لو مت هكون مرتاح إني جورتهالك"

صمت للحظات قبل أن يتابع: "اترددت كتير إني أفتحك

بموضوع جوازك من نسرين بس لما أمها ماتت كنت

حاسس إني تايه وخايف يجرا لي حاجة وتفضل هي

لوحدها من غير عيلة ولا سند.. مالمقيتش غيرك يابني

يكون سند لها وعيلة بعدي خاصة إن أمها دايمًا كانت

بتقولي إنها حاسة إنك بتقدرها وحافظ عينك عليها

فاتكلت على الله وقولتلك.. بعدها خفت أكون

ظلمتك وظلمتها بطلبي إنك تتجوزها بس بعد كده لما

شفت سعادتها معاك ورعايتك لها عرفت إن أمها كان

عندها حق وإنك....."

أوراق الياسمين

شهقت بقوة وهي تتراجع غير مصدقة لما سمعته!

ألا يكفي ما عانتها واحتملته من قبل حتى يحدث لها

هذا؟!

تزوجها لأجل خاطر والدها وليس لأنه يريد لها؟!

تزوجها شفقة فقط ولي حبا كما كان يوهما كل تلك

الأيام؟!

أغمضت عينيها بقوة وهي تكاد تركض مغادرة الشقة

مغلقة الباب خلفها بهدوء حتى لا يعلم أنها كانت موجودة

وسمعت كل شيء..

لا تريده أن يعلم أنها سمعته بالتأكيد سيحاول التبرير

وخلق أسباب ولكنها لن تستطيع التصديق مرة أخرى..

لقد انكسر شيء بداخلها وهي تشعر أنها كانت

عبئاً على والديها كونها فتاة معرضة لأي شيء وخوفهما

عليها جعلهما يضعانها بهذا الموقف!

الفتاة عار وجب الخلاص منه والقاتها على عاتق زوج

يتحمل مسئوليتها وكان اختيار والديها لإسلام!

على الرغم أن اختيارهما جاء موافقا لهوى قلبها وربما

تكون هي المرة الأولى التي تعترف بها أنها تحبه.. بل

أحبته منذ عرفته جارا بحارتها ولكنها لن تضعف..

ما ذنبه هو حتى يعيش مع امرأة لا يحبها؟!

امرأة أُجبرَ على الزواج منها فقط لأنه رجل شهير لم يرضَ

أن يرد طلب والدها بالزواج منه..

ذرفت الكثير من الدموع ربما لأول مرة منذ وفاة والدتها

تذرفها ولكن ألم قلبها كان فوق احتمالها، لم تتخيل

يوما أن يحدث معها ذلك!

ظلت تجول بالشوارع لفترة قبل أن تسمع رنين هاتفها

فعلت أنه هو من يهاতفها ليعلم لم تأخرت عن موعدها
المعتاد فأجابته بألية تخبره أنها ستعود ف الحال..
دلفت إلى الشقة بهدوء مخالف لما يموج بداخلها وقد
اتخذت قرارها.. لن تصمت أبدا على ما حدث وما سمعته
فهي النهاية الحتمية لزواج مثل زواجهما.

رفع بصره لها وهو ينظر لها بهدوء مخالف للثورة والقلق
الليذان عاشهما طوال الساعات الماضية عندما تأخرت عن
موعد عودتها ولم تحضر لمنزل والدها كما كان
اتفاقهما..

"كنتي فين؟"

"بره"

سألها فأجابته باقتضاب.. شعر أنها متغيرة ولكنه كان
يشتل بداخله كالمرجل من خوفه وقلقه عليها طوال

ساعات.. فلم تأتِ مثلما اتفقت معه ولم ترد على هاتفها
تطمئننه، خشي أن يكون أحد تعرّض لها أو حدث لها شيء
وهي تأتي بمنتهى الهدوء وتخبره أنها كانت بالخارج..
سألها بجمود يخفي الكثير: "برّه فين لحد دلوقتي؟ وليه
ماقولتليش؟ ولسه مبيترديش على الموبايل؟!"

حرّكت كتفها بلامبالاة أزعجته وهي تقول: "بتمشى،

كنت زهقانة فروحت اتمشى"

وقبل أن ينطق بكلمة التفتت له مرة أخرى قائلة ببرود

مستفز: "آه صح طلقني"

جحظت عيناه بقوة وهو يردد كلمتها الباردة: "أطلقك!"

انتي اتهبلتي وال ايه؟"

زفرت بملل مصطنع وهي تكبح حزنها ودموعها التي تحاول

التساقط بقوة ثم قالت: "أيوة طلقني، معنتش قادرة أعيش

معاك.. أنا وانت مختلفين اوي وأنا معنتش عارفت

اتكيف معاك"

قالتها وهي تشعر أن قلبها يتمزق من الألم.. هي لا تتخيل

حياتها بدونها، لا تتخيل أن يمر يوم دون أن تراه، دون أن

تتحدث معه وتغرق ببحر معرفته، دون أن تراه وهو عائدا

من العمل فتسرع لملاقاته وهي تندس بين ذراعيه بحب

ويحاول إبعادها وهو يهتف أنه غارقا بعرقه فتبتسم له

قائلة أنها تحبه بكل صوره ولا تهتم لكل ذلك ..

نظر لتعاقب المشاعر على وجهها بشغف يكاد يعلم ما

تفكر به.. هو يعلم بحبها له الذي يظهر بكل تصرف لها

معه وكل نظرة ترمقه بها وكل غيرة تكاد تطيح بمن

تقترب منه ولكن ما سر تغييرها؟! لا يفهم!

ولكنه لن يتركها هكذا.. لن يتخاذل مرة أخرى يكفي

سنوات عاشها بعيدا عنها فقط من أجل تخاذله بالتصريح

بمشاعره لها..

سيتمسك بها ويحاربها بكل طريقة ممكنة حتى

تعترف أنها لن تستطيع الابتعاد عنه،

سيقترب منها بكل طريقة ممكنة وكونها زوجته فهو

في صالحه تماما فهو لن يتورع عن فعل أي شيء فهي

حلاله الذي يذوب بها عشقا.

رمقته بدهشة وهو يستدير مغادرا دون أن يرد على طلبها

المتهور البارد فأمسكت به برعونة وهي تهتف:

"انت رايع فين؟ بقولك طلقني"

التفت لها سريعا لتجد نفسها محمولة بين ذراعيه يتجه بها

إلى غرفتهما وهي تصيح به بغضب مصطنع وقلبها يقرع

بين جنباتها بقوة وهي تستشعر وجودها بين ذراعيه

ملتصقة به لتثور عليها مشاعرها وهو يهمس لها: "لا"

أنزلها على الفراش فنظرت له بتعجب وهي تسأل: "لا ايه؟"

"جوابي على سؤالك لا، لا مش هطلقك، لا مش

هسمحلك تبعدني عني تاني بعد ما صدقت لقيتك

وبقيتي مراتي"

قبل أن تتحدث كان يميل عليها خاطفا أنفاسها وهو يقول

بحب: "أبقى عبيط لو خليتك تبعدني عني لحظة واحدة

بعد كل العذاب ال اتعذبتة في بعدك عني"

وقبل أن تتهمه بالكذب كان هو يسكتها بطريقته

الخاصة.

"انت بتقول ايه يا حميدة؟ بقى انت عرفت مكان البت

نرجس طليقة أخويا وابنه؟"

قالها حمدي بلهفة وهو يمسك بذراع حميدة الذي قرآن
يلعب بطريقته بعد أن تجاهله عاصم ولم يأت مثلما أخبره
فأجابه حميدة بخبث: "أيوة عارف هي فين وبتعمل ايه
كمان"

"طب ياللا مستني ايه وديني لها دلوقتي"

ابتسم حميدة عندما رأى لهفة حمدي عليها.. يبدو أنه
أيضا يريد لها لنفسه، كان محقا عندما آثر اللعب بمضرده
من هذا الاتجاه فكما جعلته يُطرد من العمل الذي
كان له لسنوات سيجعلها تُطرد ولكن ليس أي طردة بل
فضيحة ستطولها بكل تأكيد هذا إن لم يأخذوا منها
الطفل الذي لعبت بعقل الحاج عن طريقه.

"عنيا بس قولتي بقى أنا هستفيد ايه لما أوصلك لها؟ مانت
عارف يا حمدي يا اخويا كله بتمنه عندي ومعنديش

حاجت بلوشي (دون فوائد)

"هديك كل ال انت عايزه بس تقع في ايدي"

ابتسم حميدة بخبث وجشع وهو يتخيل مطهرها عندما

ترى حمدي أمامها هي التي ظننت نفسها هربت ولم تعلم أنه

من نفس الحارة التي هربت منه ويعلم كل شيء.

"افردي وشك يا حبيبتي، مش كده! هيقولوا خاطب

بومت"

قالها بغضب مصطنع، لكنها لم تستجب، بل أبعدت نظرها

للجهة الأخرى وهي تقول بخفوت شارد حزين: "خايضة على

ماما يا جلال، مش بتاخذ بالها من صحتها وأنا مش قاعدة

ف البيت طول اليوم"

مد يده على الطاولة الفاصلة بينهما حتى ضغط على

ظاهر يدها، بينما إبهامه يتحرك يميناً ويساراً في مؤازرة

تغنيه حالياً عن الوقوف واحتضان قلبها بين أضلعه

"لو عايزة ممكن نجيب واحدة تساعدنا وتاخذ بالها منها

طول ما انتي مش موجودة ف البيت.. ولو هيرحك إنك

تاخدي أجازة وتقعدي معاها اليومين دول ف أكيد مش

محتاجة تاخدي رأيي ف حاجة زي دي"

نظرت ليده الموضوعتة على كفها بصمت، ثم رفعت رأسها

قائلة بوداعتها التي لا تظهر إلا في المناسبات السعيدة

أو الحزينة!

"ممكن نروح؟"

رغم حزنه لقرب انتهاء اللقاء، إلا أنه ابتسم وأوماً برأسه:

"زي ما تحبي"

ثم نهض وحمل معطفه وخرجا من المطعم

"إنت ركنت العربية فين؟"

أجابها بينما يشير لشارع جانبي: "أدام شويته، مكانش فيه

رَكنتَ قَريبَةً

كان الظلام قد حلّ، والقمر بالكاد ينشر بصيصاً من
النور في الأرجاء، مع لسعة برودة خفيفة في الهواء..

ها هي بداية الشتاء!

كتفت ذراعيها أمام صدرها وبلوزتها الخفيفة ذات

الأكمام لا تفي بغرض تدفئتها كلياً.

وما هي إلا لحظات حتى بدأت قطرات من الماء تتساقط

ببطء فوق رأسيهما، ثم تتابعت القطرات بسرعة وشدة

أكبر، وكل ذلك في لحظات معدودة!

وضعت يديها فوق رأسها وهي لا تعرف ماذا وأين تحتمي من

هذا المطر المفاجئ.. لتجد شيئاً ما يوضع على كتفيها،

بينما ينزل جلال ذراعيها بجانب جسدها.

"يا جلال خلاص وصلنا مش مستاهلته.. خده بدل ما

يجيلك برد"

قالتها وقد شرعت في خلع معطفه، فألبسها إياه مرة ثانية

أوراق الياسمين

بحزم وهو يقول ضاغظا على أسنانه: "مش وقت نشفان

دماغك يا كاميليا، البسي"

أذعنت لطلبه وهي تقرب جانبي المعطف من بعضهما، ثم

في لحظة انزلت قدمها على الأرض وتعثرت حتى كادت

تسقط أرضاً على وجهها، لولا استجابة جلال السريعة

حيث التفت ذراعه حول خصرها متحملاً حمل جسدها،

حتى استقامت ووقفت تواجهه متألمة من كاحلها

الملتوي.

سألها بقلق بينما لم تبرح ذراعه من مكانها وهو يتأمل

ملامح وجهها المتغضن بألم:

"إيه اللي بيوجعك؟"

تعاملت على نفسها وأجابته: "رجلي"

كان تقريبا يحملها بذراعه وهو يتوجه بها إلى أقرب

رصيف.. أجلسها عليه وجلس أمامها القرفصاء، ثم أمسك

بقدمها ورفع طرف البنطال قليلا كي يكشف كاحلها

بحثا عن إصابة فيه.

تأوهت وهتفت بغضب رغم ألمها: "اوعى يا جلال، سيب

رجلي أنا كويست"

رفع نظرة حاسمة وقال بما لا يقبل النقاش: "اسكتي

يا كاميليا لحد ما اخلص"

تأففت، ثم تأوهت مجددا بخضوت وهو يحرك مفضلها

وأبعدت يده عن قدمها..

لم يذعن لفعاليتها وهو يقول يطمئنها:

"ما تخافيش مزيش كسر"

غطى قدمها ثم وقف وهو يقول بجديّة ألقن رسمها:

"هتعرفي تسندي عليا ولا اشيلك أسهل؟"

اتسعت عيناها وهي تتمتم ببلاهة: "تايه؟"

قال كأنما يحدث نفسه بملل: "لسه هتستفسر وتتحض؟"

اقترب منها وانحنى بغرض حملها فابتعدت للخلف وهي

أوراق الياسمين

تصرخ فيه: "إيبيه!! ابعده كده أنا هقوم لوحدي"
 ابتسم بداخله ثم اعتدل وأمسك بيدها بقوة حتى وقفت
 على قدمها السليمة، فالتفت ذراعه حول خصرها وهو
 يهمس بجانب أذنها بمشاكسة:
 "ناس ماتجيش إلا بالعين الحمراء"
 احمرّت وجنتاها من قربها منه، فقربها منه أكثر وهو
 يبتسم ويقول بأريحية:
 "مصائب قوم عند قوم فوائد.. عارفة المثل ده
 يا كاميليا؟"
 حركت رأسها للجهة الأخرى وهي تقول من بين أسنانها
 ولا تقدر على التفوه بكلمة أخرى: "إلا عارفاه؟"
 قبل شعرها متشمما رائحته، فأبعدت رأسها تنظر له بغضب:
 "ما خلاص يا جلال، ابعده شوية مش عارفة امشي؟"
 أيبعد؟!

هل جئت كي تطلب منه ذلك؟!

"بس يا حبيبتي وامشي وانتي ساكتة، وبعدين انا عامل
على مصلحتك، رجلك ملوية وهتمشي تعرجي ف الشارع

زي الفرخة المنتوف ريشها"

هل تريده أن يبتعد، أم تريده ألا يبتعد؟!

هل تتفوه بالصدق أم تتفوه بعكس ما تشعر؟!

هل تكون مجنونة لو جمعت بداخلها بين الشعورين؟!

أجلسها في السيارة ودار وجلس خلف المقود، ثم نظر لها

مبتسما وأدار السيارة في الطريق لإيصالها .

تمر الأيام، وفكره مشغول بشيء واحد: من أين يبدأ طريق

إعادة تهيئة زهرة لحياة طبيعية كأي فتاة؟!

هو ليس بغبي كي لا يفهم!

ليس بغبي كي لا يلتقط حزنها من تعامله معها وإبعادها

عنه، لكن هي بالتأكيد لا تفهم دوافعه!

أوراق الياسمين

كيف يقربها منه، يجعلها زوجته حقا فتخرج من صدمتها

أول زواج وتلحقها بأخرى!

هي لا تفقه شيئا، لا عن زواج ولا عن أسرة معتدلة!

كل معلوماتها مشوهة، متخبطة، مصادرها فاسقة

وخاطئة.. وهو لا يريد لها ذلك .

هو يريد لها سوية، يريد أن ينقذها من نفسها كما أنقذها

مسبقا من أبيها.. يريد أن يبنيها، قطعة قطعة، كطفل

يتعلم الحبو ثم المشي.

ناداها، ويجديتها حدثها: "اقعدي يا زهرة؛ عايز اتكلم

معاكي"

جلست أمامه، فتنحنح وهو يقول: "زهرة.. انتي دخلتي

المدرسة ولا لأ"

هزت رأسها بالنفي متلازما مع انكسار عينيها بحزن: "لأ"

بحنو سألها: "طب مش عايزة تتعلمي؟ منفسكيش تروحي

مدرسة زي باقي البنات؟"

تعجبت من سؤاله: "وهعمل إيه بالعلام؟"

طارت مبرراته أمام بردوها، فحاول تجميل الصورة أمام

عينها: "تعرفي تقري وتكتبي وماتحتاجيش لحد ف أي

حاجة"

تنحنحت بإحراج وهي غير قادرة على نطق التالي:

"عايزة حاجة ثانية؟"

أوما برأسه أن أكملني وقد سعد باستجابتها الطفيفة

وتعبيرها عما تريد: "قولي كل ال انتي عايزاه"

"عاويزة اشتغل"

تفاجأ من طلبها!

بعد صمتها الرهيب طيلة المدة السابقة تطلب هذا الطلب!

"تشتغلي؟"

التقطت إشارة رفضه، فحاولت إثناؤه وقد خفت صوتها

بحزن: "اشتغل أي حاجة، اللي توافق عليه هعمله، إن

شالله آجي معاك الشغل أناولك حاجة ولا اعملك
كوبايتة الشاي، بس خليني اعمل حاجة بدل ما انا
بكله نفسي ف البيت.. انا مش متعودة على كده،
ف بيت ابويا وفي بيت سي ربيع كنت بتهدّ من كتر
الشغل والتعب.. هنا مش بلاقي حاجة اعملها، وانت بتفضل
ف الشغل طول اليوم.. خدني معاك طيب يا باشمهندس
ووالله هخدمك بعنيا، بس بلاش ترميني هنا وتمشي"
لقد ذهب هذا الأمر عن باله حقًا!
حاول تغيير مجرى الحديث لما من الممكن أن يرضيه:
"طب اتعلمي الأول عشان تعرفي تلاقى شغلانته كويستا"
أوشكت على البكاء: "مش عايزة علام يا باشمهندس،
هتعلم ايه ولا ايه دلوقتي!"
تنهد بهم، كيف يتركها تعمل بمفردها وهي لا تدري
شيئا عن الحياة الخارجية والتعامل الصحيح مع الناس؟!

لكن، من منظور آخر، ربما تكون تلك فرصة لها كي
تبني شخصيتها بنفسها، كي تصقل حياتها وتتحرر
في زمام أمورها.

وفي الصباح، في طريقه للعمل، قرأ لافتة بالصدفة في
الشارع الذي يمر به كل يوم

(حضانة طيور الجنة- مطلوب أنسات للعمل ولا يشترط

الخبرة- للتواصل على رقم *****)

ضغط رقم الهاتف وضغط على زر الاتصال، لتكون مجرد

ضغطت هي بوابة دخول لزهرة إلى عوالم جديدة

متفرعة، لا تعلم عن أغلبها أي شيء!

الفصل الخامس عشر

شهقة خافتة قطعت تحديقه القاسي به وهو يدفعه للخلف

بخشونة فيما يبادره الآخر عندما استعاد أنفاسه:

"انت مين؟ وبتعمل ايه ف أوضت مراتي؟"

ولم ينتظر الرد بل التفت لها يناظرها بقسوة وهو يهتف:

"مين ده وبيعمل ايه هنا؟! قولتيلي بقي، دايرة على حل

شعرك من ورايا وعاملالي فيها خضرة الشريضة.. لااااا

يا ماما مش انا اللي تستغطيني، انا مش هشيل بلوة غيري،

انا"

لم يستطع سماع ما يتفوه به أكثر من ذلك فعاجله

بلكمة قوية قطعت حروفه بل وأدمت أنفه أيضا فيما

أمسك بتلابيبه وعيناه تبرقان بقسوة نادرا ما تظهر على

شخصه وهو يقول: "كلمة واحدة زيادة وهدفتك

مكانك"

ابتلع ريقه بخوف وهو يفكر بحل سريع للخروج من هذا
المأزق الذي وُضِعَ به وقبل أن يتحدث كان عاصم يقتحم
الغرفة ويُبعد كاسب عنه محاولاً تهدئته دون جدوى..
فالنار التي اشتعلت بداخله كانت أقوى من أن تُطفأ ببضع

كلمات..

وجد أسعد شجاعته عندما أبعد عاصم عنه فهتف:
"أنا هوريك، بقى الهانم تستغفني معاك وانت تضربني
كمان؟ أصلاً انا لو موّتك دلوقتي هكون بدافع عن
شرفي و..."

قاطع عاصم الكاسب الذي أفلت من بين يدي عاصم على غفلة
من الأخير وهو يعاجله بلكمة أخرى هاتفا بغضب عارم:
"أنت ما فيكاش ذرة شرف، لو عندك نخوة مَكْنِيشُ

أوراق الياسمين

زوجتك هنا مفيهاش حيل وعشوية كانت رح تموت
 وكله بسببك، أصلاً كيف معتبر حالك راجل وأنت
 معندكش شهامة ورجولة أصلاً؟!"
 همّ بالرد عليه بحقارة ولكن قاطعهم دخول الشرطة التي
 طلبها عاصم كإجراء روتيني عند دخول حالات تشبه
 لبني للمشفى من باب الغرفة المفتوح ليطلب من الجميع
 الخروج مع الشرطي المرافق له ويظل هو مع لبني ليأخذ
 أقوالها ومعها نادين التي تمسكت بها لبني بخوف فسمح
 لها الشرطي أن تظل معها وهو يأخذ أقوالها .
 قصّت عليه كل شيء ونادين تجلس بجانبها تشد على
 كفها تشجعها أن تأخذ بحقها من الحقير الذي تسبب
 بأذى كبير لها وما إن انتهى الشرطي حتى خرج من
 الغرفة ليأخذ أقوال الباقي..

اصطحب أسعد معه ليحتجزه حتى يحقق بالأمر فأقوال

أوراق الياسمين

الزوجة والشهود تؤكد أنه الفاعل والقضية تندرج تحت
 بند العنف المنزلي وهناك حاول أسعد الإنكار ولكنه
 لم يستطع فقد جاءت شهادة الجيران تؤكد أقوال
 الزوجة وأنها ليست المرة الأولى التي يسمعون بها صراخها
 المستغيث .

بالمشفي

"انا مش فاهم انت وأختك مجانيين يعني؟! هي تنزل من
 بيتها في نص الليل عشان تنجد واحدة ماشافتهاش الا مرة
 واحدة وعارفت ان جوزها حقير.. وانت تضرب جوز الست ال
 انت متعرفهاش اصلا.. يبقى اكيد انتوا مجانيين!"
 قالها عاصم بدهشة وبعض الحدة ليجيبه كاسب:
 "مجانين؟! ليش خيا؟! لأننا عم نساعد مره ما الهاش حيل
 وأهلها مش معها هون ليدافعوا عنها ضد خسيس بيحلل

لنفسه يضرب النسوان؟!"

زفر عاصم مجيباً إياه: "لا مجانيين عشان انتوا ماتعرفوهاش
من الاساس عشان تحكموا هل هي صادقة او لا.. مجانيين
عشان تعرضوا سمعتكم للخطر زي ما الحيوان ده اتهمك
انك على علاقة بيها وان الطفل ال في بطنها ابنك انت،
تخيل بقى لو خبر زي ده اتعرف ووصل للصحافة كان ايه

ال ممكن يحصل؟!"

"ولا هاميني، وأنا متأكد أنها مكزبتش عليّ، ولعلمك
هايا(هذه) مش أول مرة بشوفها فيها وسبحان الله كمان
شفتها بالمستشفى وقتها، كان مش مكتوبلنا نشوف

بعض غير بالمشافي؟!"

عقد حاجبيه متسائلاً: "عارفها قبل كده مين؟ انا مش

فاهم حاجت؟!"

أشار له بلامبالاة وهو يقول: "مش مهم أنو أنت تعرف، المهم
أنو إحنا نعرف شو بدها المره علشان نعمله، يمكن تترتاح
لو ساعدناها بعد كل اللي صابها هالسنين وما حدا حس
فيها"

وقبل أن يسأله عاصم علام ينوي وماذا يقصد كان قد
تركه وعاد للغرفة حتى يحصل على الإجابات.

طرق الباب بهدوء ليسمع صوت نادين يسمح بالدخول
ويراها على وضعها بجانبها تمسك بيدها تبث فيها
الطمأنينة ليؤلمه قلبه على مظهرها الخائف القلق وكأنها
طفلة تبحث عن الأمان ولا تجده!
"كيف صرتي هلاء؟ حاستر شي بيوجعك؟"
قالها كاسب بكل ما استطاعه من هدوء لتجيبه

بخضوت: "الحمد لله انا كويست، شكرا"
 ابتسم بخضتة قائلا: "لا شكر عالواجب يا أختي"
 نظر لها نظرة خاطفة وهو يقول: "بشو عم تفكري؟"
 رفعت له بصرها فهاله كم الخوف الذي رآه بعينيها
 ليقبض كفه بقوة يحاول السيطرة على نفسه حتى لا
 يذهب ليوسعه ضربا كما يستحق.. ثم سمعها تقول:
 "انا عايزة اتطلق بس..."

صمتت ولم تكلم وفهم هو ما يدور بخلدتها ولكن نادين
 هي من تدخلت بالحديث سائلته إياها: "بس إيش؟! بديك
 ترجعيله بعد كل اللي صار؟"
 حرّكت رأسها برفض وهي تقول: "لا طبعا مستحيل ارجعاه،
 بس المشكلتة ان اهلي مش هيرضوا بالطلاق.. حاولت قبل
 كده ومفيش فايذة جم في صفه ومارضوش يخلوه
 يطلقني"

"طيب أختي، أحسن حل أنك تتطلقي منه هون، وبترجعي
 لأهلك وبلدك وأنت خالص مطلقته منه وما في طريقتة
 ترجعوا، وهيكا ما رح يجبروكي تكلمي معاه"
 قالتها نادين بتصميم فنظرا لها وكل منهما يضر بنفس
 الأمر.. هل سيعيدونها إليه إذا تم الطلاق ويجبرونها على
 الاستمرار معه حتى لو علموا حقيقته؟!

بمركز الشرطة

جلس مع الشرطي ومعه عاصم الذي صممه على الذهاب معه
 وبالطريق عرف كل ما يريد معرفته عن ذلك الوغد
 ليشعر بقليل من الاطمئنان عندما علم أنه يملك أكثر
 من ورقة رابحة بيده.. استدعى الشرطي أسعد وتركه
 معهما كما طلب منه كاسب والذي ما إن عرف عن اسمه

فقط حتى تذلت الصعاب كلها أمامه .

"انتوا عايزين مني ايه؟"

قالها أسعد بخوف حينما رأى كاسب مرة أخرى فأجابه

كاسب بهدوء ظاهري: "الطلاق"

"ايه؟! اطلق مين واطلق ليه اصلا و...."

قاطعه كاسب بنفس الهدوء المخيف: "تطلق مرتك، أما

ليش لازم تطلقها فعلشان مصاحتك أحسن ما أحولك

لقطع وأرمي كل قطعة منك بمطرح"

نبرته الجامدة جعلت أسعد يفكر سريعا محاولا أن يقلب

الموقف لصالحه فلم يتركه عاصم يفكر كثيرا

فقال: "لو منك مافكرش كثير وانقذ على طول وانت

الكسبان"

"وانا هكسب ايه بقى ان شاء الله؟"

قالها أسعد بسخرية ليجيبه عاصم أيضا: "هتكسب

نفسك، مراتك هتتنازل عن البلاغ وهنتطلعك من هنا

أوراق الياسمين

بس بعدها مش هتفضل هنا ثانية واحدة هتسافر على

بلدك على طول"

عقد حاجبيه مفكرا ثم قال بخبث: "بس انا كده خسرت

مكسبتش، يعني هطلق وارجع ايد ورا وايد اداام طب ده

يرضيك برضه؟"

زوم عاصم شفتيه يمنعها من سبه وكل لحظة تمر يتساءل

كيف يوجد بشر بهذه الحقارة؟!

"ماشي، أنا بحلها معك، خرينا ننفق أنك تطلقها طلاق بلا

رجعة وبتأخذ مصاري قد اللي كنت رح تاخدهم من ورا

الصفقة، وبتنقلع من هون نهائي وبتنسى أنك كنت

متزوج"

لمعت عينيه بجشع وهو يقول: "إذا كان كده ماشي، أنا

موافق.. يعني هتمسك بيها على ايه؟! دي..."

قطع حديثه عندما قابل عيني كاسب المشتعلتين فصمت
مبتلعا باقي كلماته السيئة التي كان على وشك قولها.

عاد إلى المشفى ومعه الشرطي وقد أخبره أنها ستتنازل عن
البلاغ المقدم لها وأن هذا ما تريده وكان قد هاتف نادين

وأخبرها بما حدث وأنه قد تم الطلاق البائن الذي لا

رجعة فيه وأنهم بطريقهم إليهما حتى تتنازل لبني عن

البلاغ المقدم بطليقتها .

شردت بنظراتها وهي تفكر.. هل حقا تخلصت منه؟!

لقد كانت طوال الأشهر الماضية تتمنى أن تتخلص منه

وتحصل على الطلاق فهل استجاب الله لدعائها أخيرا

وخلصها منه .

زفرة طويلة حارة قد خرجت منها وهي تنظر لنادين

بابتسامتہ من القلب قائلة: "مهما قولت مش هقدر اشكر

واشكر اخوكي على وقفتك جنبى وال عملتوه معايا..

اهلى نفسهم ماعملوش معايا كده"

عانقتها نادين بحب وهي تقول: "الحمد لله أنك خلصتي

منو خيتا، وخلينا نتفق أنو تنسى كل الايام الصعبة

اللى عيشتيها معه وفكري باللى جاي"

"هخطط ايه؟ مفيش غير انى انزل مصر واروح لأهلى وادعى

انهم مايقفلوش بابهم بوشي"

قالتها لبنى بحزن وقلق فقالت نادين: "مش رح بتركك،

اجري على اجرىك بساعدك"

ابتسمت لها بحب ثم ضمتها بقوة وهي تهمس بأذنها:

"انا عمر ما كان عندي صديقة ودايما كنت بتمنى

يكون لى اخت ومن اول لحظة كلمتك فيها وانا شوفت

فيكى الصديقة والاخت ال كان نفسى فيهم ، ربنا ما

يحرمني منك .

رنين الهاتف لا ينقطع.. والمتصل هو جمال!
مرّ وقت ليس بقليل منذ آخر مرة سمعته فيها أو رأته..
دخلت المطبخ وانزوت على نفسها تتلصّت حولها ترقبا

لمجيء رعوف

"ألو.."

"إيه يا مدام، نسيّتنا خلاص والعسل لحس دماغك؟"
ثم ضحك بصوت مقرّف اشمازت على إثره.. كيف كانت
غبيّة في يوم من الأيام كي تجد مثل هذا الصوت

مكمن إثارة لها لارتكاب ما ارتكبته!
"أنا عملت بأصلي أهو وسيبتك شهر العسل كله من غير لا

سلام ولا كلام، مفيش كرم أخلاق بعد كده!

ف صحصي معايا بأه وسيبك م المتفعل جوزك عشان

عاوزينك ف شغل النهاردة"

ثم تكلم بوقاحة: "أنا قوليلي صحيح، الباشا دري بحاجة

ولا نروح نبوس أيادي الدكتور؟"

ثم ضحك بسماجة مرة أخرى، وأكمل: "خلينا ف الشغل

دلوقتي يا أمورة.. هتصل أقولك ع المكان والساعة،

خلي بالك الزبون متريش وخام، طالب واحدة تلحاحه

ع الآخر وقولت مفيش أحسن منك للشغلانة دي.. لو

عوجتي يا سوسن وماشوفتيش شغلك صح هتلاقيني

جايبك من شعرك وسط الخلق وفاضحك فضيحت

ماتتخيليهاش ف أحلامك!"

ثم أضاف: "ولو دماغك وزتك وماجيتيش يبأى عملتي

جميلة، ورعوف اللي فرحانة انك عرفتي تضحكي عليه

هفضحك قدامه وابقى وريني هيعمل فيكي إيه هو

وأهلك.. ساعتها هيعتبروا قتلك حلال وينفذوه وأنا

أوراق الياسمين

هقف اتفرج على دمك وهو بيتصفي"
ارتعشت لمجرد تخيل ما يقوله يحدث بالفعل، حتى سمعت
همسه المستهزئ: "ها يا حلوة، قولتي إيه؟"
أخذت دقيقتين حتى جاوبته بخفوت: "طيب ماشي"
"أيوه كده، هتأكد من المكان وهتصل بيكي.. وهقولها
تاني يا سوسن، الشغل عاوزه عالمي المرة دي بالذات،
عاوزين نجر رجل الزبون.. ولو حصل أي غلط انتي
المسئولة وهسيبك تتخيلي العقاب"
أومات برأسها كأنه يراها ثم أغلق هو الخط تاركا إياها
في غمرة أفكارها حتى وجدت رءوف خلفها، يحاوط
خصرها بذراعيه محتضناً إياها .
"بتعملي إيه يا حبيبتي وسايباني لوحدي؟"
جاهدت لتهدئة نفسها ثم التفتت له بابتسامة مرتعشة:
"بشوف هنتغدى إيه النهاردة.. عاوز تاكل إيه؟"
قربها منه بشدة ويدها تتحركان على ظهرها، فأغمضت

عينيها تاركت ذلك الإحساس يتخلل أعماقها وهو يقول
بهمس بجانب أذنها: "عايزك انتي.. عايز اشبع منك قبل
ما أسافر"

ثم لم يترك لها خياراً للكلام، فتناست جمال، والعمل
مع جمال، وعاشت في عالم رعوف .

فتح باب الشقة وأدخلها، فخطت بضع خطوات ثم نظرت له
بينما تتخلص من وشاحها المأضوف حول رأسها بإهمال
وتحرر خصلات شعرها الشقراء من عقائها وهو واقف خلفها
يكاد جبينه أن يتصبب عرقاً من التوتر وجسده يتشنج
مما هو مقبل عليه .

استحضرت صورة جمال وتهديداته أمامها، وسرعان ما
استعادت قدراتها المغوية لذلك الواقف أمامها لا يفقه

شيئا .

التفتت تنظر له وهو يتنحج ويقول أول ما خطر بباله:

"إيه رأيك في الشقة؟"

ضحكت عالياً وهي تنظر له بسخرية مفكرة؛ أهذا ما

قدره الله على فعله؟ سؤاها عن رأيها في بيته؟

وما يهمها من بيته على كل حال؟

عضت على شفتيها وهي تغمزة بشقاوة قائلته؛ "متفرقش

معايا الشقة يا باشا، المهم صاحب الشقة.. وريني أوضت

النوم وماتضيعش الوقت في الكلام؛ كلها تكلفت

عليك انت"

تفاجأ للحظات من جراتها، لكن ماذا كان ينتظر من

واحدة مثلها؟!

تنحج وأشار لآخر الرواق؛ "موجودة في آخر الطرقة،

وهتلاقي الحمام جمبها"

أومات برأسها ثم التفتت تنوي الذهاب، خطوتان ونظرت له

أوراق الياسمين

بعجب؛ أئن يرافقها؟!

"هتفضل واقف عندك كده مش هتيجي توريني

الطريق؟! أصلي بخاف أمشي لوحدي"

أجابها بارتباك وهو يمسح عرقه؛ "أنا هعمل شوية حاجات

عقبال ما تجهزي نفسك"

ابتسمت بسخرية وهي تتابع طريقها و تفكر أنه بالفضاء

(خام) جدا كما أخبرها جمال، وهي تفضل هذا النوع

كثيرا؛ تفضلهم دون خبرة، تفضل أن تكون الأولى

بحياتهم، تعطيهما ما لديها فيكتفون دون أن يتذمروا

مطالبين بالمزيد.. ربما هي مجرد ليلة واحدة ولكنها

تجعلها ليلة من ألف ليلة بخبرتها الكبيرة وقلتها خبرتهم

مع النساء.

زفر بقوة ثم ارتفعت أصابع يده تنغرس بين خصلات شعره،

ما الذي يفعله؟ بحق الله!

أوراق الياسمين

فتح أزرار قميصه العليا وتنفس بعمق عله يهدئ نفسه قليلا

ويزيل توتره ثم جلس بانتظار خروجها وهو يهتف

لنفسه: "ولماذا لا أفعلا؟ ألسنت رجلا؟ كل الرجال

يختبرون ذلك قبل الزواج فلماذا أكون مختلفا؟

ثم أنه تلزمني الخبرة لأستطيع أن أتعامل مع زوجتي في

المستقبل"

أخذ يكيل لنفسه الأعداء ليرفع رأسه بعد دقائق

بالتزامن مع صوت طرقات كعب حذائها ليصدم بما يرى

تلك الغاللة الحمراء القصيرة جدا التفت على جسدها

الذي تظهر بشرته السمراء بسخاء لترسم لوحة فنية

لشمس ساطعة، بالإضافة لأحمر شفاهها الذي ينافس زيتها

في حمرة، ومع حذائها ذي الكعب العالي الذي زادها

فتنة، وشعرها الأشقر يحيط بوجهها!

نظراته تنسدل على جسدها ببطء وهو يشعر برغبته فيها

أوراق الياسمين

رغم الارتباك الذي يسيطر عليه .

كل ما بها مغرب بحق!

شفتيها ابتسمتا له ابتسامته شقية مغناج ألهمت خياله
وقف على قدميه بينما هي تقترب منه وعيناها التقتتا
تأثره بها، وفي لحظة واحدة كانت قد استعادت كيف

ينظر رعوف لها!

كيف أنه بنظرة عينيه يحتضنها، وإذا كانت نظرة ذاك
الشاب منبهة فنظرة رعوف تكون تملكية، تزيدها ثقة
وسعادة داخلية .

رأت نفسها تقف أمام رعوف الآن لكن الأدوار منقلبة، فإذا

كانت مع رعوف تجيد تمثيل الخجل والجهل، فهي الآن

ستصبح المعلمة.. ستطبق ما تمننت أن تفعله مع رعوف

لكن منعها خوفها من أن تنكشف .

رفعت يدها تلامس ذقنه بأصابعها لتهمس وعيناها لا تفارق

عينيه؛ "إيه رأيك؟ ولا تحب ألبس لون ثاني؟"

أوراق الياسمين

نطق بلا شعور؛ "اسمك على مسمى يا شمس"
رنت ضحكاتها في المكان لتقول؛ "انت شكلك فعلا أول

مرة.. حالتك صعبة"

عقد حاجبيه بعدم فهم؛ "أول مرة ايه؟"

اقتربت من أذنه تهمس؛ "أول مرة تجيب واحدة البيت"
أجاب بتعثر؛ "أ، يعني ساعات كانت.. ااه بصراحة اه أول

مرة واحدة تدخل الشقة غير أختي"

ضحكت بصوتها العالي ثم تأججت النيران في عينيها

وارتفع ذراعاها يلتفان حول رقبتة ويدها تنغمس في

مؤخرة رأسه بين خصلات شعره الكثيف، قبلته بخفة

بجانب شفثيه وهي تحرر ذراعاها وتمرره على صدره

باغواء جعله يرتعش .

تقبله بخبرة فلا تدع له فرصة لالتقاط أنفاسه، كأنها في

ماراثون، كأنها تخرج كل ما تعانيه فيه، تناقضاتها،

تناقض أفعالها ومشاعرها، حبها الحديث لرءوف، والذي لا

تستطيع تحديده فعليا، وبالمقابل استمرارها في عملها

دون أن تكف عنه بكلمة قاطعة لجمال!

نعم هي تخشاه، وتعلم أن تهديده من الممكن خلال دقائق

أن يتحول لحقيقة ستحل بلعناتها على رأسها، لكن ذلك

ليس مبررا لاستمرارها المخزي في هذا العمل!

لقد عاشت مع رءوف حوالي أسبوعين، لم ترَ فيهما منه

سوى الدلال، والمزيد من الحنان والدلال.. لا يبخل عليها

بشيء، ماديّ كان أو معنويّ؛ فلم حتى الآن لم تعترض على

العمل مع جمال!

ابتعدت عنه قليلا وهي تنظر له، ثم لم يلبث أن قربها منه

ثانية ينهل منها بجنون كيفما علمته.. وهي تبادل وتبادر

بذهن غائب تماما، مكثفية بخبرتها التي تقود ما تفعله.

نادتها والدتها بصوت عالٍ أسمع جيران جيرانهم:

"كاميليا! .."

تنهدت وخرجت من غرفة متتبعته مصدر الصوت حتى

وصلت إليها: "نعم يا ماما"

شهقت ووقفت تنظر لها من رأسها لآخمص قدمها، وهتفت:

"إيه اللي انتي لابساه ده يا بنتي؟! فيه واحدة تقابل

خطيبها بـبينز وقميص مشمرة كمه!"

نظرت لما ترتديه ثم قالت لوالدتها ببرود: "ماهو بيشوفني

كل يوم كده يا ماما، النهاردة مش يوم مميز يعني عشان

البسله سواريه بترقر!"

تنهدت والدتها تدعو الله أن يلهمها الصبر، ثم قالت بما لا

يقبل النقاش: "من غير كلام كثير يا كاميليا روعي

البسي الضستان اللي اشتريته أول الأسبوع، شكله حلو

عليكي"

أوراق الياسمين

"يا ماما.."

"الله يهديكي اسكتي واعملي اللي قولت عليه.. مش

عارفة بنات إيه اليومين دول! زمان أما كنت اعرف ان

ابوكي جاي يزورنا وأنا مخطوبة كنت افضل من اول

اليوم ادا المراية بلبس واتزوق"

تكلمت بخفوت بينها وبين نفسها: "لأ ده انتوا كان

عندكو فراغ قاتل يا حبيبتى"

ضيق عينيها وهي تزجرها: "اخرسي يا بت، بتقولي إيه؟"

"بقول هروح البس الفستان احسن، بدل ما اسمع يومياتك

مع بابا وانتوا مخطوبين للمرة العشرين"

ثم انصرفت من أمامها ووالدتها تدعو لها بهداية عقلاها

الذي لا تعرف ممن ورثته!

"اغرفي لخطيبك يا كاميليا"

أوراق الياسمين

ابتسمت ابتساماً صفراء وقامت ممسكةً بطبقه وهي تقول
 بصوت هامس سمعه هو: "مش ناقص إلا أأكله ف بوقه
 أحسن"

لتجده يقول بجانب أذنها بصوت ثقيل: "ده يوم المني"
 ابتعدت تنظر له وقد احمرت وجنتاها من نظرتة الجريئة
 لها، لتضع الطبق أمامه متحنحةً بخرج ثم شرعت تأكل
 دون أن تحيد بنظراتها عن طبقها.

"وصلت لحد فين ف الشقة يا ابني؟ عايزة اجوزكو
 واخلص منكو بأى"

اتسعت عيناها مما تقول والدتها ونظرت لها لتتجاهلها
 والدتها بمهارة وهي تنظر لجلال بينما يتكلم وهو يكتب
 ضحكته على كاميليا: "الراجل هيخلص دهان على
 بكرة بالكثير، ومش فاضل غير العفش تنزل العروسة"

تنقيه

وجهت كلامها لكاميليا بجدية: "وانتي هتنزلي امتي ان

شاء الله؟"

ردت باقتصاب: "لما افضى يا ماما"

ساد الصمت للحظات قبل أن تفجر والدتها قنبلتها..

"جلال، إيه رأيك نكتب الكتاب الأسبوع الجاي يا

حبيبي؟ أنا شايفة الخطوبة ملهاش لزوم تطول وانتوا

أصلا عارفين بعض ووشكوا ف وش بعض كل يوم"

سعلت بشدة فخبطها جلال على ظهرها عدة مرات وناولها

كوب ماء إلى أن هدأت ونظرت لوالدتها بتعجب لحالها

اليوم .

"ها يا حبيبي قولت إيه؟"

تنحج وهو ينظر بطرف عينه لكاميليا التي تغلي من

الغيظ ولا تقدر على التفوه بكلمة: "والله يا طنط أنا

معنديش مانع أبدا، المهم العروسة تكون موافقة"

أوراق الياسمين

فتحت فمها كي تعترض بشدة، فعاجلت والدتها قائلة:

"وماتوافقش ليه؟ اتوكل على الله وحدد معاد حسب

ظروفك وسيب الباقي عليا"

وجدت أن الموضوع دخل في طور الجدية وسيتم حقا حتى

دون أن تبدي موافقة منها .

قالت بحيرة وهي لا تدري ماذا تفعل: "ماما، كتب كتاب

إيه دلوقتي؟، مش هينفع"

بحزم واجهتها: "وايه الفرق بينه وبين الخطوبة! هتفضلي

قاعدة معايا بردو مفيش حاجة هتختلف"

"يا ماما ماشي ماختلفناش، بس ليه مانستنناش لحد يوم

الفرح ونعمل الاتنين مع بعض؟ ليه الاستعجال ده؟"

"أنا أدري منك، اقعدني ساكتة انتي"

تأفقت وهي تفكر في الأمر لا تدري ماذا تفعل في تلك

الورطة، ومن الواضح أيضا أن جلال استغل الفرصة

وتمسك بكلمة والدتها ولن تستطيع التأثير عليه

واثناءه .

"هستنى منك خبر يا جلال"

تنحنج ثم أجابها: "إن شاء الله يا طنط"

نظر لكاميليا التي لم تكن بذهنها معهم وهو لا يعلم

ماذا يفعل وكيف يقنعها!

"زهرة.."

التفتت له فوجدته يقدم لها هاتفًا محمولًا.. تعجبت

وسألته: "إيه ده يا باشمهندس؟"

نظر للهاتف ثم لها وهو يشرح لها: "موبايل عشان لو عوزتي

حاجة تتصلي بيا، وكمان عشان اعرف اتطمئن عليك

من وقت للتاني"

نظرت له كأنه جسم فضائي ثم هزت رأسها رافضة:

"خليهولك يا باشمهندس انا مش هعرف استعمله.. وكده

أوراق الياسمين

كده انت هتوصلي وهتيجي تاخدني، مش هروح ف حتة

من غيرك"

أمسك يدها ووضع الهاتف فيها قائلاً بإصرار: "خديه بس

يا زهرة محدش ضامن الظروف"

ثم قال وهو يشرح لها على الهاتف: "هتردي من هنا،

وتتصلي من هنا.. بس كده، أنا مسجل رقمي عليه باسم

هشام"

قالت بشرود بينما تحاول أن تفهم ما شرحه لها: "هشام"

نظر لها وهي تقول اسمه بهذه الطريقة لأول مرة:

"أيوه هشام يا زهرة"

نظرت له ثم خفضت بصرها مرة ثانية بينما تومئ برأسها؛

فابتعد عنها قائلاً: "يلا عشان أوصلك ف طريقي، ولما

تخلصي ماتمشيش إلا لما أجيالك"

كان على مقربة من الباب عندما نادته:

"يا باشمهندس صحيح..."

التفت لها فاسترسلت بحرج: "انت قولت للناس هناك اني

مش متعلمة؟"

قال يُطمئنُها: "أيوه قولتلهم ماتقلقيش ومكانش عندهم

مانع"

أومات برأسها ثم اقتربت منه وخرجا من المنزل، ليوصلها

في طريقه للعمل، يودعها وقلبه قلق عليها في أول يوم

عمل لها، وأول يوم تكون فيه بمزردها، معتمدة على

نفسها، وتمنى أن يأتي ما يضعه بثمار طيبة .

ها قد تمّ عقد القران كما أرادت والدتها، رغم أنها كانت

معترضة في بداية الأمر، إلا أن سعادة خفية خائنة

تملكتها وهي ترى جلال يحاول إقناعها لعدة أيام بحديث

العقل بعيدا عن الأسباب الوهمية التي وضعتها والدتها.

هي لم تنكر يوما إعجابها بجلال، وحبها الذي ترفض
 رفضا قاطعا الاعتراف به، لكن بداخلها أيضا خوف
 وترقب من المجهول، من مستقبلهما معا، من جلال، من أن
 يتركها بعدما تعلقت به، من أن يخون ثقتها يوما، وأن
 يكون حبه وتعامله الحاني معها مجرد غطاء لما هو
 أسوأ.. حتى لو كانت تعرفه منذ سنوات وتعامله لم يتغير
 أبدا -أي أن هذه هي طبيعته الحقيقية- لكنها أيضا غير
 مطمئنة بالكامل .

أخرجها من شرودها بنداؤه، فنظرت له بعيونها التي زينتها
 اليوم كعروس متوجة بالكحل الأسود فبرز لونها
 الأخضر بشكل فاتن أكثر من أي يوم آخر ..
 إلى متى الصبر يا جلال؟ إلى متى انتظار خطوتها تجاهك
 وهي من الواضح أنها مكبلت في مكانها بمئة سلسلة

ومفتاح؟

ابتسم فظهرت غمازته: "مبروك يا حبيبتي"
أخفضت بصرها للحظة ثم رفعته مبتسمة لعينيه:

"الله يبارك فيك"

صمتا لدقائق، جلال يتأملها ويحاول أن يتمهل في خطوته

القادمة، وكاميليا تحاول الإفلات من نظراته"
نطقت أول ما خطر لها كي تخرج من دائرة تحديقها:

"مش هتاكل؟ ماما عملت الأكل اللي بتحبه"

أوما برأسه يوافقها: "ناكل ليه لأ"

قربا الطاولة منهما قليلا وشرع يطعمها القطعة تلو

الأخرى بنهم كأنه هو من يأكل، بينما يحدثها في

الكثير من الأمور حتى امتلأ فمها ولم تستطع الكلام

أو الاعتراض .

وضعت يدها على فمها قائلة بصوت مختنق:

"بس كفايت بوقي اتملى"

أمسك قطعة أخرى وقربها من فمها: "كلي يا حبيبتي

انتي خاستة اليومين دول، لازم تتغذي"

اتسعت عيناها وهي تحاول ابتلاع الطعام والكلام:

"أتغذى إيه يا جلال كده هموت شرقانة م الأكل ده

كله"

"وتشرقي بردو وانا موجود؟"

خبط بخضة على ظهرها، ثم تحولت الخبطات إلى لمسات

حانية على طول ظهرها بينما خضية يقترب منها حتى

التصق بها، وهي غير مدركة لأي شيء تحاول مضغ

الطعام وابتلاعه.

رفع يديه يزيح خصلات شعرها عن وجهها إلى خلف أذنها

بينما يهمس لها: "ها، بقيتي أحسن؟"

أومات برأسها وهي تضع يدها على صدرها بتعب وتحاول

التقاط أنفاسها، وهو منشغل باستكشاف خريطة وجهها،
حتى حطت شفتيه على أذنها حيث يتدلى حلق لؤلؤي زاد
من بهاء وجهها، وعندها شعر بتجمدها بجانبه واستقامت
ظهرها بتشنج.

أمسك بكمها وقبله وقال محاولاً أن يجعلها لا ترتبك؛
"هتيجي المكتب بكرة؟"

أومات برأسها ولم تتكلم، فأبعد خصلات وهمية عن أذنها
وجبهتها؛ "لو عايزة ماتجيش وارتاحي ف البيت، أنا هباي

أجيبك بالليل عشان أشوفك"

لم أصبحت كالخشب لا تقدر على التحرك؛

"أهاجي إن شاء الله"

والله لو انتظر أكثر من ذلك فربما يصيبه ضرب من

الجنون؛

أمسك وجهها بكفه وقربه منه وهو يهمس باسمها؛

"كاميليا، طاوعيني مرة واحدة واحدة بس"
 وبالتأكيد لم يقصد أن تطاوعه في عدم ذهابها للعمل!
 فلتحلّ اللعنة على كل عمل الآن!
 بل قصد تلك القبلة التي اختطفها من شفيتها وهي
 متسعة العينين، ولم يشعر بأي شيء بعدها إلا بالبرودة
 التي انتشرت فجأة بعدما هربت من بين ذراعيه.. لكن
 القبلة المختطفة كانت كافية له، حتى ولو كان
 يتمنى أكثر منها بكثير .

"انت قاعد تلاوع معايا ليه يا حميدة؟ بقالك شهر بتقولي
 استنى وماتعملش حاجة الا لما اقولك.. اتكلم على
 طول وقولي ليه رافض ارواح لست نرجس ليه؟ عارف ايه
 ومخبيه عني؟"
 قالها حمدي بحدة ليجيبه حميدة بخبث: "قولتلك انها

موجودة عند اللي اكبر مني ومنك اصبر انا بخطط
 عشان تعرف تجيب الواد وامه زي مانت عايز.. لو روحت زي
 مانت عايز مكنتش هتقدر تاخد لا الواد ولا امه.. اسمع
 كلامي وانت تكسب واصبر شوية كمان انا بخطط على

تقيل"

نظر له حمدي بتفكير قبل أن يقول: "طب رسيّني على
 الفولتة عشان ابقى فاهم بدل مانا عامل زي الاطرش ف

الزفتة كده"

ابتسم حميدة وعيناه تلمعان بخبث قائلاً: "هقولك".

بعد شهرين

"لحقت ضبييت أغراضك (حزمت ثيابك) بسرعة!"
 قالها كاسب بدهشة فأجابه عاصم: "انت عارف اني بجهز
 حاجتي بقالي مدة من ساعة ما رجعت من الاجازة بتاعة

فرح إسلام، وخلص الوقت جه رغبه انك هتوحشني اوي

يا كاسب بس هعمل ايه؟ ابويا محتاجني ومعدش ينفع

البعده اكر من كده"

نظر له بمكر وهو يقول: "صباحو خيا، أخيرا عرفت

قيمة أبوك.. أنت هلاء محتاج أبوك ورح بدعيالك

تتفقوا وما تخسرو الحين"

عقد عاصم حاجبيه بعدم فهم وهو بسؤاله عن مغزى

كلامه ليقاطعه رنين هاتف كاسب وكانت شقيقته

تخبره أنها بانتظاره.

"لسه برضه مصر تنزل معاها توديتها لأهلها؟! مانا قولتلك

انا هوديتها وانا كده كده نازل مصر"

قالها عاصم بعدم رضا عن أفعال صديقه ليقول كاسب

بهدهوء: "لازم أرافقها علشان خاطر نادين لأنها مصرة تروح

معاها وفينيش (لا أستطيع) أتركها تسافر لحالها"

"ايوة فاهم بس انت كده بتحطها وتحط نفسك بموضع
 شبهة، انت عارف ان طليقتها ده حقير يعني مش بعيد
 يكون اخترع قصة عن الخيانة وقالها لأهلها ومثل عليهم
 دور المخدوع وانت بمرواحك معاها هتاكد كل ده
 خاصة انها فضلت هنا شهرين كمان بأوامر من الدكتورة
 النسائية عشان كان خطر عليها وع الحمل انها تسافر
 على طول"
 زفر بحنق قائلاً: "عارف يا عاصم، بس لازم أبقى جنبها
 لأطمئن عليها وأدير بالي منها، بعدين مش هروح معاها
 لعند أهلها بس رح أوصلها لبيتهم"
 "طيب انت حر، اذا كنت انت ولا اختك دماغكم انشف
 من بعض"

قالها عاصم بملل فضحك كاسب عاليا وهو يفكر أنه لا
يسافر من أجلها هي فقط بل من أجل عاصم أيضا.. فهو
يعلم ما يدور بعقله بسبب كلام ذلك المدعو حميدة
عن الحاج عبد التواب لذا يذهب معه حتى يردعه بالوقت
المناسب عن أي تهور فهو يعلم صديقه جيدا فهو أحق
ومتهور إذا تعلق الأمر بالنساء .

طرقت الباب بتردد تدعّمها نادين والتي أصرت على
مرافقتها لمنزل أهلها رغم أن لبني حاولت الرفض حتى لا
تخرجها فهي تعلم أن والدها لن يتورّع عن إهانتها أيضا
ولكنها لم تستطع إثنائها عن مرافقتها .
فتح شقيقها الصغير الباب وما إن رآها حتى اندفع يضمها
بحب وهو يقول: "لبني وحشتيني اوي اوي"

ثم رفع صوته عاليا ينادي والديه: "ماما، بابا لبني جت"
 لم يكذب ولم يتردد كلمة حتى وجد والده ينتزعه من حضن
 لبني بقوة ويرفقاها بصفحة قاسية لوجهها وهو يقول:
 "وليكى عين تيجى يا فاجرة، تستغفلينا كلنا وتحطى
 راسنا بالطين وكمان ترجعى هنا والله لادفنك مكانك
 يا بنت ..."

قاطعتها نادين قائلة وقد هالها موقف عائلتها وهي التي لم
 تعرف سوى عائلة محبة وتقف جانبها بكل شيء: "استنى
 لحظة عمى، اسمع شو عندها لتقوله، لبني ما غلطت هي
 بس طلبت تط..."

دفعته من والده لبني لها جعلتها تشفق مبتلعة باقى
 كلماتها والمرأة تهتف بها بغضب: "انا قولت ان بنتي حد
 ضحك عليها واكيد انتى يا ماصوفة الرقبة ال

ضحكتي عليها وخليتها تعصى جوزها وتجيبلنا العار"

"لا بنتك اللي ناقصة رباية وأنا ال هربيها من اول

وجديد .."

قالها وهو يجذب لبني بعنف ويصفعها مرة أخرى وهو

يدخلها المنزل لتوقفه نفس اليد التي اعتادت على إنقاذها

كل مرة!

نظرت نادين لشقيقها وهي تزفر راحة قائلة:

"الحمد لله انك إجيت يا كاسب، حاست ما طبعي اللي

عم يصير، و..."

قاطع حديثها شقيقها وهو يتحدث مع والد لبني وما زال

ممسكا بيده بين قبضته مانعا إياها من ضربها أو إدخالها

المنزل: "لا يا عم، بنتك مغلطتش.. الغاطان الوحيد

بالقصة هو طليقها اللي فرجاها نجوم الظهر (عذبها)

ومسح بكرامتها الأرض وتعدى عليها لحتى فاتت

المستشفى بحالة خطيرة والله تلطف فيها وشفاها، ورغب
كل إشي أنت عم تحاسب بنتك المسكينة وتدافع عن
الخصيس اللي قبلت في كزوج إها!"
نظر له والد لبني بغيظ واحتقار وهو يقول: "وانت مين بقى
ان شاء الله؟! اها اكيد انت الحقير اللي بنتي خانت
جوزها معاه وجابتلنا العار و..."
قاطعته شهقة من زوجته وهي تقول للبنى الواقفة تنظر
إليه بجمود غريب دون أن تنطق بكلمة وتدافع عن
نفسها: "انتي حامل فعلا زي ما قال أسعد؟! حامل من
عشيقك يا فاجرة!"
رافقت كلماتها صغرة مدوية من والدتها وهي تسبها
ونادين تحاول الوقوف بينهما مدافعة عن لبني وهي تحاول
أن تتفاهر مع والدتها ولكن ما حدث تاليا هو ما جعل
الجميع يصمت كأن على رؤوسهم الطير.. فقد نطقت لبني

بجمود يخفي كل قهر يعتمل بداخلها من الخيبات
المتتالية بدايةً من عائلتها ووصولاً إلى أسعد وكل ما
عاشته منحها القوة حتى تضع نهايةً باختيارها لكل ما
يحدث أمامها .

"أيوه حامل ومن عشيتي"

تجمد الجميع ينظرون لها بعدم تصديق وكأنهم لم
يتهموها منذ ثوان معدودة فقط بما تقوله.. لتتابع بحرقته
وجمودها بدأ في التصدع من كثرة ما تخفيه من قهر
وحزن بقلبها: "انا فعلا خنت أسعد الرجل الكامل اللي
كلكم زعلانين عشانه اوي وابويا ضربني قبل كده
عشان ارجعله وامي تقولي النصايح الغالية اللي تخليني
احافظ على جوزي وبيتي وانا رجعت وسمعت كلامكم
وحاولت كل حاجة ولكن تفتكروا قدرت أنجح؟!

اكيد لا عارفين ليه؟! لان ال اتجوزته حيوان ومش راجل..

أوراق الياسمين

كان بيخوني طول فترة جوازنا ومتجاوز عرفي كمان ولا
 وزيادة ف حقارته اوهمني اني انا ال مش بخلف وذئني
 وأهائي كتيير ولما جيتلكم محدش فيكم وقف
 جنبي.. كان كل همكم اني ماطلقش واني افضل
 متجاوزاه عشان كلام الناس.. محدش فيكم حس بيا ولا
 حاول يقف جنبي ويتصدى له ويعرفه اني ليا اهل
 هيقفوله لو ضايقتني وزعلني.. كنت بتهان قدامكم
 ومحدش فيكم دافع عني ولا نطق.. كام مرة بيّت
 غرقانة ف دمي بسببه؟! كام مرة جزء فيا اتكسر؟! مرة
 دراعي ومرة رجلي ومرة ومرة وحد فيكم اتكلم؟! دافع
 عني؟! وآخر مرة ضربني لما كنت هموت ف ايده وسابني
 انزف وراح يخوني كالعادة ولولا اني اتصلت بصاحبتي
 انتوا بتقولوا انها هي السبب ف اللي انا فيه وهي اللي

انقذتني وودتني المستشفى وأنقذت حياتي وفوق كل ده
الراجل بتاعكم عمل ايه؟ جه اتهمني في شرفي بكل
سهولة وأهائي وكان ناوي يكمل عليا لولا اخوها هو ال
انقذني من بين ايديه وبعد كل ده تصدقوه هو وانا لا؟!
بعد كل ده وللمرة الالف تتهموني انا وتصدقوه هو ولا
كأني انا بنتكم اللي رببتوها وعارفينها كويس..
بس تعرفوا انا فعلا مش فارق معايا تصدقوني او لا، تقضوا
جنبي او لا، تدافعوا عني او لا.. ومن النهاردة انا ماليش
اهل ولا عايزة اي علاقة بيكم ولا عايزة اعرفكم اصلا
تاني "

حاولت والدتها التحدث لتشير لها بجمود قائلة: "خلاص
انتهى وقت الكلام وشكرا ليكم على كل حاجة ومن
النهاردة مش هتسمعوا عني تاني.. اعتبروني مت وانا هعتبر

نظي معنديش اهل"

ثم استدارت مغادرة قبل أن تسمع كلمة أخرى منهم

وتبعها كاسب ونادين بصمت.

"انا مش فاهم انتي ام ازاي وانتي سايبته ابنك ٢٤ ساعة مع

المربية اللي المفروض جايت تساعدك مش تقوم

بشغلك.. امال انتي لزمتهك ايه انا نظي افهم؟"

قالها عاصم بحدة تنم عن مدى غضبه الذي يحاول كتمه

حتى لا يقتلها ويريح نفسه.. طفل بالثانية من عمره

ويترك مع المربية طول اليوم لماذا؟! ما الذي سيرهقها

من طفل هادئ مثل طفلها؟!!

تأفقت بضجروهي تسمعه يسألها نفس السؤال الذي اعتادت

عليه حد الملل لتجيبه بتكرار: "فيه ايه يا عاصم؟ يعني

انا سايباه في الشارع ما هم معايا في البيت اهو، وال لازم

افضل طول اليوم شايله امال انا جايبة المربيّة ليه مش
 عشان تريحني؟! بطل بقى الاسطوانة اللي انت شغال بيها
 على طول دي زهقتني انا عايزة اتمتع بشبابي واخرج
 واروح واجي مش عشان جيبت طفل لازم اتربط جنبه
 وافضل معاه طول اليوم"

نظر لها بعد استيعاب لردّها وهو يقول: "طول اليوم!! انا
 عمري ما شوفتك ماسكاه خالص، ده على طول مع
 المربيّة ولما اجي انا ال باخده منها، انتي بقى لازمك
 ايه؟ وراكي ايه اهم من ابنك يا مدام؟! لا بتشتغلي ولا
 بتدرسي ولا بتعملي اي حاجة الا قاعدة قدام المراية او
 بتصيعي مع صاحباتك الهايذين ال زيك، يبقى
 متهميش بابنك ليه ان شاء الله ناقصة ايد وال رجل؟"
 وقبل أن ترد عليه كانت المربيّة تصرخ بقوة:

"الحقونا بالاسم!!!"

دفعها عن طريقه وخرج مسرعا ليجد طفله على الأرض
أمام المنزل وقد صدمته سيارة وتركته ملقى على الأرض
غارقا بدمه .. أسرع إليه وحمله وهرع به إلى أقرب مشفى
عنه يستطيع إنقاذه ولكن للأسف لم يستطع فقد كان
قد فارق الحياة قبل الوصول للمشفى ولم يستطع أحد أن
يفعل له شيئا .

أفاق من ذكرياته على اصطدام شيء بوجهه فرفع وجهه
غاضبا ليجده مصطفى يلعب بالكرة بحديقة المنزل
فابتسم كما يفعل كلما رآه، فمنذ عاد منذ أيام وهو
مصطفى هو البهجة التي تشع بحياته المظلمة منذ وفاة
طفله وانفصاله عن زوجته التي حملها مسئولية ما حدث..
كم كان قاسيا عليه موت طفله فلذة كبده بين يديه

وعدم استطاعته إنقاذه!

نهض وهو يقول له: "ايه رأيك نلعب سوا؟"

أوما له مصطفى بسعادة وهو يمد له يده فحمله عاصم

وضمه بحب وهو يقبله بحنو ولم يلاحظ عينا عبد التواب

اللتين تنظران لهما بسعادة وهو يتمنى أن يتحقق ما يذكر

به فكل منهما يحتاج للآخر.. ولكن كيف؟!

هذا هو السؤال!

استيقظت وجّهزت مصطفى للروضة ثم أوصلته وهي توصي

عليه زهرة الفتاة التي عملت مؤخرا بالروضة وتعلق بها

مصطفى كما تعلقت بها هي وهي تراها كأخت صغيرة

بعد أن تعرّفت عليها أنها نفس الفتاة التي حضرت زفافها

منذ اكثر من سنتين واطمأنت عندما حكّت لها عن

حياتها وكيف تحسّنت عندما تزوجت بالمهندس هشام..

أوراق الياسمين

ثم عادت وجهزت الإفطار لجدتها والحاج عبد التواب

كالعادة .

وقفت أمام باب الشقة بتردد ثم يكن موجودا قبل أن يأتي

مصدر إرباكها.. لا تعلم لم ترتبك بوجوده رغم أنه لا

ينظر لها مرتين ولكن هناك ما يرتبك داخلها كلما

رأته أو تواجدت معه بنفس المكان.. أخذت نفسا عميقا

ثم قرعت الجرس ليخرج لها من تحاول تحاشيه على

الدوام، رمقها بطريقة لم تفهمها قبل أن يأخذ منها

الإفطار ككل يوم وهو يقول جملته المعتادة:

"شكرا ليكي مع انه مالوش لازمة تتعبي نفسك كل

يوم انا أقدر أفطر وأفطر بابا"

كل يوم لا ترد عليه بل تبتسم فقط وتذهب ولكن هذه

المرة جاء الصوت من خلفه قائلا: "انت عايزني اسيب فطار

نرجس اللي يفتح النفس وآكل فطارك انت؟! لا طبعا ده

أوراق الياسمين

انا ابقى مابضهمش لو عملت كده"
 ابتسمت نرجس بخجل ولم يستطع عاصم إلا أن يبتسم
 أمام جملة والده فقال له: "ماشي يا حاج انا فطاري دلوقتي
 بقى يسد النفس يعني!"
 كادت تنفي ما قاله إلا أنه قاطعها صوت من خلفهم
 قائلاً: "نرجس مصطفى السمودي ساكنة هنا!"
 التفتوا جميعاً للصوت ثم عقدت حاجبها وهي ترد
 عليه: "ايوة يا استاذ انا نرجس فيه حاجة؟"
 "معايا إعلان من المحكمة هاتي البطاقة عشان اتأكد
 انه انتي الاول وامضيلى هنا على الاستلام".

الفصل السادس عشر

قبل ما يقرب الشهرين من الآن، تتذكر ما حدث كأنه
بالأمس القريب.. عندما تركت جلال بمفرده وهربت من
بين ذراعيه لغرفتها؛ تحتمي منه ومن نفسها، من مشاعر
غلبتها فكادت تبادله الشغف بشغف، ومن أحداث ماضية
ملأت عقلها وأوجعت قلبها.. ألم تكن قد نسيتَه؟ ألم
تجاهد كي تمحو كل ذكرى منه بأخرى أجمل مع

جلال؟

لم إذا عاد يوسوس لعقلها؟

مر بها الوقت ولم تشعر إلا باهتزازها تنفها معلناً عن اتصال
أحدهم، نظرت لتجده جلال؛ فلم ترد ورمته بعيداً على
السريرة.. اتصل مرة ثانية وثالثة وهي تحرق في السقف
لامبالية بمن يتصل؛ حقاً لا تعرف ماذا ستقول إذا ذكر

أوراق الياسمين

ما حدث!

في المرة الرابعة قررت أن ترد، ضغطت على زر الإجابة

ووضعت الهاتف على أذنها منتظرة ما سيقول، لحظات

ونادها بحيرة: "كاميليا.."

لم ترد، ولا تعرف سببا لعناد الأطفال الذي تمارسه الآن!

تنهد وعلم من صوت تنفسها أنها تسمعه لكنها لا تريد

الرد عليه، فقال بصوت لا ينف عن شيء: "لحد امتي

هنفضل ع الحال ده؟ كل ما أقرب منك خطوة بتبعدي

اتنين! وفضل اقرب وانتي تفضلي تبعدني!"

صمت قليلا دون أن يصله رد؛ فأكمل يصارحها بما يدور

بداخلها: "أنا مش أحمد يا كاميليا، ومش هقبل تاني إنك

ف كل موقف تقارنيني بيه.. بحس بيكي من نظرتك

ليا، كأنك مستنيتة من صاحبه إنه يكرر نفس

السيناريو! واللي ماتعرفيهوش أصلا إني قطعت علاقتي بيه

من ساعة اللي عملة، بعد ما عجنته وعرف غلظه كويس

أوي"

خضت صوته قليلا وهو يضيف: "مش عارف لحد امتي

المعاملة هتفضل جافة كده منك، ولا عارف امتي

هتبطلي تحسسيني انك خايضة وقلقانة مني مع إن تقريبا

عمرك ماشوقتي مني حاجة ضايقتك.. بس أنا بحبك

يا كاميليا -أيًا كانت الكلمة دي هتفرق معاكي

الكلمة أو لأ-، بحبك ومن زمان أوي، بس لو الحب ده

هيكون ثقيل عليك يباى بلاه أحسن، وكل واحد

يشوف حاله يا بنت الناس!"

ثم أغلق الخط، وظلت هي جامدة للحظات حتى سألت

دمعاتها على خديها حاملة معها الكثير والكثير من

المشاعر المتخبطة .

ومنذ ذلك الحين، وحتى تلك اللحظة رأت من جلال
معاملتها لم ترها منذ أن عرفتة.. جاد بشكل خائق، صامت
وجامد ولا يبادلها حتى الابتسامة إلا عندما يزورها في
بيتها وأمام والدتها كي لا يشعرها بشيء، وهي لم تحاول
أن تحدثه في أي شيء، برغم داخلها الذي يدفعها لفعل
ذلك إلا أنها لا تقدم فعلياً على أي خطوة!

ها قد مر الشهران سريعاً وهي بين العمل والمنزل.. تذهب
صباحاً مع هشام وعند موعد الانصراف تجده يتصل بها
كي يصطحبها معه للمنزل، ودون أن تستطيع قراءة اسمه
على شاشة الهاتف إلا أنها حفظت شكل حروف الاسم
"هشام".. ذاك الشخص الذي يقدم لها الكثير دون أن
ينتظر أو يطلب أي مقابل، رجل على النقيض من كل

الرجال القلائل الذين عرفتهم في حياتها، وكما همت

في عمر الزهور لم تقدر إلا أن....

لا تفهم حقيقةً طبيعة هذا الشعور الذي يزيد من ضربات

قلبها عندما تراه كل يوم في آخر نهار العمل!

دخلت غرفة الجلوس فوجدته يمسك بقميصه بيد

وبالأخرى يمسك بابرة وخيط.

"بتعمل إيه يا باشمهندس؟"

بحيرة سألته، فرفع وجهًا مقطب الحاجبين بتركيز وضيق

وأجابها: "الزرار اتفك ف بركبه"

ثم أعاد نظره لما يفعل، فجلست بجانبه وأمسكت

بالقميص تحاول جذبته ناحيتها: "طب هات عنك

ما يصحش كده، انا هعملهولك ف ثانية"

وضع يده على يدها يبعدها عن القميص بينما يجذبه

ناحيته جاذبا إياها معه بضع درجات لم يلحظها:

"أنا متعود على كده يا زهرة مش أول مرة"
 نظرت ليدته الموضوعتة على يدها ورفعت نظرها لعينيه
 وقد تلونت وجنتاها بلون وردي مألها حيوية.
 زاد ضغطه للحظات على يدها ثم أبعدها وأمسك القميص
 يكمل ما كان يفعله قائلاً بصوت خافت:

"روحي اجهزي عشان مانتاخرش اكثر من كده"
 تطلعت عليه لدقيقة ثم أومأت برأسها وخرجت من الغرفة،
 ليبعد نظره حينها عما يفعل متنهداً بهمّ وهو ينظر حيثما
 خرجت للتو .

فتح باب المنزل فنظرت ووجدته رعوف.. ارتبكت قليلا
 قبل أن تبتمسه وتمشي باتجاهه بينما تناديه، وهو بادلها
 الابتسامتة بأخرى أكبر وأضفى سعيدا برؤيتها بعد عودته
 من هذا السفر اللعين .

احتضنها بقوة وهو يقول بهمس: "وحشتيني"
 "وانت كمان يا رعوف وحشتني أوي... رجعت بدري يعني

عن معادك؟"

أبعدها قليلا وهو يتلاعب بخصلات شعرها الذي صبغته
 بلون نبيذي عن قريب: "قولت اعمالك مفاجأة..

عجبتك؟"

ابتسمت بكذب: "جدااا"

طبع قبلة مشتاقة على شفتيها، وسرعان ما تحول اتجاهه

إلى باقي وجهها وعنقها وهو يزيد من احتضانها، وعندها

ندت عن سوسن آه ألم جعلته يبتعد عنها بقلق: "مالك؟"

نظر لعنقها بتركيز فوجد بقعا داكنا بألوان مختلفة،

أحمر وبنفسجي وأزرق.. وضع يده على أحدها برفق بينما

يسألها: "إيه اللي عمل فيكي كده؟"

تلعثمت، ثم أجابته وقد بدأت في استحضار البكاء:

أوراق الياسمين

"وقعت ع السلم من يومين"

ثم تساقطت دمعاتها وهو بدوره احتضنها يخفف من آلامها،

يتساءل بحيرة: "وقعتي ازاي؟ وليه ماقولتيليش لما

كلمتك يومها؟"

ازدادت حدة بكائها وهي تجيبه: "مارضيتش اضايكك

وانت ف غربت"

أبعدها بقدر مليمترات وأمسك بأزرار جلبابها يحلها تباعا

وهو يقول بقلق: "طب وريني فيه كدمات تاني ولا لا"

أزاح الثوب عن كتفها فوجد مجموعة متفرقة منها،

فقال بضيق: "ليه ده كله يا بنتي، انتي كنتي نازلت

السلم مغمضة عنيكي؟"

تنهد بقوة ثم حملها ووضعها على أقرب أريكة قائلاً

بحزم: "هروح أجيب حاجة وجاي، ماتتحركيش من

مكانك"

أحضر مجموعة من المراهم واقترب منها، نزع عنها ثوبها
ليكشف له كل ما تركه ذلك الوقوع الوهمي على
جسدها، ليبدأ هو في مداواته بيديه.. فقط لو يعلم

السبب الحقيقي لما بها!

ذاك السبب الذي دفع سوسن لشبّ عراك مع جمال وسوء
الزبائن الذين يحضرهم، حتى انتهى بها الأمر بين يدي

سادي!

كانت منهمكة في قضية ما عندما سمعت صوت
ضحكات عال بشكل لفت نظرها هي وزملاءها.. لوت
شفتيها بقرف ثم عادت لما كانت تفعله، لتجد علياء قد
وقفت بجانبها مبتسمة بشماتة وهي تقول:
"سامعة الضحك اللي صوته جايب لحد هنا يا كاميليا؟"

أوراق الياسمين

نظرت لها ثم تحدثت ببرود: "إن شالله يجيب لآخر الشارع،

مالناش دعوة"

مصمست شفتيها ثم وضعت يدها على كتف كاميليا

ومالت حتى وصلت لمستوى أذنيها لتقول بهمس: "طب لو

قولتلك إن دي عميلت عند أستاذ جلال، جايت تخلع

جوزها، وكل يوم ع الحال ده والمرقعة دي.. هتقولي

بردو ملناش دعوة؟! أصلك غلبانة وماتعرفيش حاجة، دي

أول مرة تيجي بدري كده، وكل مرة كانت بتيجي بعد

معاد انصرافنا، عم خميس هو اللي حكالي، كان

بيدخلهم القهوة وبيشوفها مع أستاذ جلال لو حدهم ف

المكتب.. وكفايت لحد كده الحدق يفهم"

كان من المفترض ألا تسمع من علياء التي تعرف جيدا

نواياها ودواخلها، وتعلم أنها منذ خطبتها لجلال وقد ازداد

حقدتها وأصبحت تفتعل المشاكل والمواقف وتنظر لها
شذرا كأنها اخاطفت لعبتها المفضلة.. لكن تركيبها
الأنثوي، وقرون الاستشعار الخفية خاصتها أنبأها ألا تهمل
ما قالتها لها علياء.

شردت لفترة من الوقت؛ لا تعلم كيف تتصرف في موقف
كهذا إلى أن سمعت صوت الضحكات مرة ثانية، فتلقائياً
نهضت من مكانها بعد أن رمت القلم الذي كانت تمسك
به على المكتب .

فغرت فاهها عندما رأت المرأة صاحبة القضية، جسد
ذكي يعلم أين وكيف يضع كيلوجراماته الزائدة،
يحددها من الأسفل بنطال باللون الأسود لا تعلم كاميليا
كيف نجحت السيدة المبهجة في ارتدائه، ومن الأعلى
قميص باللون الأحمر أزواره تكاد تنتحر كي تترك

العنان لجسدها أن يتنفس خارج هذا الضيق الشديد!
وفي أعلى الأعلى، هناك أحمر شفاه بنفس لون القميص
وشعرها مصبوغ باحترافية بتدرجات ألوان البني

والذهبي!

وضعت يدها على شعرها المعقوص على شكل كعكة
مغضوب عليها أعلى رأسها، وشفتيها المشققتان من إهمالها
هذه الأيام بنفسها، ثم نظرت ثانية لتلك النجمة
اللامعة تقف أمام جلال مبتسمة بإغراء مفضوح للعيان،
تحدثه بميوعة أثارت غثيان كاميليا، ثم أنهت حديثها
مصافحة جلال، وما حدث بعدها جعل كاميليا تشهق بقوة
وهي تراها تحاول أن تميل على خد جلال كي تقبله،
لكن جلال كان أذكى منها وتجنب فعلتها تلك
متراجعا بضع خطوات وقد ابيضت يده التي تصافح يدها
من شدة ما يضغط عليها كي يمنع تقدمها ناحيته.. ثم

أوراق الياسمين

انصرفت، وكاميليا تتابعها بنظراتها النارية حتى خرجت

من المكان بأكمله .

"كاميليا"

فزعت من صوته الخشن؛ فنظرت له لتجده يقف ببهاء

ويديه موضوعتان في جيبه بنطاله، ودون إضافة المزيد

أمرها: "تعالى ورايا، عايزك شوية"

أومات برأسها عدة مرات ثم تبعته لغرفته، دخلت وأغلقت

الباب خلفها ليجلس كلاً منهما في مكانه مواجهين

بعضهما البعض.

"فيه قضية جديدة وصلتنا، عايزة تحضري معايا النهاردة

مع اصحابها"

"تمام حاضر"

تنحنج ثم أضاف بلامبالاة: "لو تعبانة ممكن تروحي

عادي"

قطبت حاجبها ثم أجابته: "الأ مش تعبانة أنا كويست،

لسه شويتة على معاد الانصراف"

أشار بيده ناحية وجهها وهو يقول دون انفعال:

"أمال مالك عاملت كده ليه ووشك اصفر؟"

وضعت يدها على وجهها بكآبة وهي تردد بهمس لنفسها:

"وشي اصفر؟"

سمعا طرقا على الباب ثم تبعه دخول مفاجئ لعلياء وقد

لطخت وجهها بألوان مختلفة لا تعلم كاميليا من أين

جاءت بها!

"معلش يا أستاذ هعطلكوا شويتة، فيه حاجة عاوزة رأيك

فيها"

ثم اقتربت دون انتظار ووقفت بجانبه، وضعت بعضا من

الأوراق على المكتب فتحها جلال وبدأ في تصفحها

بتركيز شديد، ثم ألقى ملاحظاته وعلياء تنظر له ممثلة

الاستماع وهي بالأصل شاردة بعيدا تماما عن كل حرف

ينطقه، ومن وقت لآخر كانت تقترب منه دون أن يلحظ هذا الاقتراب، لينتهي الأمر بأن وضعت يدها على ظهر مقعده فأصبحت كأنها تحتضنه دون أن تمسه فعلياً. كانت كاميليا تراقبها باستنكار وتعجب، هل جئت؟ إلى أن رأت جلال قد تنبه لما كان يحدث حوله. تنحج وأمسك بالورق يقدمه لعلياء وهو يتحدث بجديّة:

"خلصنا كده، اتفضلي على مكتبك يا علياء"

ثم تسمعه في بادئ الأمر، فنادها بصوت أعلى إلى أن انتبهت له واعتدلت في وقفاتها تومئ برأسها، ثم انصرفت ماذا يحدث داخل أحشائها وكأنها تريد ضرب أحد! "كاميليا!"

انتبهت من شرودها على ندائه فنظرت له بتساؤل، ليجيبها:

"أحنا خالصنا كده لو عايزة تتفضلي"

كانت على وشك أن تسأله "أفضل فين؟"، لكنها فهمت

أنها تُطرد باحترام، فقالت بخضوت: "عن إذنك"

وخرجت من المكان، بينما من يتعذب قلبه ينظر للباب
المغلق متمنيا أن يقتحمه ويقتحم كل أمثاله ويأخذها
فقط بين ذراعيه، وليذهب الباقي للجحيم!

بعد عدة أيام، وفي طريق عودته للمنزل بعد أن زار والدته
بمفرده نظرا لتعب سوسن- ذهب إلى محل لبيع الحلويات
بعيدا عن حارتهم بقليل كي يجلب ما تحبه (بسبوست)؛
يريد أن يسعدها بعد ذلك الحادث الذي تعرضت له وبعد
بعده عنها لأجل العمل .

عند خروجه، وفي شارع واسع مليء بالسيارات والأشخاص
المارين هنا وهناك لمح سيارة سوداء يقودها رجل لا
يعرفه- تقف في انتظار اخضرار إشارة المرور، وبدخلها
وجد آخر ما كان من الممكن أن يتوقعه... زوجته،

سوسن!

لم يكد يتمالك نفسه ويذهب إليها حتى اخضرت
الإشارة وانطلقت السيارة حاملةً بداخلها أهله وعرضه،
حبه وأم المستقبل لأولاده.. وعندها فقط عرفت عيناه
كيف تغضبان وتتحولان للون الأحمر، وفي داخله يأمل أن
يكون ما شاهده هو مجرد تهيؤات من صنع خياله!

يشاهد التلاز وبالأساس هو شارد في نقطة محددة لا
يسمع أو يرى أي شيء غيرها.. زهرة!
المعادلة الصعبة بحياته..

بعد مرور تلك الفترة وهي ببيته يكاد يجزم أن الرجل
بداخله قد بدأ يميل إلى أن استحال الاعتدال بعد هذا
الميل الأول في حياته، محاولاً أن يتناسى كل الحقائق
التي كان يعددها ويضعها نصب عينيه كي يبتعد عن

زهرة.. لكنه لازال مكبلاً لا يستطيع الإقدام على أي خطوة متقدمة؛ زهرة لازالت في طور البناء، في بدايتها حياتها وتعرفها على نفسها، ما تحب وما تكره، ما تريد وما لا تريد، لازالت تتشكل يوماً بعد آخر، وإذا جاء الآن مطالباً بأي شيء فسيكون بمنتهى الأنانية من وجهة نظره.. زواجهما من البداية كان سببه واضحاً، حمايتها، ولم يتم ذكر أي بنود أخرى، حتى هو كان متعصباً لرفض أي بنود أخرى.. كانت أخته، والآن اختلقت نظرته لها بشكل يجعله يشعر بالذنب تجاهها وتجاه أخيه أحياناً، لكنه رجل، وهي زوجته شرعاً وقانوناً، وأخيه قد مات منذ فترة، فلم يلوم نفسه على شعور لاإرادي تجاه زوجته؟! أيكون غير طبيعي إذا فعل؟ مثالي بشكل يفوق الحد؟

لكنه لا هذا ولا ذاك، لقد أحبها، لبساطتها وبراعتها وورقتها، لكن هذا لا يمنع الجانب الإنساني منه أن يترك لها فرصة الاختيار هذه المرة بكامل إرادتها؛ فلن يفرض نفسه عليها كما فعل أخيه وآل الأمر إلى انطوائها وذبولها بشكل يعاني معه الآن كي تتخلص من عواقبه.

دخلت الغرفة تحمل كوباً من الشاي له، ابتسمت وهي

تناوله: "أفضل يا باشمهندس"

"تسلم إيدك يا وردة"

ضحكت بتعجب وهي تسأله: "وردة! مين وردة دي؟"

رشف من الشاي ثم أضاف بابتسامته: "انتى.."

ابتسمت بخجل وجلست على الأريكة بجانبه ليظهر

الحزن على وجهها دون أن يعرف السبب.

سألها محاولاً أن يجذبها للإفصاح عما بداخلها:

"مالك يا زهرة؟"

أوراق الياسمين

انتبعت لسؤاله وأخفضت رأسها تتلاعب بأصابع يدها وهي

تجيب بخضوت: "أبدا مفيش يا باشمهندس، متشغلش

بالك"

حثها على الحديث: "قولي بس وملكيش دعوة أنا غاوي

بالي يتشغل"

زفرت بضيق: "ولد ف الحضانة بقاله يومين ماجاش، مش

عارفة إيه اللي حصل، ده عمره ما غاب ولا يوم"

"اسمه إيه؟"

"مصطفى"

تذكرت شيئا فقالت بحماس: "أنا معايا رقم مامته، اتصل

بيها اسألها عليه؟"

فكر قليلا ثم أجابها: "طب استني لبكرة الوقت متأخر

دلوقتي.. لما ارجع من صلاة الجمعة هتصلك بيها إن شاء

الله"

نظرت له بامتنان وفرح: "تسلم يا باشمهندس، ماتحرمش

منك أبدا"

ابتسم لها وقال بداخله: "ولا منك يا زهرة"

ثم بعد لحظات: "هتدخلي قنامي؟"

"اه، تصبح على خير"

"وانتي من أهل الخير"

جلس بمفرده ثانية لوقت طويل يفكر في نفس الأمر، ولا

يعلم إلى سيكتفي بمجرد التفكير وينتقل لمرحلة

المواجهة والتنفيذ!

سمع صوتا يشبه الأنين، أو الصراخ المكتوم، فنهض

يبحث بحذر عن مصدر الصوت ووجده ينبعث من خلف

باب زهرة.

تردد للحظات، أبيض أم لا؟ إلى أن ارتفع الصوت مرة ثانية

فاضطر لفتح الباب.

اقترب من سريرها بينما يناديها لكن من الواضح أنها لا

تشعر بشيء!

وقف بجانبها ليجدها تتصبب عرقاً وتئن بصوت مكتوم

كأنها تحارب أحداً في أحلامها.. مسح على شعرها ونادها

مرة ثانية: "زهرة... اصحي يا زهرة ده كابوس"

له تجب، بل بدأت تهلوس وتقول "ابعد عني"!

ثرى ماذا يحدث داخل رأسها؟!

هزها بقوة إلى أن استيقظت تشهق الهواء بشدة وقد تبللت

وجنتاها بدمعات في حلمها.. نظرت له بين الصحو والنوم

وهي غير مدركة لشيء.

هدأها وربت على ظهرها يطمئنها: "ما تخافيش يا زهرة ده

كان كابوس، أنا جنبك أهو"

ارتخت جفونها مرة بعد مرة إلى أن أغلقتها، وقبل أن تذهب

لنوم عميق قالت بخفوت: "خليك جنبي"

أوراق الياسمين

فوجئ في بداية الأمر من طلبها، ليتدد بجانبها بتردد وهو يحيطها جيدا بغطاء السرير، وفي لحظة انقلبت على جنبها فأصبحت ملتصقة به، تحتضنه كوسادة كبيرة..
تسمر لثوان ثم استسلم ووضع ذراعه أسفل رأسها وقربها منه أكثر، بينما يقول بسخرية: "شكلي أنا اللي مش هعرف أنام النهاردة"

أغمض عينيه وقد ارتسمت ابتسامة أذلية على شفثيه،
ولا يدري متى وكيف ذهب في سبات عميق.

منذ شهرين وهي تحاول تجاهله ولكنها لم تستطع كلما حاولت الابتعاد عنه كلما جرفها بعشقه أكثر حتى استسلمت خاصة عندما تحدثت مع نرجس واخبرتها عما سمعته لتضحك منها نرجس قائلة: "تصدقني إنك هبلت يا

نسرين، انا كنت فاكراكي عاقلته بس طلعتي هبلتة على

الآخر"

تخصرت نسرين وهي تقول: "هو انا بحكيالك عشان تأتسي

(تسخري) عليا يا نرجس؟ وال عشان تلاقيلي حل؟"

ضحكت منها نرجس وهي تقول: "هعملك ايه طيب مانتي

تعبتيني معاكي، الراجل بيحبك ويموت فيكي وانتي

بتدوري على الغم بمقاط.. ماتعيشي ياختي وتعيشي

الراجل معاكي بدل القحط ال هو فيه ده.. انتي ما

بتشوفيش عين البنات في المحل طالعة عليه ازاي وكل

واحدة بتحاول تلفت نظره وهو مش مالي عينه الا انتي..

ايه ما بتغيريش عليه؟"

حاولت التحكم بنفسها ولكنها لم تستطع فضحكت

بقوة من أسلوب نرجس حتى وصل حديثها إلى الغيرة

فاختفت ضحكتها وهي تقول: "ساعات بحس انه يستاهل

واحدة احسن مني، بنت بجد مش بنت طول عمرها
 عايشة راجل عشان لقمته العيش وعشان تقدر تدافع عن
 نفسها في وسط الغابة اللي عايشة فيها، ساعات بحس ان
 ابويا ظلمه انه دبسه فيا وظلمني لما حسني اني حمل
 عليه واني رخيصة عنده يرميني على الراجل كده
 افرضي كان بيحب وال رفضني كان موقفي هيكون
 ايه وقتها؟"

حرّكت نرجس رأسها بنفاذ صبر وهي تقول: "مش بقولك
 بتدوري على الغم بمقاط! يابنتي الراجل اختارك انتي
 وماتقنعيش انه باباكي اخرج له لو هو مكنش حاطك
 ف دماغك من الاول مكنش ابدا اتجوزك فبطلي هبل
 بقى وروقي الراجل شويت"

عادت من ذكرياتها على صوت الهاتف ففتحت الخط
 لتجده إسلام يخبرها أن تنزل لنرجس فهي بحال سيئة

فهرعت إليها متناسية كل ما كانت تفكر به .

ظل يرمقها مراقبا ما تفعله ويدخله شعور غريب لا يفهمه
هو يعلم مقدار حبها لطفلها إذا ما هذا الهدوء الذي يعترها

منذ مجيء ذلك المحضر ؟!

يهرب من نظرات والده الغامضة لا يفهم ما الذي يريده

منه ؟!

ماذا يفعل هو وما دخله من الأساس حتى يفعل شيئا ؟!
زفر بحنق واقترب حتى يتحدث معها ويحاول أن يجد حلا
لمعضلتها من اجل والده.. أجل من أجل والده فقط هذا ما
قاله لنفسه وهو يتجه لمكان جلوسها مع نسرين زوجته
إسلام ابن عمه ليتجمد مكانه غير قادر على الابتعاد أو
مواصلة الاقتراب عندما سمع ما كانت تقوله لنسرين
وينعصر قلبه بقوة لكلماتها .

"مش فاهمة انتي ساكتة ليه كده يا نرجس؟! اتكلمي

قولي اي حاجة"

تنهدت بحسرة قائلة: "وعايزاني اقول ايه يا نسرين؟! "

مفيش كلام ينفع يتقال "

رمقتها بغيظ مختلط بعطف وهي تقول: "طلعي اللي

جواكي طيب على الاقل، حاسته جواكي كلام كثير

اوي وانت حابساه جوّه، طلعيه يمكن ترتاحي "

أغمضت عينيها بحزن وهي تقول: "عايزاني اقول ايه؟! اقول

اني كنت بحلم طول عمري براجل محترم وشهم يعوضني

عن موت ابويا اللي مالحقتش اتمتع بحنانه؟! براجل

أكون أنا مراته وبنته وحبيبته؟! وفي الاخر اتجوزت

غصب عني واحد بلطجي وصايع عشان احافظ على شرفي

اللي كان هيضيع بسببه، وسكت ورضيت وشوفت معاه ذل

وهوان.. فيه اكر من انه كان بيستعملني زي..."

صمتت قليلا وهي تبتلع غصّة كبيرة قبل أن تتابع:

"فيه اكر من انه كان بيأذي جدتي وهي تدراي عليا
 عشان ماعملش حاجة رغم اني اصلا مكنش ف ايدي
 حاجة اعمالها.. وربنا خلّصني منه وقولت هرتاح بعد
 ما بعدت عن اهله واخوه الندل.. يطلعلي حميدة وقرفه
 اللي كان فاكر اني بدام واحدة مطلقة وماليش اهل
 خلاص هبقي دايرة على حل شعري.. وخلصت منه يرجع
 بلائي الاول ويطالب بابني ال مقدرتش اكرهه مع اني
 كارهه ابوه وعيلته.. عايزاني اقول ايه بعد كل
 المصايب دي؟! انا دلوقتي مش قدامي غير طريقين بس:
 يا اسيب ابني له عشان اخلص منه.. يا ارجعله عشان ابني"
 ابتلعت غصتها وهي تكتم دموعها قائلة:

"وانتي قررتي ايه يا نرجس؟"

ابتسمت بحزن قائلة: "تفتكري هقرر ايه؟! هسيبله ابني

بالبساطة دي؟! فكرت اروح اترجاه وابوس رجله عشان

يعتقني انا وابني وهديله القرشين ال معايا اللي كنت

شايلاهم عشان مصطفى لكن انا عارفة انه مش

هيعتقني.. فكرت اهرب بابني بس هروح فين؟! وسشي

مش هتقدر تسافر من هنا لهننا معايا مفيش قدامي غير اني

ارضى ارجعله عشان ابقى مع ابني وهسيب سشي امانة بين

ايديكي مش عايزاها ترجع تاني هناك لانه مش

هيسيبيها"

فكرت نسرين قليلا قبل أن تقول: "طب ماتروحي لأمه او

مرات اخوه ال ساعدتك في الاول مش قولتي انهم مش

عايزينك بينهم يمكن يساعدوكي المرة دي كمان

ويخلوه يتنازل عن القضية وعن ابنك ولو عايزين فلوس

أوراق الياسمين

هند فعلهم وأنا كل ال معايا تحت امرك وكمان عمي

عبد التواب مش هيسيبك ابدا و..."

"بس انا مش عايضة حد يدفعلي حاجة او يساعدني ده لو

اعتبرنا انهم هيوافقوا فعلا على ال بتقوليه ده"

"امال هتعملي ايه؟"

"معرفةش! "

لا يعلم ما الذي دفعه ليذهب لوالده ويتأكد من قصتها!

هو كان يتخيل أنها أرملته وليست مطلقة فما هذا الشعور

القوي بالألم والغيرة و..... تفاعاً من نفسه وهو يصل

بتفكيره أنه يغار عليها!

ولم يغار وهو لا يكن لها أي شعور؟! هو من الأساس يفعل

كل ذلك من أجل مصطفى.. ذلك الطفل الذي عوضه

مكان ابنه الراحل فقط.

"أجل هذا هو"

فكر عاصم بذلك وهو يتجه لمكان والده والذي منذ ما

حدث وهو يناى بنفسه عن الجميع ويطارده بنظراته

الغامضة لا يفهم ماذا ينتظر منه؟!

"لا حول ولا قوة الا بالله بتكلم نفسك يا عاصم؟! هي

وصلت للدرجة دي؟"

رمقه بغيظ وهو يتعداه متجها لوالده ليسمع ضحكات

إسلام من خلفه وهو يرمق عاصم وعمه بغموض وبدخله

يقول: (ماطلعتش سهل يا عمي وهتنفذ اللي في دماغك

برضه، وعاصم رايح للبخ برجله) .

"بابا"

ناداه عاصم ليخرجه من شروده فرفع له بصره قائلا:

"تعال يا عاصم فيه حاجة؟"

جلس بجانبه وهو يفرك يديه ثم قال: "انا عايز اعرف
حكاية الست نرجس، انا كنت فاكر انها ارملة لكن

طلعت مطلقة وواضح ان فيه مشاكل"

رمقه عبد التواب بصمت لوهلة قبل أن يقول:

"وهيفيدك بايه انك تعرف؟"

أجلى صورته ثم قال: "انا شايفك متضايق وكمان..."

كمان مصطفى أظن محتاج مامته وماينفعلش يسيبها

حاليا وهو في حضانتها اصلا و..."

صمت ولم يستطع ان يتابع فهو حقا لا يعلم لم يهتم؟

لم يسأله والده أكثر بل قصّ عليه كل ما أخبرته به

نرجس من قبل وعندما انتهى قال: "بس يا سيدي هي دي

الحكاية للأسف البنت من وقت ما توفي ابوها وهي ف

الغلب ده.. وزاد بدخول الزفت حلمي حياتها وما صدقت

بعدا عنهم طلعها الزفت حميدة ودلوقتي رجع ثاني حلمي

وهي في دوامت ومش عارف ايه اخرتها"

عقد، حاجبيه عندما ذكر حميدة وسأله: "حميدة! وايه

علاقته بيها؟! وانت طردته ليه اصلا؟! عشانها زي ما هو

قال؟؟"

رفع حاجبه وهو يقول: "يعني هو كلمك بقى

واشتكالك مني؟"

رفع يده ينفي: "العضو يا حاج بس استغربت لانه بقاله

سنين معانا وماشوفناش منه حاجت وحشت"

"للاسف كنت فاكر كده فعلا لكن طلع وراه بلاوي وال

كشفه ال حصله مع نرجس وبعدها البنات كلهم أكدوا

انه كان بيضايقهم وهم كانوا ساكتين عشان اكل

عيشهم"

وقصّ له ما حدث وكيف وجدته يحاول الاعتداء على
نرجس لولا هو وإسلام وصلا بالوقت المناسب وطرده بعده
شرطردة.

هز رأسه بحيرة قائلاً: "كل ده حصل؟! ده طلع استغفر
الله العظيم"

ثم التفت لوالده قائلاً: "طيب هنعمل ايه دلوقتي؟! احنا
كده محتاجين محامي وانا سألت واحد صاحبي هنا دلني
على مكتب محامي كبير واظن هيقدر يفيدنا في

الموضوع ده"

"الحل الوحيد انك تتجوزها"

قالها عبد التواب بهدوء ليتجمد عاصم لبرهته ثم يرفع
بصره بعدم تصديق قائلاً: "حضرتك بتقول ايه يا بابا؟!
انا وهي.... لا لا طبعا ماينفعش"

رفع حاجبه متسائلاً: "وماينفعش ليه؟! انت محتاج اسرة

أوراق الياسمين

وطفل يعوضك وأظن انك مش هتقعد طول عمرك من

غير جواز.. وعمرك ما هتلاقي زي نرجس تصونك

وتحفظك"

"يا بابا أنا ماقولتش شيء عليها بس انا مبضكرش

بالموضوع ده دلوقتي خالص وكمان كده كاني بدّيهم

مصطفى ما هو لو اتجوزتها هياخدوه بسهولة"

"انت عارف ايه ال قالوه عليها عشان يرفعوا الدعوة؟! قالوا

ان سمعتها مش كويستة وعارف مين ال قالوا انها معاه؟!

قالوا عليك يا دكتور تقدر تقولي هتعمل ايه؟ والقاضي

هيصدق ازاي؟"

جحظت عيناه من الصدمة للحظات قبل ان يقول:

"بس انا مكنتش هنا اصلا وكمان... الجواز مش حل يا

بابا.. انا هشوف المحامي بس ال صاحبي قالي عنه وان شاء

الله يلاقي لنا حل"

أوما عبد التواب بعدم اقتناع بفكرة المحامي ولكنه

صمت حتى يرى إلى أين ستؤول الأمور .

"نرجس جاهزة يا بنتي؟"

نادتها جدتها لتخرج من الغرفة ووجهها لا يفسر ولكن

عينها قصة اخرى، يبدو أنها كانت تبكي.. شعرت

بالألم لأجلها ليت بيدها شيء كانت فعلته من أجلها ..

لا تفهم لم حظها سيء هكذا؟! ألم يحن الوقت لترتاح

بحياتها وتستقر؟!

زفرت بقوة وهي تقترب منها قائلة: "نرجس يا بنتي خلي

عندك يقين بالله، ادعي ربنا وهو وحده اللي قادر

يخلصك من الناس دي ويحفظلك ابنك"

رمقتها نرجس بحزنت وهي تقول بحرقته: "يا اارب"
 وارتمت بحضن جدتها وهي تنفجر باكيتة.. لم تعد
 تستطيع التظاهر بالقوة، عندما يصل الأمر لطفلها وقرّة
 عينها مشاعرها تتمرّد عليها وتجبرها على الإذعان للضعف
 الموجود بداخلها ..

عندما يصل الأمر لعودتها لذاك النذل بعد أن جرّبت
 الحياة النظيفة بعيدا عنه، بعد أن شعرت بأدميتها وأنها
 تستحق حياة أفضل لم تعد تستطيع ادّعاء القوة أو حتى
 اللامبالاة.

ربتت على كتفها تهديّ من روع وقلبها ينعصر عليها ألما
 لتبتعد عنها نرجس وهي تمسح وجهها وتغادر وهي توصيها
 بابنها .

وصلوا لمكان المكتب ليستقبلهم جلال المحامي الذي
رشحه له صديقه ومدحه له ودلفوا إلى المكتب وكان

يرافق نرجس الحاج عبد التواب وعاصم ..

"أفضل يا حاج... اخدمكم بايه؟"

قالها جلال بترحاب فقد أوصاه رفيق قديم له بهم خيرا

ليجيبه عاصم بالتفاصيل التابعة للقضية دون التطرق

لأمر الكلام الذي اتخذوه لتشويه سمعتها..

ترمقها بفضول مخني ممتزج بعطف على حالتها فوجهها

يحكي معاناة ومأساة تتعرض لها كل أنثى مطلقة

بالمجتمع وليس لها سند، شعور غريب داخلها يحسها على

الاقتراب منها وضمها بقوة وإخبارها أنها بجانبها حتى ولو

لم تعرفها، وربما لهذا طلب منها جلال أن تكون معهم..

من أجل تلك المرأة التي رأت الكثير من أشباه الرجال

"كون أنهم يرفعوا قضية حضانتة والطفل بسن حضانتك

انتي ده معانه حاجة واحدة بس انهم واثقين انهم

هيكسبوا القضية يا ترى عندك سبب لده يا ست

نرجس؟"

توجه جلال بالسؤال لنرجس التي شعرت بغصّة منعته من

التحدث ليبارد عبد التواب بالإجابة: "ادّعوا عليها زور انها

مشيها مش كويس يا بني وربنا يشهد عليا ليوم الدين ان

زي نرجس بنتي مفيش، انا من يوم ما عرفتها وانا باعتبارها

بنتي اللي ربنا رزقني بيها بعد العمر ده كله"

ابتسم جلال بدبلوماسية وهو يقول: "سيماهم على

وجوههم يا حاج، انا كنت شاكك انهم هيعملوا كده

بس للأسف لو جابوا شهود زور وده ال اكيد هيعملوه لازم

نكون احنا عاملين حسابنا"

أوراق الياسمين

"ولو كانت متجوزة ده هياثر؟"

قالها عبد التواب بغموض وشعر أن جلال فهم مغزى السؤال

لأن شبه ابتسامته ارتسمت على شفتيه قبل أن يقول:

"أكيد ده هيساعد على نفي السبب ال هم قالوه"

هم عاصم بالحديث ليلتفت إليه عبد التواب بنفس

اللحظة قائلاً: "يبقى تتجوزا النهاردة"

تجمدا سويًا ينظران لبعضهما ثم ينظران لعبد التواب

بصدمة وكانت صدمة نرجس أكبر من صدمته ولكن

ما صدمه حقا هو حديث والده أمام المحامي وخطيبته

الجالسة بجوار نرجس .

كاد ينفجر ضاحكا وهو يفكر أن هذا العجوز ليس هيئا

على الإطلاق فهو يضرب عصفورين بحجر واحد كما

يقول المثل ولكن يبدو أن هذا الحل لا بد منه كما لا بد

أن يبحث أكثر بالأمر فيبدو أن هناك مخرج آخر ولكنه

يحتاج لتحرّي الأمر فقط .

"نرجس استني عايز اتكلم معاكي شوية"

قالها عبد التواب ما إن وصلوا للمنزل لتتبعه نرجس بصمت

لشقتة ويقف عاصم حائرا هل يدخل أم يتركهما

بمضردهما؟!

أنقذه من حيرته إسلام الذي نزل سريعا ما إن علم

بعودتهم: "ايه الاخبار يا عاصم؟"

رمقه عاصم بإرهاق قائلا: "عمك مش ناوي يجيبها لبر أبدا

يا إسلام"

عقد حاجبيه بعد فهم قائلا: "مش فاهم حاجتة!

"تعالى نازل الجنينة تحت وانا افهمك" .

"اقعدي يا نرجس"

قال عبد التواب لتجلس بهدوء وهي مازالت تحت تأثير

الصدمة!

"انتي عندك شك يابنتي اني مابحبكيش؟! او اني

ممکن اقلل منك؟"

رفعت بصرها إليه نافية بقوة ما يقول: "لا طبعا يا حاج انا

عارفة ان حضرتك عمرک ما تقلل مني وعارفة انک

بتحبني وانا من وقت ما عرفتك اعتبرتك ابويا وربنا

ال عالم"

ابتسم براحة وهو يقول: "يبقى تسمعي كلامي وتجاوزي

عاصم ابني، هو بيان حقيقي حبتين تلاتة بس قلبه ابيض

وراجل وهيصونك والحقيقة من غير ما يكون فيه

قضية او حاجة انا ناوي اخطبك ليه من وقت ما عرفتك

عمري ما الاقي لابني زيك يا نرجس ولو نصيت الدنيا

كلها"

ارتبكت ولم تعرف بم ترد ليعضيها من الإحراج قائلا:

"السكوت علامة الرضا وال انتي هتراجعي ابوكي في

كلامه يا نرجس؟"

هزت رأسها بلا وهي تشعر بالخجل الشديد من الموقف

ممتزجا بالخوف مما هو آت .

بعد عدة أيام

كان قد تحقق من ذلك الرجل المدعو حلمي وعائلته

وعلم نقاط ضعفهم.. فهو قد عاد من الخارج دون أن يتغير

شيء بحياته بل ربما زاد فقرا وضياعا كما أن والدته

كما أخبره عاصم لا تريده أن يعود لطليقته بل لا تريد

أي صلة بها حتى أنها لا تعترف بحفيدها.. إذا الحل عند

أوراق الياسمين

والدته، لو أقنعتها ستحل الأمور جميعا.
 جلس ينتظر عاصم بعدما هاتفه وأخبره أنه وجد حلا
 للأمر ولكن لا يخبر أحدا حتى يحلوا الأمر حتى لا
 يمنحهم الأمل سدى.. وصل عاصم ومعه إسلام الذي عرفه
 انه ابن عمه ثم ذهبوا جميعا للحارة التي كانت تقطنها
 نرجس من قبل .

تجول بنظرة بالحارة وهو يفكر هل هنا كانت تعيش
 زوجته؟! هل هنا كانت لآخر؟!
 حنق شديد انتابه وهو يفكر بذلك ولا يفهم حقيقة
 شعوره ذاك!

لقد أخبر والده بعد عقد القران أنه لن يأخذها لشقته
 سوى بعد أن يحل أمر طليقتها وقضية الحضانة تلك، لن
 تكون زوجته حقا إلا بعد أن يطمئن قلبها على طفلها فهو

لن يستغل الأمر بتلك الطريقة أبدا.. ووافق والده وهو
 الأمر الذي تعجب له أيما تعجب ولكنه عزي الأمر إلى أنه
 يتركهما فترة حتى يعتادا فكرة الزواج من بعضهما.
 ترحلوا من السيارة ودخلوا إلى المنزل وحاول إسلام معه أن
 ينتظرهما بالسيارة لأنه يعلم أن عاصم لن يتحمل إذا أساء
 لزوجته أحد ولكنه لم يوافق وأصر على مرافقتهم.
 فتح باب المنزل المتهالك وظهرت سيدة ولكن من النظرة
 الأولى علموا أنها ليست والدة حلمي بل ربما زوجة شقيقه
 "انا جلال ال اتصلت بالحاجة من شوية وبلغتها اني عايزها
 في موضوع فيه خير ليها"
 قالها جلال بهدوء فأومأت السيدة له وهي تكتم ابتسامتها
 عندما قال (حاجة) لو سمعته حماتها ربما تطرده شر
 طردة..

"اتفضلوا مرات عمي مستنياكم"

قادتهم إلى غرفة متهاالكتة وجلسوا جميعا محاولين إخفاء

رد فعلهم على المنزل وعاصم يحاول أن يشعر بالتفاؤل من

حالتهم أنهم سيوافقون على المبلغ المالي كما أخبره

جلال..

"اهلا يا استاذ اتفضل"

قالتها أم حمدي بترحاب وهي تراهم تظهر عليها آثار

النعمة ويبدو أنهم من عليّة القوم والخير قادم كما

أخبرها المدعو جلال..

ابتسم لها جلال وهو يستخدم كل مهاراته بالإقناع قائلا:

"انا عرفت يا حاجتة ان ابنك حلمي رافع قضية على

طليقتة عايز الولد واللي فهمته انه عايزها هي كمان مع

الولد وعامل كل ده عشان ترجعله صح كلامي؟"

"صح يا بيه وانا ريتي نشف وانا اقوله هو احنا لاقيين
ناكل لما هتجيبنا اتنين يقاسمونا بلقمة عيشنا بس
راكب دماغه"

قالتها ام حمدي بنزق قبل ان تتابع بحيرة: "بس يا بيه ده
'دخله ايه بالموضوع اللي جاي بيه؟"

"بصي يا حاجة القضية بتاع ابنك خسرانة خسرانة ..
اولا لانه اتهمها بشرفها وهي ست متجوزة وجوزها مش اي
حد ده واحد مقتدر ويقدر يودي ابنك ورا الشمس

ومحدث يعرفه طريق تاني، ثانيا لانه سابها زمان من غير
كلمة واحدة وطفش وطلقها غيابي كمان ولا سأل عنها
وعندها شهود بعدد شعر راسه على كده، وثالثا بقى لانه
عاطل ولا شغلانة ولا اي حاجة ومعروف في الحتة كلها
انه عاطل يعني تحريات بسيطة هيتعرف كل حاجة عنه

وكل ده مش هيديله حضانتة الطفل خالص"
 انتهى جلال من سرد الاسباب ثم صمت وهو يترقب رد فعلها
 ولم تخيب ظنه فأسرعت بالقول: "والعمل يا بيه دبّرني؟ وانا
 من ايدك دي لايدك دي، انا لا عايزة الواد ولا عايزة

امه"

لمعت عيناه بالنصر ولكنه لم يظهر على ملامحه الهادئة
 وهو يقول: "يبقى عملي ال هقولك عليه".

دلف إلى الشقة خلفها ببطء مرتبك وكأنه مراهق يجتمع
 بامرأة لأول مرة لا رجل سبق له الزواج والطلاق.. ابتلع
 ريقه ببطء وهو يراها تقف تتلفت حولها لا تعلم ماذا
 تفعل أو تقول وبالتالي عليه هو أن يتحدث، أن يقول أي
 شيء بدلا من وقوفه هكذا كفتى ساذج بليته الأولى

"اتفضلي خدي راحتك"

قالها عاصم ثم ما لبث أن أدرك ما قاله فوبخ نفسه ثم

تابع وهو يقترب منها: "بصي يا ن.. نرجس.. يمكن جوزانا

جه بسرعة ومكناش مستعدين له و..."

قاطعته تعضيه من الحرج: "انا فاهمة كويس احنا اتجوزنا

ليه وصدقني انا مكنتش عايزة أورطك معايا في أي

حاجة لأنك مالكش ذنب تتجوز واحدة مطلقة وعندها

طفل كمان بس الظروف ايلي حكمت عليا وانا مقدرتش

اقف قدامها كالعادة"

خضت صوتها بأخر كلمة فألمه قلبه عليها ولا يعلم ماذا

يفعل من أجلها! هي أنثى ظلمتها الظروف وظلمها المجتمع

وهو ما محله من الإعراب!

قاطعته طرقات على باب الشقة فنظر له بارتباك قائلا:

أوراق الياسمين

"ادخلي جوّه غيري هدمك وانا هشوف مين"

فتح باب الشقة فوجد إسلام واقفا امامه وبيده صينية
عليها طعام مغطى فنظر له بتساؤل وقبل أن ينطق إسلام
كانت نسرین تظهر من خلفه قائلا: "ده عشا العرسان هو
اكيد مش هيبقى حلوزي اكل مراتك بس على ادّي

بقي"

ابتسم لها بارتباك وهو يسمعها تقول (مراته) ليشعر

بإحساس غريب كبحة بقوة وهو يرد عليها:

"تسلم ايديكي مكنش له لازمته التعب"

"لا ازاي ده لازم مش كفايتة مضيش فرح كمان مش

هيبقى فيه عشا، المهم ياريت تخليها تاكل حاجتة

يا عاصم لآحسن بقالها يومين ماكلتش حاجتة"

أوما برأسه فاستدارت هي مغادرة وتبعها إسلام بعد أن سلمه

الصينية هامسا له بمشاكسة:

"كل كويس وارفع راسنا يا وحش"

كاد يقذفه بالصينية ولكنه هرب ضاحكا وهو يغمزه

بعث فضحك رغما عنه وهو يدخل ويغلق الباب خلفه .

الفصل السابع عشر

راقبها تغادر بهدوء لا ينم عن حالتها بعد كل ما حدث
فغادر خلفها مصطحبا شقيقته وهو يلمح شقيقها الصغير
يحاول اللحاق بها ولكن والده منعه وأغلق الباب فحرّك
رأسه حزنا على حاله.. ذلك الرجل غريب حقا ألا يثق

بتربيته لابنته ويثق بحديث ذلك النذل؟!

ووالدتها ألا تنتابها مشاعر الأمومة التي تجعلها تحن على

ابنتها؟! ألا تمتلك حدسا أنثويا يجعلها تعلم أن ذلك

النذل كاذب؟! إن كان بإمكانه أن يمنح والدها العذر

فلا يستطيع أن يفعل المثل مع والدتها أبدا.

كانت تسير ببطء لا تعلم إلى أين تذهب؟!

هل تعود لدبي وتبتعد عن مصر بأكملها وتعمل حتى

تستطيع أن تنطق على نفسها وطفلها؟!
 أم تظل هنا على عائلتها تحن عليها وعلى طفلها يوما ما
 على الرغم أنها تعلم جيدا أن ذلك لن يحدث أبدا..
 طفلها الذي لا تريده وتشعر أنها تكرهه كثيرا فهو
 الرابط بينها وبين طليقها الحقيير، طفل لم ترده يوما ولا
 تطيق حتى نبضاته التي تنبض بداخلها فكلما يكبر
 بداخلها كلما زاد الرابط بينها وبين أسعد وهي لا تريد أن
 يكون هناك أي رابط بذلك الشخص أبدا .

"لبنى!"

نداء مصدوم باسمها جعلها تتوقف وتلتفت لتجده عمها

والد أسعد!

سار إليها ينظر لها بصدمته سرعان ما تحولت لبهجة وهو
 يضمها له قائلا: "لبنى يا بنتي عاملت إيه؟! ورايحت فين؟!
 ده انا كنت جاي أسأل ابوكي عليكى و..."

قاطعته بحزن وهي تحاول تمالك نفسها.. كرهت أن
يكون هذا الحزن لوالدها أو والدتها ولكن لا تتحقق
كل الأمنيات..

"ياريت ما تسألوش يا عمي، أنا خلاص معدش ليا أب أو أم..

أنا بقيت لبني بس، مش عايزة أي صلة بيهم ثاني..

كفايت انهم صدقوا كلامه وصدقوا اني اعمل كده ولا

كانهم مايعرفونيش أبدا ولا ربوني"

أغمض عينيه بحزن على حال الفتاة التي ظلمها بزيجتها

من ابنه الحقيير.. أجل يعلم أنه حقيير ويعلم أن طباعه مثل

عمه أي شقيقه والد لبني وربما يتفقان من أجل ذلك..

ليته لم يخطبها لابنه، ليته رفض ولكن للأسف كان

رأيه تحصيل حاصل فقد كان أسعد قد اتفق بالفعل مع

والدها ولم يتبق سوى ذهابهم فقط كإجراء شكلي"

نظر لها بعجز.. كم أراد أن يأخذها معه ويعتني بها
 وحفيده الذي تبرأ منه ابنه الحقير واتهمها بالإثم!
 ولكنه يعلم أنه أكثر ضعفاً من أن يقف أمام شقيقه
 الأكبر كما أن زوجته لن تتركها أبداً.. إذا كانت لم
 تتركها من قبل هل ستتركها حالياً بعد كل ما حدث؟!
 وفجأة لمعت بعقله فكرة ووضعها محل التنفيذ على الفور
 فهتف بها:

"تعالى معايا يا لبنى، هودىكى لحد هيحافظ عليكى
 بعنيه وانا كمان هكون قريب منك وأقدر اراعيكى
 يا بنتى واطمنى محدش هيعرف أبدا حاجة عنك"
 نظرت له بحب عمها الحنون.. هو فقط من جعلها تشعر أنها
 مازالت طاهرة وعفيفة.. أن لها أهل وعزوة حتى لو كان
 شخص واحد فقط ولكن يكفيها أن يظل بجانبها..

"بس انا مش عايزة اعملك مشاكل يا عمي و..."
 قاطعة بصرامتها: "اوعي تقولي كده يا لبنى.. انتي بنتي
 ونور عيني وطول مانا عايش مش عايزك تحملي هم
 أبدا.. هشيلك جوّه عنيا"
 شعرت بالدموع تظفر من عينيها فعادت إلى حضنه مرة
 أخرى وهي تقول: "ربنا مايحرمني منك يا عمي"
 ربت على كتفها وهو يداري دمعته التي كانت على
 وشك الإفلات ثم انتبه إلى كاسب ونادين اللذين وقفا
 بجوارهما دون أن يقولوا شيئاً فنظر لهما بتساؤل لتجيبه
 لبني على سؤاله غير المنطوق:
 "دي نادين صاحبتني يا عمي والاستاذ كاسب أخوها هم
 اللي وقفوا جنبي طول الفترة اللي فاتت لحد ما صحتي
 اتحسننت وجه معايا هنا كمان.. وقفتهم معايا أحسن من

الأهل"

"أهلا بيكم يا بني، نردها لكم ف الافراح ان شاء الله..

اتفضلوا معانا على البيت"

شعر كاسب بالاختناق هل سيذهب لمنزل ذلك النذل؟!

هل سيتركها من الأساس تذهب له؟!

أجل لقد شعر بالسعادة لأن عمها شخص عاقل ولم يفعل

مثل والدها ولكنه مازال يشعر بالقلق مما سيحدث لها ..

يشعر أنه لا يستطيع تركها بمفردها أبدا ولا يعلم ماذا

عليه أن يفعل؟!

"تسلم سيدي حسن معملناش إلا الواجب و..."

كاد يعتذر ولكن عمها حسن لم يترك له الفرصة أبدا

وقادهما إلى سيارته القريبة وهو يقول: "لا والله أبدا لازم

تشرفونا في البيت امال يا بني ده كفاية وقفتكم مع

لبنى بنتي ده إن ماشالتكوش الارض اشيلكم جوه عنيا"

ابتسم كاسب وهو يومئ برأسه وسار معه وهو يتمتم
بكلمات الشكر حتى وصلوا إلى مبتغاهم فترجلوا من
السيارة وهم ينظرون حولهم بتساؤل خاصة لبني التي لم
تفهم إلى أين يأخذها عمها؟!

أبعد الهاتف عن أذنه وهو يزفر بحنق، يعلم أن عاصم له
كل الحق بلومه على سفره دون أن يمره ولكن ماذا
يخبره؟!

هل يخبره أنه لم يستطع أن يظل بالبلد بعد أن تركها
لدى عمها؟! حسنا هو قد اطمأن عليها نسبيا ولكن
ينتابه القلق أيضا بشأنها و.... وبعض المشاعر الأخرى
التي تحتاج لتفسير.

"انت يابني انت سايبني أكله نفسي وروحت فين؟"
 قالها عاصم بحدة ممزوجة بالمزاح ليحييه كاسب؛
 "خياً عاصم انا هونا، بعرفش افسرلك.. الموضوع وراه
 سبب خطير (قوي)"
 "كاسب انت حبيتها؟"

جاء سؤال عاصم ليضربه بمقتل دون أن يستطيع إجابته!
 هل يحبها؟! لا يعلم.. بل ربما يعلم ولكنه أثر الابتعاد
 عنها عله يستطيع تحديد مشاعره تجاهها هل هي عطف
 وشفقة على حالها أم حب؟!!

ولكنه حتى الآن لا يفهم مشاعره جيداً!
 قلق بشأنها ولكنه يريد أن يمنحها المساحة لتستعيد
 نفسها، تستعيد تلك الفتاة التي شعر أنها موجودة
 بداخلها وبحاجة إليه فقط حتى تظهر من جديد..

"ما تردش، وصلني جوابك يا كاسب.. بس انت مش شايف
 انك متسرع؟! واحدة ماتعرفش عنها حاجة، وظروفها
 كمان مش مساعدة انك تقرب منها.. ياريت يا كاسب
 تراجع نفسك ومشاعرك وهل مشاعرك لها حب فعلا
 وال مجرد تعاطف معاها ومع ظروفها، وال احساسك
 بالذنب رجعلك فعائز تعوضها عن اللي حصلها بما انك
 معرفتش تعوض نادين عن اللي حصل معاها؟! فكر
 كويس يا كاسب وبلاش تتسرع.. هي مش حمل كسر
 جديد ولو مشاعرك مش حقيقية هي اللي هتنجرح
 وتتأذى.. سلام يا صاحبي".

أغلق الخط دون أن ينتظر رد كاسب فجعل هذا الأخير
 يحدق للحظات بالهاتف قبل أن يضعه جانبا وهو يفكر
 هل كلامه صحيح أم لا؟!

هل حقا كل ما يجيش بداخله فقط عطف واحساسه

أوراق الياسمين

القديم بالذنب؟!

صدق صوت بداخله يقول: (قديم كاسب؟! هل تصدق ما

تقوله؟! الذنب بداخلك لم يبرأ قط بل أنت حتى تدعم

شقيقتك بكل شيء حتى لو كان خاطئاً فقط

(لإحساسك العميق بالذنب)

أغمض عيني به بقوة يحاول تلاشي التفكير بما حدث

قديمًا دون جدوى ليجد نفسه يشرد رغماً عنه بنادين وما

حدث معها منذ ثلاث سنوات.

منذ عادت وتركت لبني بعهدة عمّها وهي تشعر ببعض

السلام رغم شعورها بالقلق عليها ولكن حنو عمها

ذكرها بحنو عائلتها عليها وخاصة شقيقتها كاسب..

تعلم أنه يشعر بالذنب لأنه لم يكن بجانبها بتلك

الفترة على الرغم أنه كان يدرس بالخارج ولم يعلم

أوراق الياسمين

ظروف زواجها من ذلك الحقير نبيل إلا أنه يُحْمَلُ نفسه
الذنب ومهما حاولت هي أن تجعله ينسى لا ينسى أبدا..
أغمضت عينيها ورعدة خفيفة تمر بجسدها تتذكر كم
الإهانات التي لاقتها من ذلك ال نبيل الذي لا يليق به
اسمه أبدا، تتذكر كم عانت معه وكم حمل جسده
آثار عدوانه عليها والكسور التي لم تلتئم جيدا بسبب
الإهمال الطبي والتي جعلتها حتى اليوم تعاني من عرج
طفيف لا يلاحظه سوى من يركّز معها وبخطواتها.

لا تعلم لم تذكرت فجأة ذلك الرجل الذي يطاردها منذ
فترة بكل مكان حتى ذلك الحفل الذي تعرّفت فيه
على لبني كانت تهرب منه فذهبت إليها تحادثها.. نظراته
بها شيء يقتحم حصونها التي بنتها منذ تطلقت من ذلك
الحقير نبيل.. هي حتى لا تعلم اسمه بل هي لم ترد أن

تعلم حتى لا تمنحه أي فرصة للتقرب منها أكثر.
هي لم تعد تريد الزواج هي فقط تركّز على عمها
وتقدمها به ولا تريد شيئاً آخر.. انتفضت على رنين الهاتف
فالتقطته لتجده رقم غريب ففتحت الخط ليصلها صوته
الذي يتغافل لأعماقها دون أدنى إرادة منها قائلاً:
"تسكريش جوالك والا بتلاقيني ببوزك نادين، والله
والله وقتها ولا ألف حيطة وباب هيقدروا يبعدوني عنك"
تجمدت مكانها للحظات قبل أن تنطلق شهقة من أعماقها
وهي تتعرف على الصوت.. يا إلهي ماذا يريد مني؟!
"ايش بدك؟ وأصلاً منّاك (من أين) رقم خطي؟"
"لو بدي أجيبك لنص دياركم كنت وصلت، انا بس رايد
أشوفك ومتجربيش تتقاوحي وتتهربي لأن وقتها ليكون
بوزي ببوزك وتلاقيني بخلفتك بنص غرفتك اللي
قاعدة فيها الحين من بعد ما رجعتي من مصر"

ظلت جامدة للحظات قبل أن تقول: " إيش بدك مني؟! أنا
بعرّفش اسمك ورايد مني أشوفك؟! كيف بتفكر
أصلاً؟"

همس بصوت أجش: " نزار، اسمي نزار، إيش موافقتا
تشوفيني الحين؟"

لم تملك إلا أن تغلق الخط بوجهه ثم أغلقت الهاتف
كلياً قبل أن تذهب لكاسب عليها تتخلص من الرجفة
التي عصفت بكيانها .

كلما تذكركم عانت شقيقته من ذلك النذل وهو لم
يكن معها، بل لم يكن معها أي أحد على الإطلاق فقد
منعها من الاتصال بعائلتها ولم يعلموا شيئاً عنها سوى بعد
أن تمكنت من الاتصال بهم عن طريق الجيران وإخبارهم

بمكانها وانتظراها لهم حتى ينقذونها منه..
 لقد أخفى والدهما عنه ما حدث حتى عاد من الخارج
 ووقتها فقط علم كل شيء.. لقد ظننا تتمتع بشهر عسل
 كما أخبرهم ذلك الوغد ولكنه علم بعد ذلك أن
 كل ذلك كان حجة فقط حتى يأخذها بعيدا عنهم
 ويؤذيها كيفما شاء دون أن يجد من يردعه.
 "كاسب!! إيش بتعمل هونا؟! بدّي أهجّ من هونا، خلىنا
 نغربها برا البيت لأن ملأنا من القعود"
 انتفض كاسب عائدا من ذكرياته على صوت شقيقته
 ليرد عليها بحنو: "ووين بدها أميرتي نروح؟"

عاد من صلاة الجمعة فوجدها بانتظاره، ابتسم وجلس
 على الأريكة: "هاتي موبايلك وتعالى"
 التقطت هاتفها من فوق الطاولة وعادت إليه، جلست

بجانبه وأعطته إياه وانتظرت..

بحث عن اسم "أم مصطفى" حتى وجده.. اتصل بها وأعطى

الهاتف لزهرة..

بتلعه ورهبت تحدثت: "ألو، سلام عليكم، أم مصطفى؟"

أجابتها نرجس بتعجب: "وعليكم السلام، أيوه أنا، مين

معايا؟"

انضجت أسارير زهرة قليلاً: "أنا زهرة اللي شغالت ف حضانت

مصطفى.. هو عامل إيه؟ بقاله يومين مش بييجي، قلقت

عليه"

أجابتها نرجس بإحراج: "الحمد لله يا حبيبتي كويس..

حصلت عندنا ظروف اليومين اللي فاتوا فمعرفة أجيبه

الحضانت"

"المهم إنه بخير واتطمنت عليه ي..."

قطعت جملتها وهي تسمع صخباً على الجهة الأخرى،

وصوت دخل فجأة في أذنها لامرأة تهتف كأنها تتحدث

أوراق الياسمين

سرًا لكن بصوت وصل لزهرة واضحًا...

"صباحية مباركة يا عروسة"

عروسة!

قطبت زهرة حاجبها من هذه المداخلة الغريبة، بينما

نرجس نظرت لنسرين وهي تكاد تقتلها مشيرة للهاتف

كي تفهم وتصمت، ثم حاولت إنهاء المحادثة بإحراج

شديد: "تسلمي يا زهرة على سؤالك، إن شاء الله هجيب

مصطفى قريب الحضانت، يومين كده ولا حاجة"

"إن شاء الله"

"مش عايزة حاجة يا حبيبتي؟"

"شكرا يا ام مصطفى، مع السلامة"

"مع السلامة"

أغلقت الهاتف وتنهدت براحة..

"ها، طلع كان غايب ليه؟"

ابتسمت وهي تجيبه: "عندهم ظروف ف البيت، المهم إنه

طلع كويس الحمد لله كنت قلقانة عليه أوي"
ظلّ يتطلع إليها وإلى ابتسامتها وراحتها من بعد تلك
المكالمة.. كم تحب الأطفال! هذا ما اكتشفه مؤخرًا،

!وبدلاً من أن يُفرحه أحزنه!

ماذا لو علمت أن حملها نسبة حدوثه ضئيلة وتحتاج أولاً
إلى علاج مكثف ومتابعة دورية مع طبيب! منذ حادثة

إجهاضها وقد أخبره الطبيب بتلك الأمور، لكنه لم

يقدر أن يفجعها بالخبر في وقتها.. والآن وبعد أن تعلق

بالأطفال، هل ما فعله كان صحيحاً حين وجد لها عملاً

بحضانة للأطفال؟!

"زهرة؟"

رفعت بصرها إليه: "نعم"

جاء صوته محايداً: "بتحبي الأطفال؟"

لمعت عيناها وأظهرت ابتسامتها أسنانها الصغيرة

المتراصة: "بحبهم أوي، بحب الأعبهه واخدهم ف حضني،
بحب ريحتهم وبرائتهم، ولما يعيطوا افضل معاها لحد ما
يناموا، وبعدين اتفرج عليهم... شكلهم بيأى حلو أوي"
لمعت عينها أكثر مع آخر جملة، وربما تهيأ له أنها
كانت على شفا حفرة من البكاء لكنها منعت نفسها
وتنهدت بصوت عال.. وسألته بعدها بما عجز أمامه عن
الإجابة: "هو أنا مش هينفع احمل تاني يا باشمهندس؟"
اعتدل في جلسته وهو يبحث عن أهون رد من الممكن أن
يقوله، إلى أن قال: "ينفع طبعا يا زهرة، بس الأول لازم
نشوف دكتور كويس عشان اللي حصل قبل كده ساب
شوية مشاكل كده.. لو عايزة نشوف دكتور من بكرة
وتبدئي علاجك أنا معنديش مانع، اطلبي انتي بس"
نظرت له دون أن تجيب، ثم أخفضت بصرها وأومات ب لا،
فتهد وقال بما يشوبه الحزن: "براحتك يا زهرة، ووقت ما

تحيي تروحي قوليلي بس"

"حاضر يا باشمهندس"

أغمض عينيه، ثم ردّ وقد فاض به: "يا هشام..."

هشام يا زهرة"

نظرت له وهزت رأسها لليمين واليسار أن "لا"، فابتسم وأوماً

رأسه: "هشام... بس... انتي مراتي يا زهرة مش زميلت

ف الشغل!"

ترددت، وفتحت فمها ثم أغلقته مرة أخرى، إلى أن همست

بتلعثم وخجل: "حاضر يا هشام"

اتسعت ابتسامته ولم تلبث هي أن قامت تقول: "أنا هروح

انام، تصبح على خير"

وذهبت من أمامه، وهو ظل يستعيد نطق "هشام" في

مسامعه كشاب مراهق لأول مرة يخوض تجربة حب

وليس كرجل في الثالثة والعشرين!

كانت تحاول التركيز فيما بين يديها من أوراق لكن
صوت الضحكات القادم من غرفته القريبة منهم شتت
كل محاولاتها.. وعندما وجدت عم خميس يحمل
فنجانين من القهوة استوقفته: "عم خميس، القهوة دي

رايحة فين؟"

ليجيبها: "عند الأستاذ جلال"

لتسأله ما يدور ببالتها: "هما مطولين ولا ايه؟"

"معرفش والله يا أستاذة"

وعندما لم يجد منها رداً سوى التحديق في نقطة لا يعرف

مقرها أثر الرحيل من أمامها، وهي بدأت في وضع بضع

أوراق فوق بعضها داخل ملف، ثم رفعت مرآة صغيرة

تحتفظ بها في درج مكتبها، تأكدت من هيئتها وحملت

الملف متجهة في نفس طريق فنجاني القهوة.

نفس عميق، زفير من الضم، ثم طرفتين على الباب تبعهما

دخول وابتسامة حلوة.

"مساء الخير، معلى هعطلكو شوية"

اقتربت من المكتب وقد تباينت النظرات لها، العميلة

صاحبة قضية الخلع تنظر لها ببرود ولا مبالاة بينما

تمسك بسيجارتها الرفيعة بين أصابعها، وجلال لمعت

عيناه للحظة ثم انطفت.

وقضت بجانبه لتميل وتضع الملف أمامه، وبصوت مهذب

طلبت منه: "حبيبي ممكن تبص ع الملف ده"

حبيبي!!

قطب حاجبيه وكرر الكلمة بصوت هامس لم يسمعه

سواها، ثم رفع بصره إليها وكاد أن يسألها إذا أصابها

مكروه أو ربما قد أصيبت بحمى جعلتها تهلوس!

لكنه بدلاً من ذلك وجدها تنظر شذراً لماريهان بينما

أوراق الياسمين

الأخيرة تدخن سيجارتها وتنظر له!
 أخفض بصره للملف وابتسم، ثم تفحصه سريعاً وأغلقه
 قائلاً بعمليّة: "سيبيه يا كاميليا ونص ساعة كده وتعالى
 نتناقش فيه"
 تنحنحت وتظاهرت بالبرود، ثم أومأت برأسها واتجهت نحو
 باب الغرفة والغیظ يتآكلها.

نصف ساعة مرت، وبعدها ربع ساعة أخرى، والضيقة
 الأنيفة لم تظهر بعد.. ثرى ماذا تفعل أو تقول كل هذا
 الوقت؟ فقط تريد أن تفهم! أليست قضية خلع كباقي
 قضايا العالم التي تُحل في دقيقتين؟
 تأفقت، وعبثت قليلاً في بعض محتويات سطح مكتبها،
 اهدئي يا كاميليا، ما بك؟
 وفُتح الباب لتسمع طرقات الحذاء ذو الكعب الرفيع على

الأرض، انتظرت لدقائق حتى رأتها تذهب فنهضت
 وخرجت من الغرفة لتجده أمامها والتعب ظاهر على وجهه،
 ورغم ذلك يبتسم لها كما لم يفعل منذ شهرين!
 "تعالى يا كاميليا"
 لم نبرة صوته مع هذه الجملة جعلها يتورد؟
 دلفت لغرفة مكتبه وهو وراءها بعد أن أغلق الباب،
 لتجلس على الكرسي، وبدلاً من أن يجلس في مكانه
 اختار يد مقعدها كمجلس له.
 تنهد بتعب وراح يحلّ رابطة عنقه وأول زرين من قميصه:
 "البتاعة دي خنقة أوي"
 كان هو يتكلم عن رابطة العنق، بينما هي أجابت همسا
 بـ"نعم" على من ذهبت منذ لحظات.
 أمال رقبته يمينا ويسارا في محاولة للتخلص من آلامها، ثم
 ابتسم وهو يدلّك جبهته بأصابعه: "كاميليا.."

هممت ب نعم، فسألها بعث: "انتي تعبانة ولا حاجة؟"
 ولم يلبث أن رفع يده ووضعها على جبهتها لثوان، ثم
 وجنتيها، ومن ثم رقبتها، وأطال هناك قليلا وهي لا تفهم
 ماذا يفعل!

وبصوت خافت قال بينما تشعر بتسارع أنفاسه التي
 تصطدم بوجهها: "أ مش سخنة"
 لو كان يظن أن حركة عابرة كتلك سيتمالك نفسه
 من بعدها- إذن فهو حالم! لقد مر شهران.. شهران من البعد
 والتباعد والبرود! واليوم بكلمة واحدة أشعلت عود ثقاب
 في جبل من الجليد، فأخذ يذوب، ويذوب، حتى اختفى
 وأشرق ما تحته من جديد.

إبهامه كان يتحسس خفقات النابض في عنقها، بعدما
 مال قليلا واقترب منها: "وانتي بتديني الملف، قولتي

إيه؟"

دارت ببصرها في جميع أنحاء الغرفة، تفتعل تذكر شيء

هو بالفعل محفور في ذاكرتها..

"مش فاكرة.. بس اكيد قولتلك بص عليه أو راجعه،

كده يعني"

كاذبة، وفي عينيها يقبع الشاهد على إدانتها!

شعر بالغيرة تقطر من صوتها وهي تسأله: "هي المدام دي

قضيتها مستعصية للدرجة؟"

ضحك، وحرك رأسه بياس منها، ثم اقترب وقبل جبهتها

باشتياق روى جذور الأنثى المتقلبة بداخلها.. لو فقط

تعترفي أمام نفسك وأمامه بما تُكنيه له!

لم يكتف، وبداخلها كانت تتمنى ألا يكتف

كان مشتاقاً بحق، فلم تكفيه قبلات خفيفة على

الوجنتين، بل زاد عن هذا الحد.. وجه قبلته لشفيتها،

يقتطف وردهما المتناثر، ويترك جزءاً من روحه

أوراق الياسمين

عندهما، من حبه، من شوقه، من ثقته، ومن انتظاره أن

تنطقا يوماً بحبه!

وهي، لم تتفاجأ حينما تقبلت مشاعره دون اعتراض، ولم

تتفاجأ حينما اكتشفت إلى أي مدى زاد إشراق دواخلها

بعودة اهتمامه، وعودة قربه.. ذاك القرب الذي طالما

بعدت عنه، نظرت، وخافت منه! لتجد الآن، أنها كانت

بحاجة ماسة إليه!

لكن ما أبعدها الآن عن حيز يديه هو خجل أنثوي فطري

أمام رجولته وجراته، وهو لم يعترض حينما نظر لوجهها

فراى عليه أمنية أن تختفي في هذه اللحظة من أمامه،

فرحمها وضم رأسها إليه متمتما باستمتاع وعبث:

"ربنا يهديكي كده دايمًا يا بنتي عشان أنا تعبت

منك خلاص"

حاولت الابتعاد وهي تعترض بهمس: "بس يا جلال.."
 أعادها إليه مرة أخرى: "أخربي يا حبيبتي وحاولي
 تسمعي صوت الصمت دلوقتي، لأن كل ما بتفتحي
 بوئك بتبوظي الدنيا"
 تأففت، وابتسم هو، وكم يتمنى أن يكون ما حدث
 بينهما قد تقدم به لبضع خطوات تجاه قلبها..

كم يتمنى!

الصدمة.. والغضب

شعوران مجتمعان، أحياناً ما تخفف الصدمة من الغضب،
 وأحياناً ما تزيد من اشتعاله، تضع مزيداً من الوقود عليه،
 وتقف بعيداً تشاهد الحبيب يتعرف على حبيبه من
 الصفر.. كأنه ما كان يعرفه من قبل، كأنه لم يعيش

أوراق الياسمين

معه، لم يأت منه، لم يثق به.. كل ذلك في لحظة
 يتساقط أرضاً كأوراق الشجر في فصل الخريف، تذبل
 كل لحظة فرح وحب، ليوضع بدلاً منها لحظات
 مستقبلية من الغضب، وربما الشرع في القتل!
 وهنا لا حكم للقلب.. ولا حكم أيضاً للعقل!
 ساقته خطواته سريعاً إلى البيت وعقله طوال الطريق لم
 يتوقف لحظة عن التفكير فيما شاهده منذ دقائق، يضع
 الاحتمالات والتبريرات، يأتي بباله ما يدينها وما يبرئها،
 لكن أي براءة تلك التي يحاول بقايا حبه توضيحها؟
 لقد رآها بعينه!
 لم يحك له أحدهم فكان من الممكن أن يكذبه، بل
 عيناه هما من رأتها! فأي براءة وأي إدانة بعد ما رأى!
 سوسن!
 حبه الصامت لسنوات، وفرحة القرب بعدها التي توجت

بالزواج.. أكل ذلك كان وهماً؟!

فتح الباب وهو يتمنى في هذه اللحظة ألا يراها، ليجدها

بالداخل ملقاة على الأرض.

اقترب منها ينظر إليها بقلق خرج منه كرد فعل تلقائي،

وعندما لم يجد منها أي استجابة حملها متجهاً لأقرب

مستوصف في منطقتهم.

حامل!

لو كان في ظروف أخرى لكان أسعد خبر يسمعه في

حياته، لكن أن تكون حاملاً في شهر واحد، أي وهو

مسافر وغير موجود بالمرّة!

فمن أين لها هذا الجنين؟!

عندما أفاقت ورائته كادت أن تهرب لولا أن أحكم قبضته

عليها وهو يأمرها بعينيه ألا تهمس حتى!

أوراق الياسمين

وبعد أن علمت بحملها، فزعت كما لم تفعل من قبل، وهو كل هذا الوقت كان متمالكاً أعصابه لدرجة يحسد عليها.. إلى أن أنهى الطبيب عمله فشدّها بقوة من ذراعها حتى وقفت، وجرّها جراً للخارج ومنه إلى بيتهم. زج بها داخل المنزل ودخل مغلقا الباب خلفه، ثم وقف أمامها وقد كان مظهره الآن أشبه بالمجرمين. اقترب منها ببطء وهي كانت تزحف للخلف برعب، ليقول بصوت تكمن قوته ورعبه في انخفاضه:

"بتخونيني يا سوسن؟!"

هزّت رأسها بلا، وحاولت التحدث لكنه عاجلها بأن جلس على ركبتيه أمامها يقبض على رقبتها بيده فجحظت عيناها وهي ترى نهايتها ترتسم أمام عينيها: "لأ إيه! إنتي فاجرة!، فاجرة وقذرة.. ولسه ليكي عين تقاوحى؟!"

هبط بكفه على وجهها بكل قوته وجنونه في تلك
اللحظة فسقطت أرضاً ليرفعها هو ثانية من رقبتها، ينظر
لها بعينين بلون دمها الذي سيراق إذا لم تتركه الآن
وتذهب إلى أي مكان.

"مكنتش مكفيكي ولا ايه يا سوسن؟"

ثم هبط بيده مرة أخرى على وجهها بقوة أكبر من
سابقها، وهو يهتف ويضربها في كل مكان تطاله يده؛
"مكنتش مكفيكي يا فاجرة.. مش هرتاح إلا لما

أموتك، أموتك 100 مرة على قذارتك"

علت صرخاتها وهو كان مغيباً بينما وضع كل تشته في
ضربها بكل ما أوتي من قوة.. وكان كل حبه ذهب هباءً
وتحول بين لحظة وأخرى إلى كره، وغضب، واشمئزاز،
ورغبة في القتل!

رغبة في قتل من لوّثت شرفه وانتهكت عرضه بكل

طواعية منها!

هتف بها وهو يهزها بيديه، يرفعها عن الأرض ثم يسقطها

فترطم بقوة على الأرضية الصلبة: "أخرسي.. ماسمعش

صوتك"

وقف للحظات كالمجنون وهو ينظر لها ويتحدث بينما

يحوم حول نفسه ويتخلل بأصابعه خصلات شعره حتى

كاد يقتلعه من جذوره: "بتستغفليني! وده من امتي ده؟

انطقي"

استندت بمرفقيها حتى رفعت جسدها قليلا وهي تتأوه من

شدة آلام جسدها، لتقول ببكاء: "يا رعوفا.."

هجم عليها يضع يداً على فمها، والأخرى يقبض على

رقبتها بعنف: "أخرسي، اسمي مايجيش على لسانك...

اسكتي خالص، سامعة؟"

قال آخر كلمة بصوت أصاب طبلة أذنها بصمم مؤقت،

لتومئ رأسها بـ نعم تجنباً للمزيد من جنونه.

وقف ثانية يدور في المكان وهو ينظر لها كأنه يعد

لطريقة كي يقتلها.. وماذا تتوقع منه أن يفعل غير

ذلك؟ بعد أن علم بخيانتها، هل ستركها تعيش وتنعم

بحياتها وكان شيئاً لم يكن؟!

استغلت انشغاله عنها وتحاملت على نفسها ووقفت، ثم

بترنح اتجهت ناحية باب المنزل وفتحته، لسمع هو صوت

الباب ويلتفت إليها بسرعة ويجري باتجاهها.. إلا أنها

كانت قد خرجت منه بالفعل.

قبض على المتبقي من حجابها وما ظهر من شعرها

فصرخت بألم وهو يهتف بجانب أذنها: "رايحة فييين؟

فاكراني هسيبك تمشي كده؟"

بكت، وتوسلت إليه: "أبوس رجلك سيبنى.. هختفي م
 الدنيا كلها ومش هتشوف وشي أبدا، بس سيبنى.. طلقني
 وسيبنى امشي يا رءوف"
 ضحك كالمجانين وهو يقول: "أسيبك؟ وأطلقك؟
 عشان تروحيله مش كده؟"
 كانت تحاول نزع شعرها من بين أصابعه، فشددت رأسها
 بقوة في الاتجاه المعاكس ليفاجئها في لحظة أن
 تركها، فارتدت ولم تستطع الوقوف بثبات لتخطو بضع
 خطوات للأمام، ولم تنتبه للسلم فتدحرجت على طوله
 للحظات بينما تصرخ وهو واقف يشاهدها من أعلى
 السلم.. إلى أن استقرت متأوهة بوهن وقد بلغ تعبها أشده،
 حتى فقدت وعيها، وفقدت معه كثيرا من دماؤها.. دماء
 طفل جاء بالحرام وذهب قبل أن يلقى مصيرا أسوأ من

مصير أمه الآن؟

اتجهت إلى الغرفة بتردد وهي تحاول تهدئة نبضات قلبها التي تقرع بداخلها بقوة وهي تقول: "مالك يا نرجس؟ هو انتي فاكراه جواز بجد وال ايه؟! ده بس عشان ابنك.. افتكري كويس الكلام ده، هو دكتور وانتي حتة دبلوم وكمان مطلقة عمره ما هيشوفك ست كاملة ابدأ.. بقاله قلت أسابيع معاكي ولا بصلك مرة حتى فاهدي كده وروحي شوفي عايز ايه منك برّاحة من غير ريكتر .. اتصرفي عادي كأنه أخوكي مثلا أو.."

قطعت كلامها لنفسها وهي تكاد تضحك على نفسها، كيف تعتبره أخا لها وهو مختلف تماما عنها؟! بل لو تمننت يوما زوجا لم تكن لتتمنى رجل بنصف شخصيته

القوية ورقته وحنوه على ابنها.. عندما تراه تشعر
بكيانها كله يرتبك وكأنها لم تكن متزوجة من
قبل.

عقدت حاجبها بقوة وهي تفكر.. أجل لم تكن متزوجة
من قبل، ذلك ال حلمي لم يكن زوجا أبدا بل كان
ابتلاء من الله واختبارا منه حتى يرى هل ستصبر أم لا
وتتمنى أنها كانت صابرة حقا ويكفي أن عوضها الله
بمصطفى.. وبّخت نفسها بقوة لا يجب أن نحيد عن
أولوياتك أبدا حتى لو كان لطيفا معك ببعض الأوقات
فلا بد أن تعلمي جيدا أن كل ذلك لأنه رجل شهيم وراق
وليس لأنه يكن لك المشاعر.

طرقت الباب بهدوء ثم دلفت عندما سمعت صوته يدعوها
للدخول..

"مساء الخير يا دكتور اتفضل تؤمر بايه؟"
 رمقها بنظرة جانبية وهو يشعر بالغیظ منها.. لقد مرت
 ثلاثة أسابيع منذ تلك الليلة التي تركته فيها وأنهت
 بذلك كل ما كان سيقوله لها.. لقد اختارت أن تكون
 زوجة على الورق فقط وكم أهانه هذا بصميم كبريائه
 ولكنه تجاهل كل ذلك ولم يتحدث معها أبدا..
 معاملاتهما رسمية معا وقد لاحظ الجميع ذلك وهو لا
 يريد أن تكون حياته مشاعا حتى ولو لأسرته فقط.
 حتى الحجاب لا تتركه أبدا وكأنه غريب عنها وليس
 زوجها وهي حلاله كلها!
 يشعر بالغیظ منها فهي حتى لا تحاول لفت نظره إليه بأي
 شكل ولا يفهم هل السبب لأنه لا يحوز إعجابها أم لشيء
 آخر؟!

انتبه أنه مازال يحدّق بها دون ان يجيب سؤالها فقال

بهدوء: "أنا اسمي ايه؟"

نظرت له بعدم فهم ثم قالت بتلقائية: "عاصم؟"

نبضت هاربة من قلبه جعلته يقول بتسليّة: "طب مانتي

عارفة اسمي اهو امال شغالة دكتور دكتور محسساني

اني ف المستشفى، أنا اسمي عاصم وجوزك حطي ده في

بالك اوي تمام؟"

لم تستطع الرد فأومأت برأسها وهي تشعر بالارتباك من

نبرته المتلاعبة ليقول بجديّة هذه المرة: "بصي يا

نرجس، أنا احترمت رغبتك في انك تبقي زوجة على

الورق بس من غير ما اطالب بحقوقك لكن على الاقل

قدام الناس واقصد بالناس دول برضه أهلي وأهلك

التعامل يكون كزوج وزوجته.. بلاش الرسمية دي لأن

ده هيشير كلام وتساؤلات احنا في غنى عنها فاهماني؟"
 أومات برأسها مرة أخرى قبل أن تقول بهدوء ظاهري وقلبها
 يقرع بقوة: "انا أسفة لو تصرفاتي ضايقتك انا بس مش
 عايزاك تحس انك مجبور في التعامل معايا كزوج و.."
 قاطعها بجفاء: "ومين قالك اني مجبور عليكى؟! عايزك
 تعرفي كويس اني اتجوزتك بإرادتي الحرة، فياريت
 متحسسنيش اني طفل وباباه غصبه على حاجة"
 "لا لا والله انا مش قصدي كده خالص بس انا

اقصد اني..."

صمتت للحظات والدموع تغشى عينيها فشعر بغصبة ليقترب

منها قائلاً: "أنا أسف!"

رفعت بصرها له بصدمته ليتابع: "صدقيني مش قصدي

أجرحك انا بس بقول نحافظ على شكلنا قدامهم، انا

مش عايز اغصبك على حاجة وعارف انك مش متقبلت

جوازنا لسه ولا متقبلاني كزوج لكن لو ناوية تكلمي

معايا فعلا لازم تعاملنا مع بعض يتغير حتى بينا وبين

بعض مش بس قدامهم"

(لا تتقبله كزوج!! ماذا يقول؟! وهل ستجد مثله أبدا؟!)

هي فقط لا تستطيع أن تجعله يفهم مشاعرها.. باختصار

هي تخجل منه فكيف تخبره بذلك؟!)

صمتها أثار غيظه أكثر فخرج تاركا إياها بغرفته قبل أن

يقول شيئا يندم عليه لاحقا .

كان في طريقه إلى المنزل الذي أصبح يحب العودة إليه

ولا يفهم السبب رغم أن وجودها به يثير حنقه كثيرا

ربما لأنها باتت تتحاشى وجوده منذ تحدث معها! وما تغير

تغير فقط أمام العائلة.. صدح صوت من داخله قائلا:

(هل تناقض نفسك يا عاصم؟! ألم تقل لها أنت أن تراعي

أوراق الياسمين

مظهر كما أمام العائلة فقط؟! فلم أنت غاضب الآن؟!
 كظم غيظه من نفسه وهو يقول محدثا نفسه: (فقط من
 أجل مصطفى الذي دخل قلبي منذ المرة الأولى التي رأته

بها)

شرد للحظات مفكرا.. ربما لأنه يذكره بابنه الذي اشتاق
 له كثيرا ربما لأن مصطفى أحبه وتعلق به أيضا وأصبحا

معا كأب وطفله!

قاطع تفكيره رنين هاتفه فتجاهله حتى أصبح تحت
 البناية التي يقطن بها فعاد الهاتف يرن بالبحاح فالتقطه
 وأجاب دون أن يرى اسم المتصل وما إن فتح الخط حتى
 وصله صوتها الباكي وهي تقول: "الحقني يا عاصم

مصطفى هيروح مني"

انتفض خارجا من السيارة يكاد يلتهم الدرجات حتى وصل
 إلى الشقة ودلف إليها ليجد مصطفى مسجى على الأرض

وهي بجانبه تمسك بالهاتف وتنوح فتجمد مكانه
للحظات وهو يلاحظ خيط الدم الذي يسيل من رأسه
وذكرى أخرى تضربه بقوة لينتفض على صوتها
الصارخ: "عاصم الحق مصطفى، أبوس ايدك الحقه"
انتفض منتزعا نفسه من الذكرى بقوة ليركض إلى
الطفل حاملا إياه برفق متجها للخارج ولم يشعر حتى بالتي
تبعته وصعدت معه للسيارة وهي مازالت تبكي.
وصل إلى المشفى الذي يعمل به والذي غادره منذ فترة
قصيرة وهو يصرخ بهم فثار دعر الجميع وهم يلتقطون
الطفل منه ويدلفون جميعا إلى غرفة الفحص وتظل هي
بالخارج تنتظر خبرا.
تنفس الصعداء ما إن اطمأن عليه ثم خرج ليصدم برؤيتها
جالسة تنتظر أحدا يخبرها عما يحدث بالداخل.. متى
جاءت؟! ضربت عقله لمحة لها وهي تبكي بداخل

سيارته ليعقد حاجبيه هل كان مغيباً إلى الحد الذي

جعله لا يشعر بها أو يتذكرها في غمرة ما حدث؟!؟

رفعت رأسها وكأنها شعرت بوجوده لتهرع إليه هاتفت

بتساؤل قلق باكٍ: "مصطفى فين؟!؟"

"مصطفى بخير الحمد لله بس هيفضل هنا النهاردة عشان

نتأكد إن مفيش أعراض تانية هتظهر لأن الخبطة

كانت براسه"

زفرت براحة وهي تضع يدها على قلبها تحمد الله ليردف

بتساؤل: "ايه اللي حصل؟!؟"

"كان بياعب ودخلت المطبخ اسخنله اللبن وفجأة سمعت

صوت خبطة طلعت أجري لقيته واقع على الأرض زي مانت

شوقته كده، خوفت أحركه واتصلت بيك على طول

والحمد لله إنك كنت قريب ووصلت على طول"

قالت تفسر له ما حدث ليشتعل غضبا من إهمالها وطريقتها

البسيطة بتهوين الأمر الجلل الذي حدث: "انتي مهملة
وما تصالحيش تكوني أم، ازاي تسيبي طفل صغير لوحده؟!
افرضي كان اذى نفسه أكثر من كده؟ انتي...."
قاطعتة غاضبة وقد فاض الكيل بها من تقريره المستمر
لها: "اللي حصل ممكن يحصل لأي حد عادي، طفل ووقع
زي كل الأطفال وبعدين أنا كنت مأمناه وحاطه مخدات
كثير حواليه ومكملتش عشر دقائق اصلا في المطبخ
قبل ما يقع وال انت عايز اي حاجة عشان تلومني عليها
وخلص؟! انت مش هتخاف على ابني اكرمني"
تركته ودلفت إلى الغرفة التي نقل إليها الطفل وهي
ترغي وتزبد في حين تجمد هو مكانه يتابعها ببصره
حتى اختفت وهو يضر: (قوتها المستحدثة هذه تمنحها
جاذبية وجمالا فوق جمالها الطبيعي و..."
نفض رأسه بقوة وهو ينهر نفسه: (ما الذي تفكر به

عاصم؟! هي مثل غيرها، لا يغرّنك حنانها ولا جمالها

ولا..."

زفر حانقا وهو يتمتم: "اوووف ايه اللي انا بذكر فيه ده

شكلي اتجننت ، وادي اخرة اللي يسمع كلام الحاج".

منذ شهر وهي تعيش مع عمها الذي اكتشفت أنه متزوج من

أخرى ولديه منها فتاتين وقتي صغير لا يتعدى عمر

أكبرهم عشر سنوات!

شعرت بالصدمة في البداية ثم تداركت صدمتها بسهولة

فله الحق أن يتزوج خاصة أن زوجته عمها الثانية مختلفة

تماما عن الأولى والدة أسعد.. أحببتها منذ وقعت عينها

عليها وهي تعاملت معها بكل رقي واحترام وحنو لم تجده

حتى مع والدتها.

مازالت على تواصل مع نادين بالهاتف الذي اشتراه لها عمها،

عمها الذي عاملها أفضل مما عاملها والدها يوما.. سمعت
طرقا على باب غرفتها لتنهض من الفراش بكسل فالحمل
جعلها كسولة لا تستطيع أن تغادر الفراش إلا لماما، وما
إن اقتربت من الباب حتى شعرت بتقلصات قوية.. أقوى
مما تنتابها منذ عدة أيام رغم أنها تحاول عدم التحرك
كثيرا كما أمرتها الطبيبة لأن حملها مازال غير مستقر
والرحلة بالطائرة أذتها كثيرا ولكن رغما عنها تشعر
بالإحراج وهي ترى زوجة عمها تخدمها فتساعدها على
الرغم من رفض الأخيرة لذلك.

فتحت الباب وملامحها تتقلص ألما وما إن رأتها ابنة عمها
بهذه الحالة حتى هرعت تخبر والدتها لتحضر زوجة عمها
مع عمها سريعا ويلتقطها عمها وهي على وشك السقوط
أرضا .

أفاقت لتجد نفسها بغرفة بالمشفى نظرت حولها لتجد
 عمها ينظر لها بتعاطف.. شعرت بغصة بداخلها وهي تعلم
 ماذا حدث دون أن تسأله حتى..
 لقد أجهضت الطفل الذي كان عقبته كما فكرت دوما
 وها هي الآن تشعر أن الله عاقبها لأنها لم تكن تريده.
 "معلش يابنتي بكرة تتجوزي وتجيبي بدل العيل عشرة"
 قالها عمها وهو يربت على كتفها بحنو فأومات له بهدوء
 وبداخلها تقول لن تتزوج لآخر يوم بحياتها مهما حدث
 فقد اكتفت من أشباه الرجال وتريد أن تعيش حياتها
 فقط وقد حان الوقت لتفعل ما تفكر به منذ فترة
 طويلاً.

"هو انتي عايزة تجنيني يا نرجس؟! يعني تقعدني تقولي"

نصايح وتأنبي فيا وفي الاخر انتي متعمليش اي حاجة من

اللي بتقوليهالي!"

قالتها نسرين بغضب وهي تشعر بالغیظ من تلك التي

تخجل من زوجها بعد شهر من زواجهما.. تشعر أنهما مازالا

يتعاملان كأغرب وهذا ما يثير حنقها فهما مناسبان

لبعضهما كثيرا ولا تفهم لم يحدث ذلك؟!

"وطي صوتك يا نسرين فضحتيني، وبعدين عايزاني اعمل

ايه؟ اروح اقوله انا اهو؟ وال يمكن عشان انا مطلقة

هتفتكري زيّه اني جريئة ووشي مكشوف!"

قالتها نرجس ببعض الحزن فزفرت نسرين بحنق ثم

قالت: "لا طبعا مش قصدي كده خالص وهو كمان مش

قصده كده وعارفة كمان ان الزفت ده مكنش جواز

وانك كنتي بتبعدي عن طريقه على اد ماتقدري بس

برضه انتي منشفاها على الراجل خالص يا نرجس، فين

أوراق الياسمين

الهدوم اللي جيبناها سوا؟ ليه لايستة الطرحة ليل ونهار؟
ياختي ده انا متاكدة انك بس لو لبستي بيجاما.. بيجاما
يا مؤمنة الراجل مش هيستحمل في ايدك غلوة"
توردت وجنتيها لتشعر نسرين بالصدمة ثم تضحك عاليا
وهي تقول: "اسمعي كلامي ربنا يهديكي"
رمقتها نرجس بحنق وهي تقول: "ويهديكي يارب"
"أمين.. من بقك (فمك) لباب السما يارب يا ست نرجس"
قالها إسلام بشقاوة لتتورد نرجس أكثر وتضحك نسرين
وهي تنهض تضمه لها بجرأة اعتادها مؤخرا منها أمام
الجميع ليبتسم بحب وهي تقول له: "نعم يا سي إسلام؟"
شايضني مجنونة يعني وال معنتش عاجباك"
همس بأذنها: "ده انت تعجب الباشا يا باشا بس تعالي فوق
اما اتأكد كده"
احتنقت وجنتيها بقوة وهي تشيح بوجهها عنه وتودع

نرجس سريعا قبل أن تسبقه لشقتها وهي تبتسم
بحالمية سرعان ما تحولت لشهقة خافتة وهي ترى نفسها
مرفوعة للأعلى فهتفت ضاحكة: "نزلني يا إسلام
احسنالك"

هتف وهو يفتح باب الشقة ويغلقه خلفهما قائلاً: "اللهم مش
قولنا هنتأكد فوق وال رجعتي ف كلامك؟!" .

دلفت إلى الشقة بعد أن تركت مصطفى مع جدتها
وحدثت نسرین يدور بذهنها ويتداخل بحديثه من قبل
عن عدم تقبلها له ولا يعلم أنها لو حملت يوما بزواج لن
يضاهي حلمها الواقع!
عزمت على أن تستمع لحديث نسرین فذهبت واغتسلت
وارتدت إحدى مناماتها الجديدة ثم تركت شعرها منسدلاً

ووقفت أمام المرأة بغرفة المعيشة وهي تنظر لنفسها
بانتقاد سرعان ما تحول لشهقة وهي تراه يدلف من باب
الشقة ويتجمد مكانه وهو ينظر لها بصدمة !

الفصل الثامن عشر

دلف إلى الشقة وهو يشعر بالإرهاق الشديد حتى أنه لم
يمر والده كعادته بل فكر أنه نائما على كل حال
فصعد لشقته مباشرة ليحصل على قدر من الراحة افتقده
بمناوبته والتي كانت على أشدها اليوم ليتجمد مكانه
ما إن دلف وراها أمامه بتلك الهيئة!
واقفت أمام المرأة تنظر لنفسها من جميع الجهات بمنامة
رقيقة باللون الزهري بكمين قصيرين وسروال لبعده
الركبتين من قماش الساتان تنسدل على جسدها بنعومة
أطاحت به ومع خصلاتها الداكنة وعينيها الكحيلتين
كادت كل حصونه تدك دكا!
ربما يسخر منه البعض لو رأوه بتلك الحالة فملا بسها

أقرب للاحتشام منها للإغواء ولكنها بعينيه بهذه

اللحظة أكثر نساء الأرض إغواء.

أخذ نفساً عميقاً لتنتبه له نرجس وتنتفض بمكانها من

نظراته المساطرة عليها لتبارده بارتباك: "حمد الله على

سلامتك، هروح أجهّلك العشا"

كاد يخبرها لا تذهبي، فسألتهمك أنت كوجبة ساخنة

بليلة شتوية قارصة البرودة!

ولكنه أوما برأسه يمنحها صك الضرار من أفكاره التي

تتدافع بعقله ومشاعره التي تعصف بكيانه الرزين فهو

في هذه اللحظات أبعد ما يكون عن التعقل والرزانة.

اغتسل ثم دلف لغرفة مصطفى حتى يطمئن عليه ككل

ليلة فلم يجده فعلا صوته يسألها عنه: "هو فين مصطفى

يا نرجس؟"

نرجس! اسمها الذي بالكاد ينطقه فمئذ أخبرها أن

تناديه عاصم فقط لأنه زوجها حتى تحاشت قدر الإمكان

أن تقول اسمه وهو كان يفعل المثل ولا تعلم أسبابه فهي

تخجل منه فلم هو يفعل؟!

"نام عند ستي فسيبته ومارضيتش اطلعه من الدفا للهوا

عشان مايردش"

قالتها نرجس بارتباك وهي تفكر هل سيربط بين

ملابسها وبين غياب مصطفى؟!

ابتسمت بسخرية داخلية فلو رأتها نسرین بالوقت الحالي

لما سلمها أحد من لسانها.. فقد اختارت أكثر المنامات

احتشاما حتى ترتديها فهي لم تستطع أن تنفذ حقا ما

قالتة نسرین..

ربما لو حياتها طبيعية لكانت فعلت عن طيب خاطر

ولكنها حتى هذه اللحظة لا تعلم هل زواجها هذه المرة

سيستمر أم سيكون الطلاق الثاني لها؟!

"مالك يا نرجس؟! انتي تعبانة وال ايه؟!"
 همسته كانت بجوار أذنها تقريبا فانتفضت مبتعدة وهي
 تنظر له بخجل فابتسم بتسلية وهو يشعر بخجلها.. هل
 حقا امرأة بعمرها وسبق لها الزواج تخجل كفتاة صغيرة
 ليس لها أي خبرة؟! فكر بسخرية أنها على النقيض تماما
 من طليقته.. فالأخيرة لم تكن تهتم سوى بجمالها
 وملابسها و(الموضة) وتلك التفاهات التي طالما أرهقته
 بها أما نرجس فهي كزهرة عطرها فواح كل ما تلمسه
 بيديها يزدهر ويصبح أكثر جمالا.
 "لا أبدا أنا سرحت شوية بس، بفكر أطلع اشوف ستي
 ومصطفى واطمن عليهم"
 "وليه تصحي جدتك دلوقتي؟! كلها كام ساعة والنهار
 يطلع وكده كده هتجيبه عشان الحضانت"

قالتا وهو يشعر بها كعصفور صغير وقع بالفخ فضحك
 بداخله ثم قال مازحا: "هو فيه عشا وال انا خفيف؟"
 ضحكت برقته وهي تقول: "العشا جاهز اهو هجيبه و.."
 قاطعها وهو يضع ذراعه على كتفها بحركة بدت عضوية
 وهو يرافقتها للمطبخ: "مالوش لزوم تجيبه هنا انا هروحله
 بنفسي.. ده العشاء يعني مش اي حد"
 ضحكت مرة أخرى ليشاركها الضحك للحظات قبل أن
 يجلس على طاولته صغيرة بالمطبخ رصّ عليها العشاء
 ويقول: "انا هاكل لوحدي وال ايه؟! اقعدى كلى معايا
 مبحبش آكل لوحدي"
 جلست بارتباك ولم تعارضه فابتسم بداخله وهو يفكر
 أنها تريد التقرب منه كما يريد هو.. انتبه لأفكاره
 قائلا لنفسه (أنا لا أريد شيئا فقط أعاملها برفق من أجل

(الحاج ومصطفى و...)

صاح صوت من داخله يقاطعه بتهكم.. إلى متى ستخفي

إعجابك بزوجتك عاصم؟! كف عن المراوغة فهي

تعجبك وهي حلالك فلم تمنع ما حلله الله لك؟!

"مابتاكلش ليه يا عاصم؟! مش عاجبك الأكل؟!"

قالتها نرجس بارتباك ووجل فرمقتها باسماء وهو يقول:

"لا بدام فيها عاصم هخلصاك الأطباق كلها"

ابتسمت بخجل ثم قالت: "ألف هنا"

"على قلبك خيتا"

قالها بمشاكسة فضحكت قائلة: "واضح ان صاحبك

الفاسطيني مأثر عليك جامد"

ضحك عاليًا وهو يقول: "فعلا.. وحشني ابن الايه ده

هو انت هتسافر تاني؟!"

خرج السؤال قبل أن تستطيع إيقافه لينظر لها بغموض

قائلاً: "عايزاني أسافر؟!"

حرّكت رأسها نافيتة وهي تقول: "لا أبدا والله ده انا بسأل

بس"

"حتى لو سافرت هاخدك معايا أكيد مش هعيش ف

مكان ومراتي وابني ف مكان تاني"

زوجته وابنه!!

مرّت الكلمتين على أذنها أجمل من كلمات الغزل، شعوره

بالانتماء له هي وطفلها جعل مشاعرها تجيش بداخلها

وتغمض عينيها للحظات قبل أن تفتحهما على صوته وهو

يقول: "ياللا هقوم انا احسن مكسر خالص، تصبحي

" على خير

"وانت من اهل الخير"

لم تشعر إلا وهو يقبل وجنتها برقمة خطفت قلبها قبل أن

يتركها ويذهب لغرفته .

أوراق الياسمين

دلف إلى غرفته وهو يشعر أنه على وشك الانفجار..
 فاقترابه منها بهذا الشكل لم يحدث قبلا وهي بمظهرها
 ذاك منعشة كعصير بارد بنهار صيف حار ومشمس..
 زفر بحنق وأجبر نفسه على الخلود للنوم حتى لا يخرج لها
 مرة أخرى فهو لا يضمن بقاءه بعيدا عنها حتى أنه تخلى
 عن قبلة الشفتين واكتفى بقبلة أخوية على وجنتها
 رغم أن مشاعره بعيدة كل البعد عن الأخوة فقط من
 أجلها..

هي تستحق أن يتقرب الرجل لها فمند سماعها وهي تتحدث
 مع نسرین عن أحلامها وما كانت تريده وهو يشعر
 بالمسئولية تجاه تحقيق تلك الأحلام وما هو قد بدأ
 بالفعل ويتمنى أن يمتلك الصبر ليكمل
 للنهاية.

راقبها بشغف وهي تجلس بانتظار شقيقها تتحدث بالهاتف
فتارة تبتسم وتارة أخرى أخرى تعقد حاجبها حتى انتهت
من المكالمات فجلس بجوار وهو يهمس:

"إيش أحوالك نادو؟"

انتفضت بمكانها وهي تنظر له بدهشة استحالت لغضب

عندما أكمل: "اشتقتلك! وأنت توحشتيني، صح؟"

صاحت به بغضب ممتزجا ببعض الريبة: "مهستر أنت؟! مين

بتكون؟ وإيش بتريد مني؟!"

ابتسم بتسلية قبل أن يقول: "نزار، ومبسوط لأنك جيتي

تشوفيني"

رمقته بعدم تصديق للحظات قبل أن تعقد حاجبها بريبة

قائلا: "أنا بعرفك المضروض؟!"

ابتسم بسعادة متخليا عن قناع السخرية قائلا:

"آه، تذكرتيني؟!"

حرّكت رأسها أن لا هامستة برجفتة: "لا! بس شكلك مش

غريب"

احتضن وجهها بكفيه قائلاً: "شكلي محفور بذاكرة

قلبك يا أميرتي الزغيرة (صغيرة)"

حرّكت وجهها بين كفيه تحاول الابتعاد رغم شعورها

بالخدر مما يحدث وشعورها بالصدمة من تقبلها ملامسته

بعدم نظور رغم أن ذلك لم يحدث سوى مع أسرتها فقط..

فبعد ما عانتة على يد ذلك الوغد نبيل لم تتقبل

اقتراب أي رجل منها خاصة من المجهولين لديها.

ابتعد بغتة وهو يعدها بقاء آخر: "بشوفك قريب أميرتي!"

ليكمل بداخله: (حتى بوقت اقرب بكثير!)

نظرت بإثره بصدمة وهي تفكر من هذا وماذا يريد منها؟!

ولم شعرت أنه مألوف لديها؟!

نظراته، ملامحه وحتى نبرة صوته وهو ينعته بأميرته..

كل ذلك مالوف لديها بطريقة غريبة .

"!نادين! إيش مالك؟! إيش صايرلك؟"

انتفضت خارجة من أفكارها لتتلفت حولها ولا تجد ذلك

المدعو نزار فتشبتت بشقيقتها تستجدي منه أمانا غادرها

منذ زمن بعيد واستقرارا تبحث عنه بقوة ثم تقول بصوت

منخفض محاولة أن تتناسى ما حدث قبل: "أخوي، لبني

معتازتني، لازم أروح عندها" .

"ليش بتبعدها عني؟!"

قالها بغضب لينظر له الآخر بضيق قائلاً: "مصرش (لم

يحصل)، وأنت عارف القصة عقلي مثل العسل، بس يا أخي

طلبت منك تصبر وأنت بصلتك محروقة، خير؟!"

نظر له يكاد يصرعه بالنظرات قائلاً: "بدك تخوتني
 (تقودني للجنون)؟! صرلي سنين صابر وناظرها ولسا إلك
 عين تقولي أصبر وأني مستعجل! أديش لازم أصبر بعد؟!
 لحتى تطير من أيدي مرة ثانية؟! لا معلىش خيّا، طريقتك
 فاشلة يا فالج ورح أعتمد طريقتي لأنني متأكد رح تحل
 الموضوع لصالح الكل"

رمقه بنزق قائلاً: "ليك أنا حافظها مثل كف ايدي، فلا
 تحاول عالفاضي وبحركة تضيع تعب سنين وأنت ناظرها"
 "اسمجلي، بس انت ايلي ما بتعرفها، هي مش رايدة ايلي
 مبيعبرش عن حبه ومسكر بوزه.. عايزة رجال عنجد
 يجبرها تحبه ويغلب (يهزم) مخاوفها.. بل ومش عايز
 منك غير تتركها لحالها لأقدر أنا أتقرب منها"

قالها بحدة فرمقه الآخر بغیظ قائلاً: "افهم أنك بتطلب

اني ما أساعدها لما تیجیني ملبكتة مش عارفتة إيش

تعمل؟!"

وجده یرمقه بغضب ممتزجا بالحزن فرق قلبه لحاله ثم

قال: "ماشي، مش رح أحشر حالي بشي، بس كون ليين معها

لأنها لسا خويفة بسبب اللي صار وآخر حادث شافته

قدامها خلا الموضوع یزید معها وتذکرت العذاب اللي

عاشته"

ابتسم له بامتنان ثم قال: "وعد.. افديها بروحي و.."

ربت على كتفه بحب قائلاً: "عارف ومتأكد يا اخوي، ولو

مش متأكد مكنتش خليتك تقرب منها خطوة" .

"كاميليا.."

ناداها قبل أن تخرج من غرفة مكتبه فالتفتت تنتظر ما
سيقول.. نهض مقترباً منها وابتسامته لا تفارقه، إلى أن
وقف أمامها، أمسك كفيها بين يديه، يضغط عليه بشدة،
ثم قربه من فمه ولثم طرف إبهامها بخفة، ليقول بمرح
متوسل: "مش ناوية تحني عليا وتحدي معاد الضرح؟ وحياتة
عيالك يا شيخخة انطقي قبل ما أطب ساكت منك،

وساعتها ذنبي هيبأى ف رقتك"

ضحكت، وصدى ضحكاتها يتردد بداخله فينعهشه..

"يا حبيبتي عايز إجابة واضحة وصريحة"

مثلت اللامبالاة بجدارة وهي تجيب: "ف أي وقت يا جلال،

لسه بدري يعني خلينا ناخذ وقتنا"

وضع يداً على خصرها؛ يقربها منه وهو يقول بغیظ:

"اللي أدّي بيقولوله يا جدو! مش ملاحظتة إن خلقتنا

ف خلقت بعض من 7 سنين! مش مكفينك يا حبيبي

ف عايزة زيهم تاني؟

ابتسمت لسخريته وأجابت: "أ كفاية دول عليا أوي"
بغيط أكبر وضع يده الأخرى على على خصرها فأحكم

قبضته حولها وشد عليها قائلاً من بين أسنانه:

"طب إيه؟"

بضحكة وتساؤل مستفز لأعصابه: "إيه إيه؟"
ألصقها به في حركة واحدة مفاجئة فأصبح لا يفصل
بين جسديهما أي شيء، وبيوادر غضب ناداها محذراً:

"كاميليا.."

فاجأها بحركة وزاد من خجلها الذي كانت تحاول
تناسيه، فأثرت التراجع لتقول بوداعة: "يا جلال بلاش

تخضني كده"

ذابت عيناه، ونسي تماماً ما كان يقول وما سيقول، ليقترب

بوجهه من وجهها مع ابتسامة متلاعبية: "بلاش إيه؟"

أوراق الياسمين

لتنطق أنثى الكاميليا بوداعة أكبر قليلاً؛ "تخضني.."
لازال محتفظاً بابتسامته بلهاء وهو يتأمل كل شبر من
وجهها كأنها لتتوق قد هبطت من كوكب فضائي؛

"يالهوي!... يالهوي!... قولها ثاني كده"

قطبت حاجبيها، وكان لا بد أن تعود لرشدتها بعدما

تلبستها تلك الروح الأنثوية الدخيلة الشريرة!

ببرود قالت؛ "ماقولتها مرتين يا جلال.. بتخض يا بابا،

بتخض"

استغفر ربه بصوت عال ثم قال بندم وغيظ؛

"الواحد غاطان إنه بيسيبك تفتحي بوقك (فمك)

أصلاً"

أمسك ذيل حصانها وبحركة خاطفة قام بشده فمالت

رأسها للخلف ثم ارتدت مرة أخرى وسط دهولها من فعلته،

ليترجم على هيئة سؤال متعجب مصاحب لاتساع عينيها؛

أوراق الياسمين

"انت اتجننت يا جلال؟"

"اخرسي يا كاميليا بدل ما هعمل دلوقتي اللي يخضك

مني فعلا"

قالها وهو يضغط بأسنانه على شفته السفلى كمن يمنع

نفسه بصعوبة عن فعل شيء؛ فابتلعت ريقها وأبعدت

نظرها عنه محمرة الخدين.. وهو زفر نفساً عميقاً ثم قال

بما لا يقبل المناقشة: "هحدد أنا المعاد وهباى أقولك"

كادت تعترض، لكنه أبعداها عنه، ودون أن ينظر إليها

قال بهدوء: "روحي مكتبك يلا"

تعجبت من هدوئه المفاجئ، فوقفت لبرهة تراقبه مقطبة

حاجبها، إلى أن رفع بصره فرآها لاتزال أمامه.. تنهد

وابتسم بتعب: "نعم؟"

هزت رأسها بتساؤل: "مالك؟"

أشار لها بيده أن تأتي إليه: "تعالى.."

ازداد انعقاد حاجبيها، لكنها أطاعته واقتربت بتوجس،
 لتجده يسحبها من يدها بحركة واحدة حتى استقرت
 رأسها على صدره وأصابع يده تداعب فروة رأسها لدقائق
 دون أن ينطق بكلمة.. إلى أن خرج صوته أخيراً بعدما
 طبع قبلة على شعرها: "لو بس تسيبيلي نفسك
 يا كاميليا! سيبي نفسك تحبّ وتقول أنا بحب.. شياك
 عقلك وحساباتك من الموضوع، انسيهم شوية وخلي
 قلبك هو اللي يمشيكي.. وصدقيني المرة دي مش
 هيخبّ ظنك، سيبيه يمشيكي، ولو وقعتي هتلاقيني
 بسندك، بس اديله فرصة يشمّ نفسه"
 لو تعلم أنت أنّي أحب، وبدخلي أقول أنا أحب..
 أحبك أنت يا صاحب الغمازة!
 لكنّ الكلمة ثقيلة على لساني، أخاف وأخجل أن

أقولها.. فقط لو تعلم!

أغمضت عينيها تنعم بقربه دون تحفظ، وهو لم يكف
عن مداعبة خصلات شعرها .

بين الصحو والنوم كانت تنن بألم منتشر في كل
جسدها، من رأسها لأخمص قدميها.. تتذكر ما حدث
بصورة مشوشة، رعوف، وضربات متفرقة لجسدها، ثم
سقوط وذهاب لهوة اللاوعي.

تحرك بؤبؤ عينيها وهي لاتزال مغمضتهما، ثم رمشت
ببطء إلى أن فتحتهما وهي تدور بعينيها في الغرفة
المغطاة باللون الأبيض في جميع أنحاءها.. أين هي؟
زاد تركيزها وهي تجول ببصرها لتجد والدتها تجلس
وبجانبا أختيها.. همست باستجداء وصوت بالكاد يُسمع:
"مايه.. عايزة مايه (مياه)"

أوراق الياسمين

أول من لبى نداءها كانت والدتها، أحضرت لها كوباً من الماء وأسقتها حتى روت ظمأها، ثم أعادتها لموضعها على

السريـر .

"حمدا لله على السلامة يا بنتي.. كان مستخبيلك ده

فين بس!"

دارت بعينيها تبحث عنه، لكنها لم تجده.. وبيبرود ظاهري

سألت عنه: "أومال رعوف فين يا أمآ؟"

جلست والدتها بجانبها وهي تجيب ولا زالت حالة بنتها

تملؤها حزناً: "مشي يا بنتي راح شغله.. بعد ما جابنا هنا

امبارح ماشوقتوش تاني"

قطبت حاجبها وسألت بتوجس من الإجابة: "هو ايه اللي

حصل بالضبط؟"

"معرفش يا بنتي، انا لقيت رعوف بيتصل عليا بالليل يقولي

انه هيبجي يجيبنا المستشفى عشان انتي سقطتي..

أوراق الياسمين

كان هو جابك قبلنا وبعدين جه اخدنا انا واخواتك"
سرحت بنظراتها وهي تتخيله بكل ما كان فيه بالأمس
لازال محتفظا بذاك الجانب الإنساني الفطري فيه، ومن

الواضح أنه لم يخبر أحداً بشيء أبداً!

ربتت والدتها على يدها وهي تقول مشجعة: "ربنا يعوض
عليكو إن شاء الله، انتوا لسه صغيرين والعمر قدامكو

تجيبوا العيال اللي نفسكو فيهم"

لقد انتهى كل شيء يا أمي.. انتهى وندعو الله أن يقف

الأمر على ما حدث فقط.

بهمس رددت بشرود: "إن شاء الله"

ليمرّ اليوم ولا أثر لرءوف.. وماذا كانت تنتظر منه، أن

يأتي ليطمئن عليها كأمر لولد ليس بولده، أم يأتي

ليكمل ما كان يفعله قبل ساعات؟!

فلتحمد الله أنه لم يأتِ .

وفي مكان قصي قليلاً كان يجلس هو، بهيئة مهملة
والمكان يعج من حوله بالفوضى.. يمسك بيده السيجارة
التي لا يعرف عددها وهو يدخن الواحدة تلو الأخرى دون
انقطاع، وفكره يكاد يصل به إلى عمق الجنون

سوسن؟

ملاكه البريء الطاهر؟

حلمه الذي سعى له مراراً حتى أمسك به بين يديه سعيداً

بما حقق؟

ماذا فعل لها كي ترد له الصاع صاعين وثلاثة وعشرة؟!

بم أخطأ في حقها كي تخونه بتلك الصورة البشعة؟!

لقد كان -كما يقولون- يُشعل أصابع يده العشر

كالشموع من أجلها!

كان يحبها!

ياالله.. كم كان يحبها!

كان مستعداً ودون تفكير أن يعطيها جزءاً من جسده لو

احتاجته!

تمنى كثيراً أن يُنجب طفلاً منها، أن يربياها بينهما بما

يربطهما من ود!

وهي ماذا فعلت؟!

ذهبت وحملت بطفل شخص غيره!

هاج من جديد وهو يتخيلها بين ذراعي شخص آخر،

يحتضنها كما يفعل هو معها، يقبل كل شبر في جسدها

مناديا باسمها كالمهووس من العشق.. تخيل، ومجرد

التخيلُ أفقده عقله!

دفع الطاولة بحركة عنيفة فأسقطها وأسقط محتوياتها

أرضاً وهو يزأركا للأسد الحبيس.. يذهب ويجيء في

أوراق الياسمين

المكان ممسكا برأسه بين كفيه، يتخلل خصلات شعره

فيقتلع منها ما يقتلعه.

ماذا سيفعل بها الآن؟

أيقتلها؟!

والله حتى القتل لن يشفي غليله منها!

أيفضحها؟!

ليست مبادئه.. مهما يكن فقد كانت عرضه وشرفه يوما

ما، بجانب أن والدتها لن تتحمل خيرا كهذا أبداً.

ماذا يفعل؟!

وقف في الشرفة يتنفس الهواء البارد بسرعة وحدة

وكانها آخر أنفاس حياته، يتأمل الأفق أمامه، والسماء

بلونها الأسود المتخلل بالأزرق، مع النجوم البراقة والقمر

المضيء.. يا لله، ساعدني! يا رب نجني من الجنون

الوشيك.

اليوم هو يوم مولدها، منذ خمسة عشر عاماً أنجبتها
والدتها وكتب عليها أن تعيش ما عايشته.. أن تتزوج وهي
على أعتاب نهاية طفولتها؛ لتمر أجمل أيامها ككابوس
ثم تسقط، وتقاوم، لتتزوج بآخر بعدما ترسخت قدمها
بقوة في مراهقتها.. تتزوج هشام، أول من دق قلبها له دون
أن تدري ماهية ما يحدث، وأنى لها ألا تفعل وهو يعاملها
بتلك الرقة والحنان! وهو لا يرفض لها طلباً، بل ويحقق
ما تتمناه قبل أن تنطق به! أنى لها ألا تهضو لنيل رضاه،
وآلا تحاول -أخيراً- الخروج من شرنقتها كي تليق
كزوجته! كزوجة "الباشمهندس".

وفي عرفها، وحسب معرفتها الضئيلة، فما يفعله معها
كثير.. كثير جداً أن يفعله شخص دون أن يجد مقابلاً
له، وهي لن تنتظر منه أن يطلب، ستتصرف كزوجة بعد
وقت طويل من الراحة من متطلبات هذا اللقب.

"زهرة.."

كان قد تخلص لتوه مما يغطي جذعه ليظل ببنتال
بيتي فقط استعداداً للنوم، ليضاجأ بها في محيط غرفته!
تقدمت بخطوات مترددة منه وهي تشبك يديها ببعضهما
أمامها من الخوف، ليس خوفاً منه، بل قلقاً من رد فعله على
ما أقدمت عليه الآن.

وقضت أمامه بكامل بهائها، ترتدي منامة طويلة،
بحمالات رفيعة على الكتفين، تحتضن جسدها حديث
العهد بمعالم الأنوثة وقد انسدل شعرها حتى وصل
لمنتصف ظهرها أو تحته بقليل، محيطاً بملامح وجهها
البريئة.. ماذا تفعل هنا بهذا المنظر؟!
تنحج بخشونة وهو يحاول عبثاً أن يلغي تأثيرها عليه؛
"إيه اللي جابك هنا يا زهرة؟، وما نمتيش ليه لحد

دلوقتي؟"

بدأت شجاعتها في التراجع تدريجياً؛ لم تعد من قبل أن تكون البادئة مع ربيع، فهو إن كان يريد لها فلا يمنعه عنها أي شيء مهما كان، بل هي لم يكن لها دور في أي شيء، فقط تنتظر أن ينهي ما يفعله حتى يتركها وشأنها. بصوت لازل يحاول أن يقاوم: "زهرة! مارديتيش عليا

"يعني؟"

تنحنحت بحرج، ها هي الآن تقف في منتصف غرفة زوجها، وهو نفسه من يسألها ماذا جاء بها إليه! اقترب هو منها، قليلاً فقط، فأرجعت رأسها للخلف كي تستطيع أن تنظر له.

ارتبكت وتلعثمت: "آآآ، كنت هسألك، نسيت أسألك من شوية.. عايز تتغدى إيه بكرة؟"

ابتسم لعينيها وارتفعت يده تلقائياً ودون أدنى شعور منه

تتخلل أصابعه خصلات شعرها؛ تُرجع خصلة شردت عن
مثيالاتها، وقد تمنى بداخله منذ أن خطت داخل الغرفة

أن يفعل ذلك!

"أي حاجة يا زهرة"

كانت تنظر له بانبهار بينما تتخلل يده شعرها، متسعة

العينين كأنها لأول مرة تنظر لرجل!

أنزل يده بجانبه بعدما انتبه لما يفعل، وتحنج، للمرة

التي لا يعرف عددها، ليخرج صوته خافتاً، متمنياً

عكس ما ينطقه لسانه: "روحي نامي عشان تعرفي

تصحي الصبح"

إنه لا يحاول أن يساعدها للمرة!

جالت ببصرها في الغرفة، لا تعرف ماذا ستكون خطواتها

التالية.. أتقولها كعبارة صريحة له: (خذ حقوقك

الشرعية مني)، أتقولها وترتاح من عبء اللحظة؟!

اقتربت خطوات غير ملحوظة منه، وهي تنظر له تارة، ثم
في أنحاء الغرفة تارة أخرى؛ كأنها ترسل له رسائل عله
يفهم؟

أهذه محاولة تقرب منها أم أن حرمانه وكبحه جماح نفسه
هما ما يصوران له ذلك؟!

قطب حاجبيه محاولاً أن يلتقط الإشارات التي تحوم
حولهم، ويفهم ما تقصده عيناها متزامناً مع وجودها في
غرفته في هذا الوقت؟!

احمرت وجنتاها بشدة وقد فترت عزيمتها بعدما وجدت
عدم التجاوب منه، أخفضت بصرها أرضاً وهي في قمة
خجلها.. ستسحب الآن، يجب أن تنسحب؛ فمن الواضح أنه
لا يريد لها وعلى وشك طردها من الغرفة؟!

راقب تتابع الانفعالات على وجهها وجسدها، من احمرار

وجنتيها، لانخفاض نظراتها وتهدل كتفيها، إلى أن قررت

أن تغادر؛ فنادها.. نادها وهو يتمنى ألا تنتهي تلك

اللحظة: "زهرة!"

عادت تنظر إليه في انتظار ما سيقول، وهو بالفعل لم

يكن يعرف ما سيقول!

لكن خيبة الأمل في عينيها لم يكن ليتركها تذهب

دون أن يبدها.

منذ أن خطت داخل عرينه وهو يحاول، يعلم الله كم

حاول، وضع كل الحواجز أمامه: من أخيه، لصغر سنها،

ليعود لأخيه مرة ثانية، لكل ما واجهته في حياتها،

وإجبارها على الزواج منه.. لكن النفس تتمنى غير ما

يصله من صوت عقله.. النفس تتمنى القرب، الحب،

الوصول، ومما هو واضح أمامه الآن فهي لا تمنع القرب،

وسيعلمها بنفسه الحب، تاركًا للوصول المجال كي يذلل

تلك الصعاب! فلم لا يقترب؟ فقط ليقترب، ليتجرا،

ويخطو أول خطوة .

وبالفعل كان قد خطا أول خطوة، برقة وضع يده على

وجنتها، مبتسماً، كأنه يُطمئنها، يزيل بابتسامته

الحواجز الوهمية بينهما، ليميل على وجنتها الأخرى

بقبلته صغيرة؛ فذاق طعم الضراولته.

أخذ نفساً عميقاً يحبس به ذاك المذاق، ونظر لوجهها

فلم يجد الرفض، بل الخجل.. وكمر أثاره هذا الخجل!

همس كأنه يريد موافقتها على ما يفعل، فيتمادى..

أو يجد رفضها، فيتقهقر؛ "زهرة.."

لتجيب بخفوت كمن على وشك بلع لسانه؛ "نعم.."

أراد أكثر، أراد في هذه اللحظة بالأخص أن يسمع تتابع

حروف اسمه من بين شفثيها..

ذابت عيناه، وكمن يتوسل طفلاً حبيباً أن ينطق اسمه؛

"نعم يا إيه يا زهرة؟"

لتجيب بعد برهة: "نعم يا هشام"

بإبهامه داعب وجنتها وهو يبتسم لعينيها.. ثم يرد

إخافتها، رغم أنه يعلم أنها ليست فتاةً عذراء، لكنها في

عينيها كذلك، عذراء القلب والمشاعر.. قبل جبهتها

مطوئًا، حقًا لم يُرد الابتعاد، لكنه فعلها وقال وهو ينظر

لعينيها: "تصبحي على خير يا زهرة"

ابتسم، وكاد يضحك عندما رأى وقع كلمته عليها..

أجفلت وقطبت حاجبيها كمن يحاول فهم لغة آتية من

كوكب آخر!

وهو كاد يستغل الوضع، لكنه أثر الابتعاد الآن..

ستأتيه، وسيكون مرحبًا بها، لكن ليس الآن، ما حقه

حتى الآن مرض جدا بالنسبة له، وسيأتي الباقي تبعًا..

هو يعلم أن خلفيتها مشوهة عما هو مقدم عليه،

أوراق الياسمين

وسيكون سعيداً بتغييرها، كما غير ما قبلها .

استيقظت بإشراق ثم أسرعت تُعد طفلها للروضة بعد أن
أحضرتة من شقة جدتها ثم أوصلته للروضة وتبادلت بضع
كلمات مع زهرة وهي توصيها بمصطفى كعادة يومية
رغم علمها أن زهرة تحب مصطفى خاصة من بين كل
الأطفال وهو أيضا متعلقا بها بقوة ثم عادت إلى المنزل
لتُعد له طعام الإفطار وتتركه مُغطى على المائدة وتسرع
إلى عبد التواب بالإفطار أيضا وتتناوله معه قبل أن تذهب
للمشغل الذي تركه تقريبا عبد التواب بعهدتها وأثر
الراحة معظم الأيام حيث يقضي يومه مع جدتها
بالحديقة الملحقة بالمنزل ومعه إحدى كتبه فيما
ترعى هي المشغل بغيابه وما أسعدها أن عاصم لم يمنعها

من متابعته عملها بعد زواجهما فهي تحتاج العمل ليس فقط من أجل المال بل لأجل راحتها النفسية فهي تجد نفسها بالعمل كما أنها تقضي وقتا ممتعا مع العائلات وطالما لا يؤثر العمل على بيتها فلم لا تستمر به؟! اقترب موعد إحصار مصطفى من الروضة وما إن همّت بالنهوض للذهاب له حتى وجدت عاصم يدلف إلى المشغل ثم يجلس معها على المكتب بعيدا عن الأعين الفضولية للعائلات وهو يقول: "صباح الخير يا نرجس" ابتسمت له: "صباح النور، فطرت؟!!" أوما برأسه وهو يقول: "أيوة فطرت وزعلان منك" ضربت على صدرها وهي تشهق قائلة: "ليه بس انا عملت ايه؟!" رمقها بحدة مصطنعة وهو يقول: "يعني تسيبيني أفطر لوحدي وتقولي عملي ايه؟! هتعملي ايه اكر من

كده!"

رمقته بحيرة لا تفهم هل يمزح أم أنه حقا غاضبا منها
 فقالت بارتباك: "معلش حقا عليك بس انت عارف ان
 الحاج بقاله فترة مش بيحي المشغل وانا اللي باخد بالي
 منه خاصة ان نسرين كمان اشتغلت بمكان ثاني
 وماينفعش نكون كلنا مش موجودين"
 تظاهر بالتفكير ثم قال مبتسما: "خلاص سماح المرة دي،
 بس المرة اللي جايت لا ممكن تنزل أبدا"
 ضحكت عاليا لينظر لها مشدوها!
 ضحكتها تشبه ضحكة طفل صغير فهي خارجة من
 القلب وتصل مباشرة للقلب وليس أي قلب.. بل قلبه الذي
 أصبحت نبضاته تتمرد عليه في الآونة الأخيرة والسبب
 زهرته الفريدة (نرجس) .

انتبه لتحديقته فيها والذي أخجلها فنهض وهو يجلي صوته

قائلًا: "طيب انا هروح اجيب مصطفى وانتي ابقى رُوحي

على طول وال تحبي اعدي عليكى وانا راجع!"

"لا ماتعطلش نفسك روح شغلك انت، انا هروح اجيبه

وبعدين اروح عشان اعمل الغدا و.."

قاطعها بحزم: "انا اللي هجيبه وكمان انا عندي اجازة

النهاردة.. رُوحي انتي على طول"

أومات موافقة فغادر بعد أن طبع قبلة أخرى على وجنتها

هامسا بمشاكسة: "عشان الخد الثاني مايزعلش"

تجمدت مكانها وقلبيها ينبض بعنف وارتسمت ابتسامته

حالمته على شفتيها دون أن تشعر وهي تهمس بصدمته:

"هو مين ده؟!" .

كانت تُلعب الأطفال متناسية كل ما تحمله كتفاها

من هموم عندما أبلغوها بوصول شخص يطلب أخذ مصطفى

اليوم من الحضانت؟

ثرى من يكون؟

تركتهم وخرجت لتجد شخصاً مظهره غير مطمئن،

وعندما رآها قام واقترب منها قائلاً بلهفة بينما ينظر

للغرفة خلفها: "فين مصطفى؟ خليه ييجي بسرعة

عشان مستعجلين"

سألته بقلق: "مين حضرتك؟ وليه مامته ماجاتش تاخده

زي كل يوم؟"

ليجيب بنفاذ صبر وهو يلوح بيده ناحية الاشياء:

"مامته مشغولة وانا جيت اخده بدالها"

شيء في طريقتة وكلامه لم يريحها، فحاولت أن تستفسر

أكثر: "اسم حضرتك إيه يا أستاذ؟"

علا صوته قليلاً وقد بدأ يفقد صبره وتعقله: "حلمي..

وبعدين أنا أبوه مش حد غريب يا أبلت.. خشي هاتيلي الواد

من جوه"

لم تخبرهم نرجس عن شخص يدعى حلمي! بل ويدعي

أنه والد مصطفى!

ابتلعت ريقها وهي تحاول التماسك أمامه: "أسفتر يا فندم

ماينفمش تستلمه، محدش ليه الحق ف كده إلا والدته..

يا إما تيجي هي بنفسها أو تتصل تبلاغنا بموافقتها إنك

تاخده"

علا صوته أكثر وأكثر وهو يقول بحدة بينما يقترب

منها وملامحه تنضح شراً: "يعني إيه الكلام ده؟! بقولك

مصطفى ابني، من لحمي ودمي، ازاي تمنعيني عنه؟"

تراجعت بضع خطوات أمام تقدمه الملحوظ وقد بدأ خوف

يتسرب سريعاً داخل خلاياها.. خفتت نبرتها وهي تحاول

إقناعه بالمنطق: "يا فندم احنا مش متبافين بكده،

مينفمش اديه لأي حد يقولي أنا أبوه.. لو ممكن تتصل

ب أم مصطفى دلوقتي واديهاني أنا هكلمها ونتفاهم"
 لم يكن بنيته أي تفاهم، فحاول تجاوزها وهو عازم على
 الدخول وأخذ ابنه فمنعته زهرة بما أنعم الله عليها من
 قلائل القوى، وهي تصرخ به أن يتراجع لكن دون
 جدوى.. ومن بعيد لمح عاصم على وشك دخول المكان،
 ذاك الشخص الذي حظي بمن تركها تتسرب من بين
 أصابعه.. ارتبك، وقرر الرحيل قبل أن يراه، لكن وقبل
 أن يذهب رفع سبابته في وجهها وهو يتوعدّها بعينيه قبل
 لسانه فأرسل الرعب في كل أطرافها: "افتكريها دي
 يا أبلتة.. افتكري اني طلبت ابني منك وانتى منعتيني.."

مازعليش م اللي ممكن عمله؟"

نظرت في اثره وهو يخرج متخفيا من شيء لا تعرفه
 - متسعة العينين، تذكر في كلماته التي رماها في وجهها
 الآن وجسدها يهتز داخل ملابسها.. لتجد عاصم يدلف إلى

أوراق الياسمين

المكان محيياً، ثم وقع بصره عليها فقطب حاجبيه
بينما يقترب منها متسائلاً بقلق: "إنتي كويستة يا مدام؟
تعبانة وال حاجتة؟"
ما إن نظرت له حتى شهقت بقوة وكان روحها تنتزع ثم
مالبتت أن تساقطت دموعها وهي تكاد تسقط أرضاً فأسرع
عاصم بمساعدتها للجلوس وهي يهدئ من روعها محاولاً
فهم ما بها قبل أن تنطق بكلمات متفرقة عما حدث
ليشعر بالصدمة!
كيف لم يفكر بذلك؟! لقد أخذ المال من أجل التنازل
عن الطفل ولكنه ظن أن الأمر انتهى..
عنف نفسه.. غبي عاصم غبي، كيف لم تفكر أنه
كلما أراد مالا كلما فكر بشيء جديد ليبتزك به..
حلقة مغلقة محكمة حول عنقك ولا بد لك من
الخلاص من ذلك الوغد قبل أن يؤذي مصطفى

أو ... نرجس!

ولكن كيف له أن يتخلص منه؟!

"اهدي يا مدام زهرة، خلاص انا هتصرف معاه ومش هييجي

جنبك صدقيني.. وانا متشكر جدا على ال عملتيه

لولاكي كان اخد مصطفى ومعرفش كان ممكن يعمل

فيه ايه"

قالها عاصم بامتنان لتقول زهرة من بين دموعها: "ما تقولش

كده يا دكتور ده ربنا ال عالم انا بحب مصطفى اد ايه،

ولو كان حصله حاجة كنت هلوم نفسي"

ابتسم متفهما وهو يشعر بالامتنان حقا لها لقد أنقذت

طفله من وضع الله وحده أعلم كيف كان ليؤثر عليهم

جميعا..

"لا أبدا بالعكس انا االي ممنون ليكي لانك أنقذتي

مصطفى من الراجل ده، وبعد إذنك لو ممكن طلب بس"

قالها عاصم برفق لتجيبه على الفور وهب تكفكف

دموعها: "اكيد من عنيا.."

ابتسم لها برفق: "تسلم عنيكى، ياريت ماتجيبيش سيرة

لأم مصطفى على اللي حصل عشان ماتقلقش عليه"

أومات موافقة وهي تقول: "أنا فعلا مكنتش هقولها حاكم

انا عارفة هي بتقلق عليه ازاي"

"كتر خيرك، اتفضلي أوصلك بطريقي"

"انشله تسلم البشهندس على وصول"

وما إن أنهت كلماتها حتى ظهر هشام فصافحا بعضهما ثم

اصطحب زهرة للمنزل وغادر عاصم ومعه مصطفى للمنزل

وهو يحمد الله على سلامته وأنه هو من ذهب لإحضاره

بدلاً من نرجس-

وقف أمام منزل عمها مرتبكا يريد أن يراها ولو للحظات

أوراق الياسمين

حتى يطمئن قلبه فمنذ أخبرته نادين عن فقدانها الطفل
 وطلبها رؤيتها وهو لم يستطع الانتظار لليوم التالي ولحسن
 حظه وجد بطاقتين لمصر وما إن وصلا حتى ترك
 شقيقته بالفندق وذهب لرؤيتها وها هو واقف أمام المنزل
 ولا يعلم كيف يصل إليها!

(أحمق يا كاسب، ما الذي تفعله هنا؟!)

هاتف بداخله يعنف نفسه ليضيق على صوت هاتفه

بالتأكيد نادين تتساءل أين ذهب!

أخذ نفساً عميقاً ثم فتح الخط قائلاً:

"بتأسف منك نادين أنا بالطريق خيتا و..."

"خيتا في عينك، آخرتها ابقى اختك؟! انت فين يا

كاسب ولو كان اللي ف بالي مش هرهمك"

نظر لها تمه فوجده عاصم فحكّ شعره بتسليّة وهو يقول:

"فكرتك نادين، وآه اللي فكرته صح انا بمصر بس

صرلي يدوب ساعتين واصل"

"وكنت فين ف الساعتين دول ان شاء الله؟"

قالها عاصم بحنق من صديقه المصر على النأي بما يفعله

بعيدا ليجيبه كاسب؛"وصلت نادين عالفندق و.."

قاطعه عاصم بغضب؛"تاني يا كاسب؟ يعني المرة اللي

فاتت وقولت البنت ال معاكم مش عارفانا وعديتها..

لكن المرة دي بقى ايه عذرك؟!"

حمد الله أن صديقه لم ينتبه أنه ليس بالفندق ليقول؛

"لو جايي براسي لوحدي كنت جتلك عالسريع .. بس

حتى أنت يا عاصم بطلت عايش لوحديك و..."

قاطعه بغضب؛"كاسب والله انا روعي بمناخيري (أنفي)

خلقته مش ناقصك أبدا.. بطل الكلام الغريب ده وهات

اختك وتعال ولو ماحصلش ابقى شوف بقى الحاج هيعمل

فيك ايه"

ضحك كاسب بقوة وهو يقول: "ماشي يا عاصم، تتفشش
(تغضب) إسا، وأنا ما يرضيني يزعل الحاج، ساعة ويجيب
نادين وبجي عندكم وال فندق قريب من بيتكم أصلاً"
أنهى المكالمة ليزفر بعمق وهو ينظر للمبنى مرة أخرى
قبل أن يرحل مبتعداً وهو يفكر.. كَف عن جنونك
كاسب فهذا لا يناسب لا سنك ولا مركزك..

أنت حتى لا تحبها فلم تفعل كل ذلك؟!

منذ استلمت العمل وهو يشعر بالتوجس على الرغم من أنه
هو من شجّعها على العمل بتلك الشركة بما يتناسب
بمؤهلاتها العلمي ولكنه لا يعلم لم هذا الشعور يجوس
بداخله!

دلف إلى المنزل ليراها بانتظاره فابتسم دون شعور لتبادلته

ابتسامته بابتسامته أكثر روعةً وهي تقترب منه فضمها

بحب وهو يقول: "وحشتيني"

"انت اكثر"

قالتها بحب فقال بمشاكسة: "لا انا اكثر"

"زمت شفتيها قائلة: "لا أنا اكثر هه"

ضحك عالياً ثم همس باذنها:

"اختلفنا من يحب الثاني أكثر!"

الشعر.. شيء آخر يُضاف لثقافته اللامحدودة.. هي لم تحب

الشعر قبلاً ولكن منذ أن تزوجته أصبحت تعشقه بل

تعشق كل ما يتعلق بالقراءة مثل زوجها فكان يقرأ ثم

يطربها بما قرأه وهي تعشق طريقته بالسرد وكأنه يتغزل

بها لا يسرد عليها شيء علمي أو أدبي أو حتى رواية مما

يقرأ.

"ثواني هبط الأكل"

قالتها وهي تبتعد عنه فضمها بمشاكسة وهو يقول:

أوراق الياسمين

"ماتسيبك بالأكل ونحلي على طول"

ضحكت وهي تبتعد عنه قائلة: "لا انا جعانة خلي

التحلية بعد الاكل"

وأرقت حديثها بغمزة فضحك ثم ذهب للاغتسال وتبديل

ملابسه وما إن خرج حتى وجدها أعدت المائدة فجلسا

يتناولان الطعام وهما يتسامران.

"ايه اخبار الشغل الجديد؟ مرتاحة فيه؟!"

قاله إسلام بتساؤل بدا طبيعيا فأجابته:

"جدا، الشغل مع الاستاذ عامر ممتع اوي"

"الاستاذ عامر؟"

تساءل فأجابته: "ايوة مديري في الشغل شخصية محترمة

اوي وتحسه وقور كده رغم ان سنه صغير و.."

"وانتي عرفتي سنه منين؟"

سألها بحدة فأجابته ضاحكة دون أن تلاحظ نبرته:

"زميلاقي ف الشغل بيتكلموا، فارس احلامهم بقى خاصة

انه يحضّر الدكتوراة كمان وكله بيدور على الثقافة

والمركز الكبير.. بنات دماغها فاضيتا"

قبض كفه بقوة وهو يشرد مضكرا.. ثقافة ومركز!

وأنت يا إسلام أين مؤهلك العلمي؟! أين مركزك؟!

رمقها بشرد دون أن يستمع لثرثرتها عن زميلاتنا وقصصهن

وهو يفكر.. هل سيأتي اليوم الذي تندم فيه نسرين على

الزواج منه؟!

ألن تندم على التسرع وعدم انتظار شخصا كمديرها؟!

انتبه من شروده على نسرين وهي تقول: "حبيبي! شكلك

تعبان اوي يالا ادخل نام وانا هعين الحاجات دي واجي

وراك .

أوما براسه بهدوء وهو ينهض منقذا ما قالتة على الرغب من

انه يشعر أنه لم يغمض له جفن .

عادت معه ولا زالت على حالتها، حزينتها، نائيتها، ولا تتفوه

بحرف .

غريبة حالتها! وهذا الحزن المرتسم بإتقان على ملامحها!

بعدها أغلق باب المنزل أمسك يدها قبل أن تذهب من

أمامه وسألها بقلق تنامي بشدة داخل أضلعه:

"مالك يا زهرة؟"

هزت رأسها بالسلب وابتلعت ريقها قبل أن تجيب:

"مفيش.. ثواني هسخن الأكل ويكون جاهز"

والتفتت كي تذهب لكنه جذبها ناحيته وأدارها كي

تواجهه .

أخفضت بصرها تتهرب من نظراته وهي على وشك

الانفلات في بكاءٍ مرير تكبجه بصعوبة أمامه، ليمسك

هو وجهها بين كفيه، يرفعه فتواجه عيناها عينيه،

وما هي إلا ثانيتين حتى بدأت دموعها في ملامسة كفي

هشام ووجهها يرتعش بين يديه.

تفاجأ من انفجارها في البكاء، لكنه لم يلبث أن استجاب

سريعاً واحتضن جسدها على أضاعه يهدئها ضربات قلبه

كمسكن لوجعها عاها تهدأ وتحكي له ما بها.

أخذ يهددها كالطفل الصغير بين ذراعيه، وهي لا تفعل

شيئاً سوى الزيادة في البكاء، تفرغ كل خوفها

ومكبوتات انفعالاتها على صدره الحنون، تتشبث بقميصه

بكلتا يديها وهو كان مرحباً ومحتوياً لكل مكنوناتها.

ربت مراراً على ظهرها وهو يقول يهدئها: "هشششش، أنا

معاكي أهو يا زهرة ماتخافيش.. اهدي واحكي لي إيه اللي

حصل؟! "

هدأت من بكائها تدريجياً حتى تحول لشهقات متقطعة

فراحت تحكي من بينها ما عايشته اليوم .

وعندما سمع بما فعله الحقير نظر بقوة في عينيها وهو
 يبحث هائجا عن أي أثر لعنفه أو غيره، وبغضب سألها بما
 لا يقبل الكذب: "الحيوان ده جه جمبك ولا لمس شعرة
 منك؟"

نكست رأسها وهي تجيبه بينما تمسح دموعها: "لا"
 أمسك ذقنها بأصابعه ورفع وجهها ولا زالت عيناها على
 غضبهما: "زهرة..."

بتعب قالت: "والله ما جه جمبي يا هشام، ما انا كويست
 قدامك اهو"

نظر لها لبضع لحظات ثم زفر هواء رثيه بضيق بينما
 يسحبها من يدها ليضعها ثانية بالقرب من قلبه: "طب
 اهدي يا وردة مفيش حاجة خلاص، المهم انك كويست
 والولد بخير.. أكيد مامته هتدعيالك ليل نهار عشان

أنقذتي ابنها"

لم تتكلم بينما تنعم بدفء قربه والشعور بالأمان في

هذا الركن الصغير من العالم.

وهو لم يختلف عنها كثيرًا، بل كان ما يشعره أكثر

وأكثر.. الشعور بها طيعةً بين يديه، تستجدي الأمان

منه، تبكي من الخوف فلا تجد سوى صدره ملجأً ومأوى

لها.. آه يا زهرة، إلى متى سأكتوي!

وكان قد اکتوى، واكتفى، ليباعد عنها بضع

سنتيمترات، وقبل أن تعي ما سيحدث كان يرفرف بخفة

على شفيتها، متمهلاً دون أن يُبعدها عن محيط ذراعيه،

قبلت هي الأولى لكليهما، قبلت أنهت عهد عذريته

مشاعرها الفتية، وفتحت الباب على مصراعيه لمشاعره

هو.. ودون أن يدري ما يحدث كانا قد دلنا لغرفتها، غرفة

كانت تضم جسدها مفردًا، والآن يجتمع تحت سقفا

أوراق الياسمين

الزوجين.. هشام ووردته .

جالسة تستمع للأحاديث الدائرة حولها من زميلاتنا لتنتبه

على قصة ترويتها إحداهن .

"بس ياستي واول ما عرف ان مفيش امل تجيبه الواد اللي

نفسه فيه قام رايح اتجوز عليها وهي تسكت لا طبعاً

قامت قايلاله عايزة اتطلق وهو مكذبش خبر وقام

مطلقها وبعثها على بيت أبويا"

لتعلق أخرى: "يالهي! بقى بعد الحب ده كله يطلقها كده

بسهولتة؟! صحيح يا مأمنة للرجال يا مأمنة للمايه ف

الغريال"

ابتلعت ريقها بتوتر وهي تسألها: "هم اتجوزوا بعض عن

حب؟"

"ايوة يانسرين يا اختي تخيلي.. قعد يحب فيها يجي سبع سنين وفي الاخر طلقها ولا كانه حفي عشان ياخدها..

وهي من وقتها قاعدة عند امي وحالتها كرب" شردت تضر بما قيل امامها.. احبها سبع سنوات وتعذب حتى تزوج بها وبالنهاية طلقها من أجل عدم قدرتها على

الإنجاب!

فكيف بمن فرضت عليه؟! ماذا لو كانت هناك مشكلة

لديها بالإنجاب؟! أو حتى لا تستطيع أن تنجب على

الإطلاق فهل سيفعل إسلام المثل؟!؟

أغمضت عينيها بخوف وهي تحدث نفسها.. وماذا تفعل؟!؟

هل تذهب لطبيبة؟!؟

لقد مرّ كثيرا على زواجها.. حسنا ليست سنوات ولكن

بما يكفي للحمل ولم يحدث فهل تذهب لترى ما المانع

أم تنتظر قليلا بعد؟

وماذا لو كان لديها مشكلة؟ ماذا سيحدث وقتها! بل ماذا

إن كان يفكر من الآن بالطفل؟

هل سيفاتحها؟ حديث جدة نرجس يرن بأذنها حتى الآن

وزاد عليه قصة أخت زميلتها فماذا بانتظارها؟

كادت أعصابها تنهار من كثرة التفكير وما إن حان وقت

المغادرة حتى نهضت على عجلة منها فإسلام سينتظرها

كما اتفقا.. خرجت مسرعة ليوقفها المدير عامر على

باب الشركة سائلا إياها عن عدة أشياء ولم يلاحظ

كلاهما تلك العينين المشتعلتين اللتين ترمقهما على

بعد عدة خطوات .

الفصل التاسع عشر

عاد بمصطفى يضمه بقوة أمت الصغير ليصدر صوتا طفوليا معترضا فابتسم له وهو يشاكسه يثير غيظه وهما يدلفان إلى الشقة بعدما مرّا بوالده ووجداه يجلس مع الجدة وقد تناولا الغداء فلم يستطع أن يخبره بما حدث وفكر أنه من الأفضل أن يخبر المحامي جلال فهو بوضع حيادي وسيستطيع أن يفكر أفضل منهم جميعا. قاطع أفكاره كلمة من مصطفى سرقت قلبه لينظر له بصدمة قبل أن يضمه بقوة أكبر جعلت الطفل يعترض

قائلا: "اووف بابا!"

وهناك أمام الغرفة كانت واقفة تراقبهما يدلفان أب وابنه! وكم شعرت بالسعادة لمشهدهما لتتجمد بكلمة

مصطفى (بابا) وتنتظر لعاصم لتراه يكاد قلبه يخرج من

صدره لصدى الكلمة بأسماعه!

تمتت وقتها لو كان عاصم هو أول زوج لها، لو كان هو

حقا والد مصطفى، لو... وأغلقت الباب أمام مدخل

الشیطان وهي تستعيد منه متوجهة إليهما ليكون دور

عاصم بالتجمد هذه المرة!

فاجأها وهي تأخذ مصطفى منه هامسا بأذنها بمشاكسة:

"كنتي مخبئة الجمال ده كله عني؟! طب ينفع كده؟!"

أنا هشتكيكي للحاج على فكرة"

تعالت نبضاتها وهو ترمقه بنظرة جانبية التقطها هو

غامزا إياها لتلتفت سريعا هارعة لغرقة صغيرها وهي

تضمه لصدرها عل نبضاتها تهدأ قليلا!

فكرت بصدمته.. ماذا حدث له؟! هل أبدله أحدهم؟! هل

هذا من كان يرمقها بنظرات الغضب و... نظرات أخرى له

تستطع تفسيرها حتى الآن!

ابتسمت بسعادة وهي تحمّم مصطفى وتطعمه حتى ينام

القيلولتة وما إن انتهت حتى وجدته واقفا أمامها وهو

يقول: "مصطفى نام؟!"

أومأت غير قادرة على النطق ليبتسم بمكر وهو يقول:

"كويس عشان عايزك بموضوع مهم"

"خير؟!"

تساءلت ليقودها إلى الغرفة الرئيسية والتي يسكنها هو

قائلاً: "ليه حاطة هدومك مع هدومي ف الدولاب؟!"

عقدت حاجبها بعدم فهم وهي تقول: "أمال احطهم فين؟!"

وبعدين هدومي بعيد عنك ف جزء لوحدها"

"بس عاملين زحمة بالدولاب ياريت تبقي تشيليهم من هنا"

شعرت بالعبرة تخنقها فأومأت دون حديث لتفاجأ به

يجذبها بقوة قارتطمت بصدرة متأهتة فرفع رأسها ناظرا

لعينيها بطريقة أربكتها ليهمس: "هو انا كل ما اقولك

أوراق الياسمين

حاجة تهزي راسك وخلص! مفيش اعتراض؟!

مفيش لا ده حقي؟!

"بس ده مش حق..."

قاطعها بلهجة قاطعة: "أحقك، وكل حاجة هنا حقك

ومعمولت عاشانك انتي"

ارتبكت من قربه فألصقتها به متابعا بصوت أجش:

"وأنا كمان من حقك أنتي، زي ما أنتي من حقي أنا.."

ولو انتي اتنازلتي انا مش هتنازل"

له تستطع الرد فقط نظراتها عبّرت عما يجيش بداخلها

من مشاعر ليبتسه وهو يهم بتقبيلها فشهقت قائلة:

"الغدا! هيتحرق.."

رمقها بغيظ قائلاً: "ده انا ال هتحرق دلوقتي واحتمال

احرقك معايا بدل الاكل؟!"

نظرت له بعدم فهم ليدعو الله بالصبر وهو يقول:

"ما تعلقيش على الاكل قذلت النار والغاز وكله..

ممكّن اخذ حقي بقي؟!"

"حق اي...؟"

ابتلع باقي حروفها بضمه وهو يضمها له لتتسى كل ما
كانت على وشك قوله وتغرق معه ببحر ليس له من قرار.

عاد إلى شقيقته ليجدها تجلس بمال على تعمل على
الحاسب المحمول خاصتها فابتسم وهو يفكر أنها حقا
تحتاج للأخر الذي يكاد يجن من بعدها وكان سيقتله
عندما علم بسفرهما ولكن ما باليد حيلة فشقيقته
أصرت على ذلك وهو لا يستطيع إلا أن ينفذ ما تريده
صغيرته.. حسنا هو بكل الأحوال كان يجهز حجة حتى
يأتي لمصر ويطمئن عليها خاصة بعدما علم عن
إجهاضها.. لا ينكر أنه شعر بالراحة قليلا فهو لم يكن

يريدها أن تظل مرتبطةً بذلك الوغد طوال عمرها وربما

يوما يبتزها بالطفل.

أزاح أفكاره جانبا وهو يلقي عليها السلام قائلا: "نادو،

خيتا يلا قومي، عاصم رنّ لي وصيح علي وقال لي نروح

لبيته ونقعد هناك لحد ما نسافر"

ابتسمت له ثم سرعان ما قالت عندما تذكرت أن صديقه

تزوج منذ فترة قصيرة: "بس مش رفيقك هاد عريس

جديد، وكيف هنروح نقعد عنده؟!"

رفع كتفيه بمعنى لا أعلم وهو يقول: "عاصم زنّ كثير

علينا ومستنصر علي، وما حبيتش أفشله أكثر.. هو شاف

قعدتي بالضدق ومش ببيته تقليل من قيمته"

أومات وهي تنهض بهدوء وتجهز متعلقاتها التي لم تخرجها

من الحقيبة من الأساس فنظر لها كاسب بهدوء وهو

يقول: "إيش فيكي خيتا، كثير خافت حركتك

هالفترة

ارتبكت قليلا ولكنها أخذت ارتباكها عنه وهي تقول:

"بس مخوفني قلبي على لبني"

ثم التفتت له قائلة: "يا ترى رح تقدر تزت (ترمي) كل

إشي ورا ظهرها وتكمل حياتها؟! رح تنسى إيش صار؟! "

او رح تضل خيفانة ومكتئبة؟! "

"عم بتفكري ب لبني عنجد خيتا او عم تحكي عن

أحوالك

رفعت رأسها بحدّة وهمّت بالحديث ليقول: "إذا قدرتيش أنت

تنسي فما رح تنسى هي.. أنتي اجدع منها وتنسيش إن كل

العيلة دعمتك وقوتك، بينما لبني مسكينة ولحالها

ورح تضل وحيدة منعزلة إذا ما إجاش (لم يأت) حدا

يعوضها وتبلش معه حياة جديدة نضيفت.. هاد طبعا بعد

ما تتجاوز وتنسى تجربتها الأولى"
 زفرت قائلة: "حيا انا نسيت اللي صار وبطلت أفكر فيه..
 بس اللي صار مع لبني رغم اختلاف أوضاعنا رجعتني
 للماضي وتذكرت كل شي.. بس ما اثرش فيني الموضوع
 كثير زي ما مصورتك مخك.. بالعكس.. شكرت الله
 على نعمته وجودكم حدي (بجانبني) لولاكم يا كاسب
 مكنتش نسيت ولا إشي ولا قدرت أكمل حياتي طبيعيتا"
 "طيب، ليش رافضة ترجعي تتزوجي؟!"
 قالها منتظرا ردّها الذي سيحدد الكثير من الأمور.. هل
 سيكون لعاشقها مكان بحياتها أم أن الطريق مازال طويلا

أمامه!

لتجيبه بحالمية ذكرته بتلك الفتاة الصغيرة التي
 نشأت على يديه: "أنت فهمان غلط.. بالعكس.. أنا
 مرفضتش الجواز بس رفضت كل اللي اتقدموا لي لأن

محدثش منهم خلا قلبي يهتف له.."
 صمتت وهي تتذكر عينين بلون المروج الخضراء
 نظراتهما غامضة أرسلت بجسدها شعورا لم تشعره من
 قبل.. وبالطبع تغير ملامحها لم يخف عن كاسب الذي
 ابتسم بداخله وهو يفكر أن نزار لديه كل الحق بأفعاله
 وجنونه بشقيقته فهما يليقان ببعضهما كثيرا.

هل ظنّ للحظة أن الأمر سهل؟ وأن أول خبرة اكتسبتها في
 الحياة من الممكن أن تمحى في لحظات؟
 كان مخطئاً.. وما وجدته منها كان دليلاً على خطئه.
 عندما بدأ يقبلها بنعومة لم يجد استجابة من ناحيتها،
 ظنّها خجلاً، وربما من صدمة هجومه، لكن ما بعد ذلك
 لم يكن خجلاً ولا صدمة، بل كان جموداً.. كمن ينتظر
 انتهاء تنفيذ حكم عليه، كانت ممددة على السرير

مغمضت العينين، هادئة، ولا وجود لردود أفعال منها..
 أرادها فقط أن تشعر بحبه، أن تتشابك أعينهما
 وأنفاسهما، أن تتحرك ذراعها المضرودتان بجانبها ببرود
 - ناحيته في استجابة من المفترض أنها لا إراديتا!
 ناداها، ففتحت عينيها ليري في عمقهما ما يريد، لكن لم
 هذا البرود الاختياري؟!

سألها برقة وهو يمشط شعرها بأصابع يده:

"مش راضية تبصلي لي يا حبيبتى؟"

وببراءة أجابته: "إنت ماقولتليش؟!"

ابتسم وبتأمله كان يتألم من ردها: "مش محتاج أقولك

يا زهرة، اعملي اللي إنتي عاوزاه.. أنا جوزك"

ابتلعت ريقها وأومات برأسها بينما تبتعد بعينيها عنه،

فأمسك بكفها يضعه على صدره العاري موضع القلب،

وهو يقول: "قربي مني يا زهرة، قربي وحسي بيا"

تناظره وعيناها مفتوحتان حتى آخرهما كبركتي ماء
دون قرار.. نقلت نظراتها بين موضع يدها وبين مقلتيه، إلى
أن فاجأها بالسؤال: "إنتي عارفتني بحبك يا زهرة؟"
فبتلقائية هزت رأسها بالنفي.. طبع قبلة على شفتيها،
وأخيراً اعترف؛ يُطمئنها ويستقطب قلبها، كما يُزيح ذاك
الجمال عن كتفيه: "بحبك يا زهرة.. مع إن فيه حاجات
كثير كانت بتمنعني، بس مقدرتش إلا إنني أحبك"
دمعت عيناها وهي تستمع لاعترافه؛ منذ متى لم تشعر
بحب أحدهم؟ بل متى شعرت بذلك؟! والدها، أم زوجها
السابق، أم زوجات زوجها، أم والدتها المتوفاة؟
متى كان من حقها أن يحبها أحدهم ويهتم بها؟
متى كان من حقها أن تعبرهي عما تشعر، وتفعل ما تريد
أن تفعل دون انتظار وصاية أو توجيه صارم؟

مسح دمعاتها بهدوء وهو يبتسم: "كفاية عياط بأى

وركزي معايا"

أومات برأسها وأوقفت سيل دمعاتها، ليقترب منها أكثر

قائلًا بهمس: "فكريني كده كنا بنقول إيه"

ابتسمت وهي تجيبه بوجنتين متوردتين: "مش فاكرة"

ضحك بخفتة ومن ثم تولى مهمة تذكيرها حرفًا

حرفًا .

أفاق من ذكرياته على نداء أحد زملائه في العمل، فزفر

بقوة يتخلص من تلك الذكريات التي لم يفت عليها

سوى بضع أيام، ثم ذهب يلبي النداء .

عيني لغير جمالك لا تنظر ..

وسواك في خاطري، لا يخطر

وجميع فكري فيكم دون الورى..

أوراق الياسمين

على محبتكم أموت وأحشر
 إن نمت كُنتم في المنام معي، وإن..
 في يقظتي قد كُنت فيكم أبصر
 لا فرق ما بيني وبين خيالكُم..
 إن غابَ غبت، وإن حضرتم أحضر

لابن الفارض

ها هو الحظ يحالفه من جديد!
 كان يُحدثها في الهاتف عندما انقطع صوتها مرة واحدة،
 ليضاجأ بعد عدد من الدقائق التي كاد أن يُجن فيها من
 خوفه عليها- بأحدهم يحدثه من هاتفها، يُخبره بوقوع

حادثة لها!

لم يع لنفسه إلا وهو يتجه صوب مكان الحادث في دقائق
 معدودة، ليجدها مطروحة أرضاً والناس من حولها، بجانب
 وصول سيارة الإسعاف في نفس لحظة وصوله .

هرع إليها لا يدري ماذا يفعل وماذا حدث؟!، منظرها وهي شبه غائبة عن الوعي، تنظر له ولا تميز شيئاً، بالإضافة لساقبيها اللتين من الواضح بهما الإصابة البالغة)، وبعد نقلها للمشفى تبين إصابتها بكسور في ساقبيها تتطلب دخولها غرفة العمليات، مع بعض الرضوض البسيطة في باقي جسدها.

وقبل أن تدخل غرفة العمليات، كانت تبكي ألماً ولا تتفوه بكلمة؛ فمُطِر قلبه لمرآها تتألم أمامه ولا يقدر على فعل شيء، وما كان بيده سوى احتضانها ومواساتها بعجز: "إن شاء الله هتطعيلي بالسلامة وتبقي بألف خير، عارف إنك موجهة والله بس معلى استحملي لحد ما تدخل العمليات وكل ده هيروح" علا صوت بكائها وهي تهتف مؤكدة على كلامه:

"أوي.. أوي يا جلال، مش قادرة"

زفر الهواء بقوة وهو يشدد من احتضانها، ليظلم على تلك

الحالة حتى أخذوها من بين يديه.

كاميلي..!

ليتني أستطيع تحمل كل هذا بدلاً منك! ليتني!

جلس في انتظارها أمام غرفة العمليات، مشبكاً يديه

أمامه، يستند بمرفقيه على فخذه وقد حلّ التعب والقلق

والخوف محلهم الآن بجسده.

كان كل شيء جيداً، ونهار العمل قد انقضى وكل ذهب

لمنزله.. وكانت هي تحت منزلها عندما حادثها، يفصل

بينها وبينه بضع خطوات تعبر بها الشارع، وفي تلك

اللحظة حدث ما حدث - كما يقول الشهود - عندما

ارتطمت بها سيارة مُسرعة!

تنهد بعمق وهو يحاول أن يخفّف حمل قلبه المنتظر أن

يراهما بخير الآن، أو أن يضيق من هذا الكابوس ليجد

نفسه على سريره.

ثم يجد بدءاً من إخبار والدتها بمكانهما بعدما تعدت

الساعة الثانية عشر مساءً وكاميليا لم تعد للبيت،

وذهب كي يحضرها.

عندما عاد وجدها قد خرجت من العمليات ونقلت لغرفة

أخرى وهي لا تزال تحت تأثير المخدر؛ فلم يتحمل ودخل

لها.

كانت تنام على السرير، محاطة بالأغطية البيضاء من

كل جانب فبدت كالملاك.

اقترب منها وجلس على كرسي بجانب السرير، ليمسك

بيدها بين يديه؛ يتحسس برودتها التي تناقض حرارة

جسده، ثم قبلها بكل الراحة التي شعر بها الآن وهو

يراهما أمام عينيه.. ليُفِطَ يداً تتخذ من شعرها مرفأً ترسو

عليه، ثم تبدأ رحلتها ذهاباً وعودة كأنه يمشطه لها،
وهو بين كل ذلك يبتسم منادياً باسمها علها ترحمه
وتفتح عينيها وتناظره؛ فيرتاح.. أو تضغط بيدها على
يده؛ فيطمئن.. أو تناديه من لاوعيتها، أو وعيها؛ فتزيد
دقات خافقه القلق.

"كاميليا.."

تحسّس بكفه ملامحها التي باتت الآن شاحبة، وجنتاها
فقدتا لونهما الوردي، وشفتاها أصبحتا بلون ملاءة السرير
من شحوبهما.. قبل يدها للمرة التي لا يتذكر عددها
ونادها، ليشعر بيدها ترتعش باستجابة داخل حُضن يده.
عادت يده تمسح على شعرها وهو يقول بحنان:

"فتحي عينك يا حبيبي"

بدأت عيناها المغلقتان تتحركان بخفة إلى أن فتحتهما
بحذر، تجول ببصرها في الغرفة منخفضة الإضاءة إلى أن

أوراق الياسمين

وجدته بجانبها.

أغمضت عينيها ثانيةً مقظبةً حاجبيها وهي تبتلع ريقها

بصعوبة؛ فسألها بعدما كان على وشك القيام من

مجلسه؛ "حاجة واجعاكي؟ أندهلك الدكتور؟"

ضغطت بيدها على كفه وهي تهز رأسها بالنفي؛

"لا أنا كويست"

جالت ببصرها ثانيةً في الغرفة، ثم سألته بقلق؛

"ماما عرفت حاجة؟"

أوما برأسه؛ "أيوه، اتصلت كثير ومارضيتش أقولها، بس

الوقت اتأخر وكان لازم تعرف إنتي فين"

تنهدت مغمضة عينيها، وما هي إلا لحظات حتى وجدنا

والدتها تدخل الغرفة وهي تناديها بحزن، وما أن رأتها حتى

انفجرت في البكاء حتى لم تستطع مواصلة المشي،

فذهب إليها جلال وأسندها حتى وقفت بجانب ابنتها؛

تناظرها كلها كأنها تتأكد بعينيها أنها بالفعل بخير.
قبلتها على وجهها عدة قبلات، ثم ومن بين بكائها بعدما

جلست على الكرسي: "ياريته جه فيا انا ولا يبجي

فيكي يا بنتي"

بتعب عاتبها كاميليا: "يا ماما بعيد الشر عنك، إيه

الكلام ده! ما انا كويستة قدامك أهو مافياش حاجة"

حاولت التوقف عن البكاء وهي تقول: "الحمد لله يا

بنتي، الحمد لله.. قدر ربنا ولازم هنشوفه.. المهم إنك

بخير دلوقتي"

"الحمد لله"

تناولت منديلاً من يد جلال، فمسحت آثار دموعها وهمت

تسأل كاميليا بحيرة: "هو إيه اللي حصل يا بنتي؟"

اتخبطتي إزاي وفين؟ مش انا لما كلمتك قلتيلي بركن

العربية خلاص وطالعة البيت؟"

كانت مُتعبَة بحق وظهر ذلك جلياً على ملامح وجهها
 التي التقطها جلال.. فبادبِ خاطب والدتها: "لو ينفع
 نأجل الكلام لوقت تاني يا طنط تكون كاميليا بقيت
 أحسن.. خرينا نسيبها ترتاح دلوقتي"
 كادت تنفجر في البكاء مرة ثانية وهي تراها بهذا
 الشكل المتعب أمامها، لكنها اكتفت ببضع دمعات وهي
 تقبل كفاها، ثم قالت مخاطبة جلال:
 "روح إنت يا بني وانا هبات معاها"
 أصرّ على البقاء: "ارتاحي حضرتك ف البيت وانا هبات
 معاها النهاردة"
 "أ يا بني مش هرتاح ولا يهدى لي بال لو روحت"
 طمأنها وحاول إثناءها: "خلى بالك مرتاح يا طنط، انا
 هكون معاها.. وبعدين أكيد هتحتاج هدوم وحاجات أنا

مش هعرف أتصرف فيها، حضرتك ارجعي البيت جهزيها

الحاجات دي كلها ومن الصبح هكون عندك عشان

تيجي تشوفيها"

فكرت لدقائق في الأمر وهي تنقل بصرها بين ابنتها

وخطيبها، لتسأله بشك رغم أنها تعلم الإجابة مسبقًا:

"هتعرف تتصرف وتأخذ بالك منها؟"

ابتسم وهو يجيب: "ماتخافيش وراكي رجالت"

نظرت لكاميليا ثانية ثم تنهدت وهي تنهض:

"خلاص هستناك الصبح عشان تجيبني"

"إن شاء الله"

أوصلها لمنزلها وعاد لجميلته النائمة، ليجلس بجانبها

ممسكًا بيدها، يتأمل ملامحها، حتى راح في سبات عميق.

نار حارقة تتلظى بداخله منذ رآها واقفة مع ذلك الرجل

أمام عملها، استنتج أنه (الأستاذ عامر) كما تدعوه زوجته وتتشدق بصفاته الملائكية طوال الوقت ليثور ذاك القابع بقفصه الصدري أكثر وهو يراها تهديه ابتسامته لم يلاحظ أنها شاردة لفرط غيرته! لم تلاحظ ملامحه الغاضبة وهي تصعد للسيارة ملقبة تحية خافتة ولم تسمع حتى إن ردها أم لا. ظلنا صامتين طوال الطريق ربما للمرة الأولى منذ زواجهما لم يحاول احدهما أن يبدأ الحديث مع الآخر، قطع الصمت هاتف إسلام ليجده عاصم يخبره أن كاسب وشقيقته بالمنزل ويسأله عن مكانه فأخبره أنه بالطريق ليغلق الخط ويخبرها بكلمات مقتضبة: "عندنا ضيوف، كاسب صاحب عاصم واخته وهي قعدوا عندنا كام يوم لحد ما يسافروا"

أومات بشرود وهي ترد: "اهلا بيهه"

وعاد الصمت ليخيم عليهما ويلقي بظلاله الثقيلة فوق

قلوبهما وكلّ منهما يتساءل عما يشغل الآخر عنه!

ما إن استكان بجانبها قليلا وهو يتذوق حلاوة وصالها حتى

تعالى رنين هاتفه فانتفضت بين أحضانه ليهدئ من روعها

وهو يتذكر صديقه ذلك الذي أصر عليه أن يأتي

ليمكث معه هو وشقيقته ونسيه ما إن اقتربت منه

البريئة وتحكمت به عواطفه.

خاطبه عقله مصدوما.. البريئة!!

ليرد قلبه بقوة أجل بريئة، فقد اكتشف أنها بريئة..

لا تعرف من شئون الغرام شيئا!

وكم أسعده ذلك وكم أرضى غروره الذكوري.. ذاك

الغرور الذي قاومه طويلا حتى يتخذ تلك الخطوة المهمة

أوراق الياسمين

لعلاقتهما.

زفر بحنق عندما عاوده رنين هاتفه لينهض على مضض
تاركا إياها وهو يلتقط هاتفه فاتحا الخط ليصله صوت
كاسب العابث: "وينك يا عاصم؟! عامل فيها عتريس
وبتعزمني على بيتك وبتترك الحاج يستقبلني؟! وليش

لتعزمني إذا مشغول بأشياء تانية خيا؟!"

كاد يسبه لولا تذكر تلك الخجول التي لا تريد
النهوض من الفراش أمامه.. كاد يضحك على تفكيرها
رغم أنه أحب خجلها بل عشقه!

"انكتم كاسب، عشر دقائق وتلاقيني قدامك.. وبعدين

انت مش غريب عشان اكون ف استقبال سيادتك"
وأغلق الخط بوجهه ليضحك كاسب عاليا ليشاركه
عبد التواب الضحك وهو يفهم مشاكسته لعاصم ثم
التفت لنادين التي تجلس بخجل قائلا: "واخبار صاحبك

ايه دلوقتي؟! شوقتيها؟!"

لم تدهش لمعرفة بظروف لبني فأجابته ببساطة:

"ما شفتها يا عمي، بس اتفقت معاها نتلاقى بكرة..

بس هي خبرتني انها بخير"

أوما برأسه بتفهم قائلاً: "مسيرها هتنسى وتعيش حياتها من

تاني، ايه رأيك تخليها تيجي لنا هنا.. نرجس محتاجة

اللي يساعدها بالمشغل لأنني معنتش بروح زي الأول يادوب

بمر من وقت للتاني بس واهو تكون جنبي ومش محتاج

اقولك انها هتبقى زي نرجس ونسرين"

ابتسمت له باطف، كم تحب هذا الرجل الذي تراه لأول

مرة رغم أنها قد سمعت عنه من شقيقها مرارا.. يذكرها

بوالدها الحنون..

توقف قلبه وهو يسمع لكلمات الحاج عبد التواب وكاد

يُضخ أمره لولا كلمات شقيقته التي هدأت من مخاوفه

قليلاً:

"الصراحتة يا عمي، هي مسافرة معي.. اتفقنا هيك..
 لازمها تبعد عن هون لتبلش من جديد.. ويمكن يجي يوم
 وتنسى اللي صابها على إيد أقرب الناس إلها.. يمكن لو
 كانت عيلتها واقضت جنبها مكنش صار اللي صار.. بس
 هالوضع خلاها تضعف وتتعب وتنكسر"
 "عندك حق يا بنتي، لو الأهل ماوقفوش جنب ولادهم
 مين ال هيقف! ربنا يصلحها الحال وتلاقي ابن الحلال اللي
 يعوضها عن كل ال عاشته"
 رمق كاسب وهو يقول كلماته الأخيرة لتصدح ضحكة
 عاصم وهو يدلف لشقته والده ويسمع كلماته الأخيرة..
 "ايوة يا بابا ادعي لابن الحلال ده اوي عشان تتفك عقده
 قريب"
 قالها عاصم بعث ليرمه كاسب بغيظ ثم يقول مغيظاً

إياه: "مرحبا بالعريس، أكيد توَحشتني"
 قاطعه دخول إسلام بوجه لا يُفسر ليرمقه بتساؤل تجاهله
 الآخر وهو يصافح كاسب ويتحمّد سلامته ثم تدخل
 نرجس ومعها نسرین التي بدت بعالم آخر هي أيضا
 ليصطحبا نادين معهما ويتركن الرجال بمفردهم.

استيقظت ونور الصباح قد بدأ يتخلل ستائر الشرفة
 بخجل - لتجده يجلس بجانبها على كرسي، يده تمسك
 يدها وقد ارتخت قليلاً من أثر النوم.. ابتسمت بضعف ثم
 تنهدت ويوم البارحة بكل ما فيه عاد قويا في ذاكرة
 عقلها وجسدها.

نظرت لساقها المختبئتين أسفل الغطاء- بتفحص، ترى
 كم من الوقت سيتطلب منها الأمر كي تعود لسابق

عدها في الحركة؟

كسر في الفخذ الأيمن، وآخر أخف وطأة في القدم اليسرى، وهاهي طريحة الفراش لا تستطيع حتى جلب

كوب ماء لنفسها!

رمت رأسها على الوسادة خلفها وهي مغمضة العينين، ولم

تنتبه لمن استيقظ بجانبها يتأمل خلجاتها ويعرف ما

تفكر فيه دون أن تنطقه.

"صباح الخير يا ميمي"

التفتت لتجده ينظر إليها، فأجابته وهي تتجنب النظر إليه

ولا تعلم السبب: "صباح النور"

عدّل من وضع غطائها وهو يسألها:

"عاملة إيه النهاردة؟ أحسن؟"

أومات بهدوء: "أيوه الحمد لله.. ماما مشيت امبارح؟"

حرّك عضلات رقبته يمينا ويسارا بتألم بسيط وهو

يجيبها: "آه، بالعافية خليتها تروح"

مسح قطرات العرق عن جبينها قائلاً براحة وهو لا يكاد

يُصدق أنها سالمة كلياً أمامه من بعد قلق البارحة:

"حمداً لله على سلامتكم يا كاميليا"

ابتسمت: "الله يسلمكم"

ثم سألته: "مش هتروح تروح شوية؟"

كان يُغلق أزرار قميصه العليا، ليجيب: "هروح أجيب طنط"

وفي طريقي هعدّي ع البيت أجيب شوية حاجات"

ولم يلبث أن نهض من مكانه حتى وجد من يطرق الباب

ويدخل بهدوء، وكانت والدة كاميليا هي الزائرة.

"جيتي لوحدك ليه يا طنط؟، كنت لسه جايلك"

"وأنا لسه هتعد أستناك يا بني؟ لقيتني خلصت كل

حاجة فقولت آجي"

اتسعت ابتسامتها لكاميليا لتسألها وهي تقبل جبينها:

"عاملة إيه يا بنتي؟"

حاولت الاعتدال قليلاً والجلوس وهي تجيب:

"الحمد لله يا ماما كويست"

رفع ظهرها بذراع وباليدين الأخرى ضبطت من وضع الوسائد

خلفها، ثم أراح ظهرها عليها متسائلاً: "مرتاحة كده؟"

"أيوه"

طرق الباب ودخل الطبيب منه مبتسماً بعملية:

"صباح الخير"

ثم توجه لفحص المريضة بعد السؤال عن الحال، وبعد

إعطاء النصائح وقبل انصرافه استوقفته كاميليا بلهفة:

"دكتور، بعد إذناك"

التفت لها فسألته بخفوت: "أنا هعرف امشي تاني؟"

ليجيبها بثقة: "أكيد، ده كسريا استاذة مش شلل بعد

الشر، طول ما احنا بنمشي ع العلاج صح هنقدّم من وقت

الحركة أكثر

أومات برأسها شاردة، ليستأذن هو ويخرج، وجلال لم يثته
ذلك الشرود ولا السؤال.

سكون يحتل حياتهما وكل منهما يضسره بما يليق
بأفكاره حتى المفاجأة التي كان يجهزها لها من فترة
وقبل ما حدث نحاها جانبا.. كل منهما يغرق بعالم
مختلف وأفكار وجه التشابه بينهما نهاية زواجهما!
ماذا حدث لهما؟! الجميع لاحظ ما يحدث معهما ولكن لا
أحد يتدخل تاركين لهما المجال لحل مشكلاتهما
بمضردهما دون تدخل قد يزيد الضجوة بينهما حتى جاء
اليوم الذي كان ربما بداية النهاية لحياتهما معا!
دلف من الباب الخارجي للمنزل لسمع أصوات آتية من
الحديقة الخلفية وليس أي أصوات بل صوت زوجته

فتوجه لها ببطء وهو يتعجب من عودنها باكرا من العمل
فهو قد عاد لأنه لم يستطع التركيز أبدا فترك كل
شيء للأسطى حسين وعاد للمنزل.. كان قد اقترب من
مكانها ليتجمد حالما سمع الحوار بينها وبين نرجس
الذي اكتشف أنها تشاركها الجلستا.

"انا دلوقتي مش فاهمة أي حاجة من ال قولتيها! بقالك
فترة غريبة وساكتة حتى جوزك نفس الكلام وفجأة
تيجي بدري وتقولني سيبتني الشغل اللي كنتي من
اسبوعين بس فرحانة بيه وبتمدحي بالناس هناك! ايه
اللي حصل وبييه سيبتيه مش فاهمة حاجة!"

تململت نسرین مكانها وهي ترد على كلام نرجس:
"معنتش مرتاحة هناك، من وقت ما اشتغلت هناك وانا
حاسته ان اسلام بعد عني وبيعاملني بجمود غريب، او
يمكن انا اللي حاسته بكده لوحدي معرفش بقى بس

مش مرتاحاً

جادلتها نرجس بعقلانية: "بس ده مش مبرر انك تسيبي

الشغل فجأة كده يا نسرين، قوليلي ايه اللي حصل من

غير لف ودوران"

أغمضت عينيها وهي تزفر بقوة قبل أن تقول:

"المدير اتقدملي النهاردة"

"اتقدملك ازاي يعني مش فاهمة؟"

قالتها نرجس بحيرة لتجيبها نسرين بحدّة: "اتقدملي يعني

عايزة يتجوزني يا نرجس مالهاش معنى ثاني"

شهقت نرجس وهي تضرب صدرها بيدها قائلة: "الراجل ده

اتهلل وال ايه؟! هو مش عارف انك متجوزة؟! وال مكنش

يعرف؟!"

"الكارثة انه عارف"

حرّكت رأسها بعد استيعاب قائلة: "انا مش فاهمة حاجة!"

اما هو عارف جاي يتجوزك ازاي؟! مجنون ده وال ايه؟"

أوراق الياسمين

"عايزني اتطلق وقال ايه جوزي مايليقش بيا، ده واحد

صناعي وانتي واحدة متعلمة تعليم عالي وهيخليني

ف مركز كبير ف الشركة و.."

قاطعتها نرجس بغضب: "يخربيتها! وانتي علمتي ايه؟ اوعي

تقوليلي انك سببتي الشغل وجيتي كده من سكات؟!"

"لا طبعا ده انا اتخانقت معاه وقولتله ان الظفر اللي جوزي

بيطيره برقبتة وانه مايجيش حاجة فيه ولما حاول

يتناول عليا قمت ضارباها بالألم ولميت عليه الشركة

وقولتله انه مايشرفنيش اني اشتغل في مكان زي ده

وجيت على هنا ع طول"

وقف متجمدا مكانه لا يعلم هل يذهب ليضمها إليه بقوة

ويعتذر لها عن سوء ظنه الفترة السابقة! أم يذهب ليوسع

ذلك الحقير ضربا؟! أم يطلقها ويتركها لمن يستحقها

حقاً! فهذا الموقف سيتكرر بتكرر عملها بكل مكان
وهو سيظل كما هو غير متعلم بنظر الجميع .

كان صاعداً إلى شقته و بداخله مشاعر متصارعة كـ
كان يود احتضانها وهو يسمع كلامها عنه! وكـ ودّ لو
يحطم عظام ذلك المتبجح! وكـ شعر نفسه صغيراً
ونادماً على كل ظنّه بها وبعده عنها الفترة السابقة!
وكـ يشعر بالحيرة ولا يعلم ماذا يفعل بهذه اللحظة
ليجد نفسه أمام عاصم المسك بابنه وينظر له بصدمة
قائلاً: "إسلام!! انت جاي بدري كده ليه؟! انت ومراتك
متفقين وال ايه؟"

لاحظ الاحتياج بعينه فقاده لشقته قائلاً: "تعال انا كنت
نازل ادي مصطفى لبابا ماشافهوش النهاردة، تعال نتكلم

الأول وبعدين ابقى انزله"

سار معه وهو يشعر بالتيه ليجلسه عاصم بغرفة المعيشة

مغلقا الباب خلفهما تاركا مصطفى يلعب على الأرض

أمامهما..

"ايه اللي بيحصل معاك بقالك فترة يا إسلام؟! انا قولت

فترة وتعدي ويمكن متخاف مع مراتك لكن شكلك

كده ما يطمنش ابدأ.. احكي لي مالك؟"

"مش عارف اقول ايه؟"

"اي حاجة، حتى لو الكلام مش مترتب قول وانا

هفهمك"

أغمض عينيه بقوة ثم بدأ يقص عليه كل شيء.. حبه

لها، طريقة زواجهما، حياتهما معا.. طلبها الطلاق منذ

فترة ليست بالقليلة وما فعله وقتها.. عملها بالشركة

وحديثها عن مديرها.. حتى وصل إلى ما سمعه منذ قليل

ليسيطر عاصم على أعصابه ربما لأول مرة ثم يقول:

"انت غبي يا إسلام"

رفع رأسه بحدة فتابع عاصم: "ايوة غبي، وغبي اوي كمان..

وهقولك ليه..

اولا مقل من نفسك اوي وكان موضوع موضوع شهادة،

يابني العقاد كان معاه ابتدائية ورغم كده كانت

بلاغته وفصاحته بيقف قدامها الجامعيين عاجزين..

انت مثقف، عارف معنى الكلمة؟! معناها انك عارف

اكثر من الناس عندها شهادات والفرق بينكم كبير

ولصالحك انت مش لصالحهم.. مثال ع ده انا.. قدامك

اهو معرفش نص ال انت تعرفه، كل خبرتي بمجالي

ويس.. تقريبا معنديش وقت اقرا حتى كتاب ولو لقيت

بقراً عن تخصصي برضه عشان الشغل"

صمت قليلا ثم تابع وهو يرى إسلام ينتظر متابعتها وكان

كلماته بها الدواء لحيرته الواضحة على كل خلجة من
 خلجاته: "غبي ثاني مرة عشان لما طلبت الطلاق انت
 ما سألتهاش عن السبب، كل ال عملته انك اتحاشيت
 الكلام ف الموضوع خالص واثبت انك متمسك بيها
 وبس.. لكن هل عرفت السبب؟! لا وده سبب ثاني

لغباءك"

هل حديث عاصم فاجأه! لا على الإطلاق هو أيضا كان
 يفكر بكل ذلك ولكنه كان يحتاج لدفعة للغوص
 بكل ذلك وهذا ما سيفعله .

مرّ شهر على سفرها معها وحتى الآن لم تتركها صديقتها
 أبدا بل تشاركت معها الشقة وظلت معها بالعمل
 والمسكن رغم اعتراضها على ذلك، يكفي ما فعلته
 وشقيقتها من أجلها حتى الآن.. لا تعلم كيف ترد لهما

أوراق الياسمين

الدين الذي أثقل كاهلها!

"نيالو اللي شاغل بالك لبني!"

قالتها نادين بعث لتبتسم لبني بعث مماثل قائلة:

"بفكر امتي هترجعي بيتك وتريحيني"

"لحقتي تزهقي مني؟!"

قالتها نادين لتبتسم لبني قائلة: "انتي عارفة كويس اني

مازهقتش منك ابداء، لكن بجد مكسوفة اوي من

اهلك وانتي سايباهم كده وقاعدة معايا عشان مكونش

لوحدي و..."

قاطعتها بحزم: "ما حدا متضايق منك.. بالعكس الكل

ملاحظ اني متأثرة فيكي بطريقة كويست حتى شوفي!

رجعت أضهر وأتفاعل مع الناس مثل قبل.. أنتِ قدرتي

ترجعي نادين الحقيقية بعد ما قضيت سنين وانا

معتكفة عن العالم"

ازدردت ريقها ببطء وهي ترمقها بألم.. لقد عانت نادين
 كما عانت هي ولذلك شعرت بكل القهر والألم داخلها
 لتكون هي الترياق لكل أوجاعها وكم تشعر بالبهجة
 عندما تسمع منها أنها ساعدتها بأي شيء مهما كان

صغيراً!

حوّلت مجرى الحديث لتقول وهي تغمزها بمرح عاد يدخل
 حياتها بعد شهر عذاب عانت بها: "أنا برضه ال رجعتك
 لشخصيتك الأصلية وال حد ثاني؟!"
 ارتبكت نادين قائلة: "إيش قصدك؟"
 "أقصد ابن العم الوسيم، الشهر، اللي بيطاردك في كل
 حتة و..."

اعترضت مقاطعة: "اكيد لاء! إيش خص نزار أصلاً؟ أنا من
 فترة قليلة لتذكرت أنه ابن عمي.. أنا حتى ما بطيقه

وبينزلش من بلعومي...و..."

قاطعتها بجدية: "ليه بتهربي من قلبك يا نادين؟!"

صدقيني اللي بتعمليه ده غلط، ماتضيعيش احلى سنين

عمرك في الهروب من مشاعرك.. خاصة بقى لو كان

من واحد استناكي عمره كله ومستعد يستنى الباقي

منه كمان"

"انا بهربش.. انا بس..."

صمتت عاجزة عن التعبير عما يعتل بداخلها من مشاعر

لتكمل لها لبني قائلة: "خايضة وال بتحمليه ذنب اللي

حصلك يا نادين؟! فكري كويس يا نادو واعرفي انتي

عايزة ايه! واعرفي كمان انه مالوش ذنب ف اللي

حصلك"

تركتها شاردة بما قالتة لتلتفت لها بعدما فتحت باب

المكتب قائلة: "ولو عندك أي سؤال اسألني نادو وأكد

هو أحسن واحد يجاوبك" .

فوجئت به أمامها فابتسمت داخليا وهي ترد تحيته تاركة

صديقتها تواجهه وهي تدعو أن يريح قلب صديقتها من

الحيرة التي تنغص حياتها منذ فترة .

فتحت الباب لتجده أمامها شعرت بالصدمة لوهلة قبل أن

تقول: "ايه النور ده، أسعد باشا عندنا.. ياترى ايه اللي

فكرك بيا يا باشا"

أزاحها من أمام الباب ودلف للداخل وهو يرمق المكان

بريبة قائلا: "فيه حد عندك؟"

ابتسمت وهي تقترب منه تلمح نظراته الجائعة لقدها

الظاهر من ثوبها لتضحك بداخلها وهي تفكر.. لقد

كانت منذ فترة تفكر كيف ستحل معضلتها! وما هو

الحل يأتيها بكل يسر.. ستساومه ولكن بعد أن (تبسطه)

كما يخبرها بكل مرة يأتي إليها محملاً بالهموم وهي

عليها إزالتها .

"لا محدش بيجيلي هنا غيرك وانت عارف كده كويس..

مش انت اللي جايلي المطرح ده، اجيب حد غيرك هنا

ازاي؟! وانا مبطلت شغل بقالي فترة"

رفع حاجبيه مستفسراً وهو بادئاً بخلع ملابسه قائلاً

باستهانت؛ "ليه تعبانت؟"

"لا بعد الشر عني، برتاح شوية .. زهقت، وانت عارفتي ليا

مواصفات خاصة"

قالتها غامزة إياه فضحك عالياً وهو يجذبها له بقوة حتى

سقطت على صدره ضاحكة بخلاعة ويدها تستكين

على أزرار قميصه تكمل ما بداه هو بدلال ماكر

ليفاجنها بحمله لها والاتجاه للغرفة وهو يقول؛

"عايز النهاردة تبسطيني أكثر من كل مرة،

نسيّني العالم باللي فيه" ..

وقد كان .

أوراق الياسمين

الفصل العشرون

الزمان: الساعة الثالثة بعد منتصف الليل

المكان: حارة شعبية جمعت بين كل المتناقضات

كانت تملأ حاجياتها بسرعة وعنف خشيّة أن يلمحها أحدهم وهي تلهث بشدة من فرط توترها.. شريط حياتها في الفترة الأخيرة يُعاد أمام عينيها بينما تتحرك في الغرفة فتكاد تتعثر في كل خطوة من عدم التركيز. هو يوم مشؤوم واحد كان السبب في كل ما حدث معها،

يوم فاصل، مليء بالمصائب والكوارث.

بعدها عادت من المشفى بأيام..

"أيوه ياللي بتخبط"

فتحت الباب بعدما وصلت إليه لتجد أمامها شخصاً لا تعرفه، ألقى التحية ثم بعملية قال: "انتي سوسن
"عوض؟"

قطبت حاجبيها، ثم نادت سوسن بأعلى صوتها فأنت
الأخيرة متحاملة على نفسها، لتقول بوهن:

"نعم ياماً، فيه ايه؟"

"تعالى كلمي.."

قدم إليها ورقة ودفترًا قائلاً بنفاذ صبر: "امضي وانا ابصمي"

هنا يا مدام، خلىني امشي"

فعلت ما قال، ثم بتعجب سألته: "ايه ده؟"

كان يللمر أشياءه، ليحبيب على عجل: "ورقة طلاق"

لم يصدر في تلك اللحظة سوى صوت والدتها تشهق بعنف

وهي تضرب على صدرها بكفها، بينما كانت سوسن غير

متفاجئةً أبداً بتلك الخطوة .

"طلاق إيه يا سوسن؟ انا معودتش فاهمة حاجة! يعني

سايبك ده كله من ساعة ما سقطتي وقولنا عنده شغل،

إنما لما يظهر يكون باعت ورقة طلاقك!"

تأففت وهي تكبت بداخلها خوفاً وتوتراً؛ "وأنا اعرف منين

ياما، ما انا زيي زيك"

وبعدها بأسبوع، ومع غياب رءوف وزيادة حمل المصروفات

وعلاجها على والدتها، طلبت منها أن تعود للعمل.. وكل ما

حدث بعدها كان ظلاماً .

"ألو... جمال؟"

بتهكم أجابها: "إيه ده؟ ست الحسن والجمال بنفسها

بتكلمني؟"

تأففت بداخلها، ثم تظاهرت بالبرود وهي تحادثه:

"شوفي حد النهاردة، هرجع الشغل"

ضحك عالياً ثم قال: "هو انا ماقولتلكيش؟ مش استغنيا

عن خدمات الهانم خلاص؟"

علا صوتها وهي تسأله: "يعني إيه؟"

ليرد بملل: "يعني لما غطستي ومعرفناش ليكي قرار

شوفنا غيرك، بت حلوة وصغيرة وبننت بنوت.. إنما دلوقتي

انتي بقيتي بضاعة مستهلكة ومحفوظة عند الزباين،

عايزين تغيير، تجديد كده عشان الناس ماتملش منا"

بهياج قالت وهي لا تأخذ في اعتبارها أين ومع من تكون!

"دلوقتي بقيت وحشة! دلوقتي بتقول بضاعة مستهلكة

وانت السبب ف ده كله يا جمال! لأ يا بابا، عمرك ما

هتلاقي بت زيي، ولا هتلاقي واحدة ترضي عينت

رجالتك غيري! وشغلك اولع بيه انت والست سونيا

بتاعتك!"

ثم أغلقت الخط بعصبية ولا زال جسدها ينتفض من الغضب، غضب من ظروفها ونفسها وجمال والعمل ورعوف وحملها الذي لم يتم.. غضب لم يظل طويلاً عندما سمعت صوت والدتها من خلفها مباشرة تسألها بخفوت مخيف:

"بتكلمي مين يا سوسن؟"

التفتت لتجدها تنظر إليها متسعة العينين ووجهها يقول أنها بالفعل سمعت كل كلمة من محادثتها مع جمال! هل تبرر؟ هل تكذب؟ وماذا ستقول بعد ما سمعته والدتها؟! كيف ستجعلها تكذب أذنيها لتستمع لتفاهاتها

وتبريراتها الغير منطقية؟

وعندما ظلت صامتة لدقائق خبطت والدتها على صدرها بقوة وهي تقول بعدم تصديق: "بتكلمي مين وبتشتغلي

ايه يا سوسن؟ بتشتغلي ايه يا بنت بطني؟"

قبضت يدها بطريقة مفاجئة على مؤخرة رأسها بعنف
 شديد بينما تهزها صارخة: "يا فضيحتي! يا فضيحتي
 وسط الناس! بنت ليل يا سوسن! بنت لييل! انتي اتهبتي
 يا بت ولا اتجننتي رسمي؟"

حاولت تحرير شعرها من قبضة والدتها وهي تقول وقد
 فاض بها: "ياما سيبيني، مش انتي والهه عليا!"
 رفعت وجهها ولا زالت ممسكة بخصلات شعرها، لتقول
 بغضب انفلت من عقاله: "انتى مش بنتى! مش سوسن اللي
 ربيتها وتعبت وشقيت طول عمري عشانها! طب وجوزك
 ذنبه ايه؟ ده كان بيتمنالك الرضا ترضى! أكيد
 طلقك لما عرف بقرفك"

تأففت بضيق وهي تشعر بالحبل يلتف حول عنقها:

"ياما سيبيني بأى"

"أسيبك! ده انتي بتحلمي"

وما تلاه كان ضرب وإهانة كأن أحدهم تلبس والدتها

فأصبحت قوتها كقوة الرجال"

لتصبح بعدها خادمة في البيت، حبيسته، لا تقدر على

تخطي بابه حتى!

وها هي الآن قد قررت، ستهرب، يجب أن تهرب من كل ما

حولها!

فتحت الباب ببطء ثم خرجت دون أن يشعر بها أحد.. هامت

على وجهها في حارتهم المظلمة لا تعرف إلى أين ستذهب!

لا تملك مكانًا ولا تعرف أحدًا!

راقبها على بعد مناسب لمكان العمل وغير مناسب لقلبه

الذي نبض بقوة لوجودها معه بنفس المكان.. هل هي

معهم حقا؟!

هل سافرت معهم وتعمل معه بنفس المكان منذ فترة؟!
ربما لا يحتك بها بأمور العمل كثيرا فكل عملها مع
شقيقته مباشرة ولكن البهجة الذي يثيرها وجودها
بمكان عمله وبالقرب منه تجعله غير عقلائي بالمرّة!

ماذا حدث له؟!

هل تخبل بالعشق كصديق عمره؟!

حسنا صديقين وليس صديقا واحدة، فما هو عاصم أيضا
غارق بعشق زوجته دون أن يدري.. فالغبي يظنه محض
تعود أو احتياج ولا يعلم أنه العشق الذي دك أسواره

العالية خفية!

زفر باشتياق لعشق مماثل تغافل بداخله واشتاق لأن يضر

معشوقته بين خلاياه ..

ثرى هل سيفعل يوما؟!

اقتربت منه على حين غفلة لتحدثه وهو ينظر لها دون أن

يراهما فعليا!

لمست منها وانتفض مكانه ناظرا إليها بصدمة لتتراجع

هي للخلف وهي تنظر له بوجل!

كاد يخر ضاحكا سخريته من نفسه، فهو يفكر بها وهي

تتحدث معه ولا يراها، لمستها التي صعقته كانت بملف

تمسكه يداها وخمن هو أن الحديث عليه فحاول أن يلمسه

شأت نفسه وهو ينظر لها بجديته مصطنعة.

"ودلوقتي أنا مش عارفة اعمل فيه ايه؟! ونادين .. آ آ ...

مش فاضية حاليا"

قالتها لبني بتردد ليأخذ منها الملف قائلا بصوت

متحشرج: "انا بهته بالموضوع خالص اتكلي علي خيتا"

ابتسمت له برقة فتمنى لو استطاع رسم هذه الابتسامته

بقلبها كما شفيتها..

"شكرا أستاذ كاسب"

شكرته وتركته ظمأنا والنبع بين يديه ولا يعلم

أوراق الياسمين

كيفية الغرف منه ليروي ظمأه .

يطاردها بكل مكان، لا يترك لها فسحة للتفكير

أو التراجع..

يرى اللوم بعينيها الحبيبتين ولكن كيف يبرر لها؟!

كيف يجعلها تدرك أنه لو علم أنها ستكون لسواه لما

سافر ولو يوما واحدا!

زفر بحنق وقد ملّ المطاردة دون جدوى وقرر الهجوم

الضوري على قلبها ليدك حصونه التي بنتها الآلام

والجروح..

وقف أمام مكتبها وهو يتذكر اليوم الذي رآته أمامها

بمنزل عائلتها..

للحظة توقف قلبه وهو يراها تدلف للمنزل بصخبها

الطفولي تعانق والديها لتشقق بقوة عندما التقت عيناها..

وقبل أن تتفوه بكلمة كان يلتقط كفاها بين كفيه
 قائلاً بمرح: "على طول بتكون هيك ردة فعل البنات
 الحلوين بس يشوفوني يا بنت العمر، إيش أخبارك نادين،
 تغيرتي كتير واحلويتي من لما شفتك آخر مرة"
 لم تستطع النطق بكلمة وهي تشعر به يضغط على كفاها
 بخضة وقلبها ينبض بقوة لا تضاهيها قوة إلا نبضات قلبه!
 بابتسامته قال والدها الذي لمح نظراتهما المحدقة
 ببعضهما: "هاد نزار ابن عمك يا نادين، متذكرتيش؟ نزار
 هاد كنت أميرته المدللة دوم، حتى كاسب كان يغار
 منه بسببك"

استطاعت بجهد أن تبتسم له وتسحب كفاها المستكين
 بين كفيه براحة لتلاحظ حدقتيه اللتين اتسعتا فور أن
 قالت: "لا، ناسيت"

نظر لها نظرة مغزاها (كاذبة أميرتي المدللة، فلو لم

تسعضك ذاكرتك بتذكري فقلبك لم ينسني أبداً
 تحاشت النظر إليه وهي تجلس بجانبه فهو المكان
 الوحيد المتاح بغرفة الجلوس الصغيرة التي كانوا بها
 لتسمع همسته: "بس انا اشتقتك أميرتي، ما اشتقتيلي؟"
 ارتبكت ونبرته تفضل بها الأفاعيل ويبدو أنه يعلم ما
 يفعله بها جيداً إذ شعرت بابتسامته الراضية ترتسم على
 شفثيه لتهمس له بحدّة: "لا، وما رح أشتاق يا ابن عمي

المحترم"

"حتى لو شفايضك ما قالتها، بس قلبك عم يدق

بحروفها"

همسها بخفوت أشعل قلبها ونبضاتها الغبية تتقاذرت تؤيد
 حروف هذا المغرور لتشيع بوجهها عنه بتأفف مصطنع
 ليبتسم مرة أخرى وهو يفكر.. ليتني لم أسافر وأتركك
 يا عشق نبضاتي.

أفاق من شروده على باب المكتب يُفتح ليجد لبني أمامه
فابتسم لها بخفة لتبتسم له بمكر ظلّ من حدقتيها وهي

تهمس له: "الله يعينك على ما بلاك"

كاد يقهقه على جملتها وهو يدلف إلى المكتب ويرى
نادين تنظر له بغضب ليضحك بداخله وهو يوافق لبني
بجملتها بقوة.

"إيش صاير؟! ليش مشرفنا بجيتك لهون يا ابن عمي؟"
"اسمي نزار يا قلبه لابن عمك، مبارح توحشتك كنت

غايبة عن لمة العيلة، فجيت بنفسي اكحل عيني

بشوقتك أميرتي"

ذاك النبض الغبي لا يمنحها الفرصة للرد بما يليق، تجهّم

وجهها لتشيح به وهي تبحث عن رد يجرحه دون إرادة

منها.. رفعت رأسها تهم بالحديث لتتصادم بوجهه القريب

منها فارتدت للخلف بقوة كادت تتسبب بسقوطها ليمتد
 ساعداه فيحاووظاها مانعين إياها من السقوط
 وهو يهمس: "مش حابة تشوفيني؟! علشان هيك مجيتيش
 مبارح تشوفي العيلة؟! أنا السبب يا نادو؟"
 لا تفهم ماذا تفعل بها نبرة صوته الحانية تلك! وكان بها
 إغواء لنبضاتها لتتسارع ويلين عقلها الذي يلومه عما
 حدث لها.. حسنا هو حقا لا ذنب له بل ربما تعذب بما
 حدث لها وحمل نفسه اللوم.. ليأتيها صوته يؤكد على ما
 يدور بخلدتها: "أديش كرهت حالي وذئبتا لأن سافرت
 وتركتك رغم اني كنت مضطر.. كنت صغوننة لسا
 وما عندك تجارب.. وخمنت يكون احساسك إلي مش
 اكثر من حب طفلة بهتم فيها وبدلها، فضلت أبعد
 عنك على اعتبار انه ارجع بس تصيري كبيرة لتحدي
 شو احساسك تجاهي، بس انعدرت ومصرش اللي بتمناه،

فضعتني مني وضعت بعدك"

"نسيتك يا نزار لانك تركتني لوحدي وتخلت عني

وصرت ضعيفة وكمشني واحد حقير.. انا عنجد نسيتك

وبعترف.. عملت حالي ناسية لانك تركتني بإرادتك..

خليتك تحمل الذنب... بس.."

قاطعها: "وأنا حملت الذنب.. ذنب كل ثانية بعدت عنك

فيها.. ولسا لهلء كرهان حالي للي صار.. وبعرفش إيش

اعوضك وانسيكي كل شي صار! أو أقولك.. انا عارف

كيف اعوضك بس رح تعطيني فرصة؟! أو بدك

تشمطيني اكثر وتعاقبينني كمان؟"

دلف إلى حجرتها ليجدها ممددة على السرير تحاول

الوصول بيدها إلى كوب الماء الموضوع على الطاولة

بجانبها، ولا تستطيع؛ فأسرع يناولها إياه مبتسماً؛

أوراق الياسمين

"يا صباح الخير"

تمتت بـ(صباح النور) بصوت خافت ثم رفعت كوب الماء

تشرب منه دون أن تنظر إليه حتى الآن، فحمل كرسيًا

ووضعه بجانب سريرها ثم جلس يراقبها.

نظرة خاطفة ثم سؤال دون مقدمات: "عارف اني هفك"

الجيب الأسبوع الجاي؟"

ابتسم بفرحة وهو يمد يده كي يمسك كفاها البارد:

"أيوه عارف يا حبيبي"

صمتت لدقائق، وبينما يكسر هو الصمت بوصول العينين

وقبلت في باطن كفاها- فاجأته بأن قالت بضعف لأول مرة

يراه منها: "هتيجي معايا؟"

"أكيد طبعًا..."

تنهدت كأنها تبتلع بكاءً، ثم سألته مباشرة: "جلال... لو

اكتشفت ان الحادثة أثرت على رجلي، هتعمل إيه؟"

رفع كتفيه وهو يجيب بتعجب: "هعمل ايه ف ايه؟"
 ببوادر غضب تحاول به أن تداري ضعفها وهشاشتها في هذه
 اللحظة: "هتكمل مع واحدة عارجت يا جلال ولا نفضها
 سيرة من دلوقتي؟"

قطب حاجبيه وبدأ غضبه في الظهور: "لأ ده واضح انها
 أثرت على دماغك كمان؟ ايه يا كاميليا كلام العيال
 ده؟"

لتقول ببرود مصطنع: "كلام عيال عشان بواجهك
 بالحقيقة؟ ده اللي هيحصل، مستعد تتقبله ولا لأ؟"
 هل كان يجب عليه الارتباط بغبيته مثلها؟
 لقد تعب منها بحق؟

لم يجبها، فنادته وقد عاد إليها الضعف: "جلال.."
 تنهد بضيق وأفلت يدها من يده، ثبّت عينيه في عينيها
 اللتين تخلّتا عن بعض قوتها الآن - قائلاً بهدوء الكلمة

التي طالما تخيل توقيت ومكان قولها: "كاميليا، أنا
بحبك.. بحبك، عارفتَ يعني إيه الكلمة دي؟ والله
العظيم بحبك ومش مستعد أخسرک تحت أي ظرف.. لا
فارق معايا لون عين ولا طول شعر ولا شكل هيروح كده
كده مع الوقت، لو كنت كدا كان زمني متجاوز أي

واحدة من زمان"

لمعت عيناها قليلاً، فأكمل: "أنا عاوزك انتي يا

كاميليا.."

أفلتت دمعته من عيناها لا إرادياً بعد أن حبستها طويلاً،
فمسحتها سريعاً قبل أن يلاحظها، لكنه كان قد فعلها.
انتقل من مجلسه على السرير بجانبها، يقول بتعجب وقلق:

"انتى بتعيطي؟"

هزت رأسها أن لا، لكنها لم تلبث أن ارتعشت ذقنها فوضعت
يدها على فمها تحاول كتمان شهقة البكاء، لكن دون

جدوى، انفلتت دمعاتها تباعاً.. وهو بدوره احتضنها بقوة
بينما يهددها متفاجئاً من انفجارها الأول أمامه.. لكنها
كانت تحتاجه بشدة، كانت تحتاج أن تتخلص من آخر
حلقة خفية تربطها بأي ماضٍ، تحتاج أن تتحرر من نفسها
التي دائماً ما تكبلها وتمنعها التنفس، تلك النفس التي
تظن الحب ضعف، والاعتراف به بداية وقوع في الهاوية،

ومبادلتة هو شفا حضرة الموت!

كم قاومت، وكم حاولت أن تصبغ على حبه كل صور

الدناءة، وكم تباعدت وتظاهرت باللامبالاة.. وكم

وجدت في مقابل كل ذلك حباً كثيراً منه!

فاكتشفت كم كانت هي الدنيئة في تلك اللعبة دون

أن تشعر وفي خضم صراعاتها الداخلية!

من بين شهقات بكائها تحدثت أخيراً:

"أنا تعبت أوي يا جلال"

أوراق الياسمين

طبع قبلت على شعرها وهو يقول: "عارف والله.."
 كان على وشك الاعتدال كي يجلب لها كوب ماء
 لكنها تشبثت بشبابه أكثر فأعادها من جديد لعمق
 أحضانها، يهمس لأذنها: "أنا جمبك أهو مش رايح حتة
 (مكان)"

خففت من تشبثها به قليلاً، وبدأ بكاؤها يهدأ تدريجياً؛
 لينزلق أكثر في السرير متمدداً بجانبها، يقربها منه
 أكثر واضعاً رأسها ترتاح على صدره بينما يتلاعب بشعرها
 كطفل صغير: "ارتاحي يا كاميليا.. نامي شوية لو
 عايزة"

ولم يكد يكمل جملته حتى كانت قد ذهبت في رحلة
 لعالم الأحلام، فتنهد هو برضا عما وصلت إليه معه، يشعر
 كأن جبالاً كانت موضوعة على كتفيه والآن فقط

رُفعت وتركته يتنفس كما يشاء براحة -

هشام!

هل كانت لتتمنى رجلاً أفضل منه؟ أحنّ منه؟ يحبها أكثر

منه؟!

الإجابة هي - ببساطة-، لا .

أين كانت لتجد مثله؟!

أين كانت لتجد من يقدر كل همسة منها، كل قلق،

توتر، خوف، تردد.. من كان ليتحملها بكل جهلها

وسذاجتها؟!

ذكرى أول ليلة لها كزوجة فعلية له لا تذهب من

بالها.. هل حقاً هشام يحبها؟ يا الله، لا تصدق حتى الآن

بالرغم من أنه لا يقصّر في قولها كل يوم!

تشعر أنها لا تستحق أن تحب، وليس لها الحق في أن تحب..

حتى وهي تعلم صدق قوله ومشاعره، لكن العطب بها،
 بداخلها، بتراكم سنوات من الحرمان والجفاء، سنوات
 حرمت فيها حتى من تمني مثل هذا الحب!
 حاولت؟ نعم حاولت، ولازالت تحاول كي ترضيه ولو طلب
 عينيها!

فُتِح باب المنزل وطلَّ هشام منه؛ فهربت بضع خفقات من
 قلبها، وعندما تقابلت الأعين ابتسم لها قائلاً:

"حمدا لله ع السلامة"

اتَّجَهِت إليه وبادلته الابتسامة بتلقائية وهي تجيب:

"الله يسلمك"

قبل جبينها وهو يسألها بخفوت: "كان لازم تقلقيني
 عليك يعني؟ ما كنتي استنيتي لما آجي أرجعك"

البيت"

خففت بصرها للحظة لتقول: "لأ عادي، كنت عايزة

اجرب أرجع لوحدني، مش معقول هفضلك اتعبك كده

دايما توذيني وترجعني"

احتضن وجهها بكمه وترك إبهامه يتحسس بشرته؛

"يا بنتي هو أنا اشتكيتلك؟"

هزت رأسها يمينًا ويسارًا.. ليرفع وجهها قليلًا كي يقابل

وجهه، قائلاً بحب: "ده على قلبي زي العسل"

اتسعت ابتسامتها فقبل زاويتها بنعومة أذابت مفاصل

جسدها.

نادته وهي تحاول بصعوبة الإفلات من حصار ذراعيه؛

"هشام.."

همهم دون أن يجيب، فدفعته قليلاً: "أكيد جاي جعان،

خليني اروح أسخن الغدا

"همس على بشرة عنقها: "مابلاش غدا النهاردة"

بمقاومة واهنة هتفت به: "هشام.."

أحكم التفاف ذراعيه حول خصرها وهو يتشمم رائحة

الضراولة المنبعثة من جسدها: "يا وردة هشام، تعالي بس

عاوزك ف موضوع".

دق جرس الباب وهو يمسك في يده كل معدّات عمله،

ليفتح له بعد دقائق رجل في الستينات من عمره .

"سلام عليكم يا حاج"

ليجيبه الرجل وهو يتفحصه وما يحمله: "وعليكم السلام،

أيوه يابني اتفضل"

تنحج قائلاً: "أنا النقاش اللي هيشغل ف شقتكو يا حاج"

تساءل الرجل وقد بدأ يعي من هذا: "أسطى رءوف؟"

ابتسم بخرج ليجيب: "أيوه يا باشا أنا"

فتح له باب المنزل حتى آخره وهو يرحب به معتذراً:

"معلش يابني وقضتكَ ع الباب، بس انت عارف كل واحد

هنا ف حاله ومفيش اختلاط بحد ف استغربت ان حد

بيخبط على بابنا"

"أ يا حاج العفو"

ثم تكلم الرجل بعلو صوته بعدما أغلق الباب:

"اثنين شاي يا دلال"

سمعا همستة ب (حاضر) من مكان ما بداخل المنزل، ثم

أشار بيده لرعوف وهو يقول: "تعالى أوريك شغلك عقبال

ما الشاي يجهز... افضّل"

تركه صاحب المنزل كي يجيب على اتصال آتاه، وبينما

يقوم بمعاينة عمله وتجهيز ما سيفعله سمع نحنة

خلفه.. التفت ليجد امرأة بداخل رداء أسود ابتلع جسدها

من كثرة اتساعه ولا يظهر منها سوى وجهها وكفيها

- تحمل صينية وُضع عليها كوبا الشاي-

أسرع يترك ما بيده ويحمل عنها الصينية متمتماً:

"تسلم إيدك، تعبناكي"

ابتسمت برقّة لتجيب: "لأ أبدا مفيش تعب"
 ثم جالت بعينيها في المكان وسألته: "أمال بابا فين؟"
 أشار لغرفة مجاورة وهو يجيبها: "بيتكلم ف الموبايل"
 أومأت برأسها، ثم بهدوء استأذنه وانصرفت مختفية عن
 عينيه، لكن صورة بهائها كانت صعبة الاختفاء عنهما.

ظلت تمشي في الظلام وبرودة الجو حوالي الربع ساعة
 حتى ابتعدت عن حارتهم بما فيها - عندما سمعت صوت
 ضحكات متعالية تصدر من مكان ما حولها، توقفت
 مكانها وأرهفت السمع لتجد أن الأصوات تقترب منها
 تدريجيا، ومما يبدو فهؤلاء الرجال ليسوا في كامل
 وعيهم!

أسرعت خطواتها كي تستطيع الفرار من المكان قبل
 مجيئهم؛ لتجد أن الرياح أتت بما لا تشتهي السفن..

أوراق الياسمين

وجدتهم أمامها!

ثلاث شباب بمناظر مخيفّة، وما أن رأوها حتى تعالي

صياحهم وكلماتهم البذيئة مقتربين منها حتى

حاصروها بالكامل.

أخذت خطواتها تتراجع وهي تحاول التفكير في مخرج،

لكن عملياً لقد كانت محاصرة ولا مجال لأي مهرب!

إلى أن وصلت يد أحدهم إلى جسدها فأمسكتها تبعتها

عنها، لكن كأنها كانت تحاول أن تزيح جبلاً.. ارتعدت،

ونفرت، وصرخت كالقطرة المتوحشة عندما حملها واحد

منهم على كتفه تاركاً رأسها يتدلى للأسفل وهي تضربه

على ظهره وتحاول الإفلات منه بينما يقابل هو ورفاقه ما

تفعله بعلوّ ضحكاتهم.. إلى أن وصلوا لمكان بعيد عن

الأعين، مهجور ليس حوله أي عمائر ولا أمل في أي وجود

بشري غيرهم.

وما تلى ذلك كان هجوماً عنيفاً مقابل مقاومة غير
مكافئة منها.. الآن يؤخذ منها غضباً ما كان تُعطيه
بكامل إرادتها، تستشعر كيف يمكن للإعجاب بها أن
يتحول لأكبر نقمة عليها بدلاً من كونه كان مصدر
أهم نعمها، كيف تتمنى الموت ولا يُقدّر الله أن تناله في
تلك اللحظة، وتعرف معنى انتهاك حرمة جسدها
عكس ما كان عقلا وجسدها مغيبين عنه!

"ياناس اشق هدومي وال الطم والناس تقول اتجننت؟! انتي

يا بنتي حد مسأطك عليا؟!

هو احنا كل ما نخلص من حاجة ندخل بحاجة تانية!

شوية اصلي مبعرفش اتدّع وإسلام كتير عليا، اصلي مش

بنت وهو يستاهل واحدة مش عارف ايه.. وآخرها قال ايه

أوراق الياسمين

ما يمكن يطلع عندي مشكلتة بالحمل وهو هيسيبني او
 هيتجوز عليا!! هو ده كلام ناس عاقلين بس!"
 قالتها نرجس وهي ترمق نسرين بغيظ تكاد تفتك بها
 لتزم الأخيرة شفيتها بحزن جعلها تتلطف بقولها التالي:
 "يا نسرين يا حبيبتي انتي ليه مصرة تقدرني البلا قبل
 وقوعه زي ما بيقولوا؟! هو انتي بقالك سنتة متجوزة؟
 ده يا دوب كام شهر ومش كل الناس بتحمل على طول..
 واصلا التوتر والتفكير ال انتي فيه ليل ونهار ده ممكن
 يأخر الحمل، فصلي على النبي كده وبطلّي الهبل ده
 وعيشي مع جوزك اللي بيحبك وييموت فيكي وبطلّي
 التفكير اللي بيرفعلي الضغط ده كل شوية.. هتموتيني
 يا أختي وانا لسه في عز شبابي"
 ضحكت نسرين بقوة وهي تضمها لها بحب قائلة: "حبيبتي
 يا نوجتة ده انا لو ليا أخت عمرها ما هتحنيني وتخاف عليا

زيك كده، ربنا يخليكي ليا"

"ويخليكي ليا حبيبتي، وترحمي الراجل الغلبان بقى من

أفكارك النيرة دي"

ضحكت نسرين مرة أخرى وهي تغمزها قائلة: "طب واياه

أخبار الغلبان بتاعك انتي، ياترى حيتي عليه وال

لسه؟"

تخضب وجهها لتعلو ضحكات نسرين التي نسيت كل شيء

عدا صديقتها وخجلها.. أحيانا لا تصدق أن نرجس قد

تزوجت مرة من قبل ولو أن ما حدث لها لم يكن ليسمى

زواجا أبدا.. تدعو الله دوما أن يعوضها مع عاصم خيرا وأن

يترفق بها.. فطبعه ليس حنونا مثل زوجها إسلام بل به

بعض القسوة التي قد تجرح نرجس دون أن يدرك ذلك

خاصة أن نرجس ليست ممن يتحدثون عما بقلوبهم.

"صحيح جيبك هديّة"

قالتها نسرین بغموض لترمقها نرجس متسائلة؛

"هدية ايه؟! وبمناسبة ايه اصلا؟"

"هو لازم مناسبة عشان اجيبك حاجة! شوفتها عجبتني

فجيبها لك"

ناولتها الكيس الورقي وطبعت على وجنتها قبلة رقيقة

قبل أن تركض لشقتها فهي لا تضمن رد فعل نرجس

لو رأت محتوى الهدية .

صعدت إلى شقتها وهي تبتمس فحماها أصر أن ينام

مصطفى معه الليلة فصعدت للشقة وهي تمسك بهديّة

صديقتها المجنونة.. دلفت للشقة لتجدها هادئة يبدو أن

عاصم لم يعد بعد فقد خرج مع إسلام منذ فترة.

استغلت الوقت فجهّزت العشاء واغتسلت ووقفت أمام
 الخزانة لا تعلم ماذا ترتدي لتقع عيناها على الكيس
 الورقي خاصة الهدية، جلست على طرف الفراش ثم
 فتحته لتشهو عندما رأت محتواها.. تمتمت بغضب
 خجول: "ايه ده يا نسرين، قليلة الادب! اما وريتك!"
 ضحكت رجولية عالية فاجأتها لتسقط الهدية أرضا
 وتشتعل هي ارتباكاً حينما وصلتها لمعة عيونته وهو
 يقترب بكسل لتنتفض واقفة لا تعلم هل تخفي الهدية
 أم تخفي نفسها برداء الحمام القطني الذي ترتديه!
 لم تكذ تتحرك خطوة واحدة حتى قبض على ساعدها
 بحزم رقيق وهو يهمس: "لو عارف انك مستنياني كنت
 قلبت الواد إسلام من بدري"

"لا ده انا.. آ.. آ... مش.."

ابتسم بتسليّة قائلاً: "مالك يا نرجس؟! انتي اتعديتي من

مصطفى من كتر قعدتكم معاه وال ايه؟! مش عارفت

تكوّني جملة مضيدة!"

"انا هروح اجيبك العشا حالا"

انحنت لتلتقط (الهدية) بغباء علها تستطيع إخفاءها قبل

أن يلاحظها ولم تعلم أنه لاحظها وانتهى الأمر ليتلقها

منها ناظراً لها بمكر وهو يقول: "ده من اللي كانوا

بالشنة اللي مخبياها في أرضية الدولاب وال جديد؟"

شهقة خجولة منها جعلته يضحك وهو يقربها منه ببطء

وكانه يقتات على خجلها فيغذي روحه المرححة

المشاكسة ليهمس هذه المرة: "بس أقولك نخليه لمرّة

ثانية، أصلي مش لسه هستنى لما تغيّري.. الجودة

بالموجود " .

منذ فترة وهو يجهز لها مفاجأة ويتمنى أن تعجبها.. يتأخر
بالورشة يوميا حتى ينتهي منها سريعا.. يريد أن يدخل
السرور لقلبها بأي طريقة، حدث عاصم كان له أقر
عظيم بنفسه إلا أن هناك شيء مازال يتساءل بداخله..

لم طلبت الطلاق منه منذ فترة؟!

على الرغم أنها لم تكررهما مرة أخرى وعلى الرغم أنه
يعلم جيدا أنها تحبه إلا أنه يتوق لمعرفة الإجابة.
غادر الجميع وظل هو بمفرده كما العادة في الأونة
الأخيرة.. خلع قميصه بإنهاك ليمسح به عرقه ويلقيه
جانبا ويظل بفانلة داخلية اظهرت عضلاته الشبيهة
بالمصارعين كما يخبره عاصم ضاحكا ويشاكسه هو
أنه لا يمتلك مثلها لذا يغار منه.

أوراق الياسمين

سيتحدث معها اليوم، سيعلم منها كل ما تخفيه عنه
ويؤرق راحتها، لا بد له من ذلك فحبيبة قلبه تخفي عنه
شيئا يؤلم قلبها وقلبه يلومه على عدم معرفته..
خطوات تردد خطاها ولم يسمعها هو لانها مكنه بالعمل
على قطعة الخشب التي قارب على الانتهاء منها ليحصل
حالما شعر بلمسة لذراعه ليصدم أنها نفس المرأة التي
تتردد على الورشة منذ فترة بحجة تجديد غرفة الجلوس
خاصتها!

تراجع للخلف وهو يلتقط قميصه ليرتديه مرة أخرى وهو
يقول بخشونة: "خير يا ست عواطف! مش الاسطى حسين
قالك حاجتك هتجهز على الاسبوع ال جاي؟"
"مانا مش جايت عشان حاجتي، انا لقيت الكل مشي وانت
لوحدك قولت اجيباك لقمة تاكها زمانك على لحم

بطنك من الصبح"

قالتها وهي تقترب منه تلتهمه بعينيها ليزدرد ريقه ببطء

وهو يفكر لو جاءت مجنونته الآن سيكون في موقف

لا يحسد عليه أمامها!

وكأنه استدعاها دون وعي منه ليجدها تدلف للورشة

بنفس اللحظة التي دنت منه المدعوة عواطف تمسّد

ذراعه بغنج ليبتعد عنها حالما رأى نسرين واقفتا تحديق

بهما بعينين تقدحان شررا وصله لهما مكانه ليتمتم

بخفوت: "يا مراك يا سلام دي هتطربق الدنيا فوق

دماغك.. مراتي ومجنونتي وأنا عارفها"

ابتعدت عنه المرأة ببطء وهي ترمقها بخبث لتبادرها

نسرين: "سلام عليكم، اهلا ازيك يا أم حسنية أخبارك

ايه وأخبار حسنية؟"

رمقتها المرأة بخبث قائلة: "كويست يا أم ، يووه هو

انتي لسه ماجيبتيش حاجة نسميكي بيها! ابقي

اكشفي لاحسن يكون فيه مانع وال حاجة كفى الله

الشر"

قبضت كفها بقوة وقد خطت المرأة جرحها بكل خبث

لتجيبها بهدوء: "مانا ليا اسم"

ثم وضعت يده على معدتها المسطحة قائلة: "واللي هجيبه

هيبقى له اسم مستقل، مش هستناه عشان اتسمى باسمه"

هم إسلام بالتدخل وهو يرى المرأة تخرج نسرين رغم رد

نسرين القوي عليها إلا أن المرأة بادرت بابتسامته:

"ياللا يا سي إسلام الأكل عندك اهو كلو كله بقى

انت بتتعب اوي، أشوفك بكرة، فوتك بعافية"

ما إن غادرت حتى تحركت نسرين لمكان الطعام

والتقطته بحدة وهو يرمقها بتوتر.. الموقف يثير ضحكه

للسخرية خاصته وينفس الوقت يثير ضيقه لأن المرأة

جرحتها وهو يعلم بتفكيرها عن الحمل والأطفال .

أطفال!

ومضت بداخل عقله حركة يدها على معدتها! هل تحمل

طفله حقا؟!

"انسرين انتي حامل؟"

فاجأها سؤاله فعقدت حاجبيها قائلة بتوتر: "الأ!"

"ايه اللي جابك دلوقتي؟"

رفعت حاجبها بغضب قائلة: "ايه مكنتش عايزني آجي

عشان الجو يخاللك مع الهانم اللي اد امك له يرحمها؟"

لم يتمالك نفسه فضحك عاليا لترمقه بغضب فضمها

إليه قائلا بحب: "أحلى مفاجأة يا نوست"

رمقته بنظرة ذات مغزى قائلة: "فعلا؟!"

ضحك مرة اخرى قائلا: "بجد احلى مفاجأة"

لوت شفيتها قائلة: "مش باين، شكلك كنت منسجم على

الأخر مع عشا الست الحاجة"

قهقهه قائلاً بمشاكسة: "هو انتي خليتيني اتهنى عليه؟!"

ده انا ملحقتش اخد لقمة واحدة حتى"

"وانت كنت عايز تاكل منه كمان؟! اهو ده اللي كان

ناقص، وانا اللي جايت وجايبة الاكل معايا عشان ناكل

سوا ومارضيتش اكل معاهم ف البيت وفي الاخر تعاملني

كده وتقولى جايت ليه!!"

اتسعت عيناه قائلاً: "هو انا عملت حاجة؟! أنا مستغرب بس

عشان ماقولتليش انك جايت"

"الشحن بتاع تليفوني خلص وانا في الطريق، اهو ربنا عمل

كده عشان اشوف بتعمل ايه من ورايا وانت بقى كل يوم

والتاني متأخر وقال شغل"

حرّك حاجبيه قائلاً: "لا انتي لسه ماشوفتليش الشغل.."

الشغل كله لما نروح البيت.. وال اقولك ماتيجي نبات

عند ابوكي الحاج.. اهو أقرب من بيتنا"
 تبع حديثه بغمزة فضحكت بدلال قائلة: "موافقة"
 فضمها وهما يهمان بالخروج من الورشة هامسا:

"هو احنا ليلتنا فل وال حاجة؟"

ردت له الغمزة بمشاكسة وهي تقول: "شكها كده"
 شعر بالبهجة لمزاجها المشاكس لذا قرر تأجيل الحديث
 لليوم التالي فالليلة عليه استغلال مشاكساتها هذه

بطريقة.. امم لذيذة .

"وبعدين معاك يا أسعد يابني! مش هتريح قلبي بقي
 وتتجوز.. ده انا جايبالك عروسة نقاوة ايدي.. مال وجمال

مفيش بعد كده"

زفر بحنق وهو يسمع كلام والدته التي لا تمل من
 تكرارها وكل مرة عروسة مختلفة..

"يا ماما قوئلك مش هتجوز.. مش عايز اتهبب تاني خلاص

قرفت من الجواز وسيرته"

لوت شفتيها وهي تدعي: "إلهي يجيب ويحط عليها لبني بنت

ستيتة، ميأت بختك وسدت نضك، إلهي يسد نفسها عن

الدنيا كلها"

"يووه بقى مش هنخلص من السيرة العكرة دي، هتخليني

ماجيش هنا تاني والله عشان اريح دماغي من الزن ده"

قالها أسعد بعصبية لتشوق والدته وهي تضرب صدرها

قائلة: "هو انا عشان ساكتة على غيابك عن البيت

الضرة ال فانت هتسوق فيها يا ابن بطني؟! لا ده انا هقول

لابوك يشوفله صيرفته معاك بقى .. انا عايزة افرح بيك

وبعيالك"

"يووووه.. مش هنخلص بقى من الزن ده النهاردة انا ماشي"

قالها وغادر لتتبعه كلمات والدته المنادية بتعنيف:
 "أسعد! بقى كده يا ابني.. طيب والله لأقول لأبوك على
 غيابك عن البيت وبياتك بره وابقى وريني هتعمل ايه
 قدامه بقى"

لوت شقيقته شفتيها بسخرية وهي تفكر.. ومنذ متى أمي
 تدخلين أبي بينك وبين ابنك (الحيلة)! احصدي
 نتيجة ما زرعت أمي .

دلف إلى الشقة التي اعتاد الذهاب إليها منذ فترة ليريح
 عقله من (زن) والدته وإصرارها على زجه بزيجة أخرى..
 كيف يجعلها تدرك أنه بالكاد تخلص من زيجه الأولى
 ولا يريد تكرار التجربة أبدا!
 ولم يتزوج وهو يستطيع الحصول على ما يريد دون زواج

وزوجة تحاسبه وتقيد به بترهاتها؟!!

قابلته (لولا) الفتاة التي اتخذها خليلته منذ فترة طويلة

وقبل حتى زواجه من لبنى الكئيبة.. رفع حاجبه

باستحسان لهيئتها وهو يقول: "اش اش ايه الحلاوة والجمال

ده يا لولا! ده انتي ناويالي بقى النهاردة"

ضحكت بغنج وهي تقول: "كان قلبي حاسس انك

هتجيلي يا روح لولا وانا قلبي مايكذبش عليا أبدا"

"ماهو قلبك ده اللي جايبني ورا"

قالها أسعد غامزا بوقاحة لتعلو ضحكتها قائلة وهي ترد

له الغمزة بأخرى خليعة: "قلبي بس! "

"طب ما تيجي نشوف جوّه كده إذا كان قلبك بس وال

حاجة تانية كمان! "

"ما بلاش يا حلمي اللي انت ناوي عليه ده! الناس دي واصلت

وقادرة وتوديك ورا الشمس"

قالها حمدي بقلق محدثا شقيقه ليرد الآخر بثقة:

"ما تعلقش يا ض، دي عملية نظيفة خالصة مخلصتة.. واهو

نطلعنا بقرشين بدل الضنك اللي احنا عايشين فيه ده"

"مانا قولتلك تيجي تشتغل معايا انت اللي مقفل دماغك"

قالها حمدي بلوم ليرد عليه حلمي ساخرا: "أشتغل معاك

ايه يا حمدي؟! هو انا اعرف حاجتة ف شغلك؟! وبعدين

انت عارفتي بتاع مزاج وما حبش اتعب.. وأمك مضيقاها

عليها على الآخر وقال ايه كل يوم والتاني جايبالي

عروستة.. هو انا لاقى آكل لما اجيب واحدة ءأكلها هي

كمان!"

حرّك رأسه بعدم رضا عن حال شقيقه فعلى الرغم أنه

فقد فرصته بالفوز ب نرجس بسبب عودة شقيقه

المفاجئة وصدمته بزواجها أيضا إلا أنه لا يعيش عالته

على النساء مثل شقيقه ويخشى عليه عواقب ما يريد
فعله.. فخطفه ل مصطفى سيودي به ويفتح أبواب الجحيم
بوجهه وستكون بها نهايته حتما .

ناولته السيجارة التي أشعلتها للتو ليأخذ منها نضاً عميقاً
ويخرجه ببطء ليقول: "محدث بيكيّني زيّك يا بت
يا لولا، حاجة كده لوز اللوز"
ابتسمت له بغنج ثم سألته: "هو انت ممكن تستغنى عني
في يوم يا سي أسعد؟"
ضمها قائلاً: "أستغنى عنك! وانا أقدر برضه يا لولا ده انتي
اللي ف القلب والروح يا بت"
قالت بتردد: "طيب هقولك حاجة بس متزعليش مني"
"قولي يا حلوة انا مزاجي دلوقتي عال العال وهسامحك
على طول"

ابتسمت قائلة: "انا ولدت قبل مانت ترجعلي بشهرين كده"
 قال ساخرا: "مبروووك، عايزة نُقطَة المولود وال ايه؟"
 حافظت على ابتسامتها حتى تسهل مهمتها: "إن شاء الله
 تعيش يا سي أسعد خيرك سابق.. عارف اللي ولدته ده

يبقى مين؟"

"ماتخلصي يابت انتي هتنقطيني بالكلام، هتطيري

الدماغ اللي عامله الله يخرب بيتك"

"ابنك يا سي أسعد"

قالتها سريعا لينظر لها لبرهته قبل أن يضحك عاليا وهو

يقول ساخرا: "ودي كدبة إبريل بقى وال ايه يا قطرة؟"

لوت شفتيها بحنق وهي تنهض من الفراش تلتقط مئزرها

قائلة: "لا مش كدبة، انت قولتلي نزلية وانا مانزلتوش.."

حرام نعمته ربنا يا سي أسعد، ده محدش لاقى"

"لا مؤمنة يا روح ال ماما ، بصي يابت انتي روحي ارمي
بلاكي على حد غيري.. انا ياختي ما بخلفش.. وكفايت
كلام بقى في الموضوع ده طيرتي النفسين الله
يحرقك"

نظرت له بغضب قائلة بصوت عال: "لا مش خلاص، ده
ضناك ولا زمن تعترف بيه ونروح نحلل اللي اسمه ايه ده
وتتأكد انه ابنك ونتجوز عشان ابني ما يتقالوش (DNA)
ابن حرام يا إما هروح لأهلك وأفضحك واقولهم نام
معايا ومش عايز يعترف بابنه و.."

قطع كلامها صفعة شعرت أنها كادت تفصل رأسها عن
جسدها وهي تسقط على الأرض من عنف الصفعة ليهددها
بقوله: "ابقي وريني كده هتروحي لهم ازاي وتفضحيني

يا حلوة وانا بقى هعرفك مين هو أسعد العطار"
التقط ملابسه وارتداها على عجل وغادر دون كلمة أخرى
لتنهض من الأرض وعيناها تقدحان شررا وهي تقول:
"لا يا أسعد بيه، انت اللي هتعرف مين هي لولا وتقدر تعمل
ايه.. هيء يا روح الروح" .

نهض باكرا حتى يستطيع الوصول لمكان الروضة وينفذ
ما عزم عليه.. تسلل لباب المنزل ليصدم بوالدته واقفت
بانتظاره فباردها قائلا وهو يحاول إخفاء تاثير المفاجأة
عليه: "خير يا أمه واقفت كده ليه؟! وايه اللي مصحكي
بدري كده؟"

"مستنياك يا حبيب أمك، رايح على فين بدري كده

على رأيك؟"

أجابها بثقة مصطنعة: "هكون رايح فين، رايح ادور على

شغل طبعل بدل قعدتي جنبك كده، لا شغلته ولا

مشغلته"

رمقته بغموض قبل أن تقول: "اعمل حسابك النهاردة بعد

المغرب هنروح نقرا فاتحة البت عزيزة بنت ابو شامة

الجزار"

"هو حمدي هيتجوز على مراته؟"

"لا دي فاتحتك انت مش حمدي"

أجابته بثقة ليهتف بوجل: "ناععم؟! يا امه مش كنا

خلصنا من الموال ده؟"

"لا ماخلصناش يا ابن بطني، البت عزيزة حلوة ومدملكته

وعندها ١٥ سنة يعني صغيرة تربيتها على ايدك زي مانت

عايزو كمان ابوها هينغنغك يعني عروسته لقطته، وتبقى

خايب لو ضيعتها من ايدك"

"يامه انا .."

قاطعته بصرامتة: "ما هو انا مش هسيبك تضيع نفسك
وتوكسها يا حلمي، كفاية الوكسة ال قبل كده اللي
كنت هتضيع نفسك عشانها.. يا اما وجمال الله لهروح انا
ابلع عنك واقولهم عايز يخطف الولتة وياخد فلوس
قصاده"

شعر بالصدمتة! سمعته هو وشقيقه بالتأكيد.. حاول
التفكير بأي شيء ولكنه فشل ليصله صوتها قائلة:
"وخلي في علمك انا بلغت جوز طليقتك ولو روحت
للحضانة هتلاقيهم مستنيينك مع البوليس وهيوودوك
ورا الشمس"

"بلغتي عني يامه؟!"

قالها مصدوما لتهتف: "امال اسيبك تضيع نفسك؟!
كفاية اول مرة لما اتجوزت اللي ما تتسمى من ورايا.. مش

هسيبك تعمل كده تاني يا حلمي وده آخر كلام

عندي"

صمتت للحظات قبل أن تقول بلين: "لو اتجوزت عزيزة

وسيبتك من اللي في دماغك هديك من الفلوس اللي

انت عايزه ده غير خير ابوها اللي هتفرق فيه"

عقله يعمل بسرعة البرق ليجدها محقة.. سيضيع نفسه

من أجل بضع قروش وربما لا يحصل عليها أبدا! والبديل

سال له لعابه بقوة، فتاة صغيرة وثريّة فماذا يريد غير

ذلك؟!

أوما لها موافقا وهو يقول: "ماشي يامه انا من ايدك دي

لأيدك دي وزبطيني بقى".

يسرق نبضها وهي التي ظننت أن النبض بداخلها قد دُفن مع

خيبة أملها الأولى!

أوراق الياسمين

لتكتشف أن ما حدث لها جعلها تدرك أن الحب الأول لا

يكن دوما حبا.. وفي حالتها كان وهما بخيالها تحول

لكابوس مرعب وتحمد الله أنها تخلصت منه .

وبخت نفسها.. كفى جنونا لبنى، هو لن ينظر إليك أبدا

يا فتاة.. أنت مطلقّة ومنبوذة من عائلتك فكيف يضر

من هو مثله يمكن هي مثلك؟!

لن تتغير النظرة السطحية للمطلقات مهما تغيرت البلاد

التي تتواجدن بها فكفى عن الحل بما هو مستحيل!

"أزيك يا لبنى، ايه يا بنتي استراحة الغدا بتيجي وتخلص

ومحدش بيشوفك أبدا.. وال انتي مابتنزليش الكافيتريا

بتاعة الشركة؟"

قالتها إحدى زميلاتهما اللاتي لا تفضل الاختلاط بهن وقبل

أن ترد عليها وجدت زميل آخر - لا ترتاح له أبدا فهو

يذكرها - بأسعد يقول لها: "تنزل فين بقى يا زوزو؟! هو

اللي زيها بينزلوا برضه؟! كل حاجة بتطلع لهم

مكانهم"

رمقته باحتقار ثم تجاهلته وهي تقول للمدعوة زوزو:

"بيبقى عندي شغل يا زوزو فمبقدرش انزل واسيبه"

أومات لها زوزو ثم اعتذرت مغادرة لأنها تأخرت على العمل

والاستراحة قد انتهت فاستدارت لتغادر هي أيضا ليقف

أمامها قائلاً: "ايه يا جميل مش ناوي تحن علينا بقى؟"

رفعت حاجبها بصرامة قائلاً: "افندم؟"

اقترب غامزا بطريقة وقحة قائلاً: "احنا مطلقين زي بعض

ومن بلد واحدة يعني نوّس بعض، نبقى حنينين على

بعض و..."

لم تستطع تمالك نفسها لتقاطع حديثه الوقح بصفعة

على وجنته بكل قوتها حتى أن أصابعها قد تركت

علامات على وجنته ليقرب منها مهددا بعنف ليجد من

يقف بينهما يمنعها عنه وهو يقول بصرامة:

"ايش صايرة مشكلت استاذ عادل؟"

هرعت إلى مكتبها ودموعها تتساقط دون إرادة منها..

ستظل بعين الجميع سهلة المنال حتى لو أقامت آلاف

الجدران بينها وبينهم فقط لأنها مطلقة، وحيدة، لا سند

لها!

وما إن أغلقت باب غرفة مكتبها حتى جلست على الأرض

مسندة ظهرها إلى الباب وهي تجهش ببكاء حار..

تفكر ماذا فعلت حتى يحدث لها كل ذلك؟!

محض اختيار خاطئ أوصلها لأن تكون بعيدة عن بلدها،

عن أهلها، أن تتغير نظرة الناس لها!

زاد بكاؤها عندما استعادت نظرة ذاك الحقيير لها،
 نظرة ذكّرتها بذاك الذي انفصلت عنه بعد معاناة..
 نظرة وضّحت لها أن كل خيالاتها حول كاسب ستظل
 محض خيالات دائما وأبدا فهي لن تحتل فشل جديد
 بحياتها.. يكفيها ما لاقته بـماض تعمل جاهدة على
 نسيانه وعيش حياتها من جديد.

وهناك على الجانب الآخر من الباب كان هو يقف عاجزا
 لا يعلم ماذا عليه أن يفعل؟!

هل يدخل لها فيزرعها بين ضلوعه مؤكدا لها أنها هي..
 وهي فقط من ملكت قلبه ووجدانه وأنه يحصي الأيام لا..
 بل الدقائق حتى يجتمع معها بمنزل واحد؟! منزل يكون
 مملكتها وعالمها الخاص الذي لا يشاركها فيه أحد،
 منزل يسجلون فيه ذكريات جديدة تمحي كل الماضي

الأيام.

أغمض عينيه بقوة وهو يحاول تمالك نفسه.. فعليه أن يكون الأقوى والأكثر ثباتا حتى يمران بهذه المرحلة الصعبة من حياتهما.. فلا يخفى عليه أنها تتباعد عنه كلما حاول الاقتراب بغير العمل ولكنه لن يستطيع الصبر كثيرا.. فهو لا يملك صبر صديقه الذي ظل عاشقا لسنوات وها هو مازال يحارب في سبيل حبه.. هو لن ينتظر لسنوات.. يكفي الشهور التي انتظرها بعيدا عنها.. وعليها الآن أن تعترف به حبيبا وزوجا وتمنحه الفرصة لأن يمحو كل ما سبق من حياتهما.

بعد خضه ما عايشاه منذ لحظات احتضنها هشام مقبلا جبينها ثم تمدد بجانبها ولازال محتفظا بها ملاصقة

لجذعه.. وبعد دقائق من الهدوء، والكثير من التردد

تكلّمت بتبعثر: "هشام..."

وذراعه الحرة موضوعة على عينيه، ودون أن ينظر لها

همهم قائلاً: "تكلمي يا حبيبتي... سامعك"

ابتلعت ريقها وهي تعيد التفكير فيما ستقول.. أتطلب منه

أم لا؟

"زهرة؟"

نظر لها بجانب عينه يراقب انفعالات وجهها، إلى أن حسمت

أمرها؛ فتحدّثت وهي تتجنب النظر إليه: "أنا عايزة أروح

لدكتور"

قطب حاجبيه وهو يسألها بقلق: "دكتور؟، ليه؟ بتشتكي

من حاجة؟"

"لا مفيش حاجة، بس فاكر لما قولتلي أول ما تعوزي

تروحي قوليلي؟"

تذكر وعده لها بأن يصطحبها لطبيب أمراض النساء وقتما

أوراق الياسمين

تريد، لكن كيف يشرح لها أنه إذا كان يريد لها
التعافي فهو لا يريد لها أن تحمل وتصبح أمًا في هذا السن

الصغيرة؟!

وكي لا يصيبها بالإحباط احتفظ بأرائه لنفسه الآن

وابتسم قائلاً: "عنيًا يا زهرة، من بكرة هشوفلك

الموضوع ده"

ردت له الابتسامته بأخرى ممثلة وهي تقول من صميه

مشاعرها: "ربنا يخليك ليا وميحرمني منك"

اتسعت ابتسامته وهو يعتدل قليلاً كي يقابل وجهه وجهها:

"ده إيه الهنا اللي انا فيه ده؟"

ضحكت بخجل فمال يقبل شفيتها متنعمًا برقبتها التي

دائمًا ما تنعش رجولته .

"أيش احوالك لبنى؟"

فاجأها وهي مستغرقة بالتفكير فيما سيحدث لها.. فاهي

نادين ستتزوج وتتركها بمفردها وهي قد اعتادت على

وجودها معها.

"الحمد لله بخير استاذ كاسب"

رفع حاجبه لتبتسم متداركة بخجل: "كاسب بس من غير

أستاذ"

ضحك بخفة فأنحس الهواء برثتها لوهلة قبل أن تسعل

قليلا لتخفي تأثيرها به..

وكيف لا تتأثر وهو يحيطها بكل تلك الرقة والعناية..

شهامته ورجولته معها جعلها تشعر ليس فقط بالامتنان

له بل جعلها تشعر أنها أنثى من ضلع أحدهم وكر تمننت

بداخلها لو كانت من ضلعه هو خاصة؟

"مممكن تعطيني شوية من وقتك؟! في قصة مهمة لازم

أوراق الياسمين

احكيكي فيها"

نظرت له متسائلة: "خير ان شاء الله؟!"

ابتسم بتوتر قائلاً: "خير ان شاء الله، انت عارفة الوضع.."

أخيرا نادى رح تتزوج من نزار، وعم بضمك ليش ما

بتعيشي معي بعدها علشان تبقيش لوحداك؟!"

أجملت قائلة: "ايه؟!"

عقد حاجبيه يراجع ما قاله لتتسع عيناه بصدمته وهو

يرفع يديه قائلاً: "لا .. قصدي.. مش انا فاهمته! انا

قصدي تعيشي ببיתי.. اوفف ... لا .. قصدي.. نتزوج!"

هل صدمت بالمرّة الأولى؟!

إذا ما هو شعورها الآن وهو يفتاحها بالزواج منها!!

ارتبكت ليفهم هو ارتباكها بطريقة خاطئة ليرفع يده

قائلاً: "العضو منك، هاي مش الطريقة الطبيعية لنحكي

بالموضوع، وحتى المكان مش مناسب، بس الصراحة.."

مش عارف كيف احكيكي بموضوع الزواج ولا حتى

أوراق الياسمين

ايمتي؟

"انت عايز تتجوزني بس عشان مقعدش لوحدي في

الشقة؟"

هل سألته هذا السؤال حقا؟

عضت شفتيها ما إن خرج منها التساؤل وكادت تتراجع عما

قالت ليفاجئها وهو يميل على المكتب أمامها ليتوقف

نبضها تماما ويعود فيتسارع بقوة آلمت صدرها عندما

قال: "عشان بحبك يا لبنى! وما عرفت ايش معنى الحب

قبلك"

اتسعت عيناها بصدمة لتصمت لبرهة قبل أن تقول

بجمود:

"أنا أسفرت بس أنا مش عايزة أتجوز!" .

الفصل الحادي والعشرون

عندما صعدا لمنزل والدها كان قد خلد إلى النوم فمنح
 إسلام الممرض المرافق إجازة باقي اليوم وقضيا هما الليل
 هناك.. استيقظ مبكرا وكانت نسرين لازالت نائمة،
 تأملها مليا بحب وهو يشعر أن الكثير من الحواجز قد
 سقطت بينهما ليلة أمس.. لا يفهم السبب رغم أنها لم
 يتحدثا بعد ولكن كان هذا شعوره فأول مرة يشعر أنها
 كانت منطلقة معه دون الشعور الذي يكبلها كل مرة ولا
 يفهم هل هو شعور الخجل أم شيء آخر؟
 ابتسم ببهجة وهو يتذكر همستها بحبه وهي تغفو بين
 ذراعيه ليتسلل لقلبه شعور غريب أنعشه بقوة وجعله

يسارع للنهوض ويدخله شعور بالاكتماء .

عاد إلى المنزل بعد فترة لسمع صوتها مع والدها بغرفته،

همّ بالدخول لهما ليتجمدا امام باب الغرفة عندنا سمع

حديثهما .

استيقظ ليجدها بجانبه فابتسم بحنو وهو يبادرها:

"حبييتي نسرين صباح الخير جيتي امتي؟"

التفتت له بحب ثم اقتربت منه مقبلت إياه على جبينه

وهي تقول: "جينا امبارح بالليل ونمنا هنا وادينا الممرض

أجازة امبارح والنهاردة"

أوماً وهو يقول ناظرا لها بغموض: "شكلك مرتاحة،

خلاص معنتيش زعلانة من إسلام؟!"

رمقته بعدم فهم فتابع: "بقالك فترة بتتصرفي وكأن حد

مزعلك فقولت أكيد فيه خلاف بينك وبين إسلام"

حرّكت رأسها بقوة برفض: "إسلام عمره ما زعلني
بالعكس، دائما بيدور على راحتي واللي بحبه ويعمله..
عمره ما قالي على حاجة لا، إسلام نعمته كبيرة من عند
ربنا يا بابا"

ابتسم براحة وهو يقول: "كنت متأكد انه هو اللي
هيصونك ويقدرك، امال ايه اللي كان مضايقك الفترة
ال فانت بقى بدام إسلام معملش حاجة؟!"
ابتسمت بخجل قائلة: "الحقيقة يا بابا أنا سمعت كلامك
معاه وعرفت انك أنت اللي قولتله يتجوزني و.."
قاطعتها ضحكة عالية من والدها سرعان ما تبعها سعاله
فناولته كوبا من الماء بجانب الفراش وهي تنظر له
بعتاب ليقول لها: "وهو ده اللي خلاكي تعذبي المسكين
طول الفترة ال فانت وعلى طول سرحانة ومش معانا؟!"

"هو اشتكالك مني؟"

نطقتها بحزن ليحرّك رأسه قائلاً: "مفيش فايده فيكي.."

تموتي في الغم، مش عارف طالعة لمين؟"

ابتسمت وهي تقول: "كده يا بابا! هتعملي زي نرجس"

تقولي.. بتدوري على الغم بمقاط؟"

قهقه وهو يقول: "عندها حق والله، هي عاملت ايه صحيح"

مع الدكتور عاصم؟"

ابتسمت بحنو: "الحمد لله كويسين، ربنا يسعدهم نرجس"

دي مفيش زيها ابدأ.. لو عندي أخت عمرها ما كانت

هتخاف عليا وتحبني زيها"

أوما موافقا: "فعلا يابنتي بنت حلال نرجس ربنا يسعدها"

صمت قليلا ثم تابع مشاكسا: "ويهديك"

ضحكت قائلة: "بقي كده ماشي يا بابا ماشي"

أشار لها بحنو أن تجلس بجواره فضعلت ما أراد ليضمها إليه

قائلاً: "سامحيني يا بنتي احنا ظلمناكي اوي"
 همّت بالابتعاد والنفي ليشدد يده عليها وهو يتابع:
 "سيبيني اتكلم وما تقاطعنيش عشان ماتعيش"
 أومات وهي تضم نفسها إليه أكثر ليقول: "ما عيشتيش
 حياتك زي كل البنات، شيلتي الهم بدري من وقت ما
 تعبت ورقدت ف السرير وانتي بقيتي راجل البيت.. تشتغلي
 وتدرسي ونسيتي نفسك.. نسيتي انك بنت ولها مشاعر
 وأحلام واحنا كل يوم نشوفك وقلبنا يتقطع ومش
 عارفين نعمل ايه، الوم نفسي اني عايش عاجر ومحملك
 الهم وال الوم امك ال مكنش في ايديها حاجة زيي وهي
 كمان شالت الهم معاكي"

صمت للحظات ثم تابع وهو يخفي دموعه التي سالت على
 وجنتيه غدرا لتختلط بدموع نسرين: "كان ممكن أختار
 أي واحد تاني غير إسلام لكن اللي انتي متعرفهوش وأظن

انك اتسرعتي كعادتك ومشيتي من غير ما تسمعي
 باقي الكلام أو حتى تسأليني أو تسألني جوزك.. إسلام
 كان مكلّم الأسطى حسين عنك وكان قايله يفاتحني
 في الموضوع يجس النبض زي ما بيقولوا.. ده غير كلام
 أمك عنه وعن نظراته ودعواتها انه يكون من نصيبك..
 كل ده شجّعني إني أكلمه.. كنت خايف يحصلني حاجة
 وتفضلي لوحداك، كل اللي اقدر أقوله اني عمري ما
 هندم اني اخترت إسلام أو طلبت منه ده"
 ابتسمت له بحنو وهي تقبل وجنته بقوة قائلة: "بالعكس
 يا بابا دي حاجة هعيش اشكرك عليها حياتي كلها،
 إسلام أحلى حاجة حصلتلي في حياتي"
 اصطنع الغضب وهو يقول: "بتتغزلي في جوزك قدامي؟"
 فين حياك يا بنت؟"
 أصدر إسلام صوتا ينبئ عن وجوده ثم دلف الغرفة وهو

يحيي والدها باحترام لتتقابل نظراته مع نظرات زوجته
العاشقة فتتسع ابتسامته المحببة وهو يهتف: "جيبلك
الفطار اللي بتحبيه.. فول بالزيت الحار وطعمية وبتنجان

مخلل"

ألقت نفسها بين ذراعيه وهي تضمه بقوة قائلة: "حبيبي

ربنا يخليك ليا، أنا فعلا جعانة جدا"

همس لها بنبرة ذات مغزى: "وأنا جعانا ان أكثر"

توردت وجنتيها خاصة عندما سمعت قهقهة والدها من

خلفها لتعض على شفتيها بقوة وتدفن نفسها أكثر

بصدر زوجها .

لا زال يفكر بعلاقتهم.. علاقتهم غريبة بالفعل، تمضي

بين اهتمامها بالجميع بداية بوالده وجدتها مرورا

بمصطفى ولدهما حتى إسلام ونسرين.. وهو!

ابتسامته حب ارتسمت على شفثيه وزفرة حارة فلتت منه
 وهو يفكر أنها ملأت حياته الفارغة منذ زمن طويل.. هو
 حتى بزواجه الأول لم يكن يشعر بشيء كهذا أبدا..
 كانت حياته باردة بشكل كبير مع أنثى أنانية باردة لا
 تهتم سوى بنفسها فقط، أما نرجس...

فهي كاسمها زهرة رقيقة تبعث الدفء بقلبه وحياته،
 قلبه الذي ظن أنه لم يوجد يوما أوجدته زهرة النرجس
 خاصته!

أغمض عينيه يضمها له وشعور آخر يؤرقه.. شعور يراوده
 كلما نظرت إليه وكأنها...

وكانها تمتن له ولا يفهم لم عليها أن تمتن له وهي من
 ملأت حياته بدفئها وعطرها المنعش!

يريد التحدث معها ولا يعلم كيف يبدأ بالأمر؟!
 يخشى أن يجرحها بأي كلمة دون قصد.. ابتسم مرة أخرى

وهو يتذكر أن شعوره الآن يختلف عن شعوره أول مرة رآها

بها..

كان متحاملا عليها بسبب حديث وتلميحات ذاك ال

حميدة، ولم يعلم أي زهرة رقيقة ومتفانية هي سوى بعد

أن تواجد معها بنفس المنزل بل بعدما ضمها منزله وملاّته

بدفئها.

راوده النوم فشدد عليها لترتخي أعضائه وهو يعد نفسه أنه

سيتحدث معها اليوم بعدما يستيقظا ولكن الآن فلينعمر

بدفئها بين ذراعيه.

طنين الهاتف ترافق مع البرودة التي شعر بها إثر نهوضها من

الفرش ليلتقطه بمال وهو يفتح الخط ليصله صوت

صديقه قبل أن ينطق بكلمة: "كنت غفلة؟"

زفر بحلق مصطنع قائلا وهو يعتدل ع الفرش: "وهو اللي

يعرفك هيعرف النوم؟!"

لم يضحك كما توقع فبارده: "رفضت مش كده؟"

وصلته زفرته الحارة قائلاً: "آه.."

"أنا قولتلك اصبر انت ماسمعتش كلامي"

"استنيتها شهر طويلت يا عاصم! شهر مرقت وانا مستني

تيجيلي.. وخاصة آخر شهر كان عذاب ودمار خيال! انها

تكون بخالقتي طول اليوم ومش عارف أحكيها"

صمت للحظات قبل أن يتابع: "تعبت أخوي عاصم.. احساسي

تجاه لبني استنزفني"

ابتسم عاصم على حال صديقه العاشق ثم قال:

"شهور بالنسبة لك انت يا كاسب، لكن بالنسبة لها انت

مجرد اخو صاحبته الشهر.. كمان ماتنساش انها مرت

بتجربة صعبة وغيرها بيقعد سنين على ما يتخطاها

ويرجع زي ما كان"

زفرة حارقة أخرى وصلته ليصله صوت كاسب قائلاً:

أوراق الياسمين

"عارف يا عاصم بس..."

خفت صوته وهو يقول: "مرعوب! مرعوب انها تحب غيري

وأموت متحسر عليها زي ما صار بنزار ونادين أختي"

لم يتمالك نفسه فضحك عاليًا وهو يقول بمشاكسة:

"وأخيرا شوفت كاسب العاشق الولهان!"

شعر بابتسامته على الطرف الآخر من الهاتف وهو يقول:

"مش لوحدي العشقان خيّا، في واحد غرقان بالعشق وراسه

مش مبين من كتر ما هو غرقان، بس لسا معترفش لنفسه

انه فعلاً عشقان!"

شرد بذكر وهو يتمتم وكأنه يحدث نفسه: "انت عارفي

يا كاسب، أنا مبعرفش اقول كلام حلو أو أزوق الكلام..

يمكن دي مشكلتة بالنسبة لستات بس حقيقي مش

عارف أتغير"

"بعرف يا خيّا، بس عالأقل يا عمي ولو لمرّة ولو بالغلط

أنتَ وعم تحكيها، خبرها.. خبرها شو في بقلبك من غير

مقدمات.. خبرها أنك بتحبها.. وبحسش أنه مرتك من

النوع المزعج المتطلب"

ابتسم بحب وهو يفكر.. لا ليست متطلبة بأي شيء هي

فقط تعطي وتمنح عاطفتها بلا توقف، بلا كلال أو ملل

والكل يأخذ وهو أكثرهم..

هو أكثر من يغرف من عاطفتها بجوع لم يألفه بنفسه

أبدا ولكن صديقه محق.. لا بد أن يمنحها ولو القدر

اليسير مما تمنحه له.

قاطع أفكاره صوت صديقه الذي نسيه في غمرة أفكاره

وهو يهتف ضاحكا: "ماشي يا عاصم، أنا بس تلفنتلك

(اتصلت بك) لأعزمك على عرس نادين ونزار الأسبوع

الجاي.. وجيب العيلة كلها معك"

تمتم بما يشبه المباركة وعقله مشغول ليصله صوت

صديقه المشاكس: "طيب، رح أتركك هلاء تشرد
 بمزاجك بس اترك لي شوية من العشق"
 "عارف لو انت قدامي دلوقتي كنت هعمل فيك ايه؟"
 قالها عاصم بغيظ ضاحك لتصله ضحكة صديقه وهو
 يقول: "أكيد بعرف، ولهيك أنا بقولش اللي بيجي عبالي
 الا لما أكون بعيد عنك وعن ايدك الثقيلة".

صعد الدرج حتى وصل لباب منزلهم، دق الجرس واذا بوقع
 أقدام من خلفه.. التفت يرى من الموجود ليجده رجل
 بثياب مهندمة إلى حد ما.
 "سلام عليكم.."
 ليجيبه رعوف مستغرباً وقوفه أمام شقة الحاج والد دلال:
 "وعليكم السلام"
 ثم التفت ثانية عندما فتح الباب وطلت منه دلال

لم يكذب يلقى التحية حتى رآها تنظر لنقطة خلفه .
 بصدمة وعينين متسعيتين، ثم فتح فمها كي تنطق بأشد
 خفوت سمعه يوماً: "عبد الله..!"
 قطب حاجبيه بتعجب؛ إذا فدلال تعرف الواقف خلفه!
 التفت يلقى نظرة على الرجل ليجد عينيه تلمعان
 وابتسامته من أذنه اليسرى لأذنه اليمنى كأنه رأى أحد
 موتاه عائداً مرة أخرى للحياة!
 لكن الواقفة أمامه كانت على النقيض؛ انكمشت
 وتدارت خلف الباب وقد اكتسبت ملامحها حزناً وحزماً،
 لتقول: "انت ايه اللي جابك هنا؟"
 اقترب خطوة حتى أصبح على بعد شعيرة من رعوف؛
 "جاي عشانك يا دلال، نفسي أشوفك، أسمع صوتك.."
 وحشتيني أوي يا حبيبتي"
 تنحج رعوف ليحمر وجه دلال من تصريح عبد الله أمام

الغريب، ثم قالت له بهدوء: "اتفضل، بابا مستنيك جوا"

هو بالدخول ليجد عبد الله خاضه يقول بلهفة:

"عمي جوا؟! خليني ادخل اكلمه يا دلال، هو ضحله كل

حاجة وليكي انتي كمان"

شعر أنها على وشك الانهيار وهي تقول بحروف مرتعشة:

"امشي من هنا.. لا انا ولا هو عايزين نشوفك أو نسمعك..

امشي الله يكرمك"

اقترب أكثر، لكن رءوف -ودون أن يقصد- كان ولا يزال

حتى الآن سداً منيعاً بينه وبينها.. عادت هي خطوة للخلف

وهي تنهره بحزم: "امشي من هنا يا عبد الله"

"يا دلال طب اديني فرصة اشرحلك.. والله العظيم

بحبك ومش قادر اعيش من غيرك"

وليته ما اعترف بهذا الحب اللعين!

تساقطت دمعاتها وهي تحاول كتمان شهقة بكاء أبت أن

تخرج أمام هذين الاثنين، ليلتفت عندها رءوف لذالك

الرجل وهو يقول ببرود: "ما هي قالتلك امشي 100 مرة

يا هندسة، خذها من قاصرها واتكل على الله"

نظر لدلال يناديهما لعلها ترجع في قرارها، لكن ما زادها

هذا إلا أن هزت رأسها عشرات المرات بالنفي وهي لا

تستطيع ان تتفوه بكلمة.

فتدخل رءوف كي تنتهي تلك المهزلة قائلاً بسماجة:

"يأا يا باشا، طريقك زراعي"

ظل ينظر لها للحظات إلى أن تنهد متراجعاً: "طيب يا دلال،

هسيبك شوية تهدي أعصابك، بس خليك عارفتة اني

مش هسيبك أبداً"

ثم ذهب وهي تنظر في أثره ولا زالت دموعها تنزل على

خديها، لتنتبه إليه فتكفكف دموعها وتحاول تنظيم

أنفاسها قائلة بصوت خرج ضعيفاً من حنجرتها:

"اتفضل ادخل.."

تنحج مشيراً إلى الداخل وهو لا ينظر إليها؛

"معلش اندهيلي الحاج من جوا"

نظرت له بتعجب، ثم أومأت برأسها وهي تهمّ بالدخول؛

"حاضر، ثواني"

أوما برأسه ووقف ينتظرها إلى أن أتى والد دلال بعد دقائق

قليلة يسأله وهو يتلفت بنظره في المكان: "مشي؟"

"اه يا باشا مشي ماتقلقش"

ضرب كفاً بكفٍ وتنهّد بهمّ وهو يقول بنبرة تحمل من

الأسى ما يكفي ويزيد: "ربنا ينتقم من ولاد الحرام

يابني، محدش سايب حد في حاله"

ثم أكمل وقد بدأ في الانفعال: "حتى بعد ما البت سابتله

الدنيا وما فيها - مش عاتقنا ويبرمي علينا جتته كل

شويت"

قطب رءوف حاجبيه وسأل: "هو اللي كان برا ده جوز

أوراق الياسمين

بنتك؟"

انفعل وانفعل، وخرجت الجملة بحروف صريحة مفصلة؛

"طليقتها"

ليومئ برأسه بتفهم، ووقع الكلمة غير غريب عليه إذا

استبدلنا ضمير المؤنث لتصبح "طليقتة!"

"معلش يابني غلبناك معانا"

"لأ أبداً يا حاج، عيب الكلام ده"

ابتسم وهو يربت على أعلى ذراعه: "ربنا يبارك فيك

يابني".

فتح باب المنزل، وما أن كادت تخطو أولى خطواتها حتى

وجدته يحملها على يديه؛ فشهقت من الصدمة!

وبانفعال قالت: "نزلني يا جلال... ضهرك!"

ضحك على جملتها ثم أغلق الباب بقدمه وهو يقول بينما

يتجه ناحية غرفتهما: "يا حبيبتي الواحد منا يفضل

طول عمره رايح الجيم وجاي من الجيم عشان اللحظة دي
بس! يعني ما تعلقيش وعيشي اللحظة الله يكرمك!"
تأفقت وأدارت وجهها للناحية الأخرى، فراوغها وكاد أن
يوقعها أرضاً فأتسعت عيناها من الخوف وتشبّثت به أكثر
وأكثر، ليبتسه هو بخبث: "مابتجيش دايماً إلا بالعين

الحمراء"

وعندما وصلا لباب الغرفة أنزلها أرضاً بعدما شعر بارتعاش
جسدها بين يديه، ليقول بحنان قبل أن يخطو بداخلها:

"بقالي سنين مستني اللحظة دي يا كاميليا"
تنحنحت وابتسمت بحلاوة، ثم نظرت له قائلة:

"مبروك.."

ابتسم وقبل جبينها طويلاً، ثم ابتعد على مضض ليقول:

"غيري هدومك يلا"

أومات برأسها ووجنتها تحمران خجلاً، وما زادها أنه لم

يتحرك من مكانه!

ماتدخلي يا بنتي، مالك؟"، بعثت نطقها، وبحس ردّت

عليه: "أمشي من هنا يا جلال"

"أمشي؟!"

أومات برأسها، فاقترب منها أكثر مشيراً لما وراء ظهره:

"أمشي؟ متأكدة؟!"

لتقول بتحذير وهي تقاوم رغبتها في الابتعاد عنه خطوة:

"جلال!"

هام فيها، وحادت نظراته لكرز شفيتها، ليقترب منها

لدرجة خطيرة حتى استندت بظهرها إلى الحائط خلفها:

"يا قلب جلال اللي مجنانه"

أخفض رأسه ولامس فمها بخفتة، وهي كانت تهمس اسمه

بضعف إلى أن ضاعت وضاع الاسم للحظات كادت تفقد

فيها اتزانها.

وعندما أحسّ بمحاولات ابتعادها الواهية وانكماشها؛

أوراق الياسمين

ابتعد مبتسماً، يطمئنها قبل أن يهدئ نفسه.. ليقول قبل
 أن يفقد السيطرة كاملة: " ادخلي يا كاميليا وأنا
 هستناكي هنا"
 أخفضت وجهها المحمرّ ودخلت دون كلمة مغلقة الباب
 بوجهه، ليضحك هو ويتنفس بعمق، ثم حل وثاق رابطة
 عنقه وأول زرين من قميصه هامساً لنفسه:
 "شكل ليلتنا طويلت..".

فتحت عينيها لتجد إحداهن تقف بجانبها تعبت بشيء ما
 في يدها، وعندما رأت استيقاظها قالت بابتسامته:
 "صباح الخير"

أومات سوسن برأسها، ثم سألتها: "أنا جيت هنا ازاي؟"
 مصمصة المرأة شفقتها وهي ترد بحسرة: "ولاد الحلال
 لقيوكي وجابوكي على هنا، الله ينتقم من اللي عملوا

فيكي كده ياختي"

ثم وضعت كفها على يد سوسن: "ملكيش حد تعرفيه

يا حبيبتي نتصاك بيه؟"

تذكرت جيداً ما حدث، فهزّت رأسها نافية مما جعل المرأة

تممص شفثيها مرة أخرى وهي تضرب ظهر يدها بباطن

الأخرى: "ومقطوعة من شجرة كمان؟"

أبعدت بصرها عن المرأة وأغمضت عينيها قليلاً بينما تشعر

بالآلم متفرقة في جسدها، لتتهف المرأة: "استني اما

اناديلك دكتور"

وذهبت من أمامها، لتعود بعد دقائق ومعها الطبيب.

أمسك بضع أوراق كانت موضوعة بجانبها، قلب فيها

بتدقيق بينما يسألها: "عاملة ايه دلوقتي يا مدام؟"

أومات برأسها وأجابت بصوت تعب: "كويست.."

تفحص فيها ثم سألها: "اليومين اللي فاتوا ما كنتيش

بتحسي بأي حاجة غريبة في جسمك؟"

أوراق الياسمين

قطبت حاجبيها، أهو في تلك الحادثة التي حصلت لها أم

أن خياله ذهب لأبعد منها؟!

أجابته بتعجب: "حاجة غريبة ازاي؟"

"يعني، حسيتي جامد، تعبانة دايمًا، جسمك

بيوجعك.. أي حاجة غريبة حسيتي بيها"

أجابته وهي لا تعرف لم كل هذه الأسئلة: "ايوه شوية"

زفر الهواء ثم قال بأسى: "طب ليه ماكشفتيش يا مدام من

ساعتها، كان زمانًا لحقناكي؟!"

قطبت حاجبيها وقد بدأ القلق يتسرب إليها: "هو ايه ده؟"

أخفض بصره لدقائق ثم أجابها بعملية: "المرض الخبيث"

اتسعت عيناها وهي تردد: "سرطان؟!"

أوما برأسه: "أيوه.. وللأسف انتشر لانك أهملتيه من الأول"

سألته وهي تشعر بقرب نهايتها أمام عينيها: "هموت؟"

"الأعمار بيد الله، احنا هنعمل اللي علينا ولو كده هنبدأ

جلسات من الأسبوع الجاي، واللي ربنا كاتبه هيكون"

لم ترد ، وهي لازالت تفكر في شيء واحد.. ستموت!

راقبه وهو يخرج من المشفى الذي يعمل به ويصعد لسيارته

عائدا للمنزل وهو يرمقه بحقد دفين.. لقد سلبه كل

شيء وهو لن يتركه يهنا أبدا.. سار خلفه بالسيارة التي

سرقها لينفذ ما عزم عليه حتى وصل عاصم لمنزله غير

ملاحظ لمن يراقبه وما إن ترجل من السيارة حتى شعر

بشيء قد غرز بظهره ليثبت مكانه لبرهة قبل أن يحاول

الالتفات لمن خلفه فيثبته الآخر غارزا السكين أكثر

ليتوجع عاصم بصمت وهو يقول: "أنت عايز ايه؟!"

ابتسم وهو يراه يحاول تشتيت انتباهه ولم يتعرف عليه

فقال بضحك بجانب أذنه وهو يغرز السكين أكثر حتى

شعر بلزوجة الدم:

"عمر ك؟"

أبعد السكين لجزء من الثانية ثم عاد فغرزها بقوة طاعنا

عاصم بكل قوته ليشهق عاصم بصدمته وهو يحاول

الدفاع عن نفسه ليعود حلمي فيخرجها ويطعنه عدة

طعنات بكل قوته.. طعنات محمّلة بحقده تجاه من أخذ

منه كل شيء كما فكّر هو..

طعنة تلو الأخرى وضّحت حقه الممزوج بالاستمتاع التام

باننقامه حتى انهار عاصم على الأرض ليسحب حلمي

السكين من جسده بقوة ويهرب سريعا وكان آخر ما

سمعه هي صرخة الخائنة باسم الملقى على الأرض غارقا

بدمائه ولا أمل له بالحياة .

لم يغمض لها جفت على الرغم أنه أخبرها ألا تنتظره فهو

أوراق الياسمين

سيتأخر بالمشفى الليلة وربما لن يعود إلا فجر اليوم
التالي.. كان وقت الضجر قد اقترب فظلت تروح وتجيء
بالمنزل بعدما خلد مصطفى للنوم وكعادته أصبح ينام
مع جده أو جدتها.. ابتسمت للحظة مفكرة أنه اعتاد
الدلال من الجميع خاصة عاصم .

دفع اجتاح قلبها كلما فكرت به.. وابتسامتها ترتسم على

شفتيها كلما مرّ بخاطرها.. وتتورد وجنتيها كلما

فكرت بلحظاتها معا ومشاكساته لها.. صدح صوت من

داخلها قائلاً: (ومتى تنسينه ولا تفكرين به نرجس؟!)

لترد بتلقائية: (وكيف أنساه وهو من لؤن حياتي بدفته

ورجولته؟! لم أشعر بطعم الحياة سوى معه، لم أشعر

بأنوثتي تتفتح إلا على يديه، هو غير حياتي بل هو من

منح لي الحياة!)

تنهيدة طويلة خرجت منها لتشعر بوخزة مؤلمة بقلبها

ويتردد صداها بالشارع الهادئ بهذا الوقت المتأخر وتنطلق
 مهرولة على الدرج لتصل إليه تمسك به وتحاول إيقاف
 الدماء التي تتفجر من جسده بغزارة ليغي وجودها ورأسه
 بحضنها ودموعها تغرق وجهه فيفتح عينيه بصعوبة وهو
 يهمس لها: "نرجس.. بحبك!" .

وقفت أمام باب المنزل وهي تنظر إلى هشام من وقت لآخر
 كأنها تخاف أن يتركها في أي لحظة ويهرب!، تخاف أن
 تهبط من أعلى الأعالي إلى أسفل السافلين!، أن يكون
 كل ما عاشته مجرد حلم والآن ستفقد منه على وخزة في
 خاصرتها من أبيها أو عريس عمره عشر أضعاف عمرها!
 وهو لم يجد بداً من أن يمسك يدها ويرفعها كي تحط
 شفتيه عليها برقة بينما يبتسم لعينيها: "مش ماشي والله"

ابتسمت، ثم فتحت الباب وطلت فتاة من خلفه، وبنبرة
 مترددة سألتهم: "تؤمروا بحاجتي؟"
 قطبت حاجبيها ونظرت لهشام، فضغط على يدها وابتسم
 بأدب: "ناديلنا الحاج من جوا.. قوليله هشام"
 تنحج قائلاً بهدوء: "مارضيتش اقولك قبل ما نيحي بس
 مينفعش تدخل من غير ما تعرفي"
 ظلت تنظر له بتساؤل، ليكمل:
 "أبوكي اتجوز من شهرين يا زهرة"
 نطقت بصدمته: "اتجوز؟"
 ثم نظرت للباب مرة أخرى وكأنها تريد التأكد أن من
 فتحته هي نفسها زوجة أبيها، بينما في الحقيقة هي لا
 تكبر زهرة إلا بقليل القليل!
 ليطل والدها هذه المرة وحالته يرثى لها، عيناه محمرتان

ووجهه قُرب لونه للأسود.

ضحك بسماجة وهو يرحب بهم: "يادوبك افتكرتي ان

ليكي أب!"

تنظر له ولا تحيد عيناها عنه، ورغم ذلك لم تجد

القدرة على الكلام.. تدخل هشام يحييه: "إزيك يا

عمي؟، صحتك عاملت إيه؟"

ضحك بسخرية: "أحسن منك ومنها"

ثم بترنح تنحى جانباً مضحاً لهم الطريق: "ادخلوا..."

وبصوت عالٍ وحروف ثقيلة: "بت يا هدير"

فأنت زوجته على عجل وهي تمسح يديها في جلبابها كي

تتخلص من بقايا قطرات الماء العالقة بهما:

"أيوه يا حاج، أومرني"

"اعملينا كوبايتين شاي"

أومات برأسها وهي تشير لكلتا عينيها: "من عنيا يابويا

(يا أبي) حاضر "

ثم اختفت من أمامهم بينما يغلق والد زهرة الباب.
اقترب يمشي بجانبها، ليرفع يده فتفاجأ هي من حركته
وتظن أنه على وشك ضربها، وكرد فعل لإرادي التصقت

بجذع هشام وأخفضت رأسها قليلاً في محاولة منها

للتخفيف من وطأة ضربته، ليقربها منه أكثر ويحيط

جذعها بذراعه.. لكن والدها لم يع أيًا من هذا وهو يربت

بقوة على كتفها قائلاً: "ولما زمان يا بت، ولا حد

بيشوفك.. إيه؟ نسيتي ابوكي بعد ما اتستتي ف بيت

جوزك ولا اعتبرتيني ميت؟"

رد هشام عنها: "بعد الشريا حاج ماتقولش كده، انت على

راسنا من فوق"

جالسا، لكن تفكيرها ذهب مع القابضة بالمطبخ.. مالت

على هشام واستأذنته في بضع دقائق ثم ذهبت إليها.

ابتسمت عندما رأتها بينما كانت الأخرى تصب الماء

في الأكواب.

تنحنت بخرج وهي لا تعلم كيف تبدأ الكلام:

"عاملة إيه معاه؟"

ابتسمت الفتاة وزهرة أعلم الناس أن خلف ابتسامتها كانت

تداري أكواماً من القهر: "الحمد لله"

تنبأت أنها ربما لا تريد الحديث، فتدخلت للمساعدة:

"هاتي اشيل عنك، شكلك تعبانة"

وضعت يدها على بطنها وهي تقول بخفوت حزين: "تسلم

إيدك.. والله المفروض ماقومش م السريري ما الدكتور

قال بس انتي عارفة بأى شغل البيت مايبخلصش"

قطبت حاجبها إلى أن استوعبت بصدمة: "انتى حامل؟"

"اه، هو ابوكى ماقالكيش؟"

نفت أنها تعرف، ثم بقليل من الصدمة حملت الصينية

واتجهت للخارج لتجد أن هشام كان يسعد للذهاب.

اقتربت منه مستغربة: "انت رايح حتتر؟"

فابتسم وأجابها: "كنت هنزل شوية عقبال ما تقعدى

براحتك"

لتجد والدها يقول بقلته تهذيب وهو يشعل إحدى سجائره

مجهولة المصدر: "انزل ياخويا، وخد السنيورة معاك"

نظرت لوالدها قليلاً ثم اقتربت أكثر من هشام وهي تقرر

بحزم: "خُدني معاك عاوزة اروح"

أوما برأسه واستأذن منهم، ثم ذهب.

ناول رعوف كوب شايه وهو يقول بحزن: "مش عارف الاقيها

منين ولأ منين والله يابني!"

ربت رعوف على يده؛ يؤازره: "وحد الله يا حاج وكل

حاجة هتتحل بإذن الله"

تنهد: "أنا عامل ع البت الغلبانة اللي شافت كتير ف دنيتها

وهي لسه صغيرة"

لا زال لا يفهم أي شيء، فبحرج سأله: "معلش يا حاج لو

مضيهاش إساءة أدب، هو الواد عمك إيه؟"

"خان بنتي ومكانش فات على جوازهم سنت! والبنت

بعدها دخلت ف اكتباب حاد اضطرني أسيب البلد

وأجيبها هنا بعيد عن أي حاجة"

تمتم بصوت منخفض وأحشائه تعصر من نبش ذكراه

المدفونة: "لا حول ولا قوة إلا بالله!"

"ومش مكفيه اللي عمله فبينظلنا كل شوية زي ما

انت شايف"

تنهد بهم بعيد دفن ذكرى خيانتته، لتطل في تلك

اللحظة دلال بردائها الأسود.

اقتربت من والدها تطلب بصوت خافت: "هنزل اتمشى

شوية يا بابا، عايز حاجة من تحت؟"

كان يتبعها بعينيه ومقارنته مجحفة تُقام داخل عقله..
 كيف لمخلوق أن يطاوعه قلبه في خيانة واحدة مثلها!
 وماذا ينقصها كي يبحث عنه خارجاً؟!
 جمالها يُلقت العين والقلب، وهو متأكد أن خلف ردائها
 المحتشمة ذاك أنوثته مختبئة بخجل.. يكفي احترامها
 وتربيتها الظاهرة للعيان.. ومن الواضح أنها -ست بيت-
 كما يقولون.. فبأي حق يُكسر قلب المسكينة!
 حانت نظرة منها لرعوف لتجده مثبتاً عينيه عليها فاحمرت
 خجلاً كما أخفض هو بصره متنحنحاً بخرج.. ثم ألقى
 السلام وذهبت.. فرفع بصره يشيّعها بعينيه إلى أن اختفت
 من أمامه.

هل رفضته حقاً؟!!

دمعت عيناها رغماً عنها فهي لن تجد مثله أبداً.. ربما لم

أوراق الياسمين

تختلط به بشكل مباشر كثيرا ولكنها سمعت عنه من شقيقته التي أخبرتها عن دعمه لها طوال حياتها وخاصة بعد المحنة التي تعرضت لها بزواجها الأول من وغد شبيه ابن عمها..

ارتعدت وهي تشعر بالغثيان لذكرها التي مرت عليها ثم ما لبثت أن تحاشت التفكير به فهو صفحة وانطوت ولن يدخل بحياتها مرة أخرى لا هو ولا أسرتها التي لم تساندها أبدا عدا عمها وزوجته الرقيقة وأطفالهما الذين لازلوا يطمئنون عليها من آن لآخر.

أغمضت عينيها بقوة وهي تفكر هي لم ترفضه ليعيب به بل هي فقط خائفة!

خائفة ان تعيد التجربة حتى ولو كان مختلفا عن الآخر بل لا مجال للمقارنة ابدا!

خائفة أن يندم يوما على الزواج منها خاصة أنه لم يسبق

له الزواج وهي على دراية تامة بالحديث الدائر حولها
بالعمل.. فقد صوروها أنها ألفت بشباكها حول صاحب
العمل بعدما صادقت شقيقته، صوروها كامرأة عابثة لا

هم لها سوى الركض خلف الرجال!

تبا للناس الذين يحكمون على المرأة من وجهة نظر
فاسدة وكأنها رمز الخطيئة على الأرض! وهم الملائكة

المظلومين بوجودهم معها!

قاطع تفكيرها دخول نادين العاصف كعادتها وهي

تتذمر قائلة: "لبنى! أنت هون وانا نازلة بفتش عليكى

بكل إرنة؟! (مكان)"

ابتسمت لها بحنو كعادتها معها وهي تقول: "بتدوري عليا

على أساس إني عيلة تايهة يعني! وبعدين عايزاني في ايه

مش كفاية عليكى خطيبك؟! "

غمزتها بمشاكسة لتزم نادين شفتيها بعدم رضا وهي

تقول: "في أشياء ما فيني اشتريها وأنا معه، بعدين أنت

رفيقتي الوحيدة رح تتركيني لوحدي بس علشان

تشوفيش أخوي؟!"

أشاحت بوجهها وهي تقول نافيتة: "لا أبدا، أنا لا سيبتك

ولا حاجة.. أنا مستنياكي اهو تخلصي الاجتماع وتيجي

عشان نشوف الحاجات اللي ناقصة"

زمت شفيتها بحنق مصطنع وهي تقول: "ووينه هاد

الاجتماع؟! أخوي كان شارد طول الوقت ولا هونا وترك

نزار يشاكسني!"

ضحكت متحاشية السؤال الذي كان يقض مضجعها

لتتابع نادين دون حاجة للسؤال: "ليه رفضتيه يا لبنى؟!

هو ما بيشبه اللي كان قبله.."

"عارفة أنه احسن من اللي ممكن أتخيله واحلو بيه

كمان يا نادين ويمكن ده اللي خلاني اقول لا، أنا مش

برفضه هو انا لو لقيت الدنيا كلها عمري ما هلاقي زيّه

أبدا بس....."

صمتت عاجزة عن أخراج ما بداخلها لتجيبها نادين قائلة:

"شايضة حالك مش من مقامه.. بتخافي نميمة الناس

حواليكي.. بتخافي أنك ما ترضيه لما تتزوجوا..

بتخافي أنك تشوفي الندم بعيونه شي يوم اذا

تزوجتوا؟!"

فتحت لبني فمها ثم أغلقته وهي تومئ برأسها لتبتسم

نادين بحزن وهي تقول: "وبرأيك في واحدة ممكن تحس

فيكي أكثر مني؟! أنا مرقت بكل شي مرقتي فيه يا

لبني من قبل، وبعرف إيش حاسته هلاء لأنني هيك حسيت

وقت نزار رجع لحياتي.. يمكن كاسب وعيلتي قدمولي

الدعم الاكبر لا قدر اعيش واكمل حياتي.. بس أكبر

مساعد الي كان نزار.. كتفني (حاصرني) وأصر

أوراق الياسمين

نتزوج.. نظرنى سنين طويلة وما فكر يتزوج بس
 علشانى.. رجع مخطط يتزوجنى ولو اضطر يخطبنى مثل
 ما قال لى.. هاد هو الشيء اللي خلا نادين القديمة ترجع..
 نادين اللي ولا مرة حملت هم.."
 ابتسمت لبنى بحنو وهي تضمها قائلة: "تستاهلي كل خير
 نادو، ونزار محظوظ لوجودك بحياته"
 ابتسمت بحب: "أنا المحظوظة فيه! مثل ما رح تكوني
 محظوظة أنت بأخوي العشقان"
 اتسعت عيناها من الصدمة.. عاشق!!
 ضحكت على مظهرها المصدوم وهي تغمزها قائلة:
 "وايش فكرتي قصده لما طلب يتزوجك؟! أكيد أخوي
 غرقان بعشقتك لفوق راسه"
 توردت وجنتيها ولم تتحدث لتبتسم نادين: "أنت بتستاهلي
 كل الحب الموجود بالعالم لبنى، كوني واثقة!"

وانبسطي بكل الحب الي رح تعيشيه وما توطي من
قيمتك، وما تخافي من المستقبل.. لا تتسرعني وخدي
وقتك.. بس يكون بعلمك أنك ما رح تلاقيني
يحبك قده".

دلف إلى المنزل بعد ليلة عمل مرهقة ليجدها غافية على
الأريكة بغرفة المعيشة فابتسم بحب فحبيبته لا تنام
بغرفتهما إلا معه وبين ذراعيه وعلى الرغم أنه أخبرها أنه
سيتأخر بالعمل إلا أنها انتظرت كعادتها حتى غفت على
الأريكة بمكان انتظارها..

لم يتحدث معها بعد فلم يملك الفرصة أمام العمل
الكثير بانتظاره خاصة وهو سيأخذ عطلة طويلة بمثابة
شهر عسل لم يحدث.

انتفض على صرختها باسمه فهرع إليها وهو يضمها إليه

بحنو ويربت على ظهرها قائلاً: "نرجس! مالك حبيبتي؟!
 بسم الله عليكى.. اصحى حبيبتي ده حلو ماتخافيش
 ياقلبي انا معاكى اهو"
 اخترق صوته لاول وعيها لتتمنى لو كان حقيقة وتجده
 امامها حالما تفتح عينيها حقاً !
 فتحت عينيها لتجده امامها فلم تتمالك نفسها وهي تندفع
 ضامّة نفسها إليه وهي تتمتم: "الحمد لله.. الحمد لله"
 ظلت بحضنه لحظات قبل أن تبعد ببطء وهي ترمقه
 بشوق جعله يزدرد ريقه وأنفاسه تعلو قبل أن يختفي كل
 ذلك بهتافها: "بحبك يا عاصم بحبك اوى"
 رمقها بصدمته وهي تتابع: "عمري ماتمنيت انى اتجوز واحد
 زيك رغم انى طول عمري بتمنى انى اتجوز واحد يحبنى
 ويعاملني زي ما بابا الله يرحمه كان بيعامل ماما.. لكن
 مكنتش متخيلة انى ممكن اتجوز واحد أجمل من اجمل

حلم ليا! أنا بحبك اوي وهفضل طول عمري اشكرك
 على كل حاجة عملتها عشاني وعشان مصطفى و..."
 ابتلع باقي كلماتها بقبلة عاصفة أودعها كل مشاعره
 ليتركها ما إن أوشكا على الاختناق ثم قال: "مش عايز
 أسمع الكلام اللي كنتي هتقوليه ده ابدأ.. نرجس انتي
 نعمت من ربنا ليا.. انتي حلم عمري ما حلمته، عارفت انا
 صحيح اتجوزت قبل كده لكن عمري ما حسيت
 بالحاجات اللي حسيتها معاكي، يمكن جوازنا كانت
 ظروفه غريبة لكن حبيتك وانا عمري ما عرفت يعني
 ايه حب.. عمري ما تخيلت اني أحب أو اتجوز ثاني اصلا..
 يمكن انا مبعرفش أقول كلام حلو ومقدرش اوعدك
 اني هقول في يوم من الايام لكن اللي اقدر اوعدك بيه
 اني هفضل احبك واصونك لآخر نفس"
 ابتسمت تضم نفسها له وهي تهمس له: "وانا مش عايزة

كلام.. حضنك عندي بالدنيا كلها"
 ابتسم بحب وهو يضمها له بقوة ولم يعد هناك مجال
 لكلمات لن تصف مشاعرهما كما الأفعال!
 ربما بدأت علاقتهما بالاحتياج فاحتاجت هي الحماية
 والسند واحتاج هو الزوجة والابن ولكن علاقتهما تحولت
 لعشق خالص.. وما أجمل العشق المكمل بالسكن والمودة
 والرحمة!

كان يجلس على الأريكة محتضناً كتفها بينما
 يشاهدان التلفاز سويًا، وعندما لاحظ صمتها وسكونها
 قلق: "مالك يا زهرة؟"
 هزت رأسها يمينًا ويسارًا متممة: "مفيش..."
 نزع ذراعه من خلف كتفها واعتدل ممسكًا بوجهها،
 ينظر بتدقيق لعينيها: "لأ فيه.. احكي لي ايه اللي

مضايقك"

انخفضت زاويتا عينيها بحزن: "أنا عاوزه أخلف يا هشام"
تنهد وأعادها لأحضانها يمشط شعرها بأصابعه: "مش احنا
اتكلمنا قبل كده في الموضوع ده يا زهرة؟ وروحنا

للكتور وماشيين في العلاج؟"

"أيوه..."

"أمال ايه بأى؟، شيليه من دماغك"

رفعت رأسها تناظره ببراءة: "عاوزه أخلف منك يا هشام،

وخايضة معرفش أخلف طول عمري"

لتكمل: "هو انا لو طلعت مش بخلف خالص، هتطلقني؟"

أمسك وجهها بكفتها كفيه قائلاً بحزم: "زهرة، لآخر مرة

نتكلم ف الموضوع ده.. بصي يا بنت الناس، طلاق

مبطلقش، هفضل قدامك كده طول العمر، غصب عنك

أو برضاكي.. وموضوع الخلفة ده عاوزك تعرفي حاجت،

انا اه نفسي يبقالي ابن او بنت منك بس انتي لسه صغيرة

أوراق الياسمين

اوي يا زهرة، بلاش تستعجلي وتحطّي الحوار في دماغك،
 خلي الأمور تمشي بطبيعتها وسيبها على ربنا.. تمام؟"
 قبل شفتيها ثم سألتها بعث: "مش ناوية تنامي؟"
 همهمت تجيبه: "اه، نعست فعلا وبكره هصحي بدري"
 وقف وأمسك يدها: "طب يلا تعالي نامي ف حضن بابا"
 ضحكت بينما تقوم من مجلسها: "بابا!..."
 احتضن كتفيها وسار بها: "ايه يا بت، مش عاجبك
 ولا ايه؟"

رفعت يدها تمسك بيده الموضوعتة على كتفها:

"لا ابدأ، بابا بابا ومالو".

خرجت بعد فترة باتت دهرًا وهو ينتظرها بالخارج.. ببهاء
 ما كانته يومًا في هذا الرداء الأبيض الطويل؛ حتى الليلة
 وفي أدق التفاصيل تذكره أنها لازالت تخجل منه.
 ابتسم ووقف أمامها بعدما كان قد تخلص من جاكيت

بدلته ورابطة عنقه وحلّ أغلب أزرار قميصه.. وهي كانت ترتعش خوفاً وخجلاً، وفكرت ألف مرة قبل أن تفتح الباب وتخرج أمامه، هل كانت تعتقد أنها قوية بما فيه الكفاية، وأنها ستتغلب وتقاوم خجلها منه؟؛ كانت واهمة! فالآن وبمجرد أن نظر لها تلك النظرة انهارت وكادت تتمنى أن تدفن مكانها، وشعرت بالحرارة تجتاح جسدها كله وليس وجنتيها فقط.

وضع يديه على أعلى ذراعيها وهو يقول بغیظ: "إيه يا حبيبتي ده؟، وما لبستيش طرحة كمان ليه عشان تكملی الطقم؟!"

أغمضت عينيها وتخصرت وهي تواجهه بشرر:

"أخش أقاعه أحسن؟!"

انخفضت يداها على طول ذراعها ببطء وهو ينظر لعينيها وقد فاض به: "وانا رحت فين؟"

أحاط خصرها بذراعيه وشدها إليه حتى لامست صدره،

ويديه كانتا تتحركان على طول ظهرها حتى وصل

لكتفياها، بينما يقول بهمس هائث على بشرة عنقها،

وتعقله ذهب للبحيم: "سيبيلي نفسك خالص"

وبدأ بإزاحة مازرها عن كتفياها حتى وقع أرضاً، وقبلاته

أخذت اتجاهها من عنقها لوجهها وشفثياها يشبع جوع

سنوات من الابتعاد والحرمان، سنوات من كبح رغبته

فيها، هي دون غيرها.

وخلال دقائق كانت ممددة على السرير بعد أن تخلص هو

من قميصه في لحظة عابرة.

نادته بعدما عاد لما كان منهمكاً فيه.. هي تحبه،

تعشقه، لكن هناك حاجزاً من الخوف والخجل يمنعه أن

تستجيب له أو تبادله، أو حتى أن تتركه يفعل ما يشاء..

لقد فاجأها بكل ما يكتنه لها من عاطفة، وبشغفه

الشديد بها حتى أنه لم يمهلها لحظة كي تفكر أو

تتدخل.

"جلال..."

همهم دون أن ينظر إليها، فنادته مرة أخرى برجاء عندما

كان يحاول نزع حمالة قميص نومها عن كتفها وهي

تحاول إعادتها لمكانها: "لأ.. طب عشان خاطري بصلّي.."

جلال"

نظر لها وعيناه تغيمان بالعاطفة متسائلاً بتعجب:

"مالك يا حبيبتي؟"

هزّت رأسها يميناً ويساراً وهي تقول باختناق:

"مش هعرف..."

قطب حاجبيه وبدأ برود يتسرب لجسده، ليسألها بغموض:

"مش هتعرفي ايه؟"

تساقطت دموعها وهي تقول: "أديني فرصة بس..."
 ظلّ ينظر إليها بجمود ثم وقف قائلاً ببرد وبعدهما وضع
 غطاء السرير على جسدها: "تصبحي على خير"
 ودخل الحمام حاملاً بيده بنطاله، ليخرج بعد أن ارتداه
 ويتمدد بجانبها دون كلمة معطياً إياها ظهره.
 اقتربت قليلاً منه وقد شعرت بالذنب لما فعلت به، وضعت
 يدها بتردد على كتفه: "جلال..."
 أجابها ولا زال على وضعه: "نعم..."
 سيطر الحزن عليها من حيث لا تعلم ونزلت دموعها مرة
 ثانية وهي تناديه، ليتنهد منقلباً على ظهره يضع رأسها
 على صدره محتضناً إياها بقوة وهي تبكي بخفوت:
 "لا حول ولا قوة إلا بالله، ما أنا بعدت خالص اهوزي ما
 انتي عايزة.. بتعيطي ليه دلوقتي؟"

هزّت رأسها نضياً وقالت وهي تشهق بالبكاء:

"متبعدهش يا جلال.. مقولتلكش ابعدا اصلا"

هتف بتعجب: "يا سلام!!!"

لتهتف هي: "يا جلال بتكلم جد"

"والله انا عارف ان اخرتي على ايدك"

هدأ بكأوها، لتناديه بدلال: "جلال..."

كان يربت على ظهرها مجيبا: "نعم ياختي"

انكمشت أصابعها الملامسة لعضلات صدره، لتقول

بخضوت: "أنا بحبك..."

قطب حاجبيه.. مجنونته! لا، المجانين أعدل منها.

نظر لوجهها ليجدها تبتسم بينما تتابع صدمته، ليسألها

كمن يسأل طفلاً صغيراً لا يفقه من الدنيا شيئاً:

"انتي هبلتة؟!"

اتسعت ابتسامتها وهي تومئ برأسها توافقه الرأي، ليراقبها

قليلًا ثم يهز رأسه بقلّة حيلته؛ "أخيرة صبري يا ربي.."

بس اعمل ايه، بحبها"

ضغط رأسها لصدره بغیظ ووضع ذراعه الحرة فوق عينيه

بينما يقول: "نامي يا كاميليا دلوقتِي، عشان والله لو

فضلتِي على هبلك ده مش هضمن رد فعلي، ولو قعدتِي

تندهي وتعيطي من هنا لبكرة الصبح مش هسيبك"

ضحكت بخفوت وتنعمت بالنوم في أحضانه، وهو لم يذق

النوم طوال الليل وهو يتوعدّها أن تدفع ثمن اعترافها

بحبه غاليًا جدًا.

دلفا إلى شقتها بعدما قضيا اليوم مع والدها.. اغتسلت

سريعا وما إن دلفت إلى الغرفة حتى تجمدت مكانها!

فهناك على الفراش تحفة فنية جعلت قلبها يخفق بعنف

وهي تقترب لتراها عن قرب، لم تصدق عينها وهي ترى

اسمها منحوتاً بطريقة رائعة على الخشب بداخل قلب
عندما دقت النظر به اكتشفت انه اسم حبيبها إسلام ..
شعرت بالدموع تطفر من عينيها على الرغم من الابتسامة
الواسعة التي ارتسمت على وجهها ولا تفهم كيف يجتمع

الشعوران معاً!!

شعرت بخطواته خلفها فالتفت له تلقي بنفسها بين

ذراعيه وهي تهتف: "انا بحبك أوي يا إسلام"

ضمها بقوة وهو يقول: "وأنا بحبك أكثر يا قلب وروح

وعقل إسلام"

نظر للهدية قائلاً: "عجبتك المفاجأة؟!"

اومات بسعادة وهي تقول: "جدا.. تعبت نفسك أوي فيها

حبيبي.. عشان كده كنت بتتأخر بالورشته؟!"

ابتسم وهو يشاكسها: "لا عشان الست عواطف تجيبلي

اكل اصلي بحب اكلمها اوي"

رمقته بغيظ وهي تضربه على كتفه بخفة فصاح
مصطنعا الألم لترمقه بنظرة ذات مغزى فضحك عاليا وهو
يقول مشاكسا: "امم شكك مابتغيريش عليا!"
"يعني اروح ادبح الست عواطف بتاعتك دي عشان تعرف
اني بغير عليك!"
قالتها بغيظ ليضحك مرة أخرى وهو يقول: "لأ.. قوليلي
طلبتى الطلاق مني ليه وانتي بتحبيني كده؟!"
رفعت حاجبها: "واثق اوي الاخ!!!"
عدل ياقرة وهمية وهو يقول بغرور: "طبعا واثق عندك
شك وال ايه؟!"
ضحكت وهي ترمقه بحب ثم قالت: "لأنى كنت غبية..
كنت بقولك طلقني وانا معرفش هقدر اعيش بعيد
عنك ازاي؟! واني كل ماتخيل انك كان ممكن تسمع

كلامي وتعملها احس اني روجي بتروح مني، انا بحبك

اوي يا اسلام ومقدرش اتخيل حياتي من غيرك"

رغم سروره بردها إلا أنه أعاد سؤاله: "ماجاوبتنيش على

فكرة"

زفرت بحنق من إصراره وهي كلما تتذكر حماقتها تشعر

بالخجل لتقول: "سمعت بابا وهو بيشكرك انك

اتجوزتني ووافقت على طلبه.. رغم اني عارفة انك

بتحبني بس الموضوع صدمني خاصة انك كتير اوي

عليا.. عمري ما حامت بواحد زيك فيه كل حاجة..

راجل كامل والكمال لله وحده.. اسلام أنا خايضة حاجة

تضرقنا، خايضة تفوق بلحظة تقول انا ايه ال خالني اتجوز

المسترجلة دي ليه ماتجوزتش واحدة تعرف تدلع وتتروق

زي باقي الستات؟ ليه...."

قاطعها وهو يضمها له بقوة قائلا: "انتي فعلا غبية

أوراق الياسمين

يا حبيبتي

ابتعدت عنه بحدة وهي تهتف: "نا اعر؟"
 ضحك بخفت وهو يعيدها لمكانها على صدره وبين
 ذراعيه ويقول: "هقولك ايه طيب! منين عارفت اني
 بحبك ومنين خايضت اقول مش عارف ايه؟! انتي شايفاني
 هايف كده عشان افكر في الحاجات الفاضية دي؟!"
 همت بالحديث ليقاطعها قائلاً: "أنا ماتجوزتكيش عشان
 والدك قالي اتجوزها انا اتجوزتك عشان انا حبيتك ..
 حبيت البنت ال بميت راجل اللي بتصون نفسها وشرفها
 حتى لو فيها موتها، حبيت البنت اللي جنبها رجالة
 بشنبات مش رجالة، مش عشان هي مسترجلة لا عشان
 عارفت يعني ايه مسؤلية! يعني ايه تحافظ على نفسها!
 يعني ايه تشتغل وتتعب في شغلانة حتى لو ماتناسبهاش
 بس عشان ابوها وامها مايحتاجوش لحد.. البنت ال دخلت

أوراق الياسمين

قلبي من اول مرة شوقتها فيها رغم انها كانت مصدرالي

الوش الخشب على طول بس حتى الوش الخشب حبيته

ودبت فيه بدام منك انتي"

"إسلام عايزة اقولك حاجة"

رمقها بريبتة لهدونها المفاجئ لتصدمه بقولها:

"انا حامل؟".

"يالهي..."

نطقت بها الممرضة بصدمته وهي تضرب على صدرها

بعدها وجدت سوسن معلقة من رقبتها في قطعة قماش.

جسدها متهدل مفارق لكل معالم الحياة.. تلك الحياة

التي رسمتها بيديها بكل قذارة، وعاشتها بطولها وعرضها

وكل اتجاهاتها.. لتنتهي بها بأبشع الطرق..

منتحرة!

وأخيرا الليلة زفاهه على حلم عمره كله!
الليلة سيضمها بين ذراعيه ويبثها عشقه الذي أخفاه بين
ضلوعه منتظرا إياها تنضج ليخطفها الآخر من بين يديه
ولكنه استعادها وليحمد الله على ذلك..

لقد منحه الله الفرصة الثانية ولن يبدها أبدا.
ابتسم وهو يرى كاسب وصديقه يدخلان ويراقبان الحلاق
وهو يهذب من لحيته وخصلاته الفحمية ليصافحه عاصم
وهو يقول: "مبرووك يا نزار الف مبرووك ربنا يتم عليك
بخير"

ابتسم كاسب وهو يقول: "الله يبارك فيك خيي"

بدأ كاسب الغناء هو وأولاد عمه الآخرين أغنية من
التراث الفلسطيني..

واحلق يا حلاق.. مسحله بكمه.. واحلق يا حلاق..

مسحله بكمه

استنى يا حلاق.. تنها تيحي امه.. استنى يا حلاق..

تنها تيحي امه

واحلق يا حلاق.. مسحله بعباته.. واحلق يا حلاق..

مسحله بعباته

استنى يا حلاق.. تيجين خواته.. استنى يا حلاق..

تيجين خواته

واحلق يا حلاق.. مسحله بمحرمته.. واحلق يا حلاق..

مسحله بمحرمته

استنى يا حلاق.. تنها تيحي عمته.. استنى يا حلاق..

تنها تيحي عمته

واحلق يا حلاق.. مسحله بمنديله.. واحلق يا حلاق..

مسحله بمنديله

استنى يا حلاق.. تنو ييجي جيله.. استنى يا حلاق..

أوراق الياسمين

تنو ييجي جيله

اشترك الجميع بالغناء وظلّ هو يرمقهم ببهجة وهو يدعو
الله أن يتم فرحتهم على خير.

تشعر بالخوف، بنبضاتها تتسابق بجنون كلما فكرت أنها
ستكون بمفردها معه الليلة ..

تحاول تهدئة نبضاتها دون جدوى.. تشعر بالخجل والرهبة
وكانها المرة الأولى التي تتزوج بها.. ابتسمت بحب وهي

تفكر أنه لم يقبل برفضها أبدا بل حاصرها حتى

استسلمت له..

صدح صوت من داخلها هاتفا.. وهل كنت تمانعين من

الأساس نادين؟

لقد انتظرتيه طوال حياتك فلا تخدعي حالك.. هو نزار

من كانت عيناه تقفحمان أحلامك وتعدانك بالكثير!

أوراق الياسمين

هو من نبض له القلب فاعترفي بذلك ولا ترهقي قلبه
 أكثر، يكفي سنوات عاشها بقلب مثقل بالهموم وذنوب لم
 يكن له دخل به، هو فقط كان حظ سيء وتجربته كان
 مقدراً لها أن تعيشها حتى تشعر بلذة تجربتها هذه المرة
 مع نزار.. ابن عمها وحبیبها وزوجها!
 "سرحتي في ايه يا عروسة؟! شكلك كده روحتي لحد

العريس وجيتي!"

شاكستها لبني لتتورد وجنتيها وتبتسم بحالمية
 ليقاطعهما دخول قريباتها اللاتي تعرفت عليهن لبني من
 قبل وهن يغنين لها:

قالت با هبة يا خالي.. قالت با هبة يا خالي
 قال لها زيدي دلالي.. قال لها زيدي دلالي
 مدّ إيدته على جاكيته.. ناولها ذهاب يمانى

قالت با هبت يا عمي.. قالت با هبت يا عمي
 قال لها ولا تنهمي.. قال لها ولا تنهمي
 مدّ إيداه على جاكيتته.. ناولها ذهاب عصمي
 قالت با هبت يا بويي.. قالت با هبت يا بويي
 قال لها شدي وقومي.. قال لها شدي وقومي
 مدّ إيداه على جاكيتته.. ناولها ذهاب حكومي

في الزفاف

وقف يراقبها وهي تدور حول شقيقته ترى ما يلزمها
 ليبتسم وهو يلاحظ أنها تتحاشاه وتبتعد عن مكانه
 وذكرى حديثهما معا يبهج قلبه..

"كيفك لبني؟!"

اجابته بخجل: "الحمد لله بخير"

ابتسم عندما لاحظ أنها تتجاهل ذكر اسمه فشاكسها
 قائلاً: "المفروض لما نتزوج تعيطيلي باسمي الا لو دلعتيني

أوراق الياسمين

باسم ثاني

أنعشه تورّد وجنتيها ليقترّب هامسا: "ما صار الوقت لسا

لبني؟"

ابتعدت بتوتر وهي تقول: "أنا.. آ آ.. اسفرت بس..."

قاطعها مقتربا مرة أخرى وهو يقول: "لازم تتأسفي لأن

راحت هيبتني هيكاً، بسبب عشقي إلك بركض وراكي

بكل محل ناظر منك بس نظرة او كلمتة، لازم تزعلي

على وضعي لاني اشتقتلك وصبري رح يطير.. فارحميني

يا حبيبتني

نبض قلبها بقوة وهي تتصبب عرقاً من الخجل فأغمضت

عينها ولوهلت شعرت بأنفاسه قريبة منها ولكنه فجأة

ابتعد عنها وهو يقول: "محبسي رح يكون بإصبعك قبل

عرس نادين، وممنوع الرفض".

وقد فعل حقا وعلى الرغم أنه اعترض أن الخطبة عائلية

أوراق الياسمين

فقط ولكنه نصد لها ما أرادته ولكنه وعدها بداخله أن
 يكون الزفاف مختلفا.. لن تكون أقل من أحد فهي
 تستحق أن يقام لها أفضل وأفخر زفاف بالعالم ويكفي الآن
 أنها أصبحت له فقد أصرّ على عقد القران حتى يستطيع
 أن يقترب كما يريد ويشتهي ويحطّ الجدران التي تقف
 بينهما.

أفاق على صوت أقاربه وهم ينشدون إحدى الأغاني
 الشعبية الخاصة بالزفاف وهم يحيطان بالعروسين ويبدأون
 برقص الدبكة الفلسطينية ليجذبه عاصم
 ويشاركونهم الرقص بسعادة.

شدّها يا أبوها.. شدّها - وان طلبت مصاري عدّها
 شدّها يا أبوها.. يا أمير - وان طلبت مصاري عدّ كثير
 شدّها يا أخوها يا حنون - عدّها المصاري بالمزنون

شدّها يا أخوها يا غالي - عدّها المصاري طوالي

دلف إلى المنزل ليجدها أمامه فتجمد من الصدمة وعيناه

تقابلان عينيها اللتين تنظران له بتشوّي لتبرق عيناه

بغضب عارم وهو يقترب منها ليجد والده يقف بينهما

قائلاً: "اهلا بالأستاذ.. اخيرا شرفت ما بدري يا اخويا"

"كان عندي شغل يا حاج"

رمقه بسخرية وهو يقول: "هتقولني؟! مانا واخذ بالي انك

مقطع نفسك من الشغل! بس ياريت ما نلاقيش عيل منك

بكل شغل يا استاذ اسعد"

هتف برعونته: "دي كدّابة، الواد ده مش ابني انا ما بخلص

و....."

قاطعته صفعة من والده على وجنته وهو يقول: "اخرس،

اتنكرت لبنت عمك من قبل وقولت مش ابني واتهتمها

بشرفها وهي ظفرها برقبتك، لكن تقول ما بخلفش! لا

كذب.. انت بتخلف والتحليل ده يثبت"

ألقى ورقة التحليل بوجهه وهو يقول: "هتكتب عليها

بكرة ورجلك فوق رقبتك وهتقعد معانا هنا بشقتك

اللي فوق لحد ما تولد ولو مش عايزاك بعد كده

هنشوفلكم حل وعلى الله تشتكيلى منك يا أسعد "

صرخ بعنف: "لا على جثتي عمري ما هتجوزها ، انا اتجوز

دي؟! دي واحدة...."

قاطعة والده بقوة وهو يقول بصرامة قلما تحدث بها:

"هتتجوزها ورجلك فوق رقبتك ولو مش عايز يبقى

تشوفلك حتى تانية تقعد فيها وشغلانة تانية تاكل منها

لانك لو سيبت ابنك يتربى بعيد عنك لا هتبقى ابني

ولا أعرفك.. يمكن ربنا يسامحنى على إهمالي في حق

بنت اخويا اللي اتعذبت بسببك انت وامك".

رمقها بغل يود إحراقها حية!

هل يتزوج بمن كانت لكثير غيره؟! وهو الذي ترك من

كانت له بمضرده.. من كانت تتمنى نظرة وكلمة منه؟!

أ يكون هذا مصيره بالنهاية؟!

دلفا إلى شقتهم بعدما انتهى الزفاف الذي لم تحلم بإقامة

مثله أبدا ولكن إصرار كاسب هو ما جعلها ترضخ فهو

زواجه الأول وله الحق بإقامة زفاف كما يريد..

"شو عجبك العرس؟!"

سألها ملطفا الجو فهو قد شعر بتوترها يحيط به فابتسمت

له بخجل وهي تومئ برأسها دون رد..

"طيب بدّي أغير اواعي ونصلي سوا"

"طيب"

دلفت إلى الغرفة وجلس هو للحظات على الأريكة وهو

يلتقط انفاسه بقوة.. يشعر بالخوف من مشاعره ويريد
 التهمل معها حتى تأمن جانبه فهو قد ضغط عليها بالفترة
 الأخيرة حتى يتم الزواج ولكنه وعدها بداخله بالصبر.
 ما إن أبدل ملابسه وجدد وضوءه حتى وجدها أمامه
 بشرشف الصلاة فابتسم وهو يصلي بها ركعتين ليدعو
 الله أن يوفقهما بحياتها القادمة.
 ابتسم عندما رأى توترها ليساعدها بخلع الشرشف وهو
 يجلس معها على الأريكة ويضمها قائلاً: "بديش الا
 احضنك بس عشان اتعود على فكرة ان حلمي اتحقق
 أخيراً.. وأنت صرتي مرتي"
 شعرت بأعصابها تهدأ وشعور الامتنان غمرها لتضم نفسها
 إليه دون وعي فيشاكسها قائلاً: "هيكا مش رح أتحمل
 حبيبتي، فارحميني انا العاشق اللي الشوق إلك زاده لهفة"

عضت على شفتيها بخجل ليهمس لها: "لبنى؟"
رفعت رأسها له متسائلة ليتابع: "خايضة مني؟!"
حرّكت رأسها وهي تقول بخضوت: "لا"
ولم تكد تكمل الكلمة المكونة من حرفين حتى
وجدته يغزوها بشفتيه فلم تشعر إلا وهي تبادلته عشقه
عشقا ويتحقق حلمهما سويا بالاكتمال.

الخاتمة

زهور بكل مكان منها النضر ومنها من تساقطت أوراقها،
 منها من دهستها الأقدام في غمرة السباق للفضوز برحيقها
 فلم يكتب لها النجاة.. وأخرى تحاول النهوض من كبوتها

لتحارب بعالم نُزعت من قلبه الرحمة!

عالم يرى المرأة خطيئة تستحق الوأد.. والرجل (سي

السيد) يستحق العبادة بظلمه وطغيانه وتجبره ..

زهرات صمدن واستعدن قوتهن، وأخريات لم يكتب لهن

النجاة من غدر البشر!

أيام دوارة مليئة بالظلم والقهر وأخرى مشرقة مليئة

بالأمل وكما نصحونا قديما انظروا لنصف الكوب

الممتلئ ولا يعلمون أن الكوب قد كسر وتحطمت لشظايا

أوراق الياسمين

صغيرة أدت كل من اقترب منه فمنهم من نجا وانتزع
 الشظايا واستعاد عافيته.. ومنهم من لم يُكتب له النجاة
 وتسببت الشظية بموته!
 زهرات خلقن من رحم الظلم منهم من قاوم الطغيان ومنهم
 من لم تستطع فدُهِست تحت الأرجل.. وهكذا هي الحياة
 تتأرجح بين القوة والضعف، التحدي والاستكانة، الظلم
 والعدل.. الرجال وأشباههم ولا خلاص للزهرات سوى
 بفارس نبيل زُرعت الرجولة بداخله فاختار ان يحمي
 ويصون ويحب بدلا من ان ينتهك ويظلم ويتجبر.

بعد مرور عدة سنوات

"رعوف.."

نادته بأعلى صوتها قبل أن يخرج من المنزل، وبسرعة
وضعت علبة الطعام في حقيبة وخرجت من المطبخ.

"خُد أكلك معاك"

ابتسم وهو يتناول الحقيبة منها كعادة لازمت عليها منذ

بداية زواجهما: "تسلم إيدك يا دلال"

ابتسمت بحلاوة وهي تجيبه بما يحمل في طياته الوعيد:

"عارف لو ما أكلتش يا حبيبي هعمل فيك إيه؟"

اقترب منها يتسائل بشقاوة وهو يتأمل مظهرها المهلك هذا

الصباح بشعرها المنسدل حتى وصل لأعلى فخذها وذاك

البنطال القصير جدا ليظهر بشرتها بسخاء أمام عينيه:

"لأ معرفش، اديني فكرة كده؟"

أخفضت بصرها وضحكت عندما أدركت أنها لن تعرف

أوراق الياسمين

مجاراة قلّة أدبه التي اعتادتها منه .

أمسكت بياقة قميصه تعدّ لها له: "لما تيجي هقولك"
 أمسك أعلى ذراعها بقبضة يده وهو يقترب منها: "طب ما
 تيجي انا اقولك دلوقتي ولما اجي نبأى نكمل كلامنا"
 أبعدت وجهها جانباً وهي تهتف ضاحكة:

"رعوف.. هتتاخرج الشغل"

أدار وجهه لها يستعطفها: "بوستة واحدة بس وهمشي"
 ضيّقت عينيها وهي تسأله بعدم اقتناع: "واحدة بس؟"
 أوما برأسه ببراءة، فاقتربت وطبعت قبلة رقيقة على
 شفتيه، ولم تكذ تبعد حتى أحكم إمساكه برأسها
 وبادلها أمام قبالتها العديد من القبالات.. كأنه يشحن
 طاقة يومه من خلالها، ينهل من روحها ما يقويه وينعشه،
 وهي أبداً لا تبخل عليه، بل لا تريد أن تفعل وهي بالمثل
 تستجدي الأمان والحب منه صباحاً ومساءً وبكل وقت..

وأمام عطاها يقدم أضعافه لها على طبق من ذهب .

تسمع ضحكاتها الخافتة من خلفها فيتمزق قلبها ألماً،
تكتوي بنارها دون أن تقدر على رده.. هو زوجها، ووالد
أطفالها، وكل ما لها ولهم، وإذا تركته يوماً فستجلس في
الطرق لا تملك حتى ما يكفيهم قوت يومهم.

أمسكت بإحدى البلوزات واستدارت له لتجد أنه كان
يسجل رقم البائعة، وعندما انتبه لها أخضى هاتفه في
جيبه وحاول كتم ابتسامته.

ابتسمت هي تداري ما بداخلها وتعمي عينيها عما رأت:

"إيه رأيك ف دي؟"

غالباً هو لم يكأف نفسه عناء النظر إليها، لكنه قال

بهدهوء: "حلوة يا حبيبتي، ادخلي جريها"

أومات برأسها واتجهت إلى غرفة القياس، أحكمت إغلاق

الباب ودون أن ترهف السمع لما يدور خارجا سمعته
يحدثها، وربما كان يتفق معها على يوم يتقابلان فيه سرا
كمان يفعل كل ليلة مع إحداهن.. لتجلس هي في المنزل
بين جدرانها تتلظى كاتمة صرخة قهر وعجز، تضع
خرقة بعد خرقة بالية في فمها كي لا تخرب حياتها،
لتكون النتيجة بكاء صامت كل ليلة كما تفعل الآن
تماما.. وكما ستظل تفعل إلى أن يأذن الله بغير هذا

الحال .

دقت ثلاث مرات على الباب فعلم من تكون، ودون أن يأذن
لها اقتحمت غرفة مكتبه كما اقتحمت كيانه وقلبه
وعقله منذ سنوات.

ابتسم وهو يراها تتحرك بصعوبة وبطنها أمامها عشرة

أمتار!

"ما قولنا اقعدي ف بيتك معززة مكرمة"

ضيّقت عينيها وهي تقترب منه، حتى وقفت بجانبه واضعت

يدها خلفها ظهرها، تأخذ أنفاسها بتسارع وهي تقول

بتعب: "كفاية رغي وقوم وقعدني، مش قادرة، ضهري

هيتقطه يا جلال"

وقف من مكانه لتجلس هي على كرسيه، وما أن لامس

جسدها حتى تأوّهت براحة مغمضة عينيها.

جلس هو على ذراع الكرسي قائلاً بغیظ: "يا رب تكون

القعدة مريحة للمدام"

ابتسمت واضعت يدها على بطنها: "جداً.."

تسللت يدها لكتفيها يداً بلطف جعلها تتأوه ممتنة

لما يفعل، ليقول بهدوء وحزم: "مش عارف بتيجي ليه

والله! قولتلك ارتاحي ف البيت لحد الولادة وبعدها

بكام شهر ابقى ارجعي تاني يا ستي"
 رفعت رأسها قليلا لتهمس مبتسمة بينما تقبل وجنته:
 "عشان بتوحشني"
 ابتسم في المقابل أمام مزاجها الرومانسي: "والله..!"
 أومات برأسها، ليدكرها: "اللي يشوفك دلوقتي
 ميشوفكيش من كام شهر وانت في الرايحة والجاية
 تقولي ابعدي يا جلال مش طايقاك!"
 مال يقبل وجهها بنعومة: "وكل ما جلال يقرب، تبعدي..
 تبعدي... تبعدي... لحد ما جالي جفاف عاطفي"
 ضحكت من قلبها: "وانا اعمل ايه طيب؟، بنتك هي اللي
 مكانتش طايقاك"
 "ودلوقتي؟"
 اقتربت من شفثيه تطبع قبلة عليهما، وهي تهمس له:
 "دلوقتي بتموت فيك، بتحلم بيك كل يوم، بتقولك

خليك جمبي دايمًا

"كاميليا.."

هممت بنعم، فقال وهو يتأمل عينيها ونظراته عشقه

مفضوحة: "انا بقول تروحي وكفايتة عليكي كده.. وانا

هو صلّك عشان ماتتعبيش"

ابتسمت بتهكّم: "مضحّي أوي حضرتك؟"

"جدًا!!!، لأقصى حد"

"طب والعملا اللي جاين؟"

اقترب منها وطبع قبلته بحرارة على وجنتها: "نلغيهم"

"والقضايا اللي عندك؟"

قبلت شفتين، ثم همس: "تتأجل"

"وال.."

قاطعها مزمرًا: "كاميليا... اخرسي وقومي قدامي"

ابتسمت بتسليّة مجيبتة: "حاضر".

كانا يمشيان في أحد الأزقة عندما سحبها من يدها في لحظة خاطفة وأسند ظهرها إلى الحائط في مكان لا يصله أي نور.

ابتسم بعث وهو يتحسس رقبتها بيده ووجهه لا يفصله عن وجهها شيء؛ "أخيراً لوحدنا من غير ناس ووجع قلب" أخذت تتلفت حولها مذعورة محاولت إبعاده قليلاً عنها؛ "يا حسن ميصحش كده، إفرض حد شافنا"

اقترب أكثر مستنداً بيده إلى الجدار من خلفها، يهمس بحرارة اتقدت بجسده ولا سبيل لإخمادها سوى بطريقت

بدائية لن يتنازل عنها؛ "يا بت كام مرة قتلتك انتي مراتي... مراتي... يعني ماتخافيش من حاجة وانتي

معايا"

حاولت التملص من حصاره وهي تهتف غاضبة؛ "لا مش

مراتك لسه يا حسن، ديلتك ف ايدي اليمين مش
الشمال، وشقتنا لسه مخلصتش وانت مش ناوي تخلصها
شكلك كده.. لما اكون ف بيتك ابأى اعمل اللي
انت عاوزه، انما دلوقتي لأ"
انفعل، وكبّل يديها خلف ظهرها بينما يقبل وجهها قائلاً:
"يعني سايبك بمزاجك الفترة اللي فاتت عشان يوم ما
اعوزك تبرطميلي بالكلمتين السود دول؟! ولا الجن
الازرق هيعرف يبعدي عنك النهاردة يا بت، يا قاتل
يا مقتول، وهتبقي مراتي بالكلام وبالفعل.. ووريني بأى
لسانك الطويل ده هينفعك ف ايه!"
حاولت الصراخ والإفلات منه فضغط بجسده بقوة أكبر
على جسدها حتى كادت تلتحم بالحائط من خلفها من
شدة ضغطه، وعندما حاولت الصراخ أسكتها بشفتيه
وهما تعاقبانها على شيء لا تعلمه.. فانهمرت دمعاتها بينما

تحاول وتحاول أن تبعد عنه، وأمام إصراره وطاقته التي

تضجرت، لا سبيل للرجوع، ولا حياة لمن تنادي!

من الطارق في منتصف الليل!

فتح باب المنزل متثابراً بنعاس ليجد زوجة حماه أمامه

حاملة طفلها بين يديها.

أدخلها ولا زال لا يستوعب ما يحدث، ليسألها بقلق:

"انتي كويستة؟"

تكلمت بحرج: "أنا أسفة إني جيت في وقت زي ده، بس

ملقيتش غيركو أتحمى فيهم"

خرجت زهرة من غرفتها وهي تضم جانبي مازرها هاتفة

بقلق: "هدير! ايه اللي حصل؟"

بدأت تبكي وشاركها صغيرها البكاء: "أبوكي يا زهرة..

كان يوم اسود يوم ما اتجوزت، الله يسامح اللي كان

السبب"

نظرت لهشام وهي لا تفهم أي شيء، ليشير لها أن تدخلها

غرفة الجلوس وسيتركهما على راحتها؛ ففعلت.

سردت هدير عليها ما يحدث معها منذ تزوجت، ضرب

واهانت وذل كل يوم بشتى الطرق، حتى أن آثار ضربه

لا زالت ظاهرة على جسدها بعلامات حمراء وزرقاء.

لتسألها زهرة بأسى: "انتي ايه اللي خناكي تتجوزيه

يا هدير؟"

هتفت بقهر: "أبويا وأمي.. بعد ما جوزي الأولاني مات

ما صدقوا أول واحد قال يا جواز شيلوه الشيلت، واتحرق انا

مش مهم، المهم ان الناس ماتاكلش وشهم والأرملت اللي

في بيتهم تتستت في بيت العدل"

ثم عادت للبكاء بصوت مرتفع: "حسبي الله ونعم

الوكيل"

أخذت زهرة تهدئها إلى أن غفت تماما، لتذهب بعدها حيث

يقبع هشام.

تمددت بجانبه مستندة برأسها على ذراعه، وبذراعيها

تحاوط جذعه مغمضت العينين.. فقط تريد أن تشعر به

بجانبها دون كلام.

وهو شعر بها فأحاط خصرها بذراعه مقبلاً قمت رأسها؛

"نامت؟"

أومات برأسها، فمسح على شعرها وربت على ظهرها؛

"نامي انتي كمان"

دقائق مرت، لينطلق صوتها قاطعاً الهدوء؛ "هشام.."

همهم بنعم، ثم وجدها رفعت رأسها عن صدره ونظرت إليه

قائلاً بصدق وقوة؛ "أنا بحبك أوي.. والله العظيم بحبك"

لمعت عيناه وابتسمت شفتاه، ودق قلبه بعنف أمام اعترافها

الصريح بحبه.. لتضع رأسها مرة أخرى على صدره، تضمه

بقوة إليها هاتفت بحرارة: "ربنا ما يحرمني منك أبدًا"
 تشمّ خصلات شعرها مقبلًا رأسها عديد من القبل:
 "ولا يحرمني منك يا حبيبتي.. ربنا يباركلي فيكي"
 وغضت، وغضا هو الآخر، وفي قلب كل منهما حب لنصفه
 الثاني يضاها الدنيا وما فيها.

"نزاارا! بسس وقف اللي عم تعمله! رح يشوفنا محمد وأنت
 بتعرف منيح أنه ابنك رح يضرف لسانه ويفضحنا بكل
 محل، هديكي المرة استحييت وحسيت حالي رح اختنق
 قدام أخوي"

ضحك بعث وهو يواصل تقبيلها قائلاً: "وشو يعني؟! رجال
 ومرته ولا أخوكي الغالي ما يبوس مرته!"
 همّت بالحديث ليقاطعها قائلاً بحنق: "حاش تحشري
 أخوكي بكل شي بيناتنا بكل مرة بقرب منك! أنا

جوزك وبعمل اللي بيحلا لي بالوقت اللي بدي اياه،

فهمتي؟! "

زمت شفتيها بحنق وهي تقول: "وأنا! مفيش حساب لي بدي

ياتو؟! "

رمقها بنظرة حزينة ثم ابتعد عنها ناهضا وهو يقول:

"أنتِ إلك كل الاولوية نادو، معك حق.. رح أبطل

حركاتي وأرجع للشغل"

أمسكت بيديه تشعر بالندم فهي لم تقصد أن تغضبه أبدا

ولا تحتل أن ترى هذه النظرة الحزينة بعينيه..

"نزار اسفرت، مش قصدي أزعلك بس انا مستحيت منك

ومحمد عم يقول لكل اللي عم يشوفه مع أن حاولت

كثير أمنعه"

لم يرد عليها بل لم يلتفت لها حتى فوقفت أمامه تجذبه

لأسفل حتى تتصل لوجنته فقبلته برقة ليشيح بوجهه

عنها لتمسك بوجهه هذه المرة وتطبع قبلة على شفثيه

وهي تهمس: "بعتذر"

وما إن لامست شفثيها شفثيه حتى أحاطها بذراعيه يبادلها

قبلتها بشغف وهو بهمس لها بين قبلاته: "بحبك نادو"

ليفتح بالباب بقوة ويظهر محمد متخصرا رافعا حاجبه

ليظهر أكبر من عمره بسنوات وهو يقول:

"رح أقول لخالي شو عم تعملو"

ابتعد نزار عن نادين وهو يصطنع الارتباك قائلا: "لحظت"

يا محمد.. أمك السبب هي اللي خلتنى أنحرف"

ثم رمقها بعث وهو يتابع غامزا إياها :

"وأنا بحب الانحراف كتيير".

ترجّلت من سيارة الأجرة التي أقلتها من أمام منزل زوجها..

ابتسمت بسخرية وهي تفكر.. أي زوج هذا؟! هل هو الزوج

الذي حلمت بالزواج منه طوال سنوات .. زميلها بالجامعة
والذي فتننت به ما إن رأته بإحدى الندوات التي كانت
تقيمها الجامعة..

فتنت بثقافته وإقدامه ووسامته ولباقته .. كان فارس

أحلام البنات بالجامعة وهي لم تكن استثناء!

لم تصدق عندما خصها بنظراته واهتمامه ليطلبها للزواج

بعدها ومن هي لترفض فارس الأحلام؟!

وافقت على الفور وقد فرح به والدها فها هو سيتخلص منها

كما تمنى دوما.. فهو الأب لخمس من البنات رغم

محاولاته المستميتة لإنجاب الولد ولكن امر الله فوق

كل رغبة .

وربما هذا ما جعله يزداد ظلما لهن يوما بعد الآخر..

زفرت بقوة وهي تطرق الباب الذي خرجت منه سعيدة

لتفاجأ أنها تنتقل من جحيم والد ظالم لجحيم أشد قسوة

لزوج أكثر طغيانا وتجبيرا!

ضرب واهانتة على توافه الأمور وهي تحتل وتحتل حتى

فاض بها الكيل لتترك المنزل له بعد آخر مشاجرة

بينهما بسبب لا تعرفه من الأساس فحماقتها العزيزة لا

يغضب لها جفن دون أن تقتري عليها ظلما وعدوانا وابنها

زوجها العزيز لا يستطيع أن يرفض لها طلبا .

فتح باب شقة والدتها لتجد والدتها أمامها هتفت بها وهي

تضرب صدرها هالعة: "ايه اللي عمل فيكي يابت

" يا وردة؟"

"جوز الندامة اللي رميتوني له ولا سالتوا عليا"

"اكيد طولتي لسانك عليه، مانا عارفاكي ما

بتسكتيش ابدأ"

هل تعرفيني حقا أمأه؟! هل تعرفي من حملتها برحمك

تسعة أشهر؟! "

وإذا كنت تعرفيني كما تدّعين هل تعلمين ما يحدث

لي؟!

هل تلاحظين الكدمات على جسدي؟! هل تلاحظين

جسدي الذي ازداد نحولا على نحوه من كثرة الطغيان

الذي تعرّض له؟!

قبل أن تقول شيئا ظهر والدها ليرتجف جسدها تلقائيا

وتنكمش على حالها وهو يهدر بها: "بقى انتي تقصري

رقبتي قدام الخلق ويقولولي معرفتش تربني؟! سايبته بيت

جوزك ليه يابت وجايت في انصاص الليالي؟! وازاي تعلي

صوتك على جوزك وحماتك؟! هي دي التربية اللي

ربتهاالك؟! جوزك زمانه جاي ياخدك وعلى الله اعرف

انك عملتي حاجة تانية زي دي معاه انا اللي هكسر

عضمك ساعتها بلا قلت حيا ودلع بنات ماسخ"

رمقت أمها بحزن علها ترى منها لمحة حنان، لمحة أمل أنها
ستقف بجانبها وتدعمها ولو مرة واحدة ولكن لا حياة

لمن تنادي!

لقد كتب عليها أن يكون لها والدين بقلوب قدت من
حجر بل ربما الحجر ينبض قلبه بحنو يوما عكس

والديها!

وصل زوجها (نافشا ريشة) كديك البرابر يرمقها

بانتصار وهو يعدها أن يذيقها أضعاف ما ذاقت حتى الآن

لتفهم نظراته جيدا وتنكس رأسها بكسرة وهي تسير

معه عائدة من حيث أتت بلا أمل بتغير قريب لحياتها إذا

كانت ما تعيشه بالوقت الحالي من الممكن أن يطلق عليه

حياة!

الغربة ليست غربة الوطن بل غربة القلب والروح!

وهي أشد أنواع الغربة .

"حلا تعالي هنا، هقول لبابا يضريك"

وأكملت بخفوت: "ولو انه لا بيضرب ولا بتاع هو يدع وانا

الي يطلع عيني"

أحاطها بذراعيه وهو يقول: "سمعتك على فكرة"

انتفضت بفرع ثم ابتسمت وهي تلتفت إليه قائلة: "ماتسمع

على فكرة، مش دي الحقيقة وال بتجنى عليك؟"

"بدك ياني أضرب طفلة يدوب عمرها ما صار سنتين

لبنى؟!"

قالها باستنكار مصطنع لترفع حاجبها بشر ليضحك وهو

يقبل شفيتها بخفة قائلا: "شو رأيك ننسى حلا وننسى

المصيبة اللي عملتها هلاء أكيد ونغضى سوا شوي!"

"فعلا؟ طيب والناس اللي جايت كمان شوية دول نقولهم
ايه؟؛ مغلق حتى إشعار آخر! كاسب ماتجننيش مش عارفت
هلاقيها منك ولا من بنتك وال من محمد ابن نادين اللي
حاطط نثره من نثر بنتي"

"نثره؟! شو يعني كلمة نثره يا لبنى؟؛ مع أن صرلي سنين
شغال مع مصريين بس لسا في بلاوي كلمات بعرفاش"
وضعت يدها بين كفيها للحظات قبل أن ترفع رأسها
قائلة: "عارف احسن عقاب ليك اني اسيبك بنتك
تحميها وتلبسها انت وانا هدخل اجهز نفسي"
وأقرنت قولها بال فعل وهي تلقي بملابس الصغيرة بين يديه
ليلتقطها تلقائيا وهو ينظر لها بريبة قائلا: "شو هاد
يا لبنى؟؛ يا الله! كيف رح نحل هالبلوة هل؟؛"
تبعها وهو يحاول التقرب منها قائلا: "لبنى حبيبتى تعامليش

هيكاً، أنت بتعرفي أنني بعرفش ازبط الوضع مع بنتك

الأرم (المشاكسة) "

رفعت حاجبها وهي تلتفت له قائلاً: "دلوقتي بقت بنتي

وشرسة؟! مش كانت حلوة وأنا اللي ظالمة من شوية؟"

عالت أنفاسه بحلقه وهو ينظر لهيئتها المهلكة بقميصها

الأسود الداخلى وشعرها المرفوع لأعلى تنسدل منه

خصلتين تحطيان بوجهها بعنوية محببة إليه ليقترب منها

مسقطاً ملابس الصغيرة على مقعد بطريقه..

"أحلى ظالمة شوقتها بحياتي"

قالها وهو يغمرها بعاطفته التي لا تستطيع الصمود أمامها

ولم تحاول قط!

وما إن ابتعد حتى قالت: "بتتكلم مصري حلوا هو"

ابتسم مشاكساً: "يعني مجوز مصرية وبعرف من قبلك

عاصم صاحبي وبرأيك بعرفش أحكي مصري! هاد عيب

بحقي اساساً"

ضحكت بدلال ثم قالت بجدية: "ممکن اسالك سؤال؟!"

"إي طبعا"

"حسيت بغربة في يوم؟! حسيت انك نفسك ترجع

بلدك وتعيش بوسط اهلك هناك! راقبتك كثير وانت

بتتفرج على الأخبار أو وانت بتتفرج على الصور القديمة

لفلسطين وكل مرة كنت بفكر ياترى في يوم ممكن

تفكر ترجع هناك؟!"

شرد للحظات ثم قال: "بتعرفي أنه هاد كان قراري قبل ما

أعرفك؟! كنت ناوي أرجع فلسطين مع أن مش خلقان

فيها ومعشتش فيها بحياتي.. بس أبوي ورثني حبها لأن

عاش فيها وكان يحكي لي عن ذكرياته هناك، وقررت

أرجع فلسطين بعد ما تجوز نزار.. بس بوقتها شفتك!"

ابتسم متابعاً وهو ينظر لها: "بتعرفي أن كل ما بقرب منك
 بشر ريحة بلادي! بلادي وأرضي وأمي بجمالها وحلاوة
 روحها وريحة ترابها المقدس قبل ما يدمروها الانجاس
 وتمتلي بالقتلى والأموات.. بلادي التي بشتاق لها ومتمني
 أرجع لأرضها مع أولادي لأشوفهم عم يكبروا فيها
 بالظبط مثل أبوي"

صمت للحظات وهي لم تقاطعه فقط تنظر له بحب وعيناها
 تلتمعان بالدموع ليكمل: "بتعرفي أني ولا يوم حسيت
 بالغريرة معك؟! لقيت فيكي وطني وسكني وعمري
 كله، مثل كأن القدر جمعنا سوا لكل واحد يعوض
 الثاني عن غريته البشعة.. سألتيني اذا حسيت بالغريرة..
 جوابي هو لاء.. مش حاسس بالغريرة طالما أنا بحضنك
 لبنى.. أنت حاسة بالغريرة إشي؟! حابة ترجعي لأهليتك

وتطلبي السماح؟!"

سالت دموعها دون شعور وهي تضمه إليها قائلة: "انت اهلي

وحبيبي ودنيتي كلها.. انت ادتني اللي عمري ما كنت

احلم بيه، مادتنيش الفرصة حتى احلم بحاجة لان

الواقع معاك اجمل بكثير من كل الاحلام.. حبيبي

وزوجي وابني وكل حاجة بحياتي.. عمري ما احس

بالغربة وانا معاك انت وطني ودنيتي وما تمناش من الدنيا

غيرك انت"

جلبة بالخارج جعلتهما يضيقان ليركضا مسرعين لمصدر

الصوت لتكاد أعينها تخرج من محاجرهما وهما ينظران

إلى طفلتهما والتي اسقطت ما داخل الثلاجة واخذت تعبت

به بسعادة بعدما قلبت المطبخ رأسها على عقب .

"آه يا ربي هو انا هلاقيها منك وال من بنتك الشعنونة.."

أوراق الياسمين

تضرب الواد وتيجي تعيط (تبكي) وتقول الحقيني يا
طنط نرجس مروان ضربيني!! على رأي المثل ضربني وبكا
سبقني واشتكي"

ضحكت بعث وهي تقول: "الله ما هو ابنك اللي مش مدّي
لبنتي ريق حلو ابدأ! كل ما تقرب منه يبعد عنها ويقولها
روحي لمصطفى ينفع كده يعني؟! فهميه انها خطيبته
وملرومت منه"

"يعني ابني حبيبي ذنبه ايه انه ياخذ بنتك الشعنونة
دي؟! لا ياختي انا اخاف على ابني.. خلي بنتك نشوقها
واحد شعنون زيها"

قالتها نرجس وهي تحرك حاجبها مغيظة اياها
لتضحك نسرین قائلة: "ماتحاوليش، ميادة لمروان ولو
زودتي كلمة زيادة هقولك اللي في بطني لمصطفى"

تدخل عاصم قائلاً: "لا! هو احنا ناقصين مش كفاية
علينا ميادة هناخد اللي جايت كمان؟! كفاية مروان
يا عيني عليك يا بني"

هتف إسلام مصطنعاً الغضب: "انتي بتدللي على البنت
يا نسرين؟! انا لا يمكن أوافق ابدا على جواز مروان من
ميادة"

هتف عاصم: "الحمد لله الواد كان هيروح في شربة مايه"
ليتابع إسلام مغيظاً إياه: "هناخد مصطفى لميادة واللي
جايت ف الطريق هنخليها لمروان.."

مصطفى طيب كده وهيستحملها لكن مروان عصبي زي
ابوه كده هيوثعوا في بعض وفينا"

ضحك عبد التواب والجدة عليهم وكل منهما يشاكس
الأخر ليقول لهم بحكمة: "كل واحد له نصيبه ومهما
قولتوا وعدتوا محدش هياخد غير نصيبه فريحو"

أوراق الياسمين

نفسكم وبطلوا مناقرة"

نظروا له باحترام والتفوا حولهما بحب ومازالوا على
مشاكساتهم التي لا تنتهي لينظر لهم بسعادة وهو يحمد
الله بداخله أنه طمأن قلبه عليهم جميعا .

رمقته ببغض وهي تلاحظ نظراته المقرزة التي تلتهمها دون
حياء لتتظاهر بعدم الرؤية وهي تتابع عملها.. فماذا
ستفعل وهي تحتاج للعمل ولم تجد ما هو أفضل منه.. فهي
لم تكمل تعليمها فما الوظيفة التي ستجدها سوى عاملة
نظافة أو بائعة باحد المحلات على اكثر تقدير؟
استغرقت بالتفكير وهي تتابع التنظيف بألية اعتادت
عليها حتى شعرت بيدين تتلمسان جسدها فانتفضت
مبتعد وهي تتلفت حولها لتجد المكان فارغ تقريبا!

اقترب منها لتبتعد للخلف .. يقترب وتبتعد حتى حشرها
بينه وبين الجدار خلفها ليبتسم قائلة بأنفاسه الكريهة:

"ايه يا حلوة تقلانتي عليا ليه؟! مانا بدفع كويس وال

عايزة تزودي الفلوس؟! معنديش مانع بس نزود المدة

كمان"

شعرت بالغثيان يجتاحها وهي تحاول التملص منه.. لم تعد
تحتمل ما يحدث، حاولت كثيرا كما نصحتها زميلتها فهو

لن يضرها فقط بضع لمسات يضرغ بها شهوته ويتركها

(صاح سليم) كما يقولون ولكن هل حقا تكون سليمة

بعد هذه الانتهاكات لجسدها؟!

تكفي آلام قلبها وكرامتها الممتهنته مما يحدث، لم

تشعر بنفسها سوى وهي تدفعه بقوة وتضربها لا تلوي

على شيء سوى إنقاذ شرقها الذي كاد يُمَرَّغ بالوحل .

ترى هل سيأتي اليوم الذي تسير به الزهرات بالشارع
وبداخلهم تسكن الطمانينة؟
هل سيأتي اليوم الذي تعمل به المرأة فتعامل بالاحترام
وليس كشيء لإفراغ لشهوة أشباه الرجال؟
هل سيأتي اليوم الذي لا تكون به الفتاة عارا والمرأة
خطيئة؟
ربما يحدث وربما لا و ...

تستمر الحكايات .

تمت بحمد الله

أوراق الياسمين